Adolf Hitler



أدولف هتلر

كفاحي



كفاحي

عصير الكتب
للنشر و التوزيع

الكتـــاب :كفاحي
المــؤلـــف : أدولف هتلر
رقــم الإيــداع : 2017/20211
978-977-6541-33-7 :I.S.B.N

المدير العام:محمد شوقي
مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
01150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

هتلر

فتش عن اليهود.. قبل أن تفتش عن المرأة

فاضح اليهود.. ألماني الهوى.. نمساوي الجنسية

أسطورة.. صنعها التجاهل

تقديم

لماذا هتلر؟

سؤال يتبادر إلى الذهن بمجر أن ترى عيناك كتابًا يحمل عنوان "هتلر"، خصوصًا أنه فارق الحياة منذ عقود عدة، الإجابة ببساطة؛ لأن هتلر اسم ارتبط بصناعة أحداث عالمية غيرت مفهوم مراكز القوى، وأسس التحالفات السياسية، ولأن هتلر اسم ارتبط بمعاداة جنس اليهود الذين يسيطرون على وسائل الميديا واستغلالها لأغراضهم السياسية، فقيل إنه أصدر أمر إبادتهم في ما يعرف باسم مذبحة الهولوكست، ولأن هتلر اسم ارتبط بسعي دور النشر كل عام للحصول على حقوق نشر مذكراته التي عرفت باسم "كفاحي"، ولأن هتلر أسس لعنصرية ودكتاتورية ونازية ألمانية.. شغلت أوروبا كاملة وهددت سلمها، ولأن الألمان كل عام يجددون تبرؤهم من عنصرية هتلر التي ينظرون إليها نظرة عار على جنسهم.

ربما يلقى اسم هتلر صدى إيجابيًا عند المسلمين والعرب؛ خصوصًا أنه عرف بمعاداته لليهود؛ فاعتقدوا في قرارة أنفسهم أن عدو عدوهم هو صديقهم، في حين أنه كان متعصبًا ضد اليهود لأجل غيرته على وطنه، وليس لأنه ينوب عن المسلمين أو العرب في صراعهم مع اليهود، والمدقق في آرائه يجد انحرافات فكرية لا تتفق وعقيدة المسلمين، بل إنه ربما يزدريهم في بعض المواضع ولا يقيم لهم وزنا.

إذن.. من هو هتلر؟ هذا ما نحاول أن نجيب عنه من خلال سطور هذا الكتاب.

الفصل الأول
أدولف هتلر

قبل البداية:

وجب التنويه أو تفسير مفردات كثرت وشاعت وارتبطت بالتاريخ الألماني وهتلر معًا، كي تستقيم القراءة فيما يلي من فصول.

تعريف النازي أو النازية:

كلمة نازيّ؛ هي اختصار (حزب العمل القومي الاشتراكي الألماني) بالألمانية:

Nationalsozialistische Deutsche Arbeiterpartei

ونادرًا ما كانت تستخدم هذه الكلمة في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945.

النشأة

الهزيمة في الحرب العالمية الأولى، معاهدة فيرساي، أزمة الكساد الاقتصادي، اتهام مراكز القوى المتمثلة "الديمقراطيون الاشتراكيون" وحكومة فيمر ببيع ألمانيا، كل هذه الأحداث العصيبة؛ أدت إلى التفكير في ضرورة وجود حزب يعمل على اتحاد العمال، ورفع الاقتصاد من كبوته، ورفع نسبة الشعور والانتماء الوطني للشعب الألماني، بعدما أحبطته هزيمة الحرب العالمية الأولى، وعملت على تشكيل النواة الأولى للفكر العمالي الاشتراكي الألماني.

في 5 يناير 1919؛ قام آنتون دريكسلر والصحفي كارل هارير بتأسيس حزب العمل الألماني في ميونخ.

في أحد اجتماعات ميونخ ، سبتمبر 1919؛ كان المتحدث الرئيسي هو جوتفريد فيدير، وحالما أنهى حديثه؛ قام أحد الحضور واقترح أن بافاريا يجب

أن تنفصل عن بروسيا والنمسا كأمة مستقلة. وكان أدولف هتلر من بين الجمهور الذي حضر هذا الاجتماع، وطبقًا لما أورده هتلر في كتابه كفاحي؛ فإنه هب قائمًا لكي يضحد الجدال الذي نشأ نتيجة للاقتراح الذي قدمه العضو، فاقترب منه دريكسلر ووضع كتيبا في يده، وكان عنوانه "يقظتي السياسية"، و كما ذكر هتلر في كتابه؛ فإن هذا الكتيب قد كان له أثر عميق في قراراته. لاحقًا في ذلك اليوم استلم هتلر بطاقة بريدية تخبره بأنه قد تم قبوله في حزب العمل الألماني، وبعدما فكر مليًا - كما يذكر هتلر - قرر الانضمام للحزب.

باكرًا في عام 1920؛ قام دريكسلر بتغيير اسم الحزب كما أوصى هتلر من "حزب العمل الألماني" إلى "حزب العمل القومي الاشتراكي الألماني" (NS-DAP).

في عام 1921؛ أصبح هتلر قائدًا للحزب؛ لما تمتع به من مهارات تنظيمية وقدرة على الخطابة.

في صيف نفس العام؛ سافر هتلر إلى برلين Berlin ليلتقي الاشتراكيين الألمان من جنوب ألمانيا، وبينما كان هتلر غائبًا، قام أعضاء من لجنة الحزب يقودهم دريكسلر بنشر كتيب اتهام لـهتلر، يتهمونه بالبحث عن القوة الشخصية بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى، وعلى الفور قام هتلر برفع دعوى سب وتشهير؛ ما أجبر دريكسلر على إنكار ما فعل في مؤتمر عام، و منذ ذلك الحين عين دريكسلر في منصب رئيس شرفي للحزب إلى أن تركه في عام 1923.

بدءًا من عام 1924 بدأ الحزب باكتساب جماهيرية عريضة وتكونت خلايا حزبية نازية في الجنوب ثم توحدت مع المركز في ميونخ، وكان هتلر يحلم بإقامة الدولة القائمة على أساس سيادة الجنس الآري وتفوقه.

فاز الحزب النازي في انتخابات 12 ديسمبر 1929، وتسلق البرلمان الألماني وكان عدد أعضائه 276 من أصل 387 نائبًا، وبذلك قويت شوكة الحزب وازداد نفوذه في الدولة الألمانية.

وانتهى به المطاف إلى دخول الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) التي كانت نهاية المطاف لسيرته في حكم ألمانيا لأكثر من 15 عامًا.

قادة الحزب النازي انتهى بهم المطاف إلى الانتحار بشرف خير من الاستسلام مثل رئيسهم أدولف هتلر، وتم تأسيس محكمة في مدينة نورمبرج في جنوب وسط ألمانيا، عرفت بمحكمة نورمبرج واستمرت لمدة سنوات لمحاكمة قيادات النازية،

وحوكموا محاكمة شككك الكثيرون في نزاهتها، ونفذ حكم الإعدام شنقًا بحق عدد كبير منهم مثل: وليم فرنك وألفون فيريون برج.

بعد سقوط الحكم النازي مع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945؛ أعلن عن الحزب النازي كحزب غير قانوني في ألمانيا، ويمنع استعمال رموزه ونشر أفكاره.

الأيديولوجيا

أصبح المصطلح "نازية" وصفًا للأيديولوجية التي اتخذها ذلك الحزب في سنوات الـ 20 والـ 30 من القرن العشرين، والمبنية على العنصرية والتشدد ضد الأعراق الأخرى، وكذلك على علوّ أجناس بشرية معينة على أجناس أخرى. وآمنت بقمع وحتى بإبادة الأعراق الدنيا، وبالمقابل الحفاظ على "طهر" الأعراق العليا. وصل الحزب النازي إلى الحكم في ألمانيا عام 1933 بقيادة أدولف هتلر. وشرع الأخير باستعمال القوة لتحقيق أيديولوجيته. كان اليهود بالنسبة لهتلر في أدنى سلم الأعراق البشرية. بدأ هتلر بتنفيذ برنامجه بإبادة اليهود، أطلق على عملية الإبادة اسم "المحرقة" "الهولوكوست".

الرايخ

كلمة ألمانية، تعني في الأصل (الدولة)، بصرف النظر عن نوع الحكم فيها، ثم أصبحت تعني معنى أوسع هو الإمبراطورية، وكان الرايخ الأول هو ما يعرف تاريخيًا باسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة (1563 ـ 1806) التي كانت تشمل جزءًا كبيرًا من الشعب الألماني. ثم تكون الرايخ الثاني عام 1871 بعد أن وحد بسمارك ألمانيا برعاية بروسيا. وظل هذا الرايخ الثاني قائمًا حتى عام 1918، ثم أطلق على فترة الحكم النازي اسم (الرايخ الثالث)، وهو الاسم الرسمي لنظام حكم النازية في ألمانيا الممتد بين يناير 23 إلى أبريل 1945، أما التعبير نفسه؛ فقد اخترعه الكاتب الألماني القومي المتعصب "مولرفان دربروك"، الذي استخدمه كعنوان لكتاب له صدر بعد سقوط الرايخ الثاني مباشرة في عام 1918، وتبناه النازيون في العشرينيات إيذانًا بعزمهم على إقامة إمبراطورية ألمانية جديدة، وقد اتبعت ألمانيا النازية سياسة توسعية عدوانية في أوروبا وفي خارجها، وذلك بالتحالف مع النظام الفاشي في إيطاليا، ولعل تخلف النظرية العنصرية النازية وجنون العظمة عند هتلر ومطالبه التوسعية التي لا تنتهي وشهوته المجنونة في السيطرة على العالم، بالإضافة إلى تمجيده للعنف والحرب؛ هو ما دفع الرايخ الثالث نحو الحرب العالمية الثانية؛ ما أدى إلى النهاية المأساوية المحتومة التي جلبت

الدمار والويلات للبشرية عامة.

الهولوكوست

الهولوكوست؛ هي عملية القتل العمد التي ارتكبتها ألمانيا بحق ستة ملايين يهودي - كما يتردد دومًا، وفي حين بدأت ملاحقة النازيين لليهود في سنة 1933؛ فإن الإبادة الجماعية تم تنفيذها خلال الحرب العالمية الثانية. وأنجز الألمان وشركاؤهم عملية إبادة ستة ملايين من اليهود خلال أربعة أعوام ونصف العام. وبلغت "إنتاجيتهم" أشدها بين أبريل ونوفمبر من عام 1942، وهي فترة 250 يومًا قتلوا خلالها نحو مليونين ونصف المليون من اليهود.

من هو هتلر؟

أدولف ألويس هتلر بالألمانية: Adolf Hitler /20 أبريل 1889 - 30 أبريل 1945، سياسي ألماني نازي، ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، المعروف للعامة باسم الحزب النازي.

تولى أدولف هتلر حكم ألمانيا في الفترة ما بين عامي 1933 و1945؛ إذ شغل منصب مستشار الدولة بالألمانية: Reichskanzler، في الفترة ما بين عامي 1933 و1945، وزعيم / ألفوهرر بالألمانية: Führer، واختارته مجلة "تايم" واحدًا من بين مئة شخصية تركت أكبر الأثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين.

وباعتباره واحدًا من المحاربين القدامى الذين تقلدوا الأوسمة تقديرًا لجهودهم في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، انضم هتلر إلى الحزب النازي في عام 1920، وأصبح زعيمًا له في عام 1921. وبعد سجنه إثر محاولة انقلاب فاشلة قام بها في عام 1923، استطاع هتلر أن يحصل على تأييد الجماهير بتشجيعه لأفكار تأييد القومية ومعاداة الشيوعية والكاريزما (أو الجاذبية) التي يتمتع بها في إلقاء الخطب وفي الدعاية.

في عام 1933؛ تم تعيينه مستشارًا للبلاد؛ إذ عمل على إرساء دعائم نظام تحكمه نزعة شمولية وديكتاتورية وفاشية، وانتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف معلن وهو الاستيلاء على ما سماه بالمجال الحيوي - بالألمانية: Lebensraum، ويُقصد به السيطرة على مناطق معينة لتأمين الوجود لألمانيا النازية وضمان رخائها الاقتصادي، وتوجيه موارد الدولة نحو تحقيق هذا الهدف. وقد قامت قوة الدفاع التي أعاد بناءها بغزو بولندا في عام 1939؛ ما أدى إلى اندلاع الحرب

العالمية الثانية، وخلال ثلاث سنوات؛ احتلت ألمانيا ودول المحور معظم قارة أوروبا وأجزاء كبيرة من أفريقيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا والدول المطلة على المحيط الهادي. ومع ذلك؛ نجحت دول الحلفاء في أن تكون لها الغلبة في النهاية.

وفي عام 1945، نجحت جيوش الحلفاء في اجتياح ألمانيا من جميع جوانبها وحتى سقوط برلين. وأثناء الأيام الأخيرة من الحرب في عام 1945؛ تزوج هتلر من عشيقته إيفا براون بعد قصة حب طويلة. وبعد أقل من يومين، انتحر العشيقان.

سنوات حياته الأولى

ولد أدولف هتلر في 20 أبريل 1889 في برونو بالإمبراطورية النمساوية المجرية. كان هتلر الابن الرابع من أصل ستة أبناء، أما والده فهو ألويس هتلر (1837 - 1903) الذي كان يعمل موظفًا في الجمارك، وكانت والدته كلارا هتلر (1860 - 1907) هي الزوجة الثالثة لوالده، ونظرًا لأن الهُوية الحقيقة لوالد ألويس شكلت سرًا غامضًا في تاريخ الرايخ الثالث، كان من المستحيل تحديد العلاقة البيولوجية الحقيقية التي كانت تربط بين ألويس وكلارا؛ وهو الأمر الذي استدعى حصولهما على إعفاء بابوي لإتمام زواجهما. ومن بين الأبناء الستة وهم ثمرة زواج ألويس وكلارا؛ لم يصل إلى مرحلة المراهقة سوى أدولف وشقيقته باولا التي كانت أصغر منه بسبع سنوات. وكان لألويس ابن آخر اسمه ألويس هتلر، وابنة اسمها أنجيلا من زوجته الثانية.



أدولف هتلر في طفولته

عاش هتلر طفولة مضطربة؛ إذ كان أبوه عنيفًا في معاملته له ولأمه، حتى إن هتلر نفسه صرح أنه في صباه كان يتعرض عادة للضرب من قبل أبيه. وبعدها بسنوات تحدث هتلر إلى مدير أعماله قائلًا: "عقدت ـ حينئذ ـ العزم على ألا أبكي مرة أخرى عندما ينهال عليّ والدي بالسوط. وبعد ذلك بأيام سنحت لي الفرصة كي أضع إرادتي موضع الاختبار. أما والدتي؛ فقد وقفت في رعب تحتمي وراء الباب. أما أنا فأخذت أحصي في صمت عدد الضربات التي كانت تنهال علي مؤخرتي. "ويعتقد المؤرخون أن تاريخ العنف العائلي الذي مارسه والد هتلر ضد والدته، قد تمت الإشارة إليه في جزء من أجزاء كتابه كفاحي، الذي وصف فيه هتلر وصفًا تفصيليًا واقعة عنف عائلي ارتكبها أحد الأزواج ضد زوجته. وتفسر هذه الواقعة، بالإضافة إلى وقائع الضرب التي كان يقوم بها والده ضده؛ سبب الارتباط العاطفي العميق بين هتلر ووالدته في الوقت الذي كان يشعر فيه بالاستياء الشديد من والده.



غالبًا ما كانت أسرة هتلر تنتقل من مكان لآخر؛ إذ انتقلت من "برونو ا إن" إلى مدينة "باسساو" ومدينة "لامباتش" ومدينة "ليوندينج" بالقرب من مدينة لينز. وكان هتلر الطفل طالبًا متفوقًا في مدرسته الابتدائية، ولكنه رسب في الصف السادس، وهي سنته الأولى في المدرسة الثانوية Realschule، عندما كان يعيش في لينز، وكان عليه أن يعيد هذه السنة الدراسية. وقال معلموه عنه إنه

"لا يرغب في العمل". ولمدة عام واحد كان هتلر في نفس الصف الدراسي مع "لودفيج فيتجنشتاين؛ الذي يعتبر واحدًا من أكثر الفلاسفة تأثيرًا في القرن العشرين. وعلى الرغم من أن الولدين كانا في العمر نفسه تقريبًا؛ فقد كان فيتجنشتاين يسبق هتلر بصفين دراسيين. ولم يتم التأكد من معرفة هتلر وفيتجنشتاين لبعضهما في ذلك الوقت، وكذلك من تذكر أحدهما للآخر.

صرح هتلر معقبًا على هذا أن تعثره التعليمي كان نابعًا من تمرده على أبيه، الذي أراده أن يحذو حذوه ويكون موظفًا بالجمارك، على الرغم من رغبة هتلر في أن يكون رسامًا. ويدعم هذا التفسير الذي قدمه هتلر ذلك الوصف الذي وصف به نفسه بعد ذلك، بأنه فنان أساء من حوله فهمه. وبعد وفاة ألويس في الثالث من شهر يناير في عام 1903، لم يتحسن مستوى هتلر الدراسي؛ بل ترك هتلر المدرسة الثانوية في سن السادسة عشرة من دون الحصول على شهادته.

وفي كتابه كفاحي؛ أرجع هتلر تحوله إلى الإيمان بالقومية الألمانية إلى سنوات المراهقة الأولى التي قرأ فيها كتابًا من كتب والده عن الحرب الفرنسية البروسية، هذا الكتاب جعله يتساءل حول الأسباب التي جعلت والده وغيره من الألمان من ذوي الأصول النمساوية يفشلون في الدفاع عن ألمانيا في أثناء الحرب.

النسب والأصول

كان والد هتلر - ألويس هتلر - مولودًا غير شرعي. وخلال السنوات التسع والثلاثين الأولى من عمره، حمل ألويس لقب عائلة والدته وهو تشيكلجروبر.

وفي عام 1876؛ حمل ألويس لقب زوج والدته يوهان جورج هيدلر. وكان يمكن كتابة الاسم بأكثر من طريقة كالآتي: Hiedler وHuetler و Huettler وHitler، وربما قد قام أحد الموظفين بتوحيد صيغته إلى: Hitler، وقد يكون الاسم مشتقًا من "الشخص الذي يعيش في كوخ" (ألمانية فصحى Hütte) أو من "الراعي" (ألمانية فصحى hüten - يحرس) التي تعني في الإنجليزية ينتبه أو قد يكون مشتقًا من الكلمة السلافية: HidlarوHidlarcek ، وفيما يتعلق بالنظريتين الأولى والثانية، فإن بعض اللهجات الألمانية قد يمكنها التمييز إلى درجة بسيطة أو لا يمكنها التمييز بين الصوتين ü و i عند النطق.

وقد استغلت الدعاية الخاصة بقوات الحلفاء اسم العائلة الأصلي لهتلر أثناء الحرب العالمية الثانية، فكانت طائراتهم تقوم بعملية إنزال جوي على المدن الألمانية لمنشورات تحمل عبارة "Heil Schicklgruber" تذكيرًا للألمان

بنسب زعيمهم. وعلى الرغم من أن هتلر كان قد ولد وهو يحمل اسم هتلر قانونيًا؛ فإنه قد ارتبط أيضًا باسم هيدلر عن طريق جده لأمه يوحنا هيدلر.

أما الاسم "أدولف" فهو مشتق من الألمانية القديمة ويعني "الذئب النبيل" (ويتكون الاسم من Adel التي تعني النبالة، بالإضافة إلى كلمة ذئب). وهكذا، كان واحدًا من الألقاب التي أطلقها أدولف على نفسه الذئب (الألمانيةWolf) أو السيد ذئب (ألمانية Herr Wolf) وقد بدأ في استخدام هذه اللقب في أوائل العشرينيات من القرن التاسع عشر، وكان يناديه به المقربون منه فقط (حيث لقبه أفراد عائلة فاجنر باسم العم ذئب) حتى سقوط الرايخ الثالث. وقد عكست الأسماء التي أطلقها على مقرات القيادة المختلفة له في جميع أنحاء أوروبا القارية ذلك، فكانت أسماؤها وكر الذئب في بروسيا الشرقية، وWolfsschlucht في فرنسا، وWerwolf في أوكرانيا وغيرها من الأسماء التي كانت تشير إلى هذا اللقب. علاوةً على ذلك، عرف هتلر باسم "آدي" بين المقربين من عائلته وأقاربه.

وكان جد هتلر لأبيه على الأرجح واحدًا من الأخوين يوهان جورج هيدلر أو يوهان نيبوموك هيدلر. وسرت الشائعات بأن هتلر كان ينتسب إلى اليهود عن طريق واحد من أجداده؛ لأن جدته ماريا شيكلجروبر قد حملت عندما كانت تعمل كخادمة في أحد البيوت اليهودية. وأحدث المعنى الكامن في هذه الشائعات دويًا سياسيًا هائلًا؛ إذ إن هتلر كان نصيرًا متحمسًا لأيديولجيات عنصرية ومعادية للسامية. وقد حاول خصومه جاهدين إثبات نسب هتلر إلى أصول يهودية أو تشيكية. وعلى الرغم من أن هذه الإشاعات لم تثبت صحتها أبدًا؛ فإنها كانت كافية بالنسبة لهتلر لكي يقوم بإخفاء أصوله. ووفقًا لما ذكره "روبرت جي إل وايت" في كتابه The Psychopathic God: Adolf Hitler؛ فقد منع هتلر بقوة القانون عمل المرأة الألمانية في البيوت اليهودية. وبعد ضم النمسا إلى ألمانيا، قام هتلر بتحويل المدينة التي عاش فيها والده إلى منطقه لتدريب المدفعية.

النشأة

بدءًا من عام 1905؛ عاش هتلر حياة بوهيمية في فيينا على منحة حكومية لإعانة الأيتام ودعم مالي كانت والدته تقدمه له. وتم رفض قبوله مرتين في أكاديمية الفنون الجميلة في فيينا وذلك في عامي 1907 و1908؛ لأنه "غير مناسب لمجال الرسم"، وأخبروه أن من الأفضل له توجيه قدراته إلى مجال الهندسة المعمارية، وعكست مذكراته افتتانه بهذا الموضوع:

كان الهدف من رحلتي هو دراسة اللوحات الموجودة في صالة العرض في المتحف الذي كان يطلق عليه Court Museum، ولكنني نادرًا ما كنت ألتفت إلى أي شيء آخر سوى المتحف نفسه. فمند الصباح وحتى وقت متأخر من الليل، كنت أتنقل بين المعروضات التي تجذب انتباهي، ولكن كانت المباني دائمًا هي التي تستولي على كامل انتباهي.

وبعد نصيحة رئيس المدرسة له؛ اقتنع هو أيضًا أن هذا هو الطريق الذي يجب أن يسلكه ولكن كان ينقصه الإعداد الأكاديمي المناسب للالتحاق بمدرسة العمارة.

وفي غضون أيام قلائل، أدركت في أعماقي إنني يجب أن أصبح يومًا مهندسًا معماريًا. والحقيقة هي أن سلوكي هذا الطريق كان مسألة شاقة للغاية حيث إن إهمالي لإتمام دراستي في المدرسة الثانوية قد ألحق الضرر بي لأنه كان ضروريًا إلى حد بعيد. وكان لا يمكن أن التحق بالمدرسة المعمارية التابعة للأكاديمية دون أن أكون قد التحقت قبلها بمدرسة البناء الخاصة بالدراسة الفنية والتي كان الالتحاق بها يستلزم الحصول على شهادة المدرسة الثانوية. و لم أكن قد قمت بأية خطوة من هذه الخطوات. فبدا لي أن تحقيق حلمي في دنيا الفن مستحيلاً بالفعل.

وفي 21 ديسمبر، 1907، توفيت والدة هتلر إثر إصابتها بسرطان الثدي عن عمر يناهز السبعة والأربعين عامًا، وبأمر من إحدى المحاكم في لينز، أعطى هتلر نصيبه في الإعانة التي تمنحها الحكومة للأيتام لشقيقته باولا. وعندما كان في الحادية والعشرين من عمره، ورث هتلر أموالاً عن واحدة من عماته. وحاول هتلر أن يشق طريقه بجهد كرسام في فيينا؛ إذ كان ينسخ المناظر الطبيعية الموجودة على البطاقات البريدية ويبيع لوحاته إلى التجار والسائحين، وبعد أن تم رفضته أكاديمية الفنون للمرة الثانية، كان ماله كله قد نفد. وفي عام 1909، عاش هتلر في مأوى للمشردين. ومع حلول عام 1910، كان هتلر قد استقر في منزل يسكن فيه الفقراء من العمال في Meldemannstraße.

وصرح هتلر أن اعتقاده في وجوب معاداة السامية ظهر لأول مرة في فيينا التي كان تعيش فيها جالية يهودية كبيرة، تشتمل على اليهود الأرثوذكس الذين فروا من المذابح المنظمة التي تعرضوا لها في روسيا. وعلى الرغم من ذلك؛ فقد ورد على لسان أحد أصدقاء طفولته وهو أوجست كوبيتسك أن ميول هتلر "المؤكدة في معاداة السامية" قد ظهرت قبل أن يغادر لينز في النمسا. وفي هذه الفترة؛ كانت فيينا مرتعًا لانتشار روح التحيز الديني التقليدية، وكذلك للعنصرية التي ظهرت في القرن التاسع عشر. ومن الممكن أن يكون هتلر قد تأثر بكتابات

لانز فون ليبنفيلس؛ واضع النظريات المعادية للسامية، وكذلك بآراء المجادلين من رجال السياسة أمثال: كارل لويجر مؤسس الحزب الاشتراكي المسيحي وعمدة فيينا، بالإضافة إلى المؤلف الموسيقي ريتشارد فاجنر وجورج ريتر فون شونيرر، وهو أحد زعماء حركة القومية الألمانية التي عرفت باسم بعيدًا عن روما! وهي الحركة التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر، والتي كانت تهدف إلى توحيد الشعوب التي تتحدث الألمانية في أوروبا. ويزعم هتلر في كتابه كفاحي أن تحوله عن فكرة معارضة معاداة السامية من منطلق ديني إلى تأييدها من منطلق عنصري؛ جاء من احتكاكه باليهود الأرثوذكس وإذا كان هذا التفسير صحيحًا؛ فمن الواضح أن هتلر لم يكن يتصرف وفقًا لهذا المعتقد الجديد. فقد كان غالبًا ما ينزل ضيفًا على العشاء في منزل أحد النبلاء اليهود، بالإضافة إلى قدرته الكبيرة على التفاعل مع التجار اليهود الذين كانوا يحاولون بيع لوحاته.

وربما تأثر هتلر أيضًا بقراءته للدراسة التي قام بها مارتن لوثر، والتي كان عنوانها "عن اليهود وأكاذيبهم" (بالإنجليزية On the Jews and their Lies)، وفي كتابه كفاحي يشير هتلر إلى مارتن لوثر باعتباره محاربًا عظيمًا ورجل دولة حقيقيًا ومصلحًا عظيمًا، وكذلك كان كل من فاجنر وفريدريك الكبير بالنسبة له. وكتب فيلهلم روبك عقب واقعة الهولوكوست، قائلًا: "مما لا شك فيه أن مذهب مارتن لوثر كان له تأثير على التاريخ السياسي والروحي والاجتماعي في ألمانيا بطريقة - بعد التفكير المتأمل في كل جوانبها - يمكن وصفها بأنها كانت جزءًا من أقدار ألمانيا".

وزعم هتلر أن اليهود كانوا أعداءً للجنس الآري. كما ألقى على كاهل اليهود مسئولية الأزمة التي حدثت في النمسا، واستطاع الوقوف على صور محددة من الاشتراكية والبلشفية التي تزعمها العديد من القادة اليهود - كنوع من أنواع الحركات اليهودية - ليقوم بعمل دمج بين معاداة السامية وبين معاداة الماركسية. وفي وقت لاحق؛ ألقى هتلر باللوم في هزيمة الجيش الألماني في أثناء الحرب العالمية الأولى على ثورات عام 1918 ومن ثم؛ اتهم اليهود بجريمة التسبب في ضياع أهداف ألمانيا الاستعمارية، وكذلك في التسبب في المشكلات الاقتصادية التي ترتبت على ذلك.

وعلى ضوء المشاهد المضطربة التي كانت تحدث في البرلمان في عهد الملكية النمساوية متعددة الجنسيات؛ قرر هتلر عدم صلاحية النظام البرلماني الديمقراطي للتطبيق. وعلى الرغم من ذلك - ووفقًا لما قاله أوجست كوبيتسكوالذي شاركه الغرفة نفسها في وقت من الأوقات - فإن هتلر كان مهتمًا بأعمال الأوبرا التي ألفها فاجنر أكثر من اهتمامه بآرائه السياسية.

واستلم هتلر الجزء الأخير من ممتلكات والده في مايو من عام 1913؛ لينتقل بعدها للعيش في ميونيخ. وكتب هتلر في كفاحي أنه كان يتوق دائمًا للحياة في مدينة ألمانية "حقيقية". وفي ميونيخ؛ أصبح هتلر أكثر اهتمامًا بفن المعمار؛ وذلك ما جاء على لسان هتلر وظهر في كتابات هوستن ستيوارت تشامبرلين. كما أن انتقاله إلى ميونيخ قد ساعده أيضًا على التهرب من أداء الخدمة العسكرية في النمسا لبعض الوقت رغم أن الشرطة في ميونيخ (التي كانت تعمل بالتعاون مع السلطات النمساوية) تمكنت في نهاية الأمر من إلقاء القبض عليه. وبعد فحصه جسديًا وتقدمه بالتماس يدل على ندمه على ما اقترفه، تقرر أنه غير لائق لأداء الخدمة العسكرية وتم السماح له بالعودة إلى ميونيخ. ومع ذلك؛ وعندما دخلت ألمانيا الحرب العالمية الأولى في أغسطس من عام 1914، تقدم هتلر بالتماس لملك بافاريا لودفيج الثالث للسماح له بالخدمة في بالجيش. وبالفعل وافق الملك على التماسه، وتم تجنيد أدولف هتلر في الجيش البافاري.

الحرب العالمية الأولى

هتلر أثناء الحرب العالمية الأولى

خدم هتلر في فرنسا وبلجيكا مع الفوج البافاري الاحتياطي السادس عشر ـ والذي عرف باسم فوج ليست (بالألمانية Regiment List) نسبةً إلى قائده الأول، وانتهت الحرب بتقلده رتبة جيفريتر (وهي رتبة تعادل وكيل عريف في الجيش البريطاني وجندي من الدرجة الأولى في الجيوش الأمريكية). عمل هتلر كرسول بين الجيوش؛ وهي واحدة من أخطر الوظائف على الجبهة الغربية، وكان معرضًا في أغلب الأحيان للإصابة بنيران العدو، كما اشترك في عدد من المعارك الرئيسية على الجبهة الغربية، وتضمنت هذه المعارك: معركة يبريس الأولى ومعركة السوم ومعركة آراس ومعركة باسكيندايلي.

ودارت معركة يبريس في أكتوبر من عام 1914 التي شهدت مقتل نحو 40،000 جندي خلال عشرين يومًا (وهو ما بين ثلث ونصف عدد الجنود المشاركين فيها). أما الكتيبة التي كان هتلر فردًا من أفرادها؛ فقد تقلص عددها من مئتين وخمسين جنديًا إلى اثنين وأربعين جنديًا بحلول شهر ديسمبر. وكتب كاتب السير الذاتية جون كيجان أن هذه التجربة قد جعلت هتلر يتجه إلى الانعزال والانطواء على نفسه خلال السنوات الباقية للحرب.

وتقلد هتلر وسامين تقديرًا لشجاعته في الحرب. حيث تقلد وسام الصليب

الحديدي من الدرجة الثانية في عام 1914، وتقلد أيضًا وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى في عام 1918؛ وهو تكريم نادرًا ما يحصل عليه عسكري من رتبة جيفريتر. ومع ذلك، لم تتم ترقية هتلر إلى رتبة أونتيروفيزير (وهي رتبة تعادل العريف في الجيش البريطاني) نظرًا لكونه يفتقر إلى المهارات القيادية من وجهة نظر قادة الفوج الذي كان ينتمي إليه. ويقول بعض المؤرخين الآخرين إن السبب وراء عدم ترقيته يرجع إلى أنه لم يكن مواطنًا ألمانيًا. وكانت المهام التي كان هتلر يكلف بها في المقرات العسكرية محفوفة عادةً بالمخاطر، ولكنها سمحت له بمتابعة إنتاج أعماله الفنية. وقام هتلر برسم الصور الكاريكاتورية والرسومات التعليمية لإحدى الصحف التابعة للجيش. وفي عام 1916؛ أصيب هتلر بجرح إما في منطقة أصل الفخذ أو في فخذه اليسرى، وذلك في أثناء مشاركته في معركة السوم، ولكنه عاد إلى الجبهة مرةً أخرى في مارس من عام 1917، وتسلم شارة الجرحى في وقت لاحق من العام نفسه. وأشار سباستيان هافنر إلى تجربة هتلر على الجبهة موضحًا أنها سمحت له على أقل تقدير بفهم الحياة العسكرية.

وفي 15 أكتوبر 1918، دخل هتلر أحد المستشفيات الميدانية على أثر إصابته بعمى مؤقت عقب تعرضه لهجوم بغاز الخردل. ويشير العالم النفسي الإنجليزي ديفيد لويس وكذلك بيرنارد هورسمتان إلى أن إصابة هتلر بالعمى قد تكون نتيجة اضطراب تحوّلي (الذي كان معروفًا في ذلك الوقت باسم هيستريا). وعقب هتلر على هذه الواقعة فقال إنه أثناء هذه التجربة أصبح مقتنعًا أن سبب وجوده في الحياة هو "إنقاذ ألمانيا"، ويحاول بعض الدارسين - خصوصًا لوسي دافيدوفيتش، أن يبرهنوا على أن نية هتلر لإبادة يهود أوروبا كانت تامة الرسوخ في ذهنه في ذلك الوقت.. على الرغم من عدم استقراره على الطريقة التي سيتمكن بها من تنفيذ هذا الأمر. ويعتقد معظم المؤرخين أنه اتخذ هذا القرار في عام 1941، بينما يعتقد البعض الآخر أنه قد عقد العزم عليه في وقت لاحق في عام 1942.



هتلر مع بعض زملائه أثناء الحرب العالمية الأولى

كان إعجاب هتلر بألمانيا قد سيطر عليه منذ زمن بعيد، وفي أثناء الحرب أصبح وطنيًا متحمسًا أشد الحماس للدفاع عن ألمانيا، على الرغم من أنه لم يصبح مواطنًا ألمانيًا حتى عام 1932. ورأى هتلر أن الحرب هي "أعظم الخبرات التي يمكن أن يمر بها المرء في حياته". وفي وقت لاحق، أشاد به عدد من قادته تقديرًا لشجاعته. وصدم هتلر من اتفاقية الاستسلام التي وقعتها ألمانيا في نوفمبر من عام 1918 رغم سيطرة الجيش الألماني حتى ذلك الوقت على أراض للعدو. ومثله مثل العديد من المناصرين للقومية الألمانية؛ كان هتلر يؤمن بأسطورة الطعنة في الظهر (بالألمانية Dolchstoßlegend)التي قالت إن الجيش "الذي لم تتم هزيمته في ساحة المعركة" قد "تعرض لطعنة في الظهر" من قادة مدنيين وماركسيين على الجبهة الداخلية، وقد عُرف هؤلاء السياسيون فيما بعد باسم "مجرمي نوفمبر".



هتلر مع بعض زملائه أثناء الحرب العالمية الأولى

وحرمت معاهدة فرساي ألمانيا من مناطق عديدة كانت تابعة لها، وجردت منطقة رينهارد من الصفة العسكرية التي كانت تتمتع بها، كما فرضت عقوبات اقتصادية مدمرة أخرى على ألمانيا. وأعادت المعاهدة الوجود لدولة بولندا من جديد؛ وهو الأمر الذي اعتبره لألمان - حتى المعتدلين منهم - نوعًا من أنواع الإهانة. وحملت المعاهدة ألمانيا مسئولية جميع فظائع الحرب، وهو الأمر الذي ينظر إليه مؤرخون بارزون من أمثال: جون كيجان الآن باعتباره على أقل تقدير تطبيقًا للعدالة من وجهة نظر الطرف المنتصر: فقد طغت الصفة العسكرية على معظم الأمم الأوروبية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى بشكل متزايد، وكانت هذه الأمم تتلهف للقتال. وكان إلقاء اللوم على ألمانيا هو الأساس لفرض إصلاحات على ألمانيا (وقد تم تعديل مقدار هذه الإصلاحات بشكل متكرر وفقًا للخطط المعروفة باسم خطة داوس خطة يونج و-Hoover Moratori

um)، أما ألمانيا؛ فقد رأت أن المعاهدة خصوصًا البند رقم 231 منها وبالتحديد الفقرة التي تتحدث عن مسئولية ألمانيا عمّا حدث في الحرب؛ نوع من أنواع الإهانة. فعلى سبيل المثال، كان هناك تجريد كامل للقوات المسلحة الألمانية من صفتها العسكرية يسمح لها بالاحتفاظ بست بوارج فقط ويمنعها من الاحتفاظ بغواصات أو قوات جوية أو مركبات مدرعة أو جيش يفوق عدده مئة ألف من الجنود إلا تحت ظروف التجنيد الإجباري التي يمكن أن تفرضها الحرب. وكان لمعاهدة فرساي دور مهم في الظروف الاجتماعية والسياسية التي صادفها هتلر وأتباعه من النازيين أثناء سعيهم للفوز بالسلطة. ونظر هتلر وحزبه إلى توقيع "مجرمي نوفمبر" على المعاهدة كسبب يدعوهم إلى بناء ألمانيا من جديد بشكل لا يتكرر معه ما حدث مرةً أخرى. واستخدم هتلر مجرمي نوفمبر ككبش فداء على الرغم من الخيارات المحدودة للغاية التي كانت متاحة أمام هؤلاء الساسة في مؤتمر باريس للسلام.


Deutsche Arbeiter-Partei (D. A. P.)
Ortsgruppe München　　Abteilung:
Mitgliedskarte
München, den 1. Jan 1920
Nr. [redacted]
Für den Arbeitsausschuß:
Drexler
Schriftwart
Diese Karte gilt als Ausweis bei geschlossenen Versammlungen

دخول هتلر إلى عالم السياسة

معتقدات هتلر السياسية

نسخة من بطاقة العضوية المزورة الخاصة بهتلر في حزب العمال الألماني (DAP).

وكان رقم العضوية الحقيقي لهتلر هو 555 (ومعناه العضو الخامس والخمسون في قائمة أعضاء الحزب ـ وتمت إضافة الرقم 5 ليبدو عدد أعضاء الحزب أكبر)، ولكن فيما بعد تم ذلك تقليل الرقم ليترك انطباعًا بأن هتلر كان واحدًا من الأعضاء المؤسسين للحزب. وقد كان هتلر يرغب في تكوين الحزب الخاص به، ولكن صدرت إليه الأوامر من رؤسائه في قوة الدفاع الوطنية بأن يخترق صفوف الحزب الموجود فعلًا.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى؛ ظل هتلر في الجيش وعاد إلى ميونيخ؛ إذ شارك في الجنازة العسكرية التي أقيمت لرئيس الوزراء البافاري الذي تم اغتياله

ـ كيرت آيسنروذلك على خلاف تصريحاته التي أعلنها في وقت لاحق. وفي أعقاب قمع الجمهورية السوفيتية البافارية؛ شارك هتلر في حضور دورات "الفكر القومي" التي كان ينظمها قسم التعليم والدعاية (Dept Ib/P) التابع للجماعة البافارية التي كان يطلق عليها اسم Reichswehr في مركز القيادة الرئيسي الرابع تحت إشراف كابتن كارل ماير. وتم إلقاء اللوم على الشعب اليهودي الذي ينتشر أفراده في جميع أنحاء العالم، وعلى الشيوعيين، وعلى رجال السياسة من كل الانتماءات الحزبية؛ خصوصًا تحالف فايمار الائتلافي.

وفي يوليو 1919؛ تم تعيين هتلر في منصب جاسوس للشرطة (ألمانية Verbindungsmann) وكان يتبع (قيادة الاستخبارات Aufklärung-skommando) التي كانت تتبع قوات الدفاع الوطنية (Reichswehr) من أجل التأثير على الجنود الآخرين واختراق صفوف حزب صغير؛ وهو حزب العمال الألماني (DAP). وفي أثناء استكشافه للحزب؛ تأثر هتلر بأفكار مؤسس الحزب آنتون دريكسلر المعادية للسامية والقومية والمناهضة للرأسمالية والمعارضة لأفكار الماركسية. وكانت أفكاره تؤيد وجود حكومة قوية ونشيطة؛ وهي أفكار مستوحاة من الأفكار الاشتراكية "غير اليهودية" ومن الإيمان بضرورة وجود تكافل متبادل بين جميع أفراد المجتمع. كما حازت مهارات هتلر الخطابية على إعجاب دريكسلر فدعاه إلى الانضمام للحزب ليصبح العضو الخامس والخمسين فيه. كما أصبح هتلر أيضًا العضو السابع في اللجنة التنفيذية التابعة للحزب. وبعد مرور عدة سنوات، ادعى هتلر أنه العضو السابع من الأعضاء المؤسسين للحزب.

كما التقى هتلر مع ديتريش إيكارت، وهو واحد من المؤسسين الأوائل للحزب، كما كان عضوًا في الجمعية السرية المعروفة باسم Thule Society، وأصبح إيكارت المعلم الخاص بهتلر الذي يعلمه الطريقة التي يجب أن ينتقي بها ملابسه ويتحدث بها، كما قدمه إلى مجتمع واسع من الناس. ووجه هتلر عميق شكره إلى إيكارت عن طريق الثناء عليه في المجلد الثاني من كتابه المعروف باسم Mein Kampf، وفي محاولة لزيادة شعبية الحزب؛ قام الحزب بتغيير اسمه إلى زرب العمال الألماني الاشتراكي الوطني.. بالألمانية: Nationalsozialis-tische Deutsche Arbeiterpartei

وتم تسريح هتلر من الجيش في مارس، 1920، فبدأ مدعومًا بالتشجيع المستمر من أعضاء الحزب من ذوي المناصب الأعلى في المشاركة الكاملة في أنشطة الحزب. وفي بدايات عام 1921؛ بدأ هتلر يتمكن بشكل كامل من إجادة فن الخطابة أمام الحشود الكبيرة. وفي فبراير؛ تحدث هتلر أمام حشد يضم نحو

ستة آلاف فرد في ميونيخ. وللدعاية لهذا الاجتماع؛ أرسل هتلر شاحنتين محملتين بمؤيدي الحزب ليجوبوا الشوارع وهم يحملون الصليب المعقوف محدثين حالة من الفوضى وهم يلقون بالمنشورات صغيرة الحجم إلى الجماهير في أول تنفيذ للخطة التي قاموا بوضعها. انتشرت سمعة هتلر السيئة خارج الحزب نظرًا لشخصيته الفظة وخطاباته الجدلية العنيفة المناهضة لمعاهدة فرساي والسياسيين المنافسين له (بما في ذلك أنصار الحكم الملكي والمنادين بفكرة القومية وغيرهم من الاشتراكيين غير المؤمنين بسياسة التعاون الاقتصادي والسياسي بين الدول)؛ واشتهر بوجه خاص بخطاباته المناهضة للماركسيين ولليهود.

واتخذ حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني من ميونيخ مقرًا له. وكانت ميونيخ في ذلك الوقت أرضًا خصبة لمناصري القومية الألمانية الذين كان منهم ضباط من الجيش قد عقدوا العزم على سحق الماركسية وتقويض دعائم جمهورية فايمار (الجمهورية التي نشأت في ألمانيا في الفترة من 1919 إلى 1933 كنتيجة للحرب العالمية الأولى وخسارة ألمانيا الحرب). وبمرور الوقت؛ لفت هتلر وحركته التي أخذت في النمو أنظار هؤلاء الضباط باعتبارها أداة مناسبة لتحقيق أهدافهم. وفي صيف عام 1921؛ سافر هتلر إلى برلين لزيارة بعض الجماعات التي كانت تنادي بالقومية. وفي فترة غيابه، كانت هناك حالة من التمرد بين قيادات حزب العمال الألماني في ميونيخ.

وتولت إدارة الحزب لجنة تنفيذية نظر أعضاؤها الأساسيون إلى هتلر باعتباره شخصية متغطرسة ومستبدة. وقام هؤلاء الأعضاء بتشكيل حلف مع مجموعة من الاشتراكيين في مدينة Augsburg، وأسرع هتلر بالعودة إلى ميونيخ وحاول مقاومة الهجمة الشرسة عليه بتقديم استقالته رسميًا من الحزب في 11 يوليو في عام 1920. وعندما أدرك هؤلاء الأعضاء أن خسارتهم لهتلر ستعني عمليًا نهاية الحزب، انتهز هتلر الفرصة وأعلن عن إمكانية عودته إلى الحزب شريطة أن يحل محل دريكسلر في رئاسة الحزب متمتعًا بالنفوذ المطلق فيه. وحاول أعضاء الحزب الحانقين (بمن فيهم دريكسلر) الدفاع عن مكانتهم في بداية الأمر. وفي ذلك الوقت؛ ظهر كتيب مجهول المصدر يحمل عنوان "أدولف هتلر: هل هو خائن؟" بالإنجليزية:Adolf Hitler: Is he a traitor؟ ، ليهاجم تعطش هتلر للاستيلاء على السلطة وينتقد زمرة الرجال الملتفين حوله الذين يتميزون بالعنف. وردًا على نشر هذا الكتيب عنه في صحيفة تصدر في ميونيخ، أقام هتلر دعوى قضائية بسبب التشهير، وحظي في وقت لاحق بتسوية بسيطة معهم.

وتراجعت اللجنة التنفيذية لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني عن موقفها

في نهاية الأمر واعترفت بهزيمتها، وتم التصويت بين أعضاء الحزب بشأن الموافقة على مطالب هتلر. وحصل هتلر على موافقة خمسمئة وثلاثة وأربعين صوتًا من أصوات الأعضاء، في مقابل الرفض من صوت واحد فقط. وفي الاجتماع التالي لأعضاء الحزب الذي عقد في التاسع والعشرين من يوليو 1921؛ تم تقديم أدولف هتلر بصفته فوهرر بالألمانية Führer لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني؛ وهي المرة الأولى التي تم فيها الإعلان عن هذا اللقب على الملأ.

وبدأت الخطب التي كان هتلر يلقيها في النوادي التي كان يجتمع فيها أفراد الشعب الألماني ليهاجم بها اليهود والديقراطيين الاشتراكيين والليبراليين وأنصار الحكم الملكي الرجعيين والرأسماليين والشيوعيين تؤتي ثمارها المرجوة وتجذب إليه المزيد من المؤيدين. وكان من مؤيدي هتلر الأوائل: ردولف هس، والطيار السابق في القوات الجوية هيرمان جورينج وقائد الجيش ايرنست روم، الذي أصبح بعد ذلك رئيسًا للمنظمة شبه العسكرية النازية المعروفة باسم SA كتيبة العاصفة ـ بالألمانية Sturmabteilung- التي تولت حماية الاجتماعات والهجوم على خصومه السياسيين. وكوّن هتلر جماعات مستقلة مشابهة مثل: جبهة العمل الألمانية ـ بالألمانية Deutsche Werkgemeinschaft ـ التي اتخذت من مدينة نورنبيرج مقرًا لها. وكان يوليوس شترايشر رئيسًا لها، وشغل بعد ذلك منصب Gauleiter قائد فرع إقليمي لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني في منطقة Franconia، علاوةً على ذلك؛ لفت هتلر أنظار أصحاب المصالح التجارية المحليين، وتم قبوله في الدوائر التي كانت تتضمن أصحاب النفوذ في مجتمع مدينة ميونيخ. كما اقترن اسمه باسم القائد العسكري الذي كان ذائعًا في فترة الحرب الجنرال ايريك لودندورف.



لوحة تصور هتلر؛ تم رسمها في عام 1923.

كتاب كفاحي

كتاب جمع بين عناصر السيرة الذاتية والشرح التفصيلي لنظريات هتلر النازية. كتبه هتلر أثناء فترة جلوسه في السجن إثر محاولة الانقلاب الفاشلة.

إعادة بناء حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني

وفي الوقت الذي تم فيه إطلاق سراح هتلر، كان الموقف السياسي في ألمانيا قد بدأ يهدأ وأخذت الأحوال الاقتصادية في التحسن؛ ما فرض قيودًا على فرص هتلر في الإثارة والتأليب. وعلى الرغم من أن انقلاب هتلر العسكري قد أكسبه بعض الشهرة على الصعيد القومي؛ فإن عماد الحزب الذي يترأسه هتلر ظل في مدينة ميونيخ.

وتم حظر نشاط حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني وأعضائه في بافاريا عقب فشل الانقلاب، وتمكن هتلر من إقناع هاينريش هيلد ـ رئيس وزراء بافاريا ـ

بأن يرفع هذا الحظر مستندًا إلى مزاعمه التي أكد فيها على أن الحزب سيسعى الآن إلى الحصول على السلطة السياسية عبر القنوات الشرعية. وعلى الرغم من تفعيل رفع الحظر المفروض على حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني في 16 فبراير 1925؛ فإن هتلر قد جلب على نفسه حظرًا جديدًا نتيجةً لخطبة ملتهبة ألقاها تسببت في إثارة الشغب. ونظرًا لحرمانه من إلقاء الخطابات العامة؛ قام هتلر بتعيين جريجور شتراسر ـ الذي تم انتخابه في عام 1924 لعضوية الرايخستاج (البرلمان الألماني) ـ في منصب رئيس منظمة الرايخ (بالألمانية: Reichsorganisa-tionsleiter)، ومنحه سلطة تنظيم الحزب في شمال ألمانيا. وسلك شتراسر ـ بالإضافة إلى شقيقه الأصغر اوتو وجوزيف جوبلز ـ مسلكا بدأت استقلاليته في التزايد مع مرور الوقت؛ ليؤكد بذلك وجود العنصر الاشتراكي في برنامج الحزب. وأصبحت قيادة جبهة العمل الألمانية في فرعها الإقليمي في شمال غرب ألمانيا (بالألمانية Arbeitsgemeinschaft der Gauleiter Nord-West) تشكل جبهة معارضة داخلية داخل الحزب لتهدد سلطة هتلر. ولكن، لحقت الهزيمة بهذه الزمرة المنشقة في مؤتمر بامبرج الذي عقد في عام 1926، والذي انضم جوبلز خلاله إلى هتلر.

وعقب هذا الصدام؛ زاد هتلر من مركزية سلطته في الحزب، وأكد وجود منصب القائد الأساسي للحزب (نازية) (بالألمانية Führerprinzip) كمنصب يجعل منه المسئول الأساسي عن تنظيم شئون الحزب. فلا يتم انتخاب القادة من قبل الجماعات التي يقومون بقيادتها، ولكن يقوم رؤساؤهم من ذوي المراكز الأعلى بتعيينهم ويكون لهم أيضًا الحق في مساءلتهم، بينما يتمتع هؤلاء القادة بالطاعة المطلقة ممن هم أقل منهم مركزًا. وتماشيًا مع ازدراء هتلر لفكرة الديمقراطية؛ فقد جعل كل السلطة والنفوذ تنتقل من أعلى لأسفل.

وكان العامل الرئيسي في ازدياد شعبية هتلر بين الناس؛ هو قدرته على استدعاء روح العزة الوطنية التي عرضتها معاهدة فيرساي للمهانة، والتي فرضها الحلفاء الغربيون على الإمبراطورية الألمانية المهزومة. وخسرت ألمانيا جزءًا ذا أهمية اقتصادية من أراضيها في أوروبا إلى جانب مستعمراتها. واعترافًا منها بتحمل المسئولية الكاملة عن الحرب، وافقت على دفع مبلغًا ضخمًا يقدر إجماليًا بنحو مئة واثنين وثلاثين مليار مارك ألماني من أجل إصلاحات الخسائر التي خلفتها الحرب. واستاء معظم الألمان في مرارة من بنود المعاهدة، ولكن كانت المحاولات السابقة التي قام بها النازيون للحصول على تأييد الشعب الألماني بإلقاء اللوم على "الشعب اليهودي في جميع أنحاء العالم" غير مقبولة بين جمهور الناخبين.

وسرعان ما تعلم الحزب الدرس؛ فبدأ دعاية ماهرة تمزج بين معاداة السامية والهجوم على الأخطاء التي قام بها "نظام فايمار" والأحزاب السياسية الموالية له.

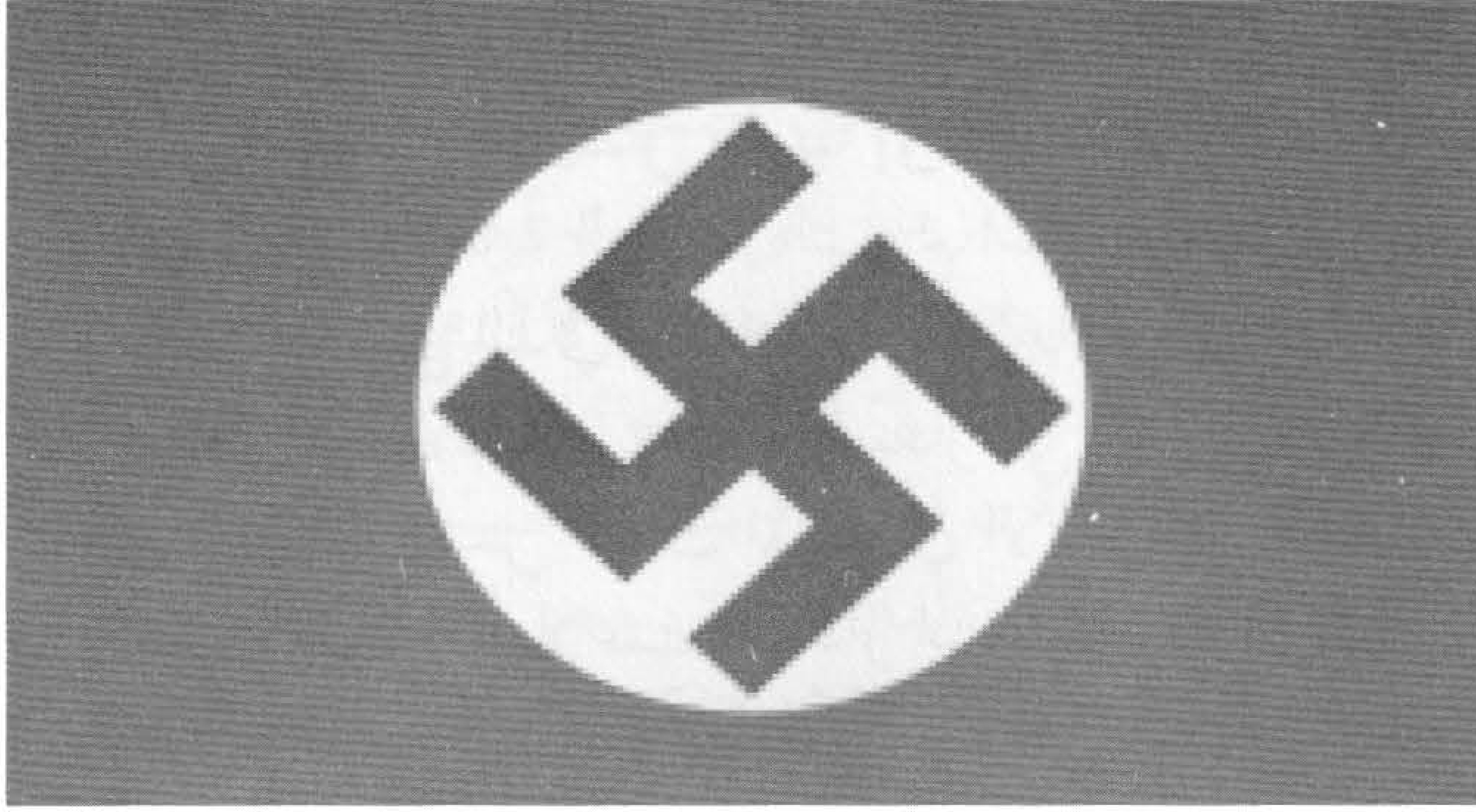
وبعد فشل الانقلاب الذي قاده هتلر للإطاحة بجمهورية فايمار؛ انتهج هتلر "استراتيجية الشرعية": وهي تعني الامتثال الرسمي لمبادئ جمهورية فايمار حتى يتولى زمام الحكم بصفة قانونية. ومن ثم؛ يمكنه استغلال المؤسسات التابعة لجمهورية فايمار للتخلص من هذه الجمهورية وتنصيب نفسه ديكتاتورًا على البلاد. وقد عارض بعض أعضاء الحزب، لاسيما ممثلو كتيبة العاصفة شبه العسكرية، هذه الاستراتيجية التي انتهجها هتلر. وسخر روم وآخرون من هتلر وأطلقوا عليه اسم أدولف الشرعي (بالألمانية Adolphe Legalité).

الوصول إلى السلطة

نتائج انتخابات الحزب النازي

نتائج انتخابات الحزب النازي				
الخلفية التاريخية	عدد المقاعد في الرايخستاج	النسبة المئوية	عدد الأصوات	التاريخ
هتلر في السجن	32	6.5	1.918.300	مايو، 1924
إطلاق سراح هتلر من السجن	14	3.0	907.300	ديسمبر، 1924
	12	2.6	810.100	مايو، 1928
بعد الأزمة المالية	107	18.3	6.409.600	سبتمبر، 1930
عقب ترشيح هتلر للرئاسة	230	37.4	13.745.800	يوليو، 1932
	196	33.1	11.737.000	نوفمبر، 1932
أثناء فترة عمل هتلر كمستشار لألمانيا	288	43.9	17.277.000	مارس، 1933

الرايخ الثالث ـ ألمانيا النازية



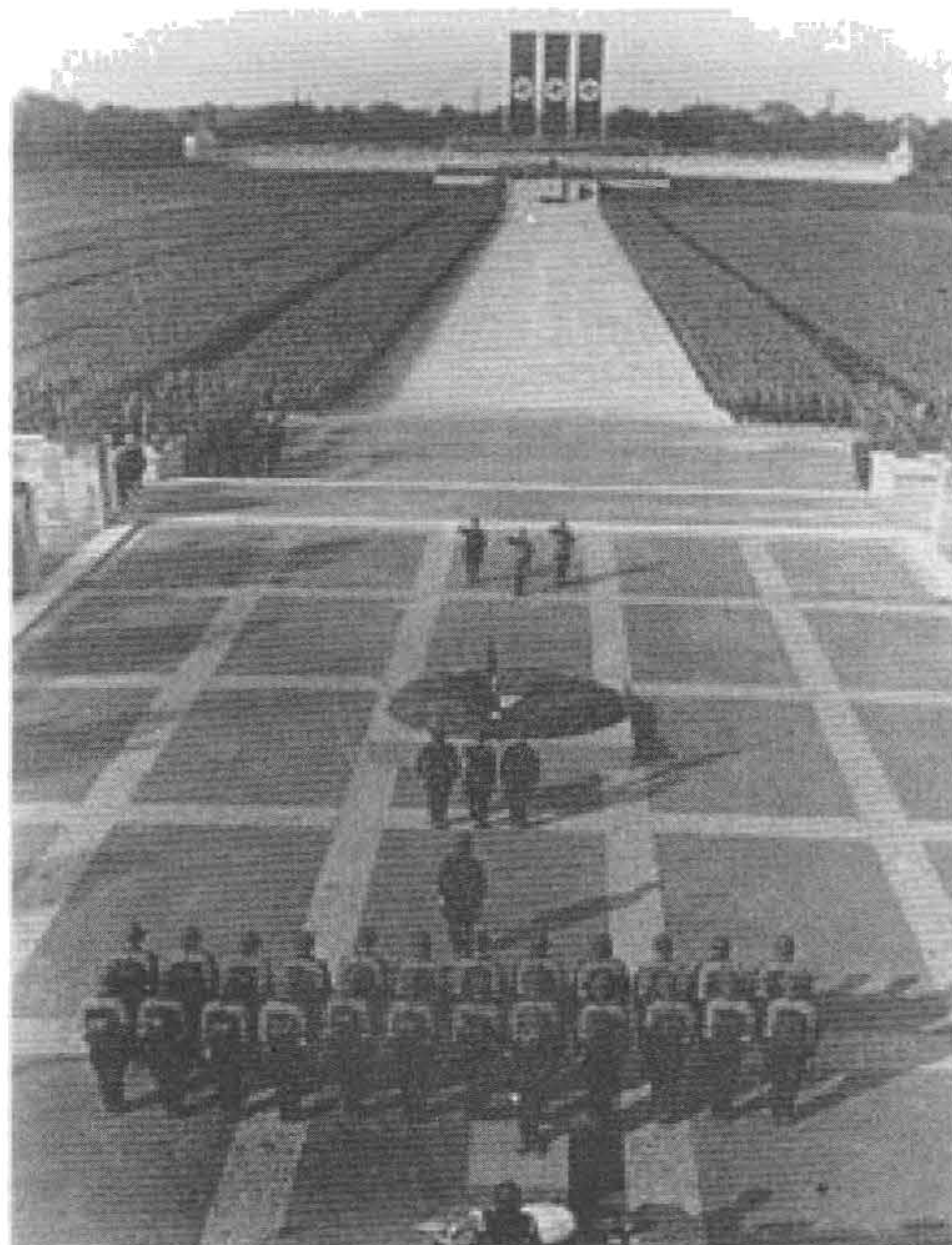
الصليب المعقوف أصبح علم الدولة النازية الجديدة

بعد تمكنه من إحكام سيطرته على السلطة السياسية بشكل كامل، حاول هتلر أن يكسب تأييد الجماهير لسياساته عن طريق إقناع معظم الشعب الألماني بأنه من سينقذهم من موجة الكساد الاقتصادي التي اجتاحت العالم، وكذلك من معاهدة فرساي والشيوعية و"البلاشفة اليهود" (الذين أثروا سلبًا على الحركة الشيوعية في الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية)، وكذلك من تأثير الأقليات الأخرى "غير المرغوب فيها". واستأصل النازي كل معارضة صادفته عن طريق العملية التي أطلق عليها التنسيق بين جميع الأنظمة ودمجها في نظام واحد (بالألمانية Gleichschaltung).

الاقتصاد والثقافة

أشرف هتلر على واحد من أكبر التوسعات في مجال الإنتاج الصناعي والتطويرات المدنية التي شهدتها ألمانيا طوال تاريخها. وقد اعتمد في ذلك على أسلوب تعويم الديون وزيادة عدد أفراد القوات المسلحة. وشجعت السياسة النازية النساء على المكوث في المنزل لإنجاب الأطفال والعناية بالمنزل. وهكذا، تحدث أدولف هتلر في إحدى خطبه التي ألقاها في سبتمبر من عام 1943 أمام الرابطة الاشتراكية الوطنية للمرأة فقال إنه بالنسبة للمرأة الألمانية: "لا بد أن يتركز عالمها حول زوجها وعائلتها وأطفالها وبيتها". وعزز هتلر الإيمان بهذه السياسة بمنحه صليب الشرف الخاص بتكريم الأم الألمانية (بالإنجليزية Cross of Honor of the German Mother) لكل امرأة تلد أربعة من الأطفال أو أكثر.

وفعليًا؛ تراجع معدل البطالة عن طريق عاملين أساسيين وهما: إنتاج الأسلحة وعودة النساء للمكوث في منازلهن حتى تتحن الفرصة للرجال للحصول على الوظائف التي كن يشغلنها. لذلك؛ كان الادعاء الذي ساد في هذه الفترة بأن الاقتصاد الألماني استطاع أن يصل تقريبًا إلى العمالة الكاملة يرجع جزئيًا - وذلك على أقل تقدير - إلى الدعاية البارعة التي تم استخدامها في هذا العهد. وحصل هتلر على معظم التمويل الذي استخدمه في إعادة بناء البلاد وإعادة التسلح من سياسة التلاعب بالعملة للتأثير على الأسعار في الأسواق التجارية التي قام بها هيلمار شاخت؛ وهو رئيس البنك المركزي الألماني في هذا العهد والمسئول عن العملة. وتضمنت سياسة التلاعب إصدار سندات مشكوك في أمرها ومنها تلك التي كانت تعرف باسم "Mefo bills"، وهي سندات إضافة قامت حكومة للنازي بإصدارها - بدءًا من عام 1934 وما بعده - تحت غطاء شركة "Meta – lurgische Forschung" وعرف اسمها اختصارًا باسم"MEFO".



احتفالية نوريمبرج عام 1934

كذلك؛ أشرف هتلر على واحدة من كبرى حملات تطوير البنية التحتية في التاريخ الألماني. واشتمل هذا التطوير على إنشاء العديد والعديد من السدود، والطرق السريعة التي تسير عليها المركبات، وطرق السكك الحديدية إلى جانب

عدد آخر من الإنشاءات المدنية. وأكدت سياسات هتلر أهمية الحياة الأسرية؛ وهي الحياة التي يسعى فيها الرجل وراء كسب لقمة العيش بينما تكون الأولوية في حياة المرأة لتربية الأطفال والعناية بشئون المنزل. وجاء هذا الانتعاش في مجالي الصناعة والبنية التحتية على حساب المستوى العام للمعيشة؛ على الأقل بالنسبة لمن لم يتأثروا بحالة البطالة المزمنة التي كانت تسيطر على البلاد أثناء عهد جمهورية فايمار السابقة (التي تم إعلانها عام 1919 في مدينة فايمر الألمانية)، وذلك لأن الأجور قد تم تخفيضها قليلًا في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية على الرغم من ارتفاع نفقات المعيشة بنسبة خمس وعشرين بالمئة، وعلى الرغم من ذلك؛ فقد شعر العمال والفلاحون ـ وهي الفئات التي كانت تعطي أصواتها لصالح حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني ـ بطفرة في مستوى المعيشة الخاص بهم.

ووجهت حكومة هتلر رعايتها لفن العمارة على نطاق واسع، واشتهر ألبرت سبير بأنه المعماري الأول في حكومة الرايخ. ولا يفوق الشهرة التي اكتسبها سبير كمعماري قام بتنفيذ رؤية هتلر الكلاسيكية التي أعاد بها تفسير الحضارة الألمانية إلا دوره الفعال الذي قام به كوزير للتسلح والذخيرة في السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية. وفي عام1936؛ قامت برلين باستضافة دورة الألعاب الأوليمبية الصيفية التي افتتحها هتلر بنفسه، وتم وضع ألحانها كي تظهر تفوق الجنس الآري على جميع الأجناس البشرية الأخرى، الأمر الذي جعل هذه الدورة تحقق نتائج مشوشة.

وعلى الرغم من أن هتلر كان قد خطط لإنشاء شبكة متكاملة من السكك الحديدية العريضة (بالألمانية:Breitspurbahn)؛ فإن نشوب الحرب العالمية الثانية قد أدى إلى التراجع عن إتمام هذا المشروع العملاق. فلو كانت هذه الشبكة العريضة والمتكاملة من خطوط السكك الحديدية قد تم إنشاؤها بالفعل؛ لكان عرضها سيصل إلى ثلاثة أمتار، وكانت بذلك ستفوق في اتساعها شبكة السكك الحديدية القديمة التي أنشأتها شركة Great Western Railway في المملكة المتحدة.

أسهم هتلر بشكل بسيط في تصميم السيارة التي تم إطلاق اسم فولكسفاجن بيتل عليها بعد ذلك. وقد عهد هتلر بمهمة تصميم السيارة وصناعتها إلى فرديناند بورش. وقد تم إرجاء إنتاج هذه السيارة أيضًا بسبب نشوب الحرب.

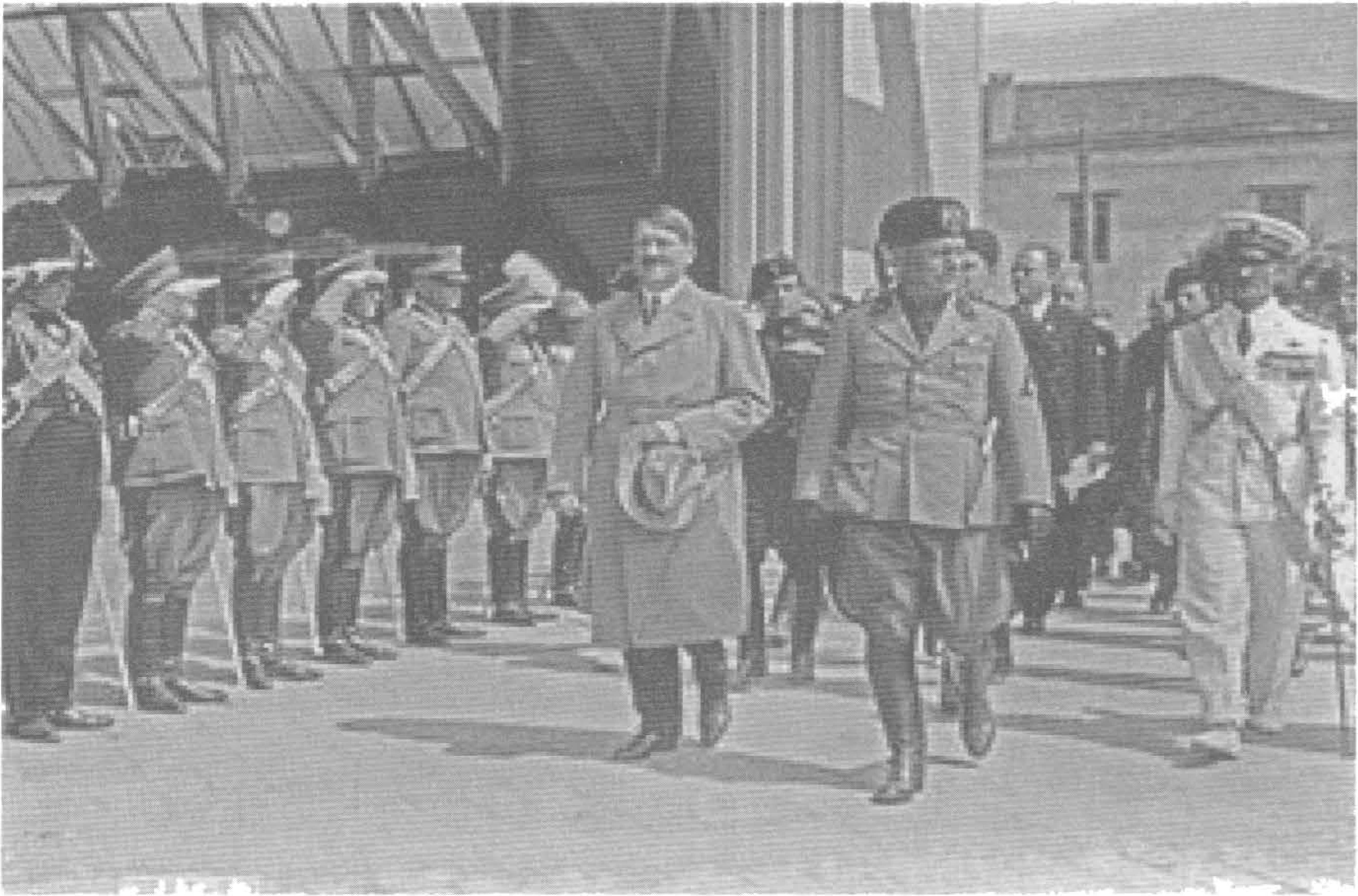
اعتبر هتلر أن إسبرطة هي أولى الدول التي طبقت مبادئ الاشتراكية القومية،

وامتدح السياسة التي انتهجتها مبكرًا من أجل تحسين النسل، والطريقة التي عاملت بها النسل المشوه من الأطفال.

ويعتبر الخلاف حول مسألة "التحديث" الذي تبناه هتلر من أهم الموضوعات التي يثور حولها الجدال عند مناقشة السياسات الاقتصادية التي انتهجها هتلر. ويعتقد بعض المؤرخين مثل: دافيد شونباوم وهنري إشبي تيرنر أن السياسات الاجتماعية والاقتصادية التي تبناها هتلر كانت نوعًا من أنواع التحديث، يراد به السعي وراء أهداف ضد الحداثة، وأكدت مجموعة أخرى من المؤرخين ـ خصوصًا راينر تسيتلمان ـ على أن هتلر قد تعمد انتهاج سياسة تسعى وراء التحديث الثوري للمجتمع الألماني.

إعادة التسلح والتحالفات الجديدة

أدولف هتلر وبينيتو موسوليني أثناء الزيارة التي قام بها هتلر لفينسيا في الفترة ما بين الرابع عشر والسادس عشر من يونيو في عام 1934.



أدولف هتلر وبينيتو موسوليني أثناء الزيارة التي قام بها هتلر لفينسيا في الفترة ما بين الرابع عشر والسادس عشر من يونيو في عام 1934.

خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الأولى بهزيمة مذلة؛ ما أجبرها على التوقيع على معاهدة فرساي، التي حملت ألمانيا مسئولية الحرب وأرغمت علي دفع تعويضات للمتضررين؛ ما أثقل كاهل الاقتصاد والشعب الألماني بالكثير من الأعباء المالية وولد شعور بالذلة والمهانة بين أفراد الشعب والرغبة في استرداد الكرامة الضائعة للوطن.

سياسيًا؛ نتج عن الهزيمة سقوط الرايخ الثاني وتأسيس جمهورية فايمار، التي بدأت برنامجًا سريًا لإعادة التسلح خارقة بذلك بنود معاهدة فرساي. استمر البرنامج محدود النشاط لفترة إلى أن أعتلى أدولف هتلر قمة هرم السلطة في عام 1933، وحينئذ أعطى البرنامج أولوية أولى؛ ما تطلب تقوية بعض العلاقات الاقتصادية مع بعض الدول الغنية بالمواد الخام التي تحتاجها الصناعات العسكرية كالصين.

كما شهدت فترة حكم النازي التي سبقت الحرب العالمية الثانية؛ الكثير من مشاهد التحول في السياسات الخارجية لألمانيا، علي سبيل المثال:

- تحسين العلاقات مع بولندا رغم استقطاع معاهدة فرساي لبعض الأراضي الألمانية لصالح بولندا ثم الاتجاه لضمها إلى ألمانيا في بداية الحرب.
- العلاقات مع الصين وتوقيع اتفاقية المحور مع اليابان.
- الدخول في تحالف مع إيطاليا رغم انسحابها من المعسكر الألماني في الحرب العالمية الأولى، التي يمكن اعتبارها خيانة عسكرية والتي كانت من الأسباب الرئيسية لخسارة ألمانيا للحرب.

الحرب العالمية الثانية

في فبراير 1938، أنهى هتلر أخيرًا الأزمة التي أصابت السياسة الألمانية فيما يتعلق بالشرق الأقصى؛ والتي تتعلق بالاختيار بين الاستمرار في التحالف الصيني الألماني غير الرسمي الذي يرجع إلى عام 1911، أو الدخول في تحالف جديد مع اليابان. وفضل الجيش تمامًا في هذا الوقت استمرار ألمانيا في تحالفها مع الصين. وكان كل من وزير الخارجية، كونستنين فون نيورات، ووزير الحرب، فيرنر فون بلومبرج. الذين كان يطلق عليهما اسم "اللوبي الصيني" يؤيدان الصين، وحاولا توجيه السياسة الخارجية لألمانيا بعيدًا عن الدخول في أي حروب في أوروبا. ولكن؛ قام هتلر بصرف الوزيرين من الخدمة في بدايات عام 1938. وبناءً على

نصيحة وزير الخارجية الجديد الذي عينه هتلر جواشيم فون ريبنتروب، المؤيد لليابان بقوة؛ اختار هتلر إنهاء التحالف مع الصين في سبيل الفوز بتحالف مع اليابان الأكثر قوة وتحضرًا. وفي إحدى خطبه أمام "الرايخستاج"، تحدث هتلر عن اعتراف ألمانيا بولاية مانشوكو؛ وكانت ولاية في منشوريا احتلتها اليابان وأصبحت لها السيادة الاسمية عليها. وتخلى عن المطامع الألمانية في مستعمراتها السابقة في المحيط الهادي. وأمر هتلر بوقف إرسال شحنات الأسلحة إلى الصين إلى جانب استدعاء جميع الضباط الألمان المنضمين للجيش الصيني.

وانتقامًا من ألمانيا لإنهاء دعمها للصين في حربها ضد اليابان؛ قام القائد العام الصيني شيانج كاي شيك، بإلغاء الاتفاقيات الاقتصادية بين الصين وألمانيا. وكان نتيجة ذلك أن حرمت ألمانيا من المواد الخام، مثل التنجستين الذي كانت تزودها به الصين في السابق. وأدى إنهاء التحالف الصيني الألماني إلى زيادة مشكلات ألمانيا المتعلقة بإعادة التسلح؛ حيث إن ألمانيا أصبحت الآن مضطرة إلى اللجوء إلى احتياطي العملة الأجنبية المحدود لشراء المواد الخام من السوق المفتوحة.

النمسا وتشيكوسلوفاكيا

في مارس من عام 1938؛ ضغط هتلر على النمسا من أجل ضمها لألمانيا (وأطلق على عملية الاندماج مع النمسا اسم آنشلوس) وبالفعل في 14 مارس من العام نفسه؛ دخل هتلر فيينا منتصرًا، وبعد ضم النمسا طالب هتلر بإقليم السوديت التابع لتشيكوسلوفاكيا الذي تقطنه أغلبية ألمانية.

والتقى السفير البريطاني نيفيل هندرسون بهتلر في 3 مارس 1938 نائبًا عن حكومته؛ ليتقدم باقتراح لإقامة اتحاد دولي يهدف إلى السيطرة على معظم القارة الأفريقية (على أن يكون لألمانيا دور قيادي في هذا الأمر)، في مقابل الحصول على وعد من ألمانيا بعدم اللجوء إلى الحرب لتغيير الحدود؛ إلا أن هتلر رفض عرض بريطانيا؛ إذ إنه كان مهتمًا بالتوسع في أوروبا الشرقية أكثر من اهتمامه بالدخول في اتحادات دولية. وبرر هتلر هذا الرفض برغبته في عودة المستعمرات الألمانية في أفريقيا إلى حكم ألمانيا النازية، لا أن يدخل في اتحاد دولي يحكم أفريقيا الوسطى. فضلًا عن ذلك؛ اعتبر هتلر أنه من الإهانة البالغة من قبل بريطانيا أن تملي شروطًا على ألمانيا تتعلق بكيفية إدارة شئونها في أوروبا في مقابل الحصول على منطقة في أفريقيا. وأنهى هتلر حديثه مع هندرسون قائلًا إنه على استعداد للانتظار عشرين عامًا قادمة لاستعادة المستعمرات الألمانية في أفريقيا، على أن يقبل شروط بريطانيا الخاصة لتجنب الحرب.

علاوةً على ذلك؛ عقد هتلر يومي 28 مارس و29 مارس عام 1938 سلسلة من الاجتماعات السرية في برلين مع كونراد هنلاين؛ قائد حزب الجبهة الداخلية (بالألمانية Heimfront) وهو أكبر الأحزاب العرقية الألمانية في السوديت. وفي أثناء هذه الاجتماعات، تم الاتفاق على أن يقدم هنلاين ذريعة تغزو بها ألمانيا تشيكوسلوفاكيا وهي مطالبة الألمان في منطقة سوديتنلاند حكومة براج بحقهم في الحصول على الحكم الذاتي؛ وهو مطلب من غير المحتمل أن تقره الحكومة هناك. وفي إبريل من عام 1938؛ أخبر هنلاين وزير خارجية المجر أنه "مهما كانت عروض الحكومة التشيكية سخية؛ فإنه سيستمر في زيادة المطالب، لإفساد أية وسيلة للتفاهم؛ لأن ذلك هو السبيل الوحيد لتدمير تشيكوسلوفاكيا سريعًا". وبشكل غير معلن، لم تكن قضية منطقة سوديتنلاند ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهتلر؛ بل إن نواياه الحقيقية كانت استغلال هذه القضية كوسيلة يبرر بها داخل البلاد وخارجها شن الحرب على تشيكوسلوفاكيا وتدميرها بدافع حق أهل هذه المنطقة في تقرير مصيرهم ورفض حكومة براج تلبية مطالب هنلاين. وخطط هتلر لضرورة وجود تعزيزات عسكرية ضخمة على الحدود التشيكية، ولشن هجمات دعائية ضارية تتحدث عن الاضطهاد الذي يلقاه الألمان في هذه المنطقة. وأخيرًا؛ لإلقاء الضوء على مجموعة من الحوادث بين نشطاء الجبهة الداخلية والسلطات التشيكية بغرض تبرير الغزو الذي سيجتاح تشيكوسلوفاكيا سريعًا في حملة تستغرق أيامًا قلائل قبل أن تتمكن القوى الأخرى من التدخل. وبما أن هتلر كان يرغب في جني أكبر قدر من الثمار وإكمال ما أطلق عليه اسم "الحائط الغربي" لحماية منطقة راينلاند؛ فقد اختار أن يتم الغزو في آخر سبتمبر أو في بدايات شهر أكتوبر من عام 1938.

أما في أبريل من عام 1938؛ فقد أمر هتلر القيادة العليا للقوات المسلحة بالتحضير لخطة للاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا التي أطلق عليها اسم الخطة الاستراتيجية لغزو تشيكوسلوفاكيا (بالألمانية Fall Grün)، وكانت أزمة مايو التي استمرت في الفترة ما بين التاسع عشر والثاني والعشرين من مايو في عام 1938؛ من العوامل التي أدت إلى زيادة التوتر في أوروبا. وكانت أزمة مايو التي حدثت في عام 1938 بمثابة إنذار كاذب أطلقته الشائعات المنذرة بتعرض تشيكوسلوفاكيا للغزو في نهاية الأسبوع الذي ستجرى فيه الانتخابات المحلية في البلاد، وكذلك التقارير الخاطئة التي تحدثت عن تحركات خطيرة للجيوش الألمانية على طول الحدود التشيكية قبل إجراء الانتخابات مباشرة. ومن العوامل الأخرى التي أكدت ذلك؛ قتل الشرطة التشيكية لاثنين من الألمان العرقيين وتلميحات ريبنتروب التي تحمل معنى العنف لهندرسون عندما سأله الأخير عن

مدى صحة الأخبار القائلة بوقوع غزو في نهاية الأسبوع. وقد أدى هذا الأمر إلى قيام تشيكوسلوفاكيا بالتعبئة الجزئية وإطلاق لندن تحذيرات صارمة من الغزو الألماني لتشيكوسلوفاكيا في نهاية الأسبوع، وذلك قبل أن تدرك عدم صحة هذه الشائعات، وأنه لا وجود لأي غزو ألماني في نهاية هذا الأسبوع. وعلى الرغم من عدم التخطيط لأي غزو في مايو من عام 1938؛ فإن البعض في لندن كانوا يعتقدون أن برلين تفكر في هذا الأمر حتمًا؛ ما أدى إلى صدور إنذارين في يومي الحادي والعشرين والثاني والعشرين من شهر مارس، مفادهما أن المملكة المتحدة على استعداد للدخول في حرب إلى جانب ألمانيا في حالة دخول فرنسا في حالة حرب ضد ألمانيا.

ومن جانبه؛ استخدم هتلر كلمات أحد معاونيه من الضباط وعبر عن شعوره "بالغضب" العارم بسبب اضطراره للتراجع بعد عملية التعبئة التي قامت بها تشيكوسلوفاكيا، وبعد تحذيرات كل من لندن وباريس على الرغم من أنه لم يخطط للغزو في نهاية هذا الأسبوع. وعلى الرغم من أن مسودة خطة الغزو؛ كانت قد وضعت بالفعل في أبريل من عام 1938 لغزو تشيكوسلوفاكيا في المستقبل القريب؛ فإن أزمة مايو وفكرة الهزيمة الدبلوماسية قد زادتا من قناعة هتلر بصحة المسار الذي اختاره. ويبدو أن أزمة مايو قد أقنعت هتلر بصعوبة التوسع "من دون مساندة بريطانيا"، وأن التوسع "ضد بريطانيا" كان النهج الوحيد القابل للتطبيق في ذلك الوقت. ومن النتائج المباشرة التي ترتبت على أزمة مايو أن هتلر قد أصدر أوامره بإسراع الخطى في صناعة البناء البحرية بصورة تفوق المنصوص عليه في المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا. وجاء لأول مرة في المذكرة المعروفة باسم "Heye memorandum" ـ التي صدرت بناءً على أوامر من هتلر ـ أن الأسطول الملكي البريطاني هو العدو الرئيسي للقوات البحرية الألمانية.

فضلًا عن ذلك؛ أعلن هتلر في المؤتمر الذي أقيم في 28 مايو في 1938 أن قراره الخاص "بسحق تشيكوسلوفاكيا" بحلول الأول من أكتوبر من نفس العام "غير قابل للتغيير". وكان تبريره لهذا الأمر هو أن هذه الطريقة هي التي سيؤمن بها الجناح الشرقي في الجيش "حتى يتمكن من الزحف نحو الغرب في إنجلترا وفرنسا". وفي المؤتمر نفسه؛ أعرب هتلر عن اعتقاده الراسخ في أن بريطانيا لن تخاطر بشن حرب إلا بعد الانتهاء من عملية إعادة التسلح التي يعتقد هتلر أنها ستتم بين عامي 1941 و1942. كما ينبغي على ألمانيا أن تتخلص من فرنسا وحلفائها في أوروبا في الفترة ما بين الأعوام 1938 و1941، وهي الفترة التي ستكون فيها عملية إعادة التسلح الألمانية لا تزال قيد التنفيذ. وأدى إصرار هتلر

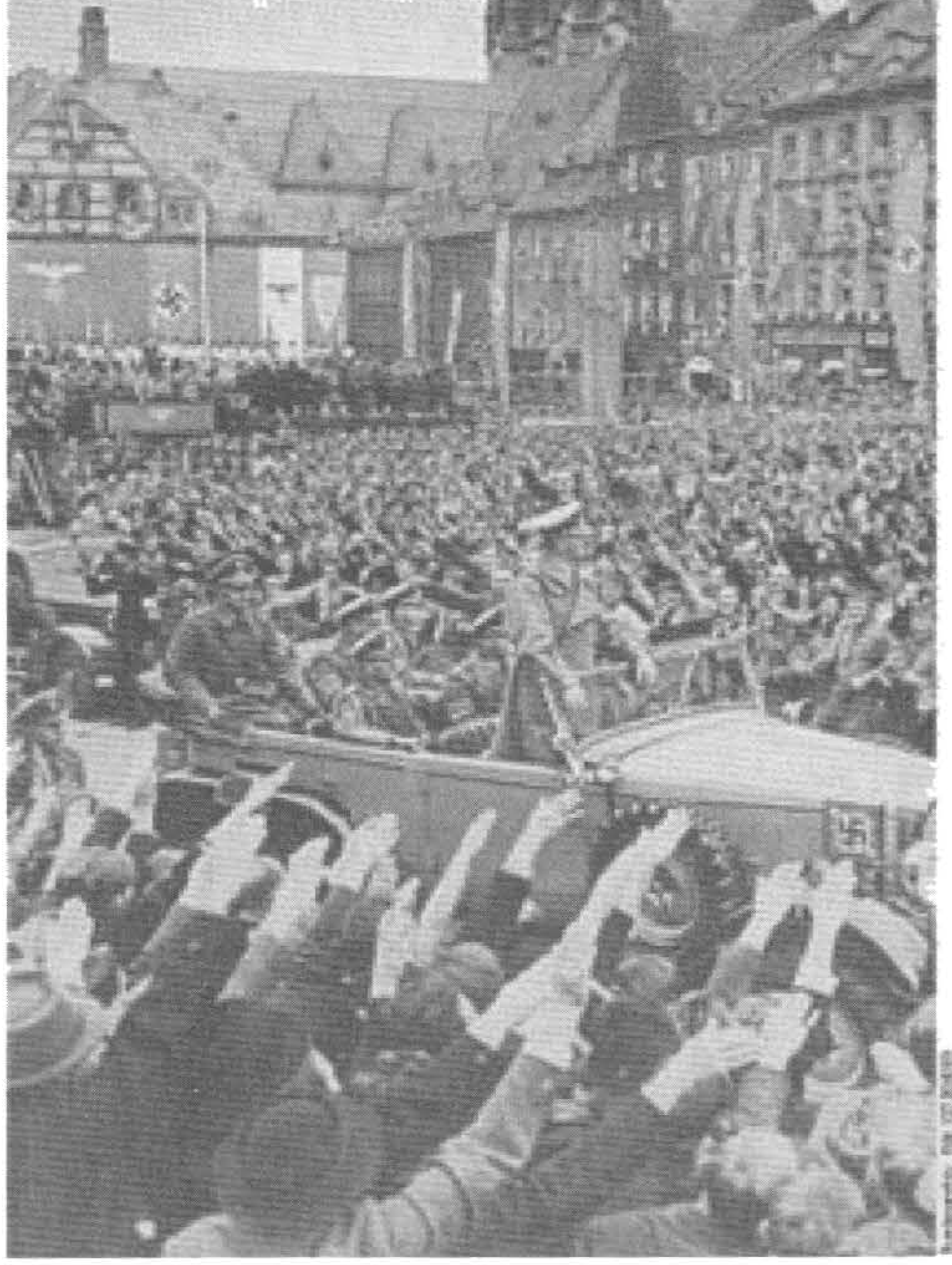
الشديد على تنفيذ خطة "Fall Grün" في عام 1938 إلى إثارة أزمة خطيرة داخل الهيكل القيادي في ألمانيا. فقد احتج رئيس أركان الحرب، الجنرال لودفيج بيك، في سلسلة مطولة من المذكرات قام بتقديمها على أن خطة "Fall Grün" التي ستتسبب في إشعال حرب عالمية تخسرها ألمانيا. كما حث هتلر على التخلي عن فكرة الحرب التي يخطط لها. أما هتلر؛ فقد رأى أن آراء بيك المضادة للحرب ما هي إلا "حسابات طفولية "kindische Kräfteberechnugen".



هتلر ولتشامبرلين ودالاديه وموسوليني في مؤتمر ميونيخ الذي أقيم في الثلاثين من سبتمبر من عام 1938.

وبدايةً من شهر أغسطس في عام 1938؛ وصلت أخبار إلى لندن تفيد بأن ألمانيا بدأت في تحريك جنود الاحتياط. كما تسربت بعض الأخبار من قبل عناصر تعارض الحرب في الجيش الألماني بأن الحرب ستشتعل في وقت ما في شهر سبتمبر. وفي النهاية؛ ونتيجة لضغوط دبلوماسية شديدة من فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص، كشف الرئيس التشيكي إدفارد بينيس، يوم الخامس من سبتمبر في عام 1938 عمّا أطلق عليه اسم "الخطة الرابعة" لإعادة التنظيم الدستوري لدولته الذي يلبي فيها معظم مطالب الألمان في إقليم سوديتنلاند التي تتعلق بالحكم الذاتي والتي تقدم بها هنلاين في خطابه الذي ألقاه في منطقة كارلسباد في شهر أبريل من عام 1938. كما صرح الرئيس التشيكي بأنه سيبطل جميع الذرائع حتى لا يعطي الألمان الفرصة لغزو دولته. وسرعان ما جاءت استجابة حزب الجبهة الداخلية بزعامة هنلاين لهذا لعرض "الخطة الرابعة" بإثارة سلسلة من الاشتباكات العنيفة مع الشرطة التشيكية التي وصلت إلى ذروتها في منتصف سبتمبر؛ ما أدى إلى إعلان الأحكام العرفية في مناطق معينة في سوديتنلاند،

وكرد فعل لهذا الموقف الحرج، فكر رئيس الوزراء البريطاني نيفيل تشامبرلين، في اللجوء للخطة التي تم إطلاق اسم Plan Z عليها، والتي تقضي بسفره إلى ألمانيا والالتقاء بهتلر للتوصل إلى اتفاقية تعمل على إنهاء الأزمة. وفي الثالث عشر من سبتمبر في عام 1938، تقدم تشامبرلين بعرض للسفر إلى ألمانيا لبحث حل لهذه الأزمة. وهكذا؛ قرر رئيس الوزراء تنفيذ "خطة ز" ردًا على المعلومات الخاطئة التي أصدرتها المعارضة الألمانية التي تنذر بأن الغزو الألماني من المتوقع حدوثه في أي وقت بعد يوم الثامن عشر من سبتمبر من العام نفسه. وعلى الرغم من عدم رضا هتلر عن عرض تشامبرلين؛ فإنه قد وافق على مقابلة رئيس الوزراء؛ لأن رفضه لهذا العرض سيكذب مزاعمه التي دأب على تكرارها عن كونه رجل سلام لا يدفعه إلى الحرب سوى عناد الرئيس التشيكي بينيس. وفي أثناء القمة التي عقدت في منطقة بيرشتيسجادين، وعد تشامبرلين بالضغط على بينيس ليوافق على مطالب هتلر المعلنة بخصوص تحويل تبعية منطقة ستودينتلاند إلى ألمانيا في مقابل الوعد الذي أبرمه هتلر على مضض بتأجيل اتخاذ أي رد فعل عسكري حتى يتيح الفرصة أمام تشامبرلين ليفي بوعده. وما كان هتلر ليوافق على هذا التأجيل إلا لتأكده من فشل تشامبرلين في الحصول على موافقة حكومة براج بتحويل تبعية ستودينتلاند. ولذلك، أصابه إحباط شديد عندما نجحت الضغوط البريطانية والفرنسية في مساعيها وجعلت حكومة براج تجيبه إلى طلبه. ولقد زاد من صعوبة المحادثات التي تمت في سبتمبر من عام 1938 بين هتلر وتشامبرلين اختلاف المفاهيم المتأصلة لدى كل منهما فيما يتعلق بالشكل الذي يجب أن تتخذه الخريطة الأوروبية. فقد كان هتلر يهدف إلى التذرع بمشكلة سوديتنلاند لإشعال الحرب، بينما كان تشامبرلين يناضل في سبيل إيجاد حل سلمي للمشكلة.



هتلر في حي الألمان في ستوديتنلاند أكتوبر عام 1938

عندما عاد تشامبرلين إلى ألمانيا في الثاني والعشرين من سبتمبر من العام نفسه لعرض خطة السلام المتمثلة في نقل تبعية سوديتنلاند إلى ألمانيا في قمة يتم عقدها مع هتلر بمنطقة باد جوديسبيرج، فوجئ الوفد البريطاني المفوض للتفاوض برفض هتلر تنفيذ الشروط التي وضعها بنفسه في بيرشتيسجادين. وفي سبيل القضاء على جهود السلام المبذولة من قبل تشامبرلين إلى الأبد، طالب هتلر تشيكوسلوفاكيا بالتخلي تمامًا عن سوديتنلاند في موعد أقصاه الثامن والعشرين من سبتمبر في عام 1938 ومن دون إجراء مفاوضات بين براج وبرلين، ومن دون تفويض دولي لمراقبة عملية نقل التبعية. إلى جانب ذلك؛ طالب هتلر بعدم إجراء أي استفتاءات عامة في المناطق التي سيتم نقل تبعيتها إلى ألمانيا قبل الانتهاء من هذه العملية.

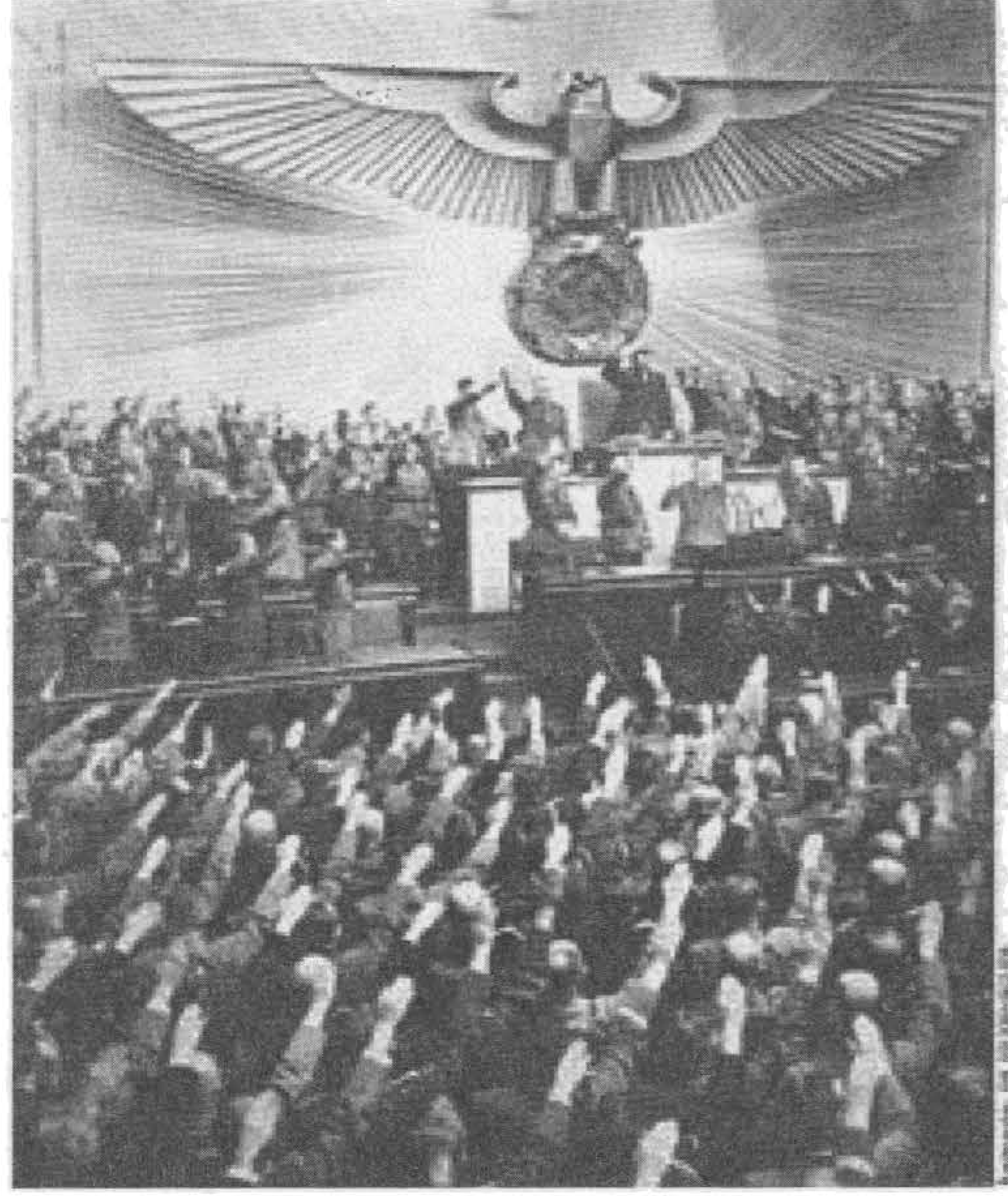
وأضاف هتلر أن ألمانيا لن تتخلى عن خيار الحرب إلا بعد أن تتوصل تشيكوسلوفاكيا إلى حلول لادعاءات بولندا والمجر ضدها. ولقد ظهر مدى تباين الآراء بين كل من هتلر وتشامبرلين جليًا عندما تعرف الأخير على مطالب الأول الجديدة واحتج على لهجة الإنذار التي اتسمت بها هذه المطالب؛ ما دفع هتلر إلى أن يرد بحجة معاكسة مفادها أنه نظرًا لأن الوثيقة المدون بها مطالبه معنونة باسم "مذكرة"، فهذا يعني أنها ليست إنذارًا.

وفي الخامس والعشرين من سبتمبر في عام 1938؛ قامت بريطانيا برفض إنذار باد جوديسبيرج، وبدأت في الاستعداد للحرب، ولتأكيد هذه النقطة؛ زار سير هوريس ويلسون ـ المستشار الصناعي الأول في الحكومة البريطانية ـ والمساعد المقرب لتشامبرلين هتلر كرسول ليخبره أنه في حالة هجوم ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا؛ فإن فرنسا ستنفذ التزاماتها الخاصة بالتحالف بين تشيكوسلوفاكيا وفرنسا التي تم إبرامها في عام 1924؛ ومن ثم "ستجد إنجلترا نفسها ملزمة بعرض المساعدة على فرنسا". وخلال يومي 27 و28 سبتمبر وإصرارًا منه على شن الهجوم المقرر في الأول من أكتوبر 1938؛ أعاد هتلر التفكير فيما انتوى أن يقوم به، ووافق على اقتراح قدمه موسوليني وتوسط لقبوله، خاص بعقد مؤتمر في ميونيخ يحضره كل من تشابرلين وموسوليني ورئيس الوزراء الفرنسي إدوارد دالادييه؛ لبحث الوضع في تشيكوسلوفاكيا. أما الأسباب التي دعت هتلر إلى تغيير موقفه؛ فليست واضحة. ولكن يبدو أن هذه الأسباب تكمن في اتحاد التحذيرات البريطانية والفرنسية على نفس الفكرة؛ خصوصًا بعد تحرك الأسطول البريطاني بالفعل؛ ما جعل هتلر يرى أخيرًا النتائج التي ستؤول إليها خطة Fall Grün، كذلك ظهوره بمظهر المعتدي نتيجة لطبيعة التصريحات التي يمكن أن تكون ذريعة لنشوب الحرب، والتي أعلنها عن التوقيت الذي يطالب فيه بتحويل تبعية ستودينتلاند، إلى جانب آراء مستشاريه الألمان بعدم استعداد ألمانيا للدخول في حرب عالمية من الناحيتين العسكرية والاقتصادية. أيضًا؛ كانت هناك تلك التحذيرات التي تلقاها من بعض الدول التي كان ينظر إليها على أنها دول حليفة له وتتضمن إيطاليا واليابان وبولندا والمجر، التي جاء فيها أنها لن تحارب بالنيابة عن ألمانيا. أخيرًا، كانت هناك إشارات تامة الوضوح إلى أن غالبية الشعب الألماني غير راضٍ عن فكرة الحرب بشكل عام. بالإضافة إلى ذلك، كانت ألمانيا تعاني من نقصَ الإمدادات الكافية من الزيت وغيره من المواد الخام الأساسية (لأن المصانع التي كان من المقرر أن تنتج النفط الصناعي لاستخدامه في المجهود الحربي الألماني كانت لم تعمل بعد)، وكان الاعتماد لدرجة كبيرة على الوارادات من الخارجMurray 1984 pp. 256–260.، كما أعلنت القوات البحرية الألمانية أنه في حالة الدخول في حرب مع بريطانيا؛ فإنها لن تستطيع اختراق الحصار البريطاني، ولأن ألمانيا لم يكن لديها تقريبًا أي مخزون احتياطي من الزيت؛ فإن هذا السبب يكفي وحده لخسارتها الحرب. كما أخبرت وزارة الاقتصاد هتلر أن ألمانيا لا تمتلك سوى 2. 6 مليون طن من الزيت في الوقت الحالي، وأن الدخول في حرب ضد بريطانيا وفرنسا يستلزم ما لا يقل عن 7. 6 مليون طن من الزيت. ومنذ الثامن عشر من سبتمبر في عام 1938،

رفضت بريطانيا إمداد الرايخ بالمعادن، وفي الرابع والعشرين من سبتمبر منعت قيادة البحرية الملكية البريطانية السفن البريطانية من الإبحار إلى ألمانيا. وقامت بريطانيا باحتجاز ناقلة البترول Invershannon التي تحمل 8600 طن من البترول إلى مدينة هامبورج بألمانيا؛ ما أدى إلى حدوث تأثيرات سلبية اقتصادية مباشرة على ألمانيا.

ومع الأخذ في الاعتبار أن ألمانيا كانت تعتمد على استيراد النفط (إذ إن 80% من النفط في ألمانيا خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين.. كان يأتي إليها من قارات العا لم الجديد)، بالإضافة إلى أن احتمالية دخول ألمانيا في حرب مع بريطانيا كانت ستضعها في حصار يقطع عنها إمدادات النفط التي تحتاجها، يرى المؤرخون أن قرار هتلر بإيجاد حل سلمي وإلغاء خطة Fall Grün يرجع إلى مخاوف هتلر حيال مشكلة النفط.

وفي المؤتمر الذي استغرق يومًا واحدًا وتم عقده في ميونيخ وحضره كل من هتلر ولتشامبرلين ودالادييه وموسوليني، تم توقيع معاهدة ميونيخ التي استجابت لطلبات هتلر الظاهرية ونقلت تبعية المناطق الموجودة في ستودينتلاند إلى ألمانيا، وبما أن لندن وباريس كانتا قد وافقتا بالفعل على فكرة نقل تبعية المنطقة المتنازع عليها في منتصف شهر سبتمبر؛ فإن المؤتمر قد تناول في يوم واحد المحادثات الخاصة بالمسائل الفنية المتعلقة بكيفية تنفيذ عملية نقل التبعية. كما ناقش المؤتمر التنازلات البسيطة التي سيقوم بها هتلر والتي تتمثل في أن تتم عملية نقل التبعية في غضون عشرة أيام في شهر أكتوبر بتفويض دولي يراقب عملية نقل التبعية، وستنتظر ألمانيا حتى يتم تسوية الادعاءات المجرية والبولندية. وفي ختام المؤتمر؛ وقع هتلر معاهدة صداقة ألمانية - بريطانية علق عليها تشامبرلين آمالا كبيرة، بينما لم تكن لهذه المعاهدة لدى هتلر أدنى أهمية. وعلى الرغم من أن تشامبرلين كان راضيًا عن مؤتمر ميونيخ؛ الأمر الذي أدى إلى ادعائه الزائف بأن هذا المؤتمر قد ضمن "تحقيق السلام في الوقت الراهن"؛ فإن هتلر كان من داخله يشعر بالغضب الشديد لاضطراره "التخلي" عن الحرب التي كان يصبو إلى شنها في عام 1938. وكنتيجة للقمة التي تم عقدها؛ فاز هتلر في استفتاء مجلة تايم بلقب رجل العام وذلك في عام1938.



أعضاء الرايخستاج وهم يقومون بتحية هتلر في أكتوبر من عام 1939 بعد الانتهاء من حملة ألمانيا العسكرية على بولندا

وقد رحب رئيس الوزراء البريطاني نيفيل تشامبرلين، بهذه المعاهدة باعتبارها "مبادرة للسلام في الوقت الراهن"، ولكن في أثناء مساعيهم لاستمالة هتلر وكسب رضائه؛ تركت كل من فرنسا وبريطانيا تشيكوسلوفاكيا تحت رحمة هتلر. وعلى الرغم من أن هتلر كان قد أعلن على الملأ عن سعادته الغامرة إثر تحقيق مطالبه الظاهرية، فإنه كان قد عقد عزمه سرًا على الدخول في حرب في المرة القادمة التي يتاح له فيها ذلك حتى يتأكد من أن مطالب ألمانيا المستقبلية قد تم الحصول عليها. ورأى هتلر من وجهة نظره أن مبادرة السلام التي توسطت فيها بريطانيا كانت بمثابة هزيمة دبلوماسية لألمانيا؛ رغم أنها تخدم بشدة مطالب ألمانيا الظاهرية؛ وذلك لأنها أثبتت أن أحلامه للتوسع في الشرق لن تتحقق إلا بالقضاء على قوة بريطانيا. وفي أعقاب معاهدة ميونيخ؛ شعر هتلر أنه نظرًا لأن بريطانيا لن تتحالف مع ألمانيا أو تلتزم الحياد؛ ما يسمح لألمانيا بتحقيق طموحاتها في القارة الأوروبية، فقد أصبحت تشكل تهديدًا رئيسيًا لألمانيا.

وهكذا؛ حلت بريطانيا محل الاتحاد السوفيتي في ذهنه باعتبارها العدو الرئيسي للرايخ من وجهة نظر هتلر؛ الأمر الذي يستلزم إعادة توجيه السياسات الألمانية. وفي خطبة له في التاسع من أكتوبر عام 1938 في مدينة ساربروكين؛ أعرب هتلر

عن خيبة أمله تجاه معاهدة ميونيخ، عندما هاجم شخصيات اعتبرهم من المحافظين الذين لا يسعون أبدًا إلى تهدئة الأوضاع وهم "وينستون تشيرشل" و"ألفريد داف كوبر" و"أنتوني إيدن"، الذين وصفهم بأنهم زمرة من مثيري الحرب المعادين لألمانيا والذين سيهاجمون ألمانيا في أول فرصة تسنح لهم. وعبر عن اعتقاده أن هؤلاء الأشخاص من الممكن أن يتقلدوا زمام الأمور في بريطانيا في أية لحظة. وفي نفس الخطاب، أعلن هتلر: "نحن الألمان لن نتحمل بعد اليوم هذا التدخل الذي يفرض سلطته علينا. يجب على بريطانيا أن تلتفت لشئونها هي فقط وتهتم بحل مشكلاتها هي فقط"، وفي نوفمبر من عام1938؛ أمر هتلر بإطلاق حملة دعائية كبرى ضد بريطانيا تم فيها استخدام عبارات التجريح التي تستنكر "سياسة النفاق" التي تنتهجها بريطانيا للحفاظ على إمبراطوريتها في جميع أنحاء العا لم، بينما تسعى لمنع الألمان من تكوين إمبراطوريتهم الخاصة، وتم تخصيص جزء من هذه الحملة الدعائية لانتقاد انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها بريطانيا في تعاملها مع انتفاضة العرب في كل من فلسطين الواقعة تحت الانتداب البريطاني وفي الهند، وكذلك سياسة النفاق التي انتهجتها بريطانيا في انتقادها لحادثة ليلة الزجاج المحطم؛ التي وقعت في نوفمبر من عام 1938. ويشير هذا إلى تحول هائل عن الأفكار التي سادت خلال السنوات الأولى من عهد الرايخ الثالث عندما كانت وسائل الإعلام الألمانية تقدم الإمبراطورية البريطانية في صورة رائعة ومميزة. وفي نوفمبر من عام 1938، صدر أمر لوزير الخارجية جواشيم فون رينتروب بتحويل اتفاقية مكافحة الشيوعية إلى تحالف عسكري مفتوح مناهض لبريطانيا، يكون مقدمة لإعلان الحرب على كل من بريطانيا وفرنسا.

وفي السابع والعشرين من يناير في عام 1939، وافق هتلر على تنفيذ الخطة التي عرفت باسم "الخطة زي"، وهو برنامج للتوسع البحري يستمر لمدة خمس سنوات ويدعو إلى تأسيس قوات بحرية ألمانية بحلول عام 1944 تضم عشرة بوارج وأربع حاملات للطائرات وثلاثة طرادات مقاتلة وأربعة وأربعين طرادة خفيفة وثمانية طرادات ثقيلة وثماني وستين مدمرة ومئتين وتسعًا وأربعين غواصة ألمانية، وذلك بهدف سحق البحرية الملكية البريطانية. ويمكن أن نلمس أهمية هذه الخطة من خلال الأوامر التي أصدرها هتلر والتي تقضي برفع القوات البحرية الألمانية من المرتبة الثالثة إلى المرتبة الأولي في أحقية الحصول على المواد الخام والأموال والعمالة الماهرة. وفي ربيع عام 1939؛ أصدر هتلر أوامره إلى القوات الجوية الألمانية بالبدء في بناء قوة استراتيجية من قاذفات القنابل يكون هدفها هدم المدن البريطانية هدمًا تامًا، واستدعت خطط هتلر لحربه ضد بريطانيا وجود سلاح هجومي مشترك بين القوات البحرية الألمانية والقوات الجوية الألمانية يقوم بتوجيه

"ضربات إبادة سريعة" على المدن وسفن الشحن البريطانية؛ لأنه من المتوقع "أن تستسلم بريطانيا وتعلن الخضوع في اللحظة التي يتم فيها قطع الإمدادات عنها". وتوقع هتلر أن تفوق تجربة الحياة في إحدى الجزر البريطانية تحت وطأة الحصار والمجاعة ونيران القذف قدرة الشعب البريطاني على الاحتمال.



نوافذ محلات يهودية بعد حادثة ليلة الزجاج المحطم.

وفي نوفمبر من عام 1938؛ ذكر هتلر في أحد خطاباته السرية التي ألقاها أمام مجموعة من الصحفيين الألمان أنه كان مكرهًا على الحديث عن السلام باعتباره الهدف الذي يسعى إليه من أجل أن يتمكن من الوصول إلى مستوى إعادة التسلح (الذي كان يعتبر مطلبًا ضروريًا، بالنسبة للمرحلة المقبلة). وفي الخطاب نفسه؛ أعرب هتلر عن تذمره نظرًا لأن الدعاية الخاصة بالسلام التي أطلقها في الخمس سنوات السابقة قد حققت نجاحًا كبيرًا، وأنه قد حان الوقت الآن لكي يخرج على الشعب الألماني بفكرة الترويج للحرب. وأوضح هتلر أن "التجربة العملية قد برهنت على أن الدعاية التي روجت للسلام في العقد السابق كانت فكرة محفوفة بالمخاطر؛ لأنها من السهل جدًا أن تقنع الشعب بأن الحكومة الحالية تلتزم بقرارها وبنواياها للحفاظ على السلام تحت جميع الظروف". وعوضًا عن ذلك؛ دعا هتلر إلى وجود نوع جديد من الصحافة "تقع على عاتقه مسئولية تقديم وقائع معينة في السياسة الخارجية بأسلوب يجعل صوت الشعب نفسه يعلو بالهتاف بضرورة البدء في استخدام القوة". وفي وقت لاحق من نوفمبر في عام 1938؛ أعرب هتلر عن خيبة الأمل التي كان يشعر بها من تلك النصائح الحريصة التي كان يتلقاها من بعض الجهات. وأطلق هتلر على كل من الخبير الاقتصادي كارل فريدريش جويردلر والجنرال لودفيج بيك ودكتور هيلمار شاخت والدبلوماسي

أولريش فون هاسل ورجل الاقتصاد ردولف برينكمان اسم "**دوائر التفكير الحريص أكثر من اللازم**"، فقد حاولوا عرقلته عن إتمام مهمته عبر مناشدته بتوخي الحذر في تصرفاته. وكانت حاجة هتلر إلى مهاراتهم؛ هي التي منعته من "التخلص منهم في يوم من الأيام أو القيام بشيء من هذا القبيل".

وفي ديسمبر من عام 1938؛ تسلمت مستشارية الفوهرر برئاسة فيليب بوهلر خطابًا يتعلق بطفلة تدعى صوفيا كناور مصابة بعجز بدني وذهني شديد وتعيش في مدينة ليبزيج. في تلك الفترة؛ كانت هناك منافسة شرسة بين مكتب بوهلر، ومكتب مستشارية الرايخ الذي يرأسه هانز هيانريش لامرز، والمستشارية الرئاسية بزعامة أوتو مايسنر، ومكتب الضابط المساعد لهتلر فيلهيلم بروكنر، ومكتب نائب الفوهرر الذي كان يسيطر عليه عمليًا مارتن بورمان على السعي لنيل الحظوة عند هتلر. وكجزء من لعبة القوة التي يستخدمها ضد خصومه؛ قدم بوهلر الخطاب الذي يتعلق بالطفلة المعاقة إلى هتلر الذي أعرب عن شكره لبوهلر؛ لأنه أطلعه على هذا الأمر، وكان رده على هذا الخطاب هو توجيه أمر إلى طبيبه الشخصي د. كارل براندت بقتل الطفلة. وفي يناير من عام 1939؛ أمر هتلر كل من بوهلر ود. براندت بالبدء منذ تلك اللحظة في قتل جميع الأطفال المعاقين الذين يولدون في ألمانيا. وكان ذلك هو أصل برنامج القتل الرحيم. ونتيجة لذلك؛ أخذ كل من د. براندت وبوهلر يتصرفان من دون الرجوع لهتلر، في محاولة لكسب رضاه؛ إذ قاموا بالتوسع في عملية القتل وفقًا لبرنامج القتل الرحيم لقتل جميع الأطفال المعاقين بدنيًا أو ذهنيًا في ألمانيا كمرحلة أولى.. ثم قتل البالغين المعاقين كلهم بعد ذلك.

وفي أواخر عام 1938 وبدايات عام 1939؛ أدت الأزمة الاقتصادية المستمرة (التي سببتها مشكلات عملية إعادة التسلح؛ خصوصًا تلك المشكلة التي تتعلق بنقص العملات الصعبة التي كانت تحتاج إليها ألمانيا لشراء المواد الخام التي كانت تنقصها، بالإضافة إلى التقارير التي وردت من جورينج بشأن استحالة تنفيذ الجدول الزمني المقرر "لخطة السنوات الأربع") بهتلر إلى أن يضطر في يناير من عام 1939 إلى أن يصدر - على مضض - أمرًا ينص على تخفيض حصص المواد التي تلزم قوة الدفاع؛ كي يتم تخفيض حصة الصلب بنسبة ثلاثين بالمئة، والألومنيوم بنسبة سبع وأربعين بالمئة، والأسمنت بنسبة خمس وعشرين بالمئة، والمطاط بنسبة أربع عشرة بالمئة، والنحاس بنسبة عشرين بالمئة.

وفي الثلاثين من يناير عام 1939؛ ألقى هتلر خطابًا تحت عنوان "التصدير أو الموت" يدعو فيه إلى بناء اقتصاد ألماني "هجومي" (أو "معركة الصادارت" كما

أطلق عليها هتلر) من أجل زيادة ما تملكه ألمانيا من العملة الأجنبية التي تحتاج إليها لشراء المواد الخام، مثل الحديد عالي الجودة اللازم للمواد العسكرية. وعُرف هذا الخطاب أيضًا باسم "خطاب النبوءة". ويأتي الاسم الذي عرف به هذا الخطاب من "نبوءة" هتلر التي صرح بها في الجزء الأخير من خطابه:

"هناك شيء واحد أود أن أقوله في هذا اليوم، وأود أن يبقى محفوظًا في ذاكرة الآخرين وفي ذاكرتنا نحن الألمان: على مدى مشوار حياتي، أتاحت لي الظروف في أحيان كثيرة أن أتنبأ ببعض الأمور التي سخر مني الآخرون عندما صرحت بها. وفي أثناء كفاحي للوصول إلى السلطة، كان اليهود هم أول من قابل نبوءاتي بقدر من السخرية؛ خصوصًا عندما صرحت بأنني سأتولى زعامة الدولة في يوم من الأيام، وزعامة الأمة بأسرها، وأنني سأتمكن حينها من تسوية مشكلة اليهود وأقوم بالكثير من الأمور الأخرى. وكانت ضحكاتهم صاخبة، ولكنني أظن أنهم يسخرون منذ فترة طويلة من الوقت على ما لا ينبغي السخرية منه. اسمحوا لي اليوم أن أخبركم مرة أخرى بواحدة من نبوءاتي؛ فإذا نجحت القوى المالية اليهودية خارج أوروبا في إقحام الأمم مرة أخرى في حرب عالمية جديدة؛ فإن النتيجة لن تكون سيادة البلشفية في جميع أرجاء الأرض فحسب - وبالتالي تحقيق اليهود للنصر - بل ستكون هلاك العرق اليهودي في أوروبا!".

ولقد دار جدال تاريخي مهم حول خطاب هتلر المعروف باسم "خطاب النبوءة"، فالمؤرخون أمثال إيبرهارد جاكيل الذين يعتقدون أن هتلر كان يعني تمامًا ما قاله في خطابه؛ يعتقدون أنه على الأقل منذ إلقاء خطاب النبوءة، فإن هتلر كان قد وضع نصب عينيه تنفيذ عمليات إبادة جماعية لليهود كهدف رئيسي يسعى لتنفيذه. وقد قال كل من لوسي داويدوفيتش وجيرالد فليمينج: إن هذا الخطاب أفسح المجال أمام هتلر للتصريح بأنه بمجرد إعلانه للحرب العالمي؛ فإنه سيستخدمها كستار لمخططاته الموجودة سابقًا لإبادة اليهود تمامًا. وأغفل كل من كريستوفر براونينج وجهتي النظر المتعارضتين بشأن الحقيقة التاريخية الخاصة بالهولوكست؛ التي تقول إحداهما إن أوامر الهولوكست قد صدرت من بعض مرؤوسي هتلر، وإنه لم تكن لديه أبدًا النية لعمل ذلك، بينما تقول وجهة النظر الثانية: إن هتلر كانت لديه النية المبيتة منذ توليه الحكم لإبادة اليهود في الهولوكست. هذا التفسير زعمًا منهم بأنه إذا كان هتلر صادقًا في نواياه التي عبر عنها في خطابه؛ ما كان استمر في تأجيل حكم الإعدام الذي نوى أن ينفذه

ضد اليهود لمدة ثلاثين شهرًا؛ وهي الفترة ما بين اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر من عامٍ 1939 وافتتاح أول معسكر اعتقال لإبادة اليهود في أواخر عام 1941. علاوة على ذلك؛ أشار براونينج إلى وجود خطة مدغشقر في الفترة ما بين عامي 1940 و1941 وغيرها من المخططات الأخرى، التي تبرهن على أنه لم تكن هناك خطة رئيسية موضوعة بهدف الإبادة الجماعية لليهود. هذا ويرى براونينج أن خِطاب النبوءة كان مجرد محاولة للتظاهر بالشجاعة من جانب هتلر، وأن هناك رابطًا ضعيفًا بين هذا الخطاب وبين الكشف الفعلي عن حقيقة السياسات المعادية للسامية التي كان يؤمن بها.

وعلى الأقل؛ يتمثل جزء من السبب الذي دفع هتلر إلى انتهاك معاهدة ميونخ - عندما قام بالاستيلاء على النصف التشيكي من تشيكوسلوفاكيا في مارس من عام 1939 - في رغبته في الحصول على مصادر جديدة للثروة والقوة؛ تساعده في التغلب على أزمته الاقتصادية. وأصدر هتلر أوامره إلى الجيش الألماني بدخول براغ في الخامس عشر من مارس في عام 1939، بدخول قلعة براغ التي أعلن منها أن منطقتي بوهيميا ومورافيا قد أصبحتا تحت الحماية الألمانية.

بداية الحرب العالمية الثانية

كانت هناك ضرورة حتمية من وجهة نظر هتلر - من منطلق منهجه في معاداة بريطانيا - لضم بولندا إلى جانب ألمانيا باعتبارها دولة تابعة أو حتى دولة محايدة في هذا الصراع، واعتقد هتلر أن تحقيق ذلك يمثل ضرورة على الصعيد الاستراتيجي من ناحية؛ لأنه يضمن تأمين الجانب الشرقي للرايخ، وعلى الصعيد الاقتصادي من ناحية أخرى؛ لتجنب الأثر السلبي للحصار البريطاني. وكان طموح ألمانيا في المقام الأول ينصب على تحويل بولندا إلى دولة تابعة لها، ولكن مع حلول مارس من عام 1939، وعندما رفضت بولندا المطالب الألمانية ثلاث مرات، عقد هتلر عزمه على تدمير بولندا تنفيذًا للهدف الرئيسي للسياسة الخارجية لألمانيا في عام 1939.

وفي الثالث من أبريل لعام 1939؛ أمر هتلر قواته العسكرية ببدء التجهيز للمخطط المعروف باسم غزو بولندا؛ وهو مخطط يقضي بتنفيذ الغزو الألماني في الخامس والعشرين من أغسطس في عام 1939. وفي أغسطس من عام 1939؛ تحدث هتلر مع قادته العسكريين عن خطته الرئيسية لعام 1939 فقال: "إقامة علاقة مقبولة بين ألمانيا وبولندا من أجل محاربة الغرب". ولكن نظرًا لأن البولنديين لن يقبلوا بالتعاون مع ألمانيا من أجل إقامة "علاقة مقبولة" (بمعنى أن يوافقوا على أن تصبح بولندا دولة تابعة لألمانيا)؛ فقد رأى هتلر أنه لن يكون هناك

بديل عن محو بولندا من الوجود. وقد أوضح المؤرخ جيرهارد فاينبرج أن شعب هتلر كان يشتمل على مجموعة تؤمن بفكرة تدمير بولندا (فقد كانت المشاعر المعادية لبولندا قوية جدًا في الجيش الألماني)، ولكنهم كانوا أقل رضا عن فكرة الدخول في حرب مع بريطانيا وفرنسا. فإذا كان هذا هو الثمن الذي يجب أن تدفعه ألمانيا من أجل تدمير بولندا، سيكون هتلر قد نجح على الأرجح بخطته تلك في التعبير عمّا يريده شعبه. وفي مناقشاته الخاصة مع أعوانه، كان هتلر دائمًا ما يصف بريطانيا بأنها العدو الأساسي لألمانيا، الذي يجب أن تلحق به الهزيمة. ومن وجهة نظره؛ كان محو بولندا من الوجود مقدمة ضرورية يجب أن تتم حتى يتمكن من تحقيق الهدف الذي يسعى إليه وهو تأمين الجانب الشرقي من بلاده وإضافة المزيد إلى المجال الحيوي لألمانيا.

وشعر هتلر بالإهانة البالغة من "الوعد" الإنجليزي بحماية الاستقلال البولندي الذي تم الإعلان عنه في الحادي والثلاثين من شهر مارس في عام 1939، وأخبر معاونيه أنه "سيسقي البريطانيين من مر الكأس حتى يستجيروا"، وفي خطابه الذي ألقاه في مدينة فيلهيلمسهافن بمناسبة تدشين البارجة "Admiral Tirpitz" في الأول من أبريل من عام 1939؛ هدد هتلر بإلغاء المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا إذا أصر البريطانيون على "سياسة التطويق"، التي تتمثل في "ضمانهم" للاستقلال البولندي. وكجزء من منهجه الجديد؛ أبدى هتلر تبرمه في خطاب ألقاه أمام الرايخستاج في الثامن والعشرين من أبريل في عام 1939 من "سياسة التطويق" التي تستعملها بريطانيا مع ألمانيا، وأعلن إلغاء كل من المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا ومعاهدة عدم الاعتداء الألمانية البولندية.

ولإيجاد ذريعة للاعتداء على بولندا؛ طالب هتلر بضم مدينة دانزيج التي تتمتع بالحكم الذاتي، وكذلك بحقه في إنشاء طرق "إقليمية إضافية" عبر الممر البولندي الذي تم اقتطاعه من ألمانيا رغمًا عنها بموجب معاهدة فرساي. وبالنسبة لهتلر؛ كانت مدينة دانزيج مجرد ذريعة لتبرير اعتدائه على بولندا - تمامًا كما فعل في حالة منطقة ستودينتلاند في عام 1938 وطوال عام 1939. وبينما تم تسليط الضوء على قضية Danzig كإحدى شكاوى الألمان؛ كان الألمان عادةً ما يرفضون الدخول في مناقشات حول هذه القضية. وهكذا، ظهر تعارض ملحوظ في مخططات هتلر بين منهجه طويل الأجل المعادي لبريطانيا - الذي أعد له العدة بالتوسع لحد كبير في "القوات البحرية الألمانية" "والقوات الجوية الألمانية" والذي كان سيستلزم سنوات عديدة حتى يكتمل - وبين سياسته الخارجية الحالية التي انتهجها على مدار عام 1939، والتي كانت ستؤدي على الأرجح إلى اندلاع حرب عامة إثر القيام بأعمال مثل الاعتداء على بولندا.

واستطاع هتلر أن يتغلب على التمزق الذي كان يعاني منه بين أهدافه قصيرة

الأجل وأهدافه طويلة الأجل بمساعدة وزير الخارجية ريبنتروب، الذي أخبر هتلر بأن فرنسا وبريطانيا لن تلتزما بوعودهما تجاه بولندا، وبالتالي ستكون أي حرب بين ألمانيا وبولندا حربًا إقليمية محدودة. وأرجع ريبنتروب تقديره للموقف بشكل جزئي إلى إحدى العبارات التي زعم أن وزير الخارجية الفرنسي جورج بونيت، قد قالها له في ديسمبر من عام 1938، عندما أخبره أن فرنسا الآن تنظر إلى أوروبا الشرقية باعتبارها منطقة نفوذ تخضع لألمانيا وحدها. علاوةً على ذلك؛ كان منصب ريبنتروب السابق كسفير لألمانيا في لندن سببًا جعل هتلر ينظر إليه باعتباره الخبير النازي الأول في الشئون البريطانية؛ وبالتالي كان لنصيحته عند هتلر وزنها وأهميتها. كذلك، أطلع ريبنتروب هتلر على البرقيات الدبلوماسية التي تدعم تحليله فقط دون غيرها من البرقيات التي لا تساند تحليله.

كما أن السفير الألماني في لندن هيربرت فون ديركسن؛ عمد إلى إرسال تقارير من شأنها دعم تحليل ريبنتروب مثل الرسالة التي حملها موفده في أغسطس من عام 1939 والتي ورد فيها أن نيفيل تشامبرلين يعلم أن "الهيكل الاجتماعي لبريطانيا لن يتحمل الفوضى الناجمة عن الحرب.. حتى إن انتصر فيها رغم إيمانه بفكرة الإمبراطورية البريطانية"، وبالتالي سيتراجع عن فكرة الحرب. ويمكن ملاحظة الدرجة التي تأثر بها هتلر بنصيحة ريبنتروب من خلال أوامره التي أصدرها إلى الجيش الألماني في الحادي والعشرين من أغسطس في عام 1939 بإعلان حالة تعبئة محدودة ضد بولندا وحدها، واختار هتلر آخر أغسطس كموعد لتنفيذ مخطط Fall Weiss، وذلك للحد من الأثر السلبي لإعلان حالة التعبئة على الإنتاج الزراعي الألماني، وكانت المشكلات التي نجمت عن الحاجة لبدء الحملة على بولندا في آخر أغسطس أو بدايات سبتمبر حتى يتم الانتهاء منها قبل موسم هطول الأمطار في شهر أكتوبر، وكذلك حتى تحصل القوات الألمانية على قدر كاف من الوقت حتى تستطيع الاحتشاد على الحدود البولندية، وقد فرضت على هتلَر وضعًا وجد نفسه فيه في أغسطس من عام 1939 في أمس الحاجة لتعاون السوفييت معه إذا كان يريد أن يدخل الحرب في هذا العام.

وكانت معاهدة ميونيخ كافية لتبديد آخر أمل تبقى لدى بعض الدوائر السوفيتية بالاعتقاد في فكرة "معاهدة الأمن الجماعي"، وفي الثالث والعشرين من أغسطس في عام 1939؛ وافق جوزيف ستالين على عرض هتلر لإبرام اتفاقية عدم اعتداء (معاهدة مولتوف-ريبنتروب)؛ وهي المعاهدة التي نصت بنودها السرية على الاتفاق على تقسيم بولندا. وتعتبر الأسباب التي تقف وراء خيارات هتلر في مجال السياسة الخارجية في عام 1939، من أهم الموضوعات التاريخية التي يثور الجدال بشأنها،

فهناك رأي يقول بأن الأزمة المتعلقة بالبنية الاقتصادية للبلاد هي التي دفعت هتلر لأن "يهرب منها إلى الحرب"؛ وذلك كما يرى المؤرخ الماركسي تيموثي ماسون. وهناك رأي آخر يقول بأن تصرفات هتلر كانت متأثرة بدرجة أكبر بعوامل غير اقتصادية؛ وهو الرأي الذي يتنباه المؤرخ الاقتصادي ريتشارد أوفري. والمؤرخون الذين تجادلوا بهذا الشأن مثل: ويليام كار وجيرهارد فاينبرجوايان كيرشو؛ يعتقدون أن أحد الأسباب غير الاقتصادية التي أدت بهتلر إلى أن يتعجل دخول الحرب، هو الخوف المرضي الذي كان يستحوذ عليه من فكرة دنو أجله؛ وبالتالي الشعور بعدم وجود الكثير من الوقت أمامه لتنفيذ طموحاته. وفي آخر أيام السلام؛ كان هتلر يتأرجح بين التصميم على محاربة القوى الغربية إذا اضطرته الظروف، وبين العديد من المخططات التي كانت تهدف لإبعاد بريطانيا عن دائرة الحرب. ولكن، على أية حال؛ ما كان هتلر ليتراجع عن هدفه بغزو بولندا. وكانت الأسباب التي نجحت في إقناع هتلر بإرجاء الهجوم المقرر على بولندا لفترة قصيرة من تاريخ الخامس والعشرين من أغسطس وحتى لأول من سبتمبر؛ هي تلك الأخبار التي وردت إليه بتوقيع تحالف إنجليزي بولندي في الخامس والعشرين من شهر أغسطس؛ ردًا على معاهدة عدم الاعتداء الألمانية الروسية (وذلك بدلًا من توطيد الصلات بين لندن ووارسو كما تنبأ رينتروب)، بالإضافة إلى الأخبار التي وردت إليه من إيطاليا بأن موسوليني لن يلتزم بالميثاق المعروف باسم ميثاق الصداقة والتحالف بين ألمانيا وايطاليا، واختار هتلر أن يقضي أيام السلام الأخيرة إما في مراوغة البريطانيين ومحاولة تحييدهم عن طريق "ضمان الحماية وعدم الاعتداء" الذي تقدم به في الخامس والعشرين من شهر أغسطس في عام 1939 إلى الامبراطورية البريطانية، أو في إرسال رينتروب إلى هندرسون بخطة للسلام في اللحظات الأخيرة قبل نشوب الحرب بشرط زمني يستحيل قبوله؛ حتى يتمكن من إلقاء اللوم على البريطانيين والبولنديين للتسبب في نشوب الحرب. وفي الأول من سبتمبر من عام 1939؛ قامت ألمانيا باجتياح غرب بولندا. وأعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا في الثالث من سبتمبر، ولكن لم تتخذا إجراءات فورية لتفعيل هذا الإعلان. وكان أكثر ما أثار استياء ودهشة هتلر؛ هو تلقيه إعلان الحرب البريطاني في الثالث من سبتمبر من عام 1939، فالتفت إلى رينتروب وسأله: "ماذا سنفعل الآن؟"، ولم يكن لدى رينتروب ما يقوله سوى أن السفير الفرنسيروبرت كولوندر؛ قد يقوم في وقت لاحق في هذا اليوم بتقديم الإعلان الفرنسي للحرب على ألمانيا. ولم يمر وقت طويل حتى قامت القوات الروسية باجتياح شرق بولندا في السابع عشر من سبتمبر.



أعضاء الرايخستاج وهم يقومون بتحية هتلر في أكتوبر من عام 1939 بعد الانتهاء من حملة ألمانيا العسكرية على بولندا



العشرون من مارس في عام 1945 (وهو التاريخ الذي عادةً ما يشار إليه على سبيل الخطأ بالعشرين من شهر أبريل). هتلر يمنح وسام الصليب الحديدي لأعضاء المنظمة شبه العسكرية "شباب هتلر" خارج قبوه.

وبعد سقوط بولندا؛ كانت هناك فترة زمنية أطلق عليها الصحفيون الحرب

الزائفة. وفي جزء يقع في الشمال الغربي لبولندا تم ضمه إلى ألمانيا، أوكل هتلر إلى اثنين ممن يحملون رتبة Gauleiters (القائدين النازيين الإقليميين المسئولين عن تلك المنطقة) وهما: ألبرت فورستر وأرتر جرايسر مهمة "مد سطوة اللغة والبشر والحضارة الألمانية" إلى هذه المنطقة، ووعدهما بأنهما "لن يكونا عرضة للمساءلة من أي إنسان أو جهة" عن الطريقة التي تتم بها عملية "فرض السطوة الألمانية".

وقد قام كل من فورستر وجرايسر بتفسير هذه الأوامر من منظوره الشخصي؛ فقد اتبع فورستر سياسة بسيطة تتمثل في جعل البولنديين المحليين يقومون بالتوقيع على نماذج مطبوعة توضح أنهم من أصل ألماني من دون الحاجة إلى تقديم وثائق تثبت ذلك. وفي الوقت نفسه؛ قام جرايسر بحملة تطهير عرقي وحشية؛ فقد قام بطرد جميع السكان البولنديين المحليين إلى المنطقة الواقعة تحت الاحتلال العسكري الألماني في بولندا. عندئذ، اشتكى جرايسر إلى هتلر - وتلاه هيملر في شكواه - من أن فورستر يقبل آلاف البولنديين كمواطنين ألمان "من أصل ألماني"؛ الأمر الذي يعني تلويث "النقاء العرقي" الألماني. وطلب الاثنان من هتلر أن يأمر فورستر بالتوقف عمّا يفعله. فما كان من هتلر إلا أن رد عليهما بأن عليهما أن يقوما بتسوية خلافاتهما مع فورستر وألا يقحماه في الموضوع. وتعتبر الطريقة التي تعامل بها هتلر مع المشكلة التي نشبت بين فورستر وجرايسر نموذجًا يبرهن على نظرية ايان كيرشو التي وردت في كتاب "Working Towards the Führer"؛ وهي أن هتلر كان يصدر أوامر غامضة ويسمح لمعاونيه أن يعملوا وفق سياسات خاصة بهم وحدهم.

وبعد غزو بولندا، نشب خلاف كبير آخر بين قوتين مختلفتين؛ تركزت الأولى حول اثنين من ضباط وحدات النخبة النازية اللذين كانا يحملان رتبة SS R – ichsfüherer وهما: هاينريش هيملر وآرتر جرايسر؛ وكانا يناصران وينفذان خططًا للتطهير العرقي في بولندا. بينما تركزت الثانية حول هيرمان جورينج وهانز فرانك، وطالبت بتحويل بولندا إلى "مخزن غلال" الرايخ. وتمت تسوية هذا الخلاف في مؤتمر تم عقده في الثاني عشر من فبراير في عام 1940 في ضيعة كارينهول المملوكة لجورينج. وقد تم حسم الخلاف لصالح وجهة نظر جورينج وفرانك القائمة على الاستغلال الاقتصادي لبولندا، ووضع حد لعملية الترحيل الجماعي التي تتم للسكان البولنديين؛ نظرًا لأنها تعوق النمو الاقتصادي الألماني. علاوةً على ذلك؛ وفي الخامس عشر من مايو من عام 1940؛ قام هيملر بعرض مذكرة على هتلر بعنوان "أفكار للتعامل مع السكان الغرباء في الشرق"؛ وكانت هذه المذكرة تطالب بطرد كل السكان اليهود من أوروبا إلى أفريقيا، وتحويل

ما تبقى من السكان البولنديين إلى "طبقة عاملة بلا قائد". وقد علق هتلر عن المذكرة بأنها "جيدة وصائبة"، وأدى تعليق هتلر على المذكرة إلى الإسراع بتنفيذ خطوات ما أطلق عليه اتفاقية كارينهول، كما أدى إلى انتصار وجهة النظر التي تبناها هاينريش هيملر وجرايسر في التعامل مع بولندا.

واستمرت بريطانيا ـ التي كانت قواتها قد قامت بمغادرة فرنسا عن طريق البحر من ميناء دونكيرك ـ في القتال جنبًا إلى جنب مع المناطق الأخرى الخاضعة لها في معركة الأطلسي، وبعد رفض البريطانيين ـ الذين أصبحوا الآن تحت قيادة وينستون تشرشل ـ عروض السلام التي قدمها هتلر؛ أمر هتلر بشن غارات قصف على المملكة المتحدة. وكانت معركة بريطانيا هي المقدمة التي تسبق الغزو الذي خطط له هتلر.

وبدأت الهجمات بالضرب العنيف للقواعد الجوية ومحطات الرادار التي تحمي شمال شرق بريطانيا والتابعة للقوات الجوية الملكية البريطانية. وعلى الرغم من ذلك؛ فشلت القوات الجوية الألمانية في هزيمة القوات الجوية الملكية البريطانية. وفي السابع والعشرين من سبتمبر في عام 1940؛ وقع المعاهدة ثلاثية الأطراف في برلين كل من؛ سابيرو كوروسو من الإمبراطورية اليابانية وهتلر وتشانو. وكان الغرض من توقيع هذه المعاهدة ثلاثية الأطراف ـ والتي كانت موجهة ضد قوة لم يتم التصريح على الرغم من أنه كان واضحًا إنها الولايات المتحدة ـ هو ردع الولايات المتحدة الأمريكية عن دعم البريطانيين. وتوسعت المعاهدة بعد ذلك لينضم إليها كل من: المجر ورومانيا وبلغاريا. وعرفت الدول الموقعة على هذه المعاهدة إجمالاً باسم تحالف "دول المحور". وبنهاية شهر أكتوبر من عام 1940؛ لم تكن السيادة الجوية الألمانية بعد عملية أسد البحر؛ (الخطة الألمانية لغزو المملكة المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية) قد تأكدت. وأمر هتلر بالقصف ـ الذي كان يتم في الليل في معظم الأحيان ـ للمدن البريطانية، وشملت هذه المدن: لندن وبليموث وكوفينتري.

الطريق إلى الهزيمة

في الثاني والعشرين من شهر يونيو في عام 1941؛ قام ثلاثة ملايين جندي من القوات الألمانية بمهاجمة الاتحاد السوفيتي ضاربين بمعاهدة عدم الاعتداء التي وقعها هتلر مع ستالين قبل عامين عرض الحائط. وتعتبر الأسباب التي دعت هتلر إلى غزو الاتحاد السوفيتي من الموضوعات التي ثار بشأنها جدل تاريخي كبير. وقد تم إطلاق اسم رمزي على هذا الغزو وهو عملية بارباروسا. وقد صرح بعض

المؤرخين مثل أندريس هيلجروبر أن هذه العملية لم تكن إلا "خطوة مرحلية" ضمن خطة هتلر التي أطلق عليها اسم "خطة الخطوات المرحلية" التي كانت تستهدف إخضاع العالم. ويعتقد هيلجروبر أن هتلر قد وضع هذه الخطة في سنوات العشرينات من القرن العشرين. وعلى صعيد آخر؛ يرى مؤرخون آخرون مثل: جون لوكاكس؛ أن هتلر لم يكن لديه أبدًا خطة مرحلية لإخضاع العالم، وأن غزو الاتحاد السوفيتي كان خطوة "قام بها هتلر لغرض معين" بعد أن رفضت بريطانيا الاستسلام. وقد صرح لوكاكس أن السبب الذي صرح به هتلر في حديث خاص لغزو الاتحاد السوفيتي كان بالتحديد أن وينستون تشرشل قد علق الأمل على اشتراك الاتحاد السوفيتي في الحرب إلى جانب قوات الحلفاء، ومن ثم وجد هتلر أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع أن يجبر بها بريطانيا على الاستسلام هي القضاء على هذا الأمل. وكان ذلك هو السبب الحقيقي الذي دفع هتلر إلى تنفيذ هذه العملية. ومن وجهة نظر لوكاكس؛ فإن عملية غزو الاتحاد السوفيتي كانت من هذا المنطلق خطوة قام بها هتلر أساسًا ضد بريطانيا لإجبارها على أن تسعى للسلام معه عن طريق تدمير أملها الوحيد في النصر، فلم تكن هذه الخطوة - في حقيقة الأمر - ضد الاتحاد السوفيتي. ويعتقد كلاوس هيلدبراند أن كلًا من ستالين وهتلر كان يخطط منفردًا للهجوم على الآخر في عام 1941. ويرى هيلدبراند أيضًا أن الأخبار التي انتشرت في ربيع عام 1941 عن احتشاد القوات السوفيتية على الحدود؛ أدت إلى اشتراك هتلر في خطة الفرار إلى الأمام، وتعني مجابهة الخطر عن طريق الهجوم بدلًا من الانسحاب. وتوجد طائفة أخرى من المؤرخين تضم مجموعة متنوعة منهم مثل: فيكتور سافوروف ويواشيم هوفمان وارنست نولت ودافيد ايرفينج، تعتقد أن السبب الرسمي الذي صرح به الألمان لقيامهم بعملية غزو الاتحاد السوفيتي في عام 1941 هو السبب الفعلي وراء هذه العملية؛ وبهذا تكون هذه العملية "حربًا وقائية" وجد هتلر نفسه مجبرًا على الدخول فيها لتفادي هجوم سوفيتي كان سيعوقه عن تحقيق أحلامه؛ ذلك الهجوم الذي كان مقررًا له أن يتم في يوليو من عام 1941. وتعرضت هذه النظرية لهجوم كبير وتم وصفها بأنها خاطئة؛ وقد قام المؤرخ الأمريكي جيرهارد فاينبرج بتشبيه المدافعين عن نظرية الحرب الوقائية بمن يؤمنون في "الحكايات الخرافية".

واستولت القوات الألمانية في غزوها على أجزاء كبيرة من الأراضي التي شملت؛ دول البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا. كذلك؛ حاصرت القوات الألمانية الكثير من القوات السوفيتية ودمرتها، وهي القوات التي أصدر ستالين أوامره إليها بعدم الانسحاب. وعلى الرغم من ذلك؛ فقد وجدت القوات الألمانية نفسها مجبرة على التوقف قبيل تمكنها من دخول موسكو مباشرةً في ديسمبر من

عام 1941؛ بسبب الشتاء الروسي القارس والمقاومة السوفيتية العنيفة. وفشل الغرو في تحقيق النصر السريع الذي كان هتلر يريده. وفي الثامن عشر من شهر ديسمبر من عام 1941؛ سجل هاينريش هيلمر الذي كان يحمل رتبة R – SS- ichsführer في وحدات النخبة النازية في الدفتر الذي كان يدون فيه تفاصيل المقابلات التي يقوم بها سؤاله إلى هتلر، "ماذا سنفعل مع يهود روسيا؟"، وكانت إجابة هتلر عن السؤال: "als Partisanen auszurotten" أو "قم بإبادتهم على أنهم أعضاء القوات غير النظامية التي تزعج القوات الألمانية المحتلة بشن الغارات المتكررة عليها".

ويعلق المؤرخ الإسرائيلي يهودا باوير على هذا الموضوع بأنه يمكن اعتبار الملحوظة التي سجلها هيلمر في دفترة هي أقوى الدلائل التي يمكن العثور عليها لإثبات الأمر الصريح الصادر من هتلر بإنشاء الهولوكست.

وقد وضع إعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة في الحادي عشر من ديسمبر في عام 1941 بعد أربعة أيام من قيام الإمبراطورية اليابانية بالهجوم على ميناء بيرل هاربور في هاواي، وبعد ستة أيام من اقتراب القوات النازية الألمانية من موسكو في مواجهة ائتلاف ضم أكبر إمبراطورية في العا لم ممثلة في الإمبراطورية البريطانية، وأكبر قوة صناعية ومالية في العا لم ممثلة في الولايات المتحدة، وأكبر جيش في العا لم ممثلاً في الاتحاد السوفيتي.

وفي أواخر عام 1942؛ لحقت الهزيمة بالقوات الألمانية في معركة العلمين الثانية؛ الأمر الذي وضع حدًا لمحاولة هتلر الاستيلاء على قناة السويس والشرق الأوسط. وفي فبراير من عام 1943؛ انتهت معركة ستالينجراد الهائلة بتدمير الجيش السادس الألماني. وبعد ذلك؛ وقعت معركة كورسك الهائلة. وأصبحت قرارات هتلر العسكرية غريبة الأطوار بشكل متزايد، وأخذ الوضع العسكري والاقتصادي لألمانيا في التدهور. كذلك؛ تدهورت حالة هتلر الصحية. فقد كانت يده اليسرى ترتجف. ويعتقد إيان كيرشو الذي كتب السيرة الذاتية لهتلر وآخرين أن هتلر ربما يكون قد عانى من مرض الشلل الرعاش. كما يشتبه في أن يكون مرض الزهري سببًا في بعض الأعراض المرضية التي ظهرت على هتلر على الرغم من أن الدليل المتوافر على صحة هذا الاعتقاد ضعيف.

ويعد اجتياح قوات الحلفاء لصقلية عملية هاسكي في عام 1943؛ تم عزل موسوليني من قبل بييترو بادوليو الذي أعلن استسلامه لقوات الحلفاء. وطوال عامي 1943و1944؛ كانت القوات السوفيتية تجبر جيوش هتلر على الانسحاب

بكل ثبات على طول الجبهة الشرقية. وفي السادس من يونيو من عام 1944، تمت عملية إنزال جيوش الحلفاء الغربيين في شمالي فرنسا، في واحدة من كبرى العمليات البرمائية التي حدثت في تاريخ العسكرية؛ وهي العملية التي تعرف باسم عملة القائد الأعلى، وكان أصحاب الرؤية الواقعية في الجيش الألماني يعرفون أن الهزيمة حتمية، وخطط البعض منهم لإقصاء هتلر عن السلطة. وفي يوليو من عام 1944؛ قام كلاوس فون شتاوفينبرج بزرع قنبلة في مركز قيادة الفوهرر هتلر المعروف باسم وكر الذئب في رستنبورج، ولكن هتلر نجا من الموت بأعجوبة. وأصدر هتلر أوامره بالقيام بعملية انتقام وحشية تم فيها تنفيذ حكم الإعدام في أكثر من أربعة آلاف وتسعمائة شخص. الأمر الذي تم أحيانًا عن طريق التجويع في الحبس الانفرادي الذي يعقبه التعرض البطيء للاختناق. وتم القضاء على حركة المقاومة الرئيسية على الرغم من أن بعض المجموعات المتفرقة الأصغر حجمًا استمرت في محاولاتها.

الهزيمة والموت

وبحلول نهاية عام 1944؛ كان الجيش الأحمر قد أجبر الألمان على التراجع إلى أوروبا الوسطى، وكانت قوات الحلفاء الغربيين تتقدم صوب ألمانيا، وأدرك هتلر أن ألمانيا قد خسرت الحرب، ولكنه لم يسمح بالانسحاب. وتمنى هتلر أن يقوم بالتفاوض المنفرد من أجل السلام مع الأمريكيين والبريطانيين؛ وهو الأمل الذي دعمه وفاة فرانكلين دي روزفلت في الثاني عشر من أبريل من عام 1945، وسمح عناد هتلر واستخفافه بأخذ الحقائق العسكرية في الاعتبار باستمرار الهولوكوست. كما أصدر هتلر أوامره بالتدمير الكامل لكل البنية التحتية الصناعية الألمانية قبل أن تقع في أيدي قوات الحلفاء. وقال إن فشل ألمانيا في الفوز بالحرب أدى إلى خسارتها لحقها في البقاء. وهكذا، قرر هتلر أن الأمة بأسرها يجب أن تنتهي معه، وعهد هتلر بتنفيذ خطة الأرض المحروقة (تدمير كل ما يمكن أن ينفع العدو قبل الانسحاب من الأرض) إلى وزير التسلح ألبرت سبير الذي لم يطع أمر قائده.

وفي أبريل من عام 1945؛ هاجمت القوات السوفيتية ضواحي مدينة برلين. ووجد هتلر نفسه في وضع يجبره فيه مطاردوه على الفرار إلى جبال بافاريا ليتمكن من مواجهتهم في جولة أخيرة في المعقل الوطني الذي لجأت إليه الفلول المتبقية من القوات. ولكن هتلر كان مصممًا على أن يعيش في عاصمة بلاده أو يهلك فيها.

وفي العشرين من أبريل؛ احتفل هتلر بعيد ميلاده السادس والخمسين في "قبو الفوهرر" الذي كان موجودًا أسفل مستشارية الرايخ، وقام قائد الحامية المحاصرة في "حصن بريسلو" الجنرال هيرمان نيهوف، بتوزيع الشيكولاتة على القوات المحاصرة احتفالًا بذكرى ميلاد القائد.

وفي 21 أبريل من عام 1945؛ استطاعت قوات جورجي جوكوف؛ قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى أن تخترق دفاعات الفرقة العسكرية التابعة لقوات الدفاع الألمانية بقيادة الجنرال جوتهارد هاينريكي أثناء معركة مرتفعات سي لو. وكان السوفييت في هذا الوقت يتقدمون صوب قبو هتلر دون مقاومة تذكر. ومتجاهلًا الحقائق الواضحة، رأى هتلر أن الخلاص من ورطته قد يكون في الوحدات المتداعية للسقوط بقيادة الجنرال فليكس شتاينر. وأصبحت القوات التي يقودها شتاينر معروفة باسم جيش شتاينر المستقل، ولكن.. لم يكن "لجيش شتاينر المستقل" أي وجود إلا فوق الورق الذي تسطر فوقه الخطط العسكرية. وقد كان هذا الجيش أكبر قليلًا من فيلق، ولكنه كان أصغر من أن يطلق عليه جيش. وأصدر هتلر أوامره إلى شتاينر بمهاجمة الجناح الشمالي من الجزء البارز الضخم في الخط الدفاعي الألماني الذي نجحت قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى بقيادة جوكوف في اختراقه. وفي هذه الأثناء؛ صدرت الأوامر إلى الجيش التاسع الألماني (الذي كان قد أجبر على التحرك إلى جنوب الجزء الذي نجحت قوات المعادية في اختراقه) بمهاجمة الشمال في هجوم يمكن وصفه بأنه هجوم كماشة.

وفي وقت لاحق في الحادي والعشرين من أبريل، أجرى هاينريكي اتصالًا مع هانز كربس - قائد القيادة العليا للجيش - ليخبره أن خطة هتلر غير قابلة للتنفيذ. وطلب هاينريكي أن يتحدث إلى هتلر، ولكن كربس أخبره أن هتلر مشغول للغاية ولا يستطيع أن يتلقى هذا الاتصال.

وفي الثاني والعشرين من أبريل، وأثناء واحد من مؤتمراته العسكرية الأخيرة؛ قام هتلر بمقاطعة التقرير الذي كان يتلى عليه ليسأل عن مصير خطة الجنرال شتاينر الهجومية. وكان الرد هو فترة من الصمت الطويل خيمت على الاجتماع. وبعدها؛ أخبروه بأن الهجوم لم يتم تنفيذه وأن انسحاب وحدات عديدة من جيش شتاينر من برلين - بناءً على أوامر هتلر - أدى إلى ضعف الجبهة، وبالتالي نجاح الروس في الدخول إلى برلين. عندها طلب هتلر من جميع الحاضرين - عدا فيلهلم كايتل وهانز كربس وألفريد يودل وفيلهلم برجدورف ومارتن بورمان - مغادرة غرفة الاجتماعات. ثم انفجر فيمن تبقى من حاضري الاجتماع بخطبة مسهبة وعنيفة منددًا بما اعتبره خيانة متعمدة لأوامره وعدم كفاءة من جانب قادته. واختتم كلامه بأن أقسم على أن يبقى في برلين على رأس القوات المدافعة عن المدينة، ثم يطلق النار على نفسه بعد ذلك.

وقبل أن ينتهي ذلك اليوم، وجد هتلر أن سبيل النجاة الوحيد أمامه يتمثل في تنفيذ خطة جديدة يستعين فيها بقوات الجيش الثاني عشر بقيادة الجنرال فالتر

فنك. وكان الخطة تقتضي أن يقوم فنك بتحويل جيشه - الذي كان يواجه القوات الأمريكية في الغرب حينها - إلى ناحية الشرق لتحرير برلين. وهكذا، يلتحم الجيش الثاني عشر مع الجيش التاسع لاقتحام المدينة.

وقام فنك بالفعل بالهجوم، وفي غمار الفوضى استطاع أن يقوم باتصال مؤقت مع حامية بوتسدام. ولكن، لم ينجح بالمرة في الاتصال بالجيش التاسع - كما كان مقررًا في الخطة أصلا.

وفي الثالث والعشرين من أبريل، ألقى جوزيف جوبلز بالبيان التالي أمام أهل برلين:

أدعوكم للقتال من أجل مدينتكم. حاربوا بكل ما أوتيتم من قوة، من أجل زوجاتكم وأطفالكم، وأمهاتكم وآبائكم. إن أسلحتكم تدافع عن كل ما هو عزيز عليكم، إنها تدافع عن الأجيال التي ستخلفنا. كونوا أعزاء شجعان! كونوا مبدعين وماكرين! (غوليتر) بينكم. وسيظل مع رفاقه معكم. إن زوجته وأطفاله معكم أيضا. إن من سيطر على المدينة بمئتي رجل فحسب، سيستخدم اليوم كل وسيلة لتمكين دفاعات المدينة. معركة برلين يجب أن تكون إشارة للأمة جمعاء كي تنهض وتقاتل.

جوزيف جوبلز، 23 أبريل، برلين

وفي الثالث والعشرين من أبريل أيضًا؛ قام الرجل الثاني في حكومة الرايخ الثالث وقائد القوات الجوية هيرمان جورينج، بإرسال برقية من منطقة بيرتشتيسجادين في بافاريا. وصرح فيها بأنه بعد أن تم حصار هتلر في برلين؛ فإنه يطالب بتولي حكم ألمانيا خلفًا لهتلر الذي كان قد اختاره لتولي هذا المنصب خلفًا له من قبل. وذكر جورينج فترة زمنية معينة يتم بعدها اعتبار هتلر غير مؤهل للبقاء في الحكم. ورد هتلر - في حنق - بإصدار أوامره بالقبض على جورينج. وعندما كتب وصيته في التاسع والعشرين من أبريل، أعفى جورينج من جميع المناصب التي كان يتقلدها في الحكومة.


EXTRA THE STARS AND STRIPES EXTRA

HITLER DEAD

Fuehrer Fell at CP, German Radio Says; Doenitz at Helm, Vows War Will Continue

Churchill Hints Peace Is at Hand

غلاف واحدة من المجلات العسكرية الأمريكية التي تحمل اسم The Stars and Stripes في عددها الصادر في مايو من عام 1945

ومع انقضاء يوم السابع والعشرين من شهر إبريل؛ كانت برلين قد انعزلت تمامًا عن باقي الرايخ.

وفي الثامن والعشرين من أبريل؛ اكتشف هتلر أن قائد وحدات النخبة النازية هاينريش هيلمر، كان يحاول مناقشة شروط الاستسلام مع الحلفاء (عن طريق الدبلوماسي السويدي كونت فولك بيرنادوت). وأصدر هتلر أوامره بإلقاء القبض على هيلمر، كما أمر بإطلاق النار على نائب هيلمر في برلين هيرمان فيجلاين.

وفي مساء الثامن والعشرين من إبريل؛ صرح الجنرال فينك بأن جيشه الثاني عشر قد تم إجباره على التراجع على طول جبهة القتال. وأضاف أنه لم يعد من الممكن القيام بأية هجمات أخرى على برلين. و لم يبلغ الجنرال ألفريد يودل (القائد الأعلى للجيش) هذه المعلومات إلى هانز كربس في برلين حتى وقت مبكر من صباح يوم الثلاثين من إبريل.

وفي التاسع والعشرين من إبريل؛ كان كل من هانز كربس وفيلهلم برجدورف وجوزيف جوبلز ومارتن بورمان شهودًا على وصية أدولف هتلر الأخيرة، ووقعوا عليها. وقد أملى هتلر هذه الوثيقة على سكرتيرته الخاصة تراودل يونج. وفي اليوم نفسه، تم إبلاغ هتلر بأخبار وفاة الإيطالي الفاشي بينيتو موسوليني العنيفة في الثامن والعشرين من إبريل؛ وهو الأمر الذي زاد من تصميمه أن يتجنب الوقوع في الأسر.

وفي الثلاثين من إبريل من عام 1945؛ وبعد اشتباكات عنيفة انتقلت من شارع إلى شارع في مدينة برلين، وبينما كانت القوات السوفيتية على بعد تقاطع أو اثنين من مقر مستشارية الرايخ؛ قام هتلر بالانتحار بإطلاق النار داخل فمه وهو يضع في فمه كبسولة سيانيد. وقد تم وضع جثة هتلر وجثة إيفا براون - عشيقته التي تزوجها في اليوم السابق لانتحاره - في حفرة صنعتها قنبلة. وقام أوتو جونش وبعض الضباط المعاونين الموجودين في قبو القائد بسكب الكثير من البنزين على الجثتين، وإشعال النار فيهما.. بينما كان الجيش الأحمر مستمرًا في تقدمه ممطرًا المدينة بالقنابل.

وفي الثاني من مايو؛ استسلمت برلين. وفي السنوات التي أعقبت الحرب، تضاربت المعلومات التي وردت في التقارير عن مصير ما تبقى من رفات هتلر. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وردت معلومات من التقارير التي كانت محفوظة في الأرشيف السوفيتي أنه قد تم دفن الجثث الخاصة بكل من هتلر وإيفا براون وجوزيف جوبلز وقرينته ماجدا جوبلز وأطفال جوبلز الستة والجنرال هانز كربس والكلاب التي كان هتلر يمتلكها سرًا في مقابر بالقرب من مدينة راثيناو في ولاية براندنبورج، وفي عام 1970؛ فتح السوفييت المقبرة التي تم دفنهم فيها، وتم حرق الرفات التي وجدت بها ونثرها في نهر الألب. ووفقًا للمعلومات الواردة من جهاز الأمن الفيدرالي الروسي؛ فإن جزءًا من جمجمة بشرية تم الاحتفاظ به في الأرشيف الخاص بالجهاز وعرضه في معرض في عام 2000؛ وهو من الرفات التي تبقت من جسد هتلر، ويعتبر هذا الجزء كل ما تبقى من هذا الرفات. وقد شكك العديد من المؤرخين والباحثين في حقيقة انتماء هذا الجزء من الجمجمة لرفات هتلر.

ميراث هتلر

يتم النظر إلى هتلر والحزب النازي والآثار التي خلفتها النازية على العالم بأسره كأمور لا أخلاقية إلى أقصى الحدود. ويصف المؤرخون والفلاسفة والسياسيون النازية

بكلمة "شريرة" من منطلق غير ديني وأيضًا من منطلق ديني. وتدان الصورة التاريخية والصورة الحضارية التي يتم رسمها لهتلر في الغرب إلى أقصى الدرجات. ويحظر عرض الصليب المعقوف أو غيره من الرموز النازية في ألمانيا والنمسا. كما يحظر إنكار الهولوكوست في الدولتين.



خارج المبنى الموجود في مدينة براوناو آم إنفي النمسا حيث ولد هتلر يوجد نصب تذكاري يحذر من ويلات الحرب العالمية الثانية

وخارج مسقط رأس هتلر في مدينة براوناو آم إن، يوجد في النمسا شاهد قبر حجري محفور عليه الرسالة التالية بشكل غير مترابط:

"من أجل السلام، الحرية والديموقراطية، لا فاشية مجددًا أبدًا.. ملايين القتلى يذّكرو[نا]".

وعلى الرغم من ذلك؛ يتحدث البعض عن الإرث الذي خلفه لنا هتلر بطريقة محايدة وإيجابية، فرئيس مصر الأسبق أنور السادات، تحدث عن "إعجابه" بهتلر في عام 1953عندما كان شابًا صغيرًا، على الرغم من أنه قد يكون يتحدث عنه في إطار تمرده على الإمبراطورية البريطانية. كما أشار إليه لويس فراخان بوصفه "رجل عظيم جدًا". كما أعلن بال ثاكيراي رئيس الجناح الأيمن لحزب شيف سينا الهندوسي في ولاية ماهاراشترا الهندية في عام 1995، أنه كان أحد المعجبين بهتلر. وكتب المؤرخ الألماني فريدريك ماينك، عن هتلر قائلًا: "إنه واحد من أفضل النماذج الفريدة والاستثنائية على قوة الشخصية التي لا يمكن التنبؤ بتصرفاتها أبدًا".

المعتقدات الدينية

نشأ هتلر بين أبوين ينتميان للمذهب الروماني الكاثوليكي، ولكنه بعد أن ترك منزل والديه لم يحضر أي قداس أو يلتزم بالطقوس الدينية للكنيسة الكاثوليكية. وعلى الرغم من ذلك؛ فعندما انتقل إلى ألمانيا - حيث يتم تمويل الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية عن طريق ضريبة للكنيسة تقوم الدولة بجمعها - لم يقم هتلر مطلقًا (وكذلك جوبلز) أبدًا "بالتخلي عن الكنيسة أو الامتناع عن سداد الضرائب الخاصة بها". لذلك؛ اعتبر المؤرخ شتايجمان جال، أن هتلر اسميًا "يمكن اعتباره كاثوليكيًا". وعلى الرغم من ذلك؛ فقد أوضح شتايجمان أيضًا في مناقشته لموضوع الدين في ألمانيا النازية أن "العضوية الاسمية في الكنائس ليست معيارًا موثوقًا به للحكم على درجة التقوى والتمسك بالدين".

كذلك؛ كان هتلر يمتدح علانيةً التراث المسيحي والحضارة المسيحية الألمانية، وأعرب عن اعتقاده في أن المسيح كان ينتمي للجنس الآري؛ لأنه كان يحارب اليهود. وفي خطبه وتصريحاته؛ تحدث هتلر عن نظرته للمسيحية باعتبارها دافعًا محوريًا لمعاداته للسامية، قائلًا "أنا كمسيحي لا أجد نفسي ملزمًا بالسماح لغيري بخداعي، ولكنني أجد نفسي ملزمًا بأن أحارب من أجل الحقيقة والعدالة".

أما تصريحاته الخاصة التي نقلها عنه أصدقاؤه المقربون فيشوبها الكثير من الاختلاط؛ فهي تظهر هتلر كرجل متدين على الرغم من انتقاده للمسيحية التقليدية. ونجد أن هتلر قد قام بهجوم واحد على الأقل للكاثوليكية "يعيد إلى الأذهان جدال شترايشر حول فكرة أن المؤسسة الكاثوليكية كانت تناصر اليهود وتتحالف معهم". وفي ضوء هذه التصريحات الخاصة، يعتبر جون إس كونواي والعديد من المؤرخين الآخرين.. أنه ليس هناك مجال للشك في أن هتلر كان يحمل بين جوانحه "عداءً متأصلًا" للكنائس المسيحية. وتتباين التفسيرات المقدمة لتصريحات هتلر الخاصة إلى حد بعيد في إمكانية الوثوق فيها؛ ولعل من أهمها تلك التقارير المتعددة عن تصريحات هتلر الشخصية عن المسيحية، التي تتفاوت إلى حد بعيد في مصداقيتها، ولعل أبرزها كتاب هتلر يتكلم الذي كتبه هيرمان راوشنينج والذي يعتبره كثير من المؤرخين عملًا ملفقًا. ويمكن الاطلاع في نظرة عامة على معتقدات هتلر الدينية - بناءً على تصريحاته الشخصية الظاهرة - من خلال الكتاب الذي مدحه الكثيرون، والذي كتبه مايكل ريسمان أو في الكتاب الذي ألفه ريتشارد شتايجمان جال، والذي أثار الكثير من الجدل حوله وهو بعنوان النازية والمسيحية.

وعلى الرغم من ذلك؛ ففي مجال العلاقات السياسية مع الكنائس في ألمانيا، كان هتلر بكل سهولة ينتهج استراتيجية "تناسب الأهداف السياسية الآنية التي كان يسعى لتحقيقها". ووفقًا لآراء البعض؛ كان لهتلر خطة عامة.. حتى قبل أن يصل إلى كرسي رئاسة الحزب النازي؛ ألا وهي تدمير المسيحية في الرايخ. وقد صرح رئيس المنظمة شبه العسكرية "شباب هتلر" قائلًا "كان تدمير المسيحية هدفًا ضمنيًا تسعى الحركة الاشتراكية الوطنية لتحقيقه" منذ بدايتها، ولكن "كانت الاعتبارات المتصلة بالوسيلة الممكنة لتحقيق هذا الهدف هي ما جعلت من المستحيل أن يتم التصريح علنًا بهذا الوضع المتطرف".

كان هتلر مختلفًا عن غيره ممن عكست تصرفاتهم أيديولوجيات النازية؛ فلم يكن هتلر ممن يؤمنون بالأفكار المقصورة على فئة محدودة من البشر، أو يؤمن بفكرة وجود قوى خفية فوق طبيعية يمكن إخضاعها للقوى البشرية و لم يكن متمسكا بالأيديولوجية التي تؤمن بوجود حكمة خفية كامنة في الجنس الآري دون غيره من الأجناس؛ وسخر هتلر من تلك المعتقدات في كتابه كفاحي. ويعتقد آخرون أن هتلر في شبابه - خصوصًا فيما يتعلق بآرائه العنصرية - تأثر بعدد وافر من الأعمال التي كتبت عن القوى فوق الطبيعية؛ والتي تحدثت عن التفوق الغامض الذي يتمتع به الألمان. ومن هذه الأعمال، المجلة المعروفة باسم Ostara؛ ما يثبت صحة الادعاء الذي أذاعه ناشر المجلة لانز فون ليبنفيلس، بأن هتلر قد زاره في عام 1909 وامتدح عمله. ولا يزال المؤرخون في حالة من عدم الاتفاق حول موضوع الوثوق في صحة ادعاء لانز باتصال هتلر به. ويعتقد نيكولاس جودريك كلارك في صحة ادعاء ليبنفيلس. أما بريجيت هامان فقد تركت التساؤل حول صحة هذا الادعاء معلقًا في حين تشكك إيان كيرشو إلى أقصى الحدود فيه.

علاوةً على ذلك، قام هتلر لبعض الوقت بحث الشعب الألماني على اعتناق شكل من أشكال المسيحية التي أطلق عليه اسم "المسيحية الإيجابية"؛ وهو معتقد يقوم على تخليص المسيحية الأرثوذكسية مما يعترض على وجوده فيها، ويتميز بإضافة بعض الملامح العنصرية إليها. وعلى الرغم من ذلك، فبحلول عام 1940 كان معلومًا للرأي العام أن هتلر قد تخلى عن فكرة حث الألمان على الايمان بفكرة إمكانية التوفيق بين الأفكار المتعارضة التي تدعو إليها المسيحية الإيجابية. وكان هتلر يرى أن "الإرهاب الديني هو - باختصار - ما تدعو إليه التعاليم اليهودية؛ تلك التعاليم التي تعمل المسيحية على الترويج لها والتي من شأنها أن تزرع القلق والارتباك في عقول البشر.

وبالإضافة إلى عدم حضور القداس والالتزام بالطقوس الدينية للكنيسة الكاثوليكية؛ فقد كان هتلر يفضل بعض جوانب المذهب البروتستانتي إذا كانت هذه الجوانب ستمكنه من تحقيق أهدافه. وفي الوقت نفسه، قام هتلر بمحاكاة بعض من معالم الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة في نظام مؤسستها القائم على التسلسل الهرمي وعلى وجود طقوس معينة ولغة خاصة يتم استخدامهما فيها.

وأبدى هتلر إعجابه بالتقاليد العسكرية في تاريخ المسلمين، وأصدر أوامره إلى هيلمر بإنشاء فرقة عسكرية من المسلمين فقط في وحدات النخبة النازية، وكان ذلك لخدمة أهدافه السياسية فقط. ووفقًا لما ذكره واحد ممن كان هتلر يأتمنهم على أسراره؛ فإنه قد صرح له بشكل خاص قائلًا "دين محمد الإسلامي من أكثر الأديان التي كانت ستلائم - أيضًا - الأهداف التي نسعى لتحقيقها؛ أكثر من المسيحية نفسها. فلماذا يتوجب علينا أن نعتنق المسيحية بكل الخنوع والهوان اللذين تتصف بهما"؛ وكان هتلر في ذلك معجبًا بجانب الصمود والشجاعة في ملاقاة العدو الذي كان المسلمون يتصفون به، و لم يلتفت إلى أن هذا الجانب في المسلمين إنما كان دفاعًا عن الحق و لم يقصد به يومًا الهجوم على الغير أو الاعتداء على حقوق الآخرين.

وصرح هتلر في إحدى المرات قائلًا "لا نريد إلهًا آخر غير ألمانيا نفسها. ومن الضروري أن نتحلى بإيمان وأمل وحب يتصفون بالتعصب لألمانيا ولصالح ألمانيا".

الصحة والحياة الجنسية

طالما كانت الحالة الصحية لهتلر مثارًا للجدل؛ فقد قيل مرات عديدة إنه كان يعاني من أعراض القولون العصبي، ومن آفات جلدية، ومن عدم انتظام في ضربات القلب، ومن مرض الشلل الرعاش، ومن الزهري، كما توجد أدلة قوية على إدمانه على عقار الميتامفيتامين المخدر. وهناك فيلم يظهر يده اليسرى وهي ترتعش؛ وهو ما يمكن أن يكون إشارة لإصابته بالشلل الرعاش. وهناك فيلم آخر - تمت إضافة الكلمات له باستخدام تكنولوجيا قراءة الشفاه - يظهر هتلر وهو يشكو من ارتعاش ذراعه. وباستثناء هاتين الحالتين اللتين تتحدثان عن حالته الصحية، لا توجد الكثير من الأدلة التي تتحدث عنها.

وفي السنوات التي تلت بدايات عقد الثلاثينات من القرن السابق، كان هتلر يلتزم بنظام غذائي نباتي على الرغم من أنه كان يتناول اللحوم أحيانًا. وهناك بعض الأخبار التي تم تناقلها عنه وهو يقوم بإثارة اشمئزاز ضيوفه ويعطي لهم

وصفًا تفصيليًا عن طريقة ذبح الحيوانات في محاولة منه لجعلهم يعزفون عن تناول اللحوم. ويعتبر خوف هتلر من الإصابة بمرض السرطان (الذي أودى بحياة والدته) هو أهم الأسباب التي تم تقديمها لتبرير هذا السلوك من جانبه؛ على الرغم من أن الكثير من المؤلفين يؤكدون أن السبب وراء ذلك كان حبه العميق والمتأصل للحيوانات. وقد صنع له مارتن بورمان خصيصًا صوبة زجاجية بالقرب من بيرجوف مقر إقامته الموجود بالقرب من منطقة Berchtesgaden؛ وذلك للتأكد من إمداده بالفواكه والخضراوات الطازجة طوال فترة الحرب. بعض الصور الفوتوغرافية لأطفال بورمان وهم يقومون بالعناية بالصوبة الزجاجية. وبحلول عام 2005، كانت دعائم هذه الصوبة هي كل ما تبقى منها من بين أطلال المنطقة الخاصة بالقادة النازيين.

لم يكن هتلر مدخنًا، وكان يشجع على الترويج لحملات مناهضة للتدخين في جميع أنحاء ألمانيا. ويقال إن هتلر وعد بمنح أي فرد من المقربين له ساعة ذهبية إذا تمكن من الإقلاع عن التدخين (وقام بالفعل بمنح البعض ساعات ذهبية عندما تمكنوا من ذلك). وتؤكد روايات العديد من الشهود أنه بعد التأكد من صحة خبر انتحاره؛ قام العديد من الضباط والمعاونين وأفراد السكرتارية في قبو الفوهرر بإشعال السجائر وتدخينها.

الميول الجنسية

قدم هتلر نفسه للجماهير على أنه رجل بلا حياة عائلية، وعلى أنه قد كرس حياته تمامًا لمهمته السياسية، وخطب هتلر في العشرينات ميمي رايتر، وفيما بعد خالل إيفا براون، التي تزوجها قبل وفاته بيوم واحد. وكانت تربطه علاقة وثيقة بابنة أخته غير الشقيقة جيلي راوبال؛ وهي علاقة زعم بعض المعلقين أنها كانت علاقة جنسية، رغم عدم وجود أدلة تثبت ذلك. ويذكر جون تولاند في كتابه "Adolf Hitler: The Definitive Biography" أن هتلر كان كثيرًا ما يزور جيلي بصفته خطيبها، كما كان يضع الكثير من القيود على تحركاتها ما لم تكن بصحبته. وقد حاولت النساء الثلاث الانتحار (ونجحت اثنتان منهما بالفعل في ذلك)؛ وهي حقيقة أدت إلى وجود بعض التكهنات عن إصابة هتلر بانحراف جنسي مثل: انحراف جنسي في التبول، وذلك كما ذكر أوتو شتراسر، وهو أحد الخصوم السياسيين لهتلر. وقد أنكر رايتر - وهو الشخص الوحيد الذي ظل على قيد الحياة بعد سقوط النازية - هذا الأمر. وأثناء فترة الحرب وبعدها؛ قدم المحللون النفسيون عددًا لا حصر له من التفسيرات النفسية - الجنسية غير

المتوافقة مع بعضها بعضًا لتصرفات هتلر من منظور علم الباثولوجيا. ويشير بعض النظريات إلى أن هتلر كانت له علاقة بواحدة من معتنقات الفكر الفاشي؛ وهي البريطانية يونيتي ميتفورد. وفي الآونة الأخيرة؛ تحدث لوثر ماشتان في كتابه هتلر الخفي "The Hidden Hitler" عن أن هتلر كان مثليًا.

عائلة هتلر

توفيت باولا هتلر؛ آخر من تبقى على قيد الحياة من أسرة هتلر التي تتصل به اتصالًا مباشرًا في عام 1960، أما أكثر أفراد سلالته المباشرة شهرة وعمرًا من ناحية والده فهو: ابن أخيه ويليام باتريك هتلر. وانتقل ليعيش مع زوجته فايليس، في جزيرة لونج آيلاند في مدينة نيويورك، وأنجبا أربعة أطفال.

وعلى مدار السنوات، حاول الكثير من المراسلين الصحفيين أن يقوموا باقتفاء أثر أقارب ينتمون لدوائر أبعد في عائلة هتلر؛ ويزعم أن الكثير منهم يعيشون الآن حياة غامضة بعد أن مضى وقت طويل على قيامهم بتغيير أسمائهم حتى لا يتعرف عليهم أحد.

سلسلة نسب هتلر

أفراد عائلة أدولف هتلر:

- ألويس هتلر.. الوالد
- ألويس هتلر الابن، الأخ غير الشقيق
- أنجيلا هتلر راوبل، الأخت غير الشقيقة
- بريدجيت داولينج، زوجة أخيه
- إيفا براون، العشيقة والزوجة
- جيلي راوبال، بنت أخته غير الشقيقة
- هاينز هتلر، ابن أخيه
- هيرمان فيجلاين، شقيق زوجته وذلك عندما تزوج هتلر من إيفا براون
- يوهان جورج هيدلر، جده المفترض

- يوهان نيبوموك هيدلر، جده الأكبر من ناحية والدته، ويزعم أنه عمه الأكبر، ومن المحتمل أن يكون جد هتلر الحقيقي من ناحية الأب

- كلارا هتلر، والدته

- ماريا شيكلجروبر، جدته

- باولا هتلر، أخته

- ويليام باتريك هتلر، ابن أخيه

الفصل الثاني
كفاحي (مذكرات هتلر)

لا شك أن كتاب "كفاحي" او مذكرات هتلر التي كتبها في أثناء قضائه عقوبة السجن؛ شغل الكثيرين، وترجم إلى عدة لغات منها: الإنجليزية والفرنسية والعربية، وشاع أن الكتاب المترجم أو النسخة المترجمة إلى العربية نسختان؛ واحدة أصلية وأخرى مزيفة، ويشير الكثيرون إلى أن النسخة الحقيقية هي التي تناول فيها اليهود وتحدث عن بغضه لهم، وانطلاقا من هذا المفهوم، فإننا نعرض هنا لهذه النسخة كاملة من دون تغيير، وهذه النسخة هي الطبيعة الثانية من كتاب كفاحي الصادرة عن دار الكتب الشعبية ـ بيروت ـ لبنان سنة 1975، ونضعها بين يديك عزيزي القارئ كاملة.

كتاب كفاحي

هتلر واليهود

أبصرت النور في مدينة صغيرة تُدعى برونو، تقع على الحدود بين ألمانيا والنمسا، الدولتين الألمانيتين اللتين يجب أن يتجدد اتحادهما قبل أي هدف من الأهداف التي نعمل من أجلها في حياتنا.

فالنمسا الألمانية يجب أن ترجع إلى حظيرة الوطن الألماني الكبير؛ إذ إن همنا الواحد هو ملك لوطننا الواحد، ولن يتمكن شعبنا الألماني من أي نشاط استعماري ما لم ينصهر أبناؤه جمعيهم في دولة واحدة، وحين يحوي الرايخ جميع أبنائه؛ يصبح من حق الشعب في أن يستولي على الأراضي الأجنبية، إذ يمسي الوطن عاجزًا عن إعالة أبنائه.

في عام 1890 أبصرت النور، وكان والدي موظفًا مثاليًا في الجمرك، وبعد أن أحيل إلى التقاعد؛ ذهب بنا إلى مدينة لانز مسقط رأسه ثم إلى قرية لامباخ؛ حيث انصرف إلى أعمال الزراعة في أرضنا ودخلت أنا مدرسة لامباخ، وعلى الرغم من صغر سني، كنت أفكر في مستقبلي، فلم تستهوني مهنة، و لم أكن أميل إلى الوظيفة التي كانت تبدو لي كالحبل يشدني إلى الأسفل، وكنت أجد في نفسي موهبة القائد، في كل مرة أحاول فيها إقناع رفاقي في المدرسية بوجهة نظري.

وكنت أمضي أوقات الفراغ في مكتبة والدي، أنكب على مطالعة كتب التاريخ والمجلات المصورة، وفي ذات يوم؛ عثرت على مجلة فيها وصف مدهش للحرب بين بروسيا وفرنسا، وكنت أتساءل وأنا أقرأ عن معارك الجيش الروسي المظفر، أين كان ألمان النمسا يومئذ؟ ولماذا تخلف النمساويون عن النصر؟ وهل هناك من فرق بين الألمان الذين قهروا نابليون الثالث وبين ألمان النمسا؟

لقد كان والدي يعلم أن الدروس الكلاسيكية لا تهمني، ولكن على الرغم من ذلك؛ كان يريد أن ينقلني إلى إحدى مدارس الفنون، كي يجعل مني في المستقبل موظفًا، ولكنه لم يشك في أني سأقاوم إرادته، لذلك كانت مفاجأة رفضي شديدة على نفسه، وعبثًا حاول إغرائي بمحاسن الوظيفة التي عاش هو حلوها ومرّها، وقد آلمته صراحتي أنا الولد الصغير بأني لن أصبح كما كان هو موظفًا سجين مكتبه، ولكني وافقت على الانتقال إلى معهد الفنون الجميلة، وهناك اكتشفت أني أملك موهبة في الرسم، ولكن والدي أكد لي مجددًا، رغبته في أن أكون موظفًا، وكان جوابي أني قررت أن أصبح مصورًا أو رسامًا؛ فأغضبه جوابي، ولكني تشبثت برأيي وتشبث هو برأيه، فأخرجني من المعهد وأعادني إلى المدرسة، وهناك ثابرت على دراسة فن الرسم، وأهملت دروسي الأخرى، ولكني كنت متفوقًا في مادتي التاريخ والجغرافيا.

واليوم وأنا أستعيد ذكريات الماضي؛ أشعر أني مدين لوالدي بأن أصبحت وطنيًا متطرفًا، فقد رسخت في ذهني ملاحظات أستاذ التاريخ الدكتور ليوبولد بوتش ـ أن النمسا جزء لا يتجزأ من ألمانيا، وأن زوالها كدولة مستقلة أمر ضروري للأمة الألمانية.

توفي والدي فجأة وأنا لا أزال في الثالثة عشرة، وبدأت والدتي تنفذ ما كان والدي يريده، وهو أن ألتحق بإحدى الوظائف الحكومية حين أصبح في الثامنة عشرة، و لم أشأ أن أرفض طلبها هذا، ولكن شاءت الأقدار أن أصاب بنزلة شعبية تطورت بشكل خطير؛ ما دعا الطبيب إلى توقيفي عامًا كاملًا عن الدراسة، وفي هذه المدة التي قضيتها في البيت حدثت والدتي عن هواياتي الجديدة، وطلبت من الطبيب إقناعها بأن تسمح بالتحاقي بمعهد الفنون؛ لأن هذا لا يتطلب مني أي مجهود مضنٍ؛ فاقتنعت.

توفيت والدتي بعد عامين من عودتي إلى معهد الفنون، وأصبحت وحدي في معترك الحياة وأنا لم أزل فتى مراهقًا لا أملك ما يقيني شر العوز، بعد أن تبدد المال الذي خلفه والدي خلال الأربعة أشهر التي قضتها والدتي وهي على فراش المرض.

كان علي أن أعمل لأعيش، فذهبت إلى فيينا، وكان سلاحي الوحيد الإرادة والتصميم على مواجهة المصير، لقد شق والدي طريقة في الحياة ووصل إلى القمة التي وضع نصب عينيه وصولها، وسأشق أنا طريقي بنفسي، ولكني لن أقف عند حد الوظيفة مهما كلفني ذلك.

السنوات القاسية

كانت خيبتي كبيرة حين رسبت في امتحان أكاديمية الفنون، قسم التصوير بالزيت، ولدى سؤالي عن السبب في رسوبي؛ قال لي عميد الأكاديمية إن الرسوم التي قدمتها تؤهلني إلى الدخول لفرع هندسة البناء، وشجعني على الالتحاق بهذا القسم.

وصلت فيينا بعد وفاة والدتي وقلبي عامر بالإيمان، وما استسلمت لليأس؛ بل صممت وأنا أدخل المدينة الكبيرة على الالتحاق بقسم هندسة العمارة مهما يكن الثمن، ولكن كان عليّ أن أعمل لأعيش بالإضافة إلى الدرس والتحصيل، وإني لأشكر اليوم العناية الإلهية التي وضعتني أمام قسوة الدهر وأنا في مستهل عمري، وجعلتني أذوق مرارة العوز في عالم المحرومين؛ ما أتاح لي أنا البورجوازي النشأة أن أعيش مع من ناضلت من أجلهم فيما بعد وفي سبيل رفع مستواهم.

في فيينا المدينة اللاهية؛ قضيت أشقى أيام العمر: فقد عشت خمس سنوات لم أذق خلالها طعمًا للراحة، فقد بدأت عملي كمعاون بناء.. ثم كدهان لأحصل قوتي اليومي وآمن شر الجوع، هذا الزميل الذي كان يلازمني ويشاطرني في كل شيء؛ فإذا اشتريت كتابًا وقف الجوع ببابي يومًا كاملا، وإذا حضرت حفلة موسيقية أو شاهدت مسرحية؛ لازمني الجوع يومين، وكان الكتاب صديقي الوفي، وبفضل المطالعة توسعت معلوماتي وتبلورت آرائي مع مرور الزمن، ثم رحت أدوّن نظرياتي الخاصة التي اتخذت منها في المستقبل أسس العمل.

كانت فيينا في مطلع القرن العشرين؛ مدينة تمزقها المشكلات الاجتماعية، فيها يتجاور الثراء والفقر، العظمة والضعة، المعرفة والجهل، وكانت فيينا البلد الوحيد الذي يمكن للدارس أن يراقب ويدرس المسألة الاجتماعية.

وككل غريب؛ كنت أسعى في طلب العيش بعرق الجبين، فقد تحررت من الكبرياء ومركبات النقص والخوف من الشامتين، يقينًا مني بأن العمل مهما كان نوعه؛ فإنه يشرف العامل، وسرعان ما أدركت أن العثور على عمل أسهل من الاحتفاظ به، وأن خيبة الأمل تنتظر الذين يهجرون القرية ويهبطون إلى العاصمة في طلب العيش الهنيء الهين، فالقروي يترك قريته إلى المدينة ويدخل عالما مجهولًا، وليس لديه من المال غير القليل.. فإذا وجد عملاً؛ فسرعان ما يفقده.. فيلجأ إلى معونة صندوق النقابة لبضعة أيام أو بضعة أسابيع، ومتى تنتهي المدة لا يبقى أمامه إلا العمل بأجر قليل، أو العودة إلى قريته، فإذا أبى عليه كبرياؤه أن يعود إلى قريته

وسدت بوجهه أبواب العمل، لا يلبث أن يألف البطالة ويصبح آلة طيعة بأيدي المحرضين المشاغبين، الداعين إلى الإضراب وتقويض دعائم الاقتصاد القومي ومعالم الدولة والحضارة.

لقد لمست الأخطار التي كانت تتآمر على الأمة الألمانية في النمسا، وهما خطران كبيران.. الماركسية واليهودية.

لقد روعني البؤس المادي المسيطر على الشعب، كما روّعني انخفاض مستواه الأخلاقي، فقد لاحظت فقدان الشعور بالواجب بين العمال والصناع، فرب العائلة يهمل شؤون بيته ولا يعني بتربية أولاده لينصرف إلى البحث عن قوت يومه، وكان انعدام التربية البيتية في مجتمع متفتح كالمجتمع النمساوي؛ يؤدي بالتالي إلى تفكك الروابط بين الآباء والأبناء، التي تربط بالتالي العائلة إلى الدولة، علمًا أن الفقر يولد الجهل والمرض، ومتى اجتمعت هذه العوامل الثلاثة؛ يفقد الشعب ثقته بالدولة ويموت الشعور الوطني في نفوس الشعب.

إن تحويل الشعب إلى أمة خلاقة بفرض قيام مجتمع سليم؛ يعمل على تنشئة المواطن تنشئة وطنية، فلا يمكن أن يشعر بالاعتزاز بالوطن من لا يتعلم في البيت أو المدرسة حب الوطن، ويقدر أمجاد وطنه في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد، إن الإنسان لا يكافح إلا من أجل ما يحب، ولا يحب وطنه ويقدره وهو يجهل تاريخه، ولا يشعر بالوقت نفسه بالطمأنينة وهناءة العيش.

وفي عام 1909؛ طرأ على وضعي بعض التحسن، فقد أصبحت أعمل لحسابي الخاص كرسام هندسي، وفي أوقات الفراغ كنت أكب على الدرس والمطالعة؛ خصوصًا على دراسة الوضع السياسي في البلاد، وما تتركه التيارات العقائدية والفكرية من أثر على مقدرات الدولة النمساوية؛ التي كانت مهددة بالانهيار.

الحزب الاشتراكي الديمقراطي

قبل دراستي للحركة الاشتراكية الديمقراطية، كانت لدي فكرة غامضة عن هذه الحركة ومنشئها وأهدافها وأساليبها، وكنت أتابع بعطف كفاحها في سبيل الدستور يقينًا مني أن تسليم السلطات بهذا الطلب من شأنه أن يضعف من نظام آل هايسبورج، ذلك النظام الذي أكرهه كرهًا شديدًا؛ لأنه يحاول إخماد الروح الجرمانية في صدور عشرات الملايين من النمساويين، وبزوال هذا النظام يتحرر الشعب النمساوي وتزول العقبات الرئيسية التي تعترض تحقيق الأنشلوس وانضمام الشعب الواحد إلى الوطن الواحد.

ومما زاد من عطفي على الاشتراكية الديمقراطية؛ اعتقادي بأنها تعمل من أجل الطبعة الكادحة كي ترفع من مستواهم، وبقيت على هذا الاعتقاد إلى أن بلغت السابعة عشرة، وبدأت أتفهم خطورة الحركة النقابية في البلاد على ضوء التظاهرات الشعبية والاضطرابات، وقد حضرت أكثر من اجتماع واستمتعت إلى قادة الحركة يخطبون في الجماهير، وكان في نيتي الانضمام إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي، ولكن سرعان ما تكشفت لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية ومراميها البعيدة، فهي ضد الأمة لأنها كانت من صنع الطبقات الرأسمالية، وضد الوطن لأنها أداة البورجوازية لاستغلال الطبقة الكادحة، وضد الشرائح لأنها أداة بيد السلطة الحاكمة تستخدمها لإرهاب البروليتاريا، وضد المدرسة المعدة لتنشئة الأرقاء وضحايا الحروب التي تشنها الرأسمالية، وضد الدين لأنها وسيلة لتخدير الشعب وإضعافه ليستعبده المستغلون إلى الأبد.

وكنت في أثناء حضوري لهذه الاجتماعات أحاول ألا أتكلم، ولكن استرسال الخطباء في تهديم كل ما هو سام ونبيل أخرجني عن صمتي، فأصبحت أدخل معهم في جدل طويل لم تتسع له صدورهم، فحرّضوا على نفر من المتعصبين، فآثرت عدم الحضور إلى اجتماعاتهم وأنا أشفق على حال الجمهور الذي يتلاعبون به ويتصرفون بمقدراته حسب ما يتفق مع مصالحهم.

لقد أدركت وأنا أتابع الحركة الاشتراكية الديمقراطية؛ أن زمام الأمر هو في متناول القوى، وأدركت كذلك أن العنف والإرهاب هو سلاح الاشتراكية الديمقراطية، وأن طريقها في محاربة خصومها يقوم على تشويه سمعتهم بحملة من التشنيع تحطم أعصابهم، وقد عجبت لعدم وجود حزب يتبع أساليب العنف نفسها والإرهاب نفسه، وبذلك يقطع الطريق على الاشتراكية الديمقراطية.

أما موقف البورجوازية؛ فقد كان موقفًا لا مباليًا من مطالب العمال التي كانت مطالب معقولة ومشروعة؛ ما جعل الحركة الاشتراكية الديمقراطية تستغل نقمة البروليتاريا على الأوضاع الراهنة، وتستغله كسلاح ماضٍ تشهره في وجه خصومها.

في البداية.. كانت الحركة النقابية تهدف إلى تنظيم جهود العمال للمطالبة بحقوقهم ورفع مستواهم، وبقيت بعيدة عن السياسة والأحزاب إلى أن دفعت بها البورجوازية إلى المعترك السياسي برفضها الاستجابة إلى مطالب العمال الحق، وفي هذا الوقت كانت الاشتراكية الديمقراطية بانتظار الفرصة المناسبة؛ فتبنت مطالب العمال والنقابات، بينما كانت البورجوازية على العكس تعمل على

حمل السلطات على حل النقابات بحجة عدم شرعيتها وتنافيها مع فكرة الوطن.

كان أفدح أخطاء البورجوازية عندما اعتبرت الحركة النقابية منافية لفكرة الوطن، إن أي حركة نقابية أهدافها الدفاع عن مصالح العمال لا تكون إلا حركة وطنية يجب تشجيعها ما دام هناك أرباب عمل لا يعرفون العدل والإنصاف، ولا يجوز أن ننكر على عمالهم ومستخدميهم حق الدفاع عن حقوقهم، ولا يمكن للعامل منفردًا الوقوف في وجه رب العمل، فالنقابة هي التي تتولى رعاية مصلحته والدفاع عن حقوقه.

بدأت الحركة النقابية تتحول عن أهدافها الأساسية في أواخر القرن الماضي، فاحتضنتها الاشتراكية الديمقراطية لتحولها إلى أداة ضغط في نضالها الطبقي، وبذلك يتم لها تقويض دعائم الاقتصاد، وبالتالي تقويض دعائم الدولة، فلما أصبحت النقابات في قبضة الاشتراكيين زال اهتمامهم برفع مستوى البروليتاريا؛ لأنهم اكتشفوا أنهم لو استمروا بذلك؛ فإن انتهاء بؤس الطبقة الكادحة لن يكون في مصلحتهم، لأن زوال أسباب التذمر سيبعدهم عن السياسة، فيفقد الاشتراكيون بذلك جماهير المناضلين الذين عودوهم الرضوخ والانقياد لهم.

مفتاح الاشتراكية

بعد أن تكشفت لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية؛ انكببت على درس نظريات قادة هذه الحركة، فوجدت نفسي أمام عقيدة مبنية على الحقد والأنانية، عقيدة يعني انتصارها هزيمة للبشرية، وما لبثت أن اكتشفت الصلات الوثيقة بين هذه العقيدة الخطيرة والمبادئ التي يدعو إليها اليهود، وأدركت مع الأيام أن أهداف الاشتراكية الديمقراطية هي نفسها أهداف اليهود كشعب، واليهودية كدين، والصهيونية كحركة سياسية قومية، ففي حداثتي كنت أعتبر يهود بلادي مواطنين، وكنت لا أعتبر الخلاف في الدين، حتى إني وبخت صديقًا لي لإهانته أحد التلاميذ اليهود، وظلت هذه نظرتي إلى اليهود إلى أن انتقلت إلى فيينا، فبرزت أمامي المسألة اليهودية في زحمة المسائل التي كانت تواجه النمسا حكومة وشعبًا، وقد تبينت لي هذه المسألة من خلال حملات الصحف المعادية للسامية، وكنت أعتقد أن هذه الحملات كانت نتيجة التعصب الأعمى، وكانت الصحف التي تهاجم اليهود قليلة الانتشار، والصحف التي تتولى الرد عليها كانت من الصحف الكبرى، وكان أسلوبها الرصين يلاقي في نفسي وقعًا حسنًا، ولكن سرعان ما ضايقني تزلفها الشديد للسلطات وحملاتها العنيفة على الرايخ والإمبراطور غليوم الثاني، الذي كنت معجبًا به لتزويده ألمانيا بأسطول بحري من الطراز الأول، كما أغضبني من

الصحافة الكبرى عطفها على فرنسا وإعجابها بها ونعتها إياها "بالأمة المتمدنة" وكنت أتساءل: لمصلحة من تعمل هذه الصحف؟ ومن هم موجهوها؟ فجاء الجواب في الوقت الذي تكشفت لي فيه اليهودية على حقيقتها.

كنت أعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولكن اختلاطي بأعداء السامية من مفكرين وساسة؛ جعلني أتحفظ في الحكم على أعداء اليهود، وما لبثت أن أصبحت من المهتمين بالمسألة اليهودية بعد أن لمست بنفسي تكتل الإسرائيليين وتجمعهم في حي واحد من أحياء فيينا، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم، ومما زاد اهتمامي بمسألتهم؛ ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فيينا إلى قسمين: قسم يؤيد الحركة الجديد ويدعو لها، وقسم يشجبها، وقد أطلق خصوم الصهيونية على أنفسهم اسم "اليهود الأحرار"، إلا أن انقسامهم هذا لم يكن إلا من باب التمويه، فتأكدت أن انقسامهم مصطنع وأنهم يلعبون لعبتهم في النمسا وفي العالم كله، وهي لعبة قذرة تعتمد الكذب والرياء؛ ما يتنافى والطهارة الخلقية، طهارة الذيل التي يدعيها اليهود.

وطهارة الذيل هذه، وكل طهارة أخرى يدعيها اليهود؛ هي ذات طابع خاص، فقذارتهم كانت تصدم النظر منذ أن تقع العين على يهودي، وكنت أضطر إلى سد أنفي كل مرة ألتقي أحدًا لابسًا القفطان؛ لأن الرائحة التي تنبعث منهم تبعث على القرف، ولكن قذارتهم الجسدية ليست شيئًا يذكر بالنسبة إلى قذارة نفوسهم، فقد أثبتت لي الأيام أن ما من عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن ألمس مدى تأثير هذا «الشعب المختار» في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته، فقد امتدت أصابع الأخطبوط اليهودي إلى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها، وأصبح هذا التغلغل كالطاعون الأسود.. بل أشد منه فتكا؛ إذ إن تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعو للإباحية المطلقة وللماركسية؛ هي من صنع اليهود، أما الصحف الكبرى التي أعجبت بها وبرصانتها؛ فكان معظم محرريها وموجهيها من أبناء هذا "الشعب المختار"، وشعرت بعد معرفتي بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الرأي العام، وذلك بالنظريات التي تتناسب ومصالحهم الشخصية بعيدة الهدف، فالنقد المسرحي في الصحف التي كان يهيمن عليها أو حتى يشارك في تحريرها يهود، يرفع من شأن الممثلين اليهود والمؤلفين المسرحيين، ويحط بالتالي من قدر زملائهم الألمان، والمقالات السياسية التي كانت تمجد بآل هايسبورج وتكيل المديح لفرنسا، كانت بنفس الوقت تهاجم غليوم الثاني وحكومته.

ومما زاد من نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبل

الملتوية، وقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال الدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الأبيض، هذا الدور الذي يؤديه اليهود بمهارة لم ينتبه إلى خطورته الشعب الألماني إلا في الحرب العالمية الكبرى، أما أنا فقد شعرت بالقرف حين اكتشفت أن اليهودي، هذا المخلوق الوديع، هو الذي يستمر البغاء السري والعلني ويحوله إلى تجارة رابحة.

انصرفت منذ ذلك الحين إلى جمع المعلومات والأدلة على جرائم اليهود بحق الوطن والمجتمع، وكنت أتابع نشاطاتهم في شتى الميادين، وقد اصطدمت بهم في أمكنة لم يخطر لي أنهم فيها، فقد ظهر لي أن اليهود يتزعمون الحركة الاشتراكية الديمقراطية، ويسيطرون على صحفها، ويوجهون نقاباتها، وكان معظم النواب الاشتراكيين الديمقراطيين من يهودًا ورؤساء النقابات جميعهم من اليهود، بمن فيهم قادة ومديرو المؤامرات ورؤساء تحرير الصحف التابعة للحزب.

وهكذا أصبح الحزب الكبير الذي يسيطر على مقدرات البلاد القوية بيدي شعب أجنبي؛ لأن اليهودي لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون ألمانيًا.

وأخيرًا.. وضعت يدي على الروح الشريرة التي تقعد بشعبها عن التقدم، كانت الفترة القصيرة التي أمضيتها في فيينا كافية لإقناعي أنه مهما استبدت الأوهام بالعمال وضللتهم الدعايات المغرضة؛ فإنهم سيقتنعون مستقبلا، لو قدر لرجل مخلص أن يأخذ على عاقته مهمة تحريرهم من المستثمرين، وهذا ما بدأته ووفقت به إلى حد كبير، وعلى العكس لم أوافق ولو مرة واحد لإقناع يهودي واحد بأنه على خطأ، وقد كنت من السذاجة بحيث رحت أحاول إقناع بني صهيون بسخف المبادئ الماركسية، وسرعان ما أدركت أن أسلوبهم في الجدل يقوم على قواعد خاصة بهم، وهو اعتمادهم في أول الجدال على بلاهة خصمهم؛ فإذا لم يتمكنوا منه تظاهروا هم بالغباء، فيستحيل على خصمهم أن يأخذ منهم أجوبة واضحة، أما إذا اضطر أحدهم إلى التسليم بوجهة نظر خصمه بوجود بعض الشهود؛ فإنه يتجاهل في اليوم التالي ما كان من أمره ويتظاهر بالدهشة إذا ما جوبه بالشهود، ويسترسل بالكذب ويزعم أنه أفحم خصمه بحججه الدامغة في اليوم الأسبق.

لم يكن العمال مسؤولين عمّا تعانيه البلاد من اضطرابات؛ بل كانت المسؤولية ملقاة على عاتق الحكام الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء الاهتمام بمشكلات الشعب ووضع الحلول اللازمة لإزالة تلك المسببات، وقد عكفت على درس العقيدة الماركسية والبحث عن مصادرها وجذورها، وتتبع تطوراتها، وقد تساءلت مرارًا: هل كان أصحاب هذه العقيدة يتوقعون لها هذا النجاح؟ وهل كانت لديهم فكرة عن نتائج نجاح الماركسية على المدى البعيد؟ أم كانوا ضحية الخطأ في التقدير؟ فإذا كان الأمر الثاني؛ فإنه يجب على كل رجل أن يقف في وجه هذه الحركة المخيفة

ويمنع تطورها، وإذا كان الأمر الأول؛ فلا بد أن يكون زعماء هذا الوباء الذي يهدد الشعوب أبالسة حقيقيين؛ لأن العقل الذي تمكن من أن يضع تصميم فكرة لابد أن يؤدي انتشارها في المستقبل إلى تدهور الحضارة وانهيارها وتحويل العالم إلى فقر، هذا العقل ليس بعقل إنسان ولكن عقل مسخ.

في هذه الحالة؛ يجب أن تكافح كفاحًا مريرًا، وبجميع الأسلحة التي يمكن للعقل البشرى أن يصنعها بالإضافة إلى الذكاء والإرادة الحديدية.

وقد توصلت نتيجة دراستي للمسألة اليهودية إلى تفهم الحركية الماركسية من دون عناء، ذلك أن اليهود هم الذين وضعوا مبادئها وتولوا الدعاية لها، وعرفوا كيف يستغلون جهود الذين كانوا ضحيتها. كذلك رجعت إلى تاريخ الشعب اليهودي عبر الأجيال وما كان له من تأثير في توجيه البشر، فهالتني شدة التأثيرات وتساءلت بقلق: هل يقضي القدر بأن يكون لليهود النصر النهائي؟

إن العقيدة اليهودية المعبر عنها في التعاليم الماركسية لا تعترف بالمبدأ الأرستقراطي وتضع التفوق العددي محل القوة والمقدرة، وبالتالي تنكر قيمة الإنسان الفردية كما تنكر أهمية الكيان القومي والعنصري، مجردة البشرية من العناصر التي لا بد من وجودها لاستمرارها وبقاء حضارتها، فإذا اعتمدت هذه العقيدة كأساس للحياة فإنها ستقوض كل نظام وتعود بالجنس البشري إلى عهد الفوضى واختلاط العناصر؛ ما سيؤدي إلى انقراض البشر، وإذا قدر لليهودي من خلال إيمانه الماركسي أن يتغلب على شعوب هذا العالم، فلن يبقى للبشر من أثر على سطح الأرض.

إن الأبدية ستنتقم من الذين يخالفون أحكامها، ولذلك سأتصرف حسب مشيئة الخالق، لأني بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي؛ إنما أناضل للدفاع عن مشيئة الخالق وعلمه.

-2-

ميونخ

غادرت فيينا في ربيع عام 1912 قاصدًا ميونيخ، فقد كنت أعرف تلك المدينة كما لو كنت ساكنًا فيها، وذلك بسبب دراستي للفن الألماني. إن من يزور ألمانيا ولا يرى ميونيخ لن يعرف شيئًا عن الفن الألماني، فقد كانت الفترة التي أمضيتها في ميونيخ من أسعد أيام حياتي مع أن تحصيلي من عملي كان متواضعًا، ولكن ما

كنت أعمل لأعيش؛ بل لأتابع دراستي وتحصيلي وأنا متأكد من بلوغي الهدف الذي رسمته لنفسي.

لقد تعلقت كثيرًا بهذه البلدة الجميلة، وشعرت بالفرق العظيم بينها وبين فيينا، ومما زادني تعلقًا بها ما رأيته من مظاهر الحيوية الدافقة في جميع الميادين، ومن روائع الفن الناطقة بعظمة الفن الألماني، ولا شك أن تعلقي بميونيخ هو أنها مرتبطة بتطوري ونمو مداركي ارتباطًا شديدًا لا يمكن فصله، بالإضافة إلى تأثير جمالها على كل رجل مرهف الحس محب للجمال.

لم يصرفني انكبابي على الدرس عن متابعة الأحداث السياسية، وكنت ألمس من سياسة ألمانيا الخارجية أنها مبنية على أسس غير سليمة، وذلك من خلال المخالفات التي أنشأتها، ولكني كنت أظن أن الساسة في برلين على علم بحالة الضعف التي وصلت إليها النمسا، وبالوقت نفسه يكتمون هذه الحقيقة عن الشعب تجنبًا لنقمته، وبالوقت نفسه كانوا يحرصون على الحفاظ على سياسة المخالفات التي رسمها ووضع أسسها بسمارك.

ولكن مع الأسف؛ فقد كانت الفكرة لدى الألمان عن النمسا خاطئة، والوهم كان سائدًا بأن النمسا لا تزال قوية يمكن الاعتماد عليها كحليف قوي، أما أنا فكنت على علم تام بمشكلات النمسا. بينما كانت الدبلوماسية الرسمية تجهل تلك المشكلات الخطيرة، حتى إن الرأي العام ظل على اعتقاده الخطأ بقوة النمسا وجيشها؛ خصوصًا أنها لا تزال ألمانية، وبلغ بهم حسن الظن حدًا أصبحت فيه ادعاءات فيينا من أمانة للتحالف الثلاثي مثارًا للسخرية من الصحف في عواصم الولايات السلافية، لا سيما براغ التي كانت تعتبر هذا التحالف مسرحية مضحكة ومبكية معًا، وكان الرأي السائد في أيام السلم أن هذه المخالفات ستنقضي عند أول تجربة قاسية.

وقد صدق الحدس ورأينا إيطاليا ـ وفي الوقت الذي كان التحالف يمر في تجربته القاسية الأولى ـ تتنكر لحلفائها ألمانيا والنمسا وتقف مع أعدائهما.

عندما كنت في فيينا لاحظت الحماس البالغ من قبل أنصار الوحدة الجرمانية للتحالف الثلاثي، بسبب اعتقادهم أن هذا التحالف سيدعم موقف ألمانيا في حال نشوب الحرب، وبذلك يرتبط مصير النمسا بمصير الرايخ، وقد فاتهم أن هذا الحلف سيضمن تحقيق أمانيهم القومية، ولكن هذا الحلف كان ستارًا استخدمته فيينا لتغطية تدابيرها الرامية إلى إبادة العناصر الجرمانية في البلاد.

لقد أصبح موقف ألمان النمسا حرجًا نتيجة لسياسة الاختلاف، لأنهم لو استمروا في نضالهم لاعتبروا خائنين، و لم يفت المطلعين منهم أن الحلف الثلاثي قيمته في إبقاء العنصر الألماني متفوقًا، وبالتالي يوم يتغلب الطابع السلافي على البلاد سيصبح لا قيمة له، وقد آلم هذا الفريق من الألمان النمساويين أن تسقط هذه الاعتبارات من حساب الدبلوماسية والرأي العام الألماني، وأن يقفا موقفًا من مسألة القوميات مجازفين بمقدرات شعب من سبعين مليونًا، وذلك يجعل مستقبله مرتبطًا بمعاهدات مع سلطة لا تتورع عن إبادة رعاياها الألمان، أي العنصر الأساسي الذي ستعتمد عليه هذه المعاهدة.

ولو رجع المسؤولون إلى التاريخ لوجدوا أنه لا يمكن للكيرينال والقصر الإمبراطوري أن يحاربا جنبًا إلى جنب، فالشعب الإيطالي لم ينس موقف الهايسبورجيين من وحدة بلاده واستقلالها، ولن يجرؤ الحكومة الإيطالية إلى إرسال جندي واحد إلى الحرب، ما لم تتأكد من أنه سيحارب آل هايسبورج بالذات، ولئن تكن إيطاليا قد دخلت الحلف الثلاثي فلرغبتها في كسب الوقت والتضليل، بحيث يركن حلفاؤها إلى المعاهدات بينما تستعد هي للحرب.

إن سياسة المخالفات التي اعتمدتها ألمانيا منذ أن ساءت علاقات النمسا مع روسيا، قد بنيت على افتراضات خاطئة.

لقد كانت الرغبة في عقد التحالفات هي الحاجة الملحة إلى أصدقاء يمكن الاعتماد عليهم في حالة نشوب حرب لا بد منها، فقد كان على ألمانيا أن تواجه مشكلة تكاثر عدد السكان، ففي كل سنة كان يزداد عدد سكان ألمانيا 900 ألف شخص، وهذا التزايد يهدد البلاد بكارثة إذا لم تفكر السلطات بتدابير سريعة لقطع الطريق على المجاعة، وكان هناك أربعة حلول يمكن اعتبارها:

أولًا: تحديد النسل منها لازدياد عدد السكان، كما هو جارٍ في فرنسا، ففي الأقطار ذات المناخ الرديء تتولى الطبيعة مهمة الحد من تضخم عدد السكان، فهي تعترض نمو السكان وتخضعهم إلى تجارب قاسية، فتزيل العناصر الضعيفة وتبقي على الأصلح، وبذلك يتوصل خفض العدد إلى تقوية الفرد، وبالتالي النوع.. وعلى العكس من ذلك إذا تولى الإنسان بنفسه تحديد النسل؛ فهو غير الطبيعة لا يعترض نمو الفرد، ولكنه يتولى الحد من التناسل، وبذلك يرضى إنسانيته لأنه لا يرى من الكون إلا نفسه ولا يعتبر وزنًا للعرق الذي ينتمي إليه.

إن طريقة الإنسان وعواقبها هي عكس طريقة وعواقب الطبيعة، فالطبيعة تفسح المجال للتناسل، ولكنها تخضع هذه السلالة إلى امتحان قاسٍ؛ فتختار

الأصلح للحياة وتحتفظ به وتوكله بمهمة حفظ النوع، أما الإنسان؛ فإنه يحد من نسله ويحاول الحفاظ على سلالته سواء كانت صالحة للحياة أم لا، وبذلك يتمكن من الحد من العدد، ولكن قيمة الفرد تتضاءل كما تتضاءل جودة النوع.

إن سنة الطبيعة تفسح مجال البقاء للأقوى، أما الحد من التناسل؛ فلا يستبعد السلالات الضعيفة غير الجديرة بالحياة، فتؤلف سلالة جديدة أشد ضعفًا؛ ما يشكل تحديًا لسنة البيع، ولكن الطبيعة تثأر لنفسها من هذا التحدي، فتسلط الأقوياء الجديرين بالحياة على الضعفاء الخاملين، وليعلم الذين يدرسون مشكلة تزايد عدد السكان؛ أن الطريقة المتبعة في فرنسا ـ أي تحديد النسل ـ لو اتبعت في ألمانيا؛ فإنها تعني القضاء على مستقبل الشعب الألماني.

ثانيًا: الاستعمار الداخلي، هذه الطريقة التي يدافع عنها الذين لا يدركون عواقبها.

إن الاعتماد على زيادة محصول الأرض كوسيلة لإنقاذ الشعب الألماني من المجاعة؛ ممكن كحل مؤقت، ولكن هذه الطريقة لن تحل المشكلة من أساسها حلًا نهائيًا، باعتبار أن عدد السكان سيزداد، بينما قدرة الأرض على الإنتاج ستتضاءل، ولأن متطلبات السكان تأخذ بالتنوع؛ فمثلًا كانت متطلبات أجدادنا منذ مئة عام أقل من متطلبات جيلنا الحاضر بنسبة كبيرة جدًا، فالأرض ـ كما قدمنا ـ لن تتمكن من العطاء إلى الأبد، ولا بد أن يأتي اليوم الذي ستجف الأرض وتصبح عاجزة عن الإنتاج والعطاء، وقد لا تجف الأرض إلا في سنوات القحط، ولكنها ومع الاستمرار في ازدياد عدد السكان؛ ستصبح الأرض عاجزة تمامًا، فتطل المجاعة بوجهها القبيح، ولا ينقذ الموقف إلا تدخل الطبيعة بما تملكه من قوة على اختيار من هم صالحون للبقاء، وتترك سائر السكان إلى مصيرهم المحتوم.

قد يقول قائل إن هذه الاحتمالات ستحصل يومًا من الأيام، وستطال المجاعة البشرية كلها، ولن يسلم من خطرها شعب من الشعوب، وهذا القول يبدو وكأنه صحيح، ولكن هذا لا يمنع من النظر إلى الأمور على حالتها الراهنة، فالطبيعة لا تتعرف إلى الحدود السياسية، وهي وضعت المخلوقات الحية على وجه البسيطة، وبدأت تراقب صراع القوى المختلفة وتنظر بعين العطف إلى من هو جدير بالحياة والبقاء، وقد تركت الطبيعة أراضي شاسعة لا تزال بكرًا، وهي لم تحتفظ بها لجنس من الأجناس، بل تركتها للشعب الذي يتمكن من امتلاكها ويضع يده عليها.

فالشعب الذي ينصرف إلى الاستعمار الداخلي، بينما تحاول الشعوب الأخرى الامتداد إلى مناطق واسعة من الأرض، سيضطر هذا الشعب إن عاجلًا أو آجلًا إلى

تحديد نسله، ومن الملاحظ أن أفضل الأمم هي التي لا تطمح إلى التوسع وتكتفي بالاستعمار الداخلي، تاركة التوسع لأمم أقل منها جدارة، ولكن أكثر منها عزيمة وقوة وحيوية، وفي الوقت نفسه تجد الأمم الأولى مضطرة إلى تحديد النسل لتفادي المجاعة، بينما تجد الثانية تنمو وتزدهر وتزداد قوة تباعًا لازدياد إمكاناتها.

إن فكرة الاستعمار الداخلي ستكون وبالًا على شعبنا، فليس هناك ما هو أقتل لحيوية شعبنا من القناعة التي لا يبررها الواقع، فالقناعة ستقعد بنا عن الجهاد في سبيل المستقبل اللائق، ومتى قلنا لشعبنا إن ألمانيا تكفي نفسها بنفسها، فلنقل على ألمانيا السلام.

إن من سخرية القدر أن يكون اليهودي هو الموجه لهذا التوجيه الخطر، وهو المُدخل في روعنا أن في إمكاننا توفير ما نحتاجه جميعا باستدرار عطف الأرض الألمانَية.

لن ينقذ ألمانيا من خطر الجوع إلا الاستيلاء على أرض جديدة، والبلاد الصغيرة في مساحتها تبقى معرضة للمفاجآت العسكرية والسياسية، فالمساحة الكبيرة هي بحد نفسها عامل أساسي من عوامل الاستقرار، فكلما امتدت أراضي شعب سهل الدفاع عنه، فقد رأينا أن الانتصارات السريعة مجالها الحيوي ضيق، بينما كان على العكس من ذلك بالنسبة للبلدان ذات المساحات الشاسعة؛ إذ إن قوة المهاجم تنهار قبل وصوله إلى هدفه البعيد.

إن الموجهين الألمان قد رفضوا فكرة الاستعمار الداخلي لأسباب غير التي ذكرناها سابقًا، فقد رفضوا الاستعمار الداخلي كهجوم على الإقطاعيات الكبيرة بشكل عام وعلى الملكية الخاصة بشكل خاص، كما رفضوا فكرة تحديد النسل لأسباب دينية بحتة.

ثالثا: تأمين الطعام والإسكان والعمل للسكان الآخذين بالازدياد، وذلك بالاستيلاء على أراضٍ جديدة وإسكان الألمان فيها.

رابعًا: إغراق الأسواق الخارجية بالبضائع الألمانية لتوفير أرباح كافية تمنع عنا شبح المجاعة.

لقد أصبح على ألمانيا أن تختار بين الاعتماد على التوسع أو الاعتماد على التجارة، وقد اختارت التجارة بعد تردد طويل، وكان عليها أن تختار التوسع لأنه أصلح وأسلم؛ إذ إن كسب أراضي جديدة ينقل إليها الفائض من السكان له ميزات عديدة، أهمها وجود طبقة سليمة من الفلاحين تعتمد عليها الأمة كلها، فإن ما

نشكو منه اليوم سببه فقدان التوازن بين ما تقدمه المدن وبين ما تقدمه الأرياف، وقد كان وجود المزارعين الصغار المتوسطي الحال كالدرع الواقية للشعب ضد مشكلاته الاجتماعية التي يواجهها الآن، باعتبار أن نشاط المزارعين ضمن من مجالات الاقتصاد المقفل يجعل نشاطهم يسير جنبًا إلى جنب مع باقي النشاطات الاقتصادية، وبذلك يؤمن التوازن المطلوب بين حاجات السكان وحالة الإنتاج.

لكن سياسة التوسع لا يمكن أن تستهدف بلادًا بعيدة كالكاميرون مثلًا؛ إذ إن مكانها الوحيد هو أوروبا، وعلينا كألمان أن نعتنق النظرية القائلة: إن الله لا يمكن أن يقضي بأن يحصل شعب على خمسين ضعف ما لشعب آخر من الأرض، وإنه إذا كانت الأرض قادرة على إكفاء الجميع، فليس من العدالة بشيء أن يُفصل بيننا وبين الحصول على المدى الحيوي لنمونا وبقائنا، لذلك يجب على كل فرد أن يكافح ليؤمن ما يكفل له البقاء.

وإن لم يتمكن بالمسالمة واللين فعليه بالقوة، ولو أن أجدادنا استسلموا وتخاذلوا، كما هي عقلية جيلنا اليوم، لما كان لنا الآن ثلث أراضي وطننا الألماني، ولولا نضالهم لما قامت للرايخ أي قائمة.

وهناك اعتبار آخر يجعل من التوسع طريقة مثلى: تشغل بعض الدول الأوروبية مساحة صغيرة جدًا، بينما تشغل ممتلكاتها خارج القارة مساحات شاسعة، فتكون قمة هذه الدولة في أوروبا وقواعدها تمتد إلى جميع أنحاء العالم، كالشكل الهندسي للهرم، وهذا عكس ما هو في الولايات المتحدة الأمريكية؛ فقاعدتها على أرضها ولا يوجد ارتباط بينها وبين العالم الخارجي.. إلا بواسطة القمة، وهذا ما يجعل للبلاد مركزًا داخليًا منيعًا، بينما يسبب العكس ضعف معظم الدول الاستعمارية في القارة الأوروبية.

أما بالنسبة لألمانيا؛ فالطريقة المثالية التي يمكنها اتباعها تقوم على إحراز مدى حيوي لها في القارة الأوروبية بالذات، لأن المستعمرات لا تصلح هدفا للتوسع ما لم تكن قادرة على استيعاب أكبر عدد ممكن من السكان الأوروبيين، علمًا أنه ليس بالإمكان الاستيلاء على مستعمرات تحوي هذه الميزة إلا بواسطة الحروب، التي يمكن خوضها في أوروبا عوضًا عن المجازفة خارجها.

ومتى تقبل شعبنا فكرة الحرب؛ عليه أن يكرس لها جهوده، ولا يمكن بأنصاف التدابير والتردد القيام بمهمة تفرض على كل منا أقصى ما يمكن من الجهد والحزم، ولا بد من جعل سياسة الرايخ منسجمة مع هذا الهدف، لذلك؛ يجب إعادة النظر في جميع المخالفات المعقودة وقيمة كل منها، ولا يغيب عن بالنا أن توسع

ألمانيا في أوروبا يجب أن يتم على حساب روسيا.

إن إنجلترا هي التي كان على ألمانيا أن تحالفها قبل الشروع في نهجها التوسعي، فبعد أن تضمن سلامة مؤخرتها؛ كان بإمكان ألمانيا شن الحملة الصليبية الجرمانية الجديدة، إذ إن حقنا في حملتنا الصليبية واضح كما كان واضحًا حق أجدادنا.

كان على ألمانيا أن تكسب ود إنجلترا مهما كلفها ذلك من تضحيات، فمثلًا كان علينا أن نكف عن المطالبة بمستعمرات وأن نتخلى عن فكرة جعل ألمانيا أكبر دولة بحرية، وأن نكف عن مزاحمة بريطانيا في ميدان الصناعة، وبدلا من ذلك يمكننا تعزيز قوة جيشنا البرية، ولو ترتب على هذا النهج الإقلال من طموحنا مؤقتا، مقابل ضمان المستقبل المزدهر لشعبنا الألماني العزيز.

إن حاجة ألمانيا التي كانت تواجه ازديادًا في عدد السكان؛ لم تكن خافية على إنجلترا، فقد كان على ألمانيا أن تستفيد من هذه المعرفة وتمد يدها إلى إنجلترا التي كانت ترغب في التقرب منا، ولكن ساستنا لم يقدموا على هذه الخطوة مع أن كل محالفة تقوم تضمن مصلحة الطرفين المشتركين.

لو اعتمدت ألمانيا في ذلك الوقت النهج السياسي الذي اعتمدته اليابان عام 1904، لو فعلت ذلك لما كانت الحرب العالمية، ولما منينا بتلك الهزيمة المنكرة الشنعاء.

ومهما يكن؛ فتحالف ألمانيا والنمسا كان سخيفًا، فقد كانت هذه الدولة المومياء حريصة على التحالف معنا ليتيح لساستها فرصة المضي في إبادة العنصر الجرماني، ولو كان ساستنا أبعد إدراكا؛ لعلموا أن قيمة التحالف النمساوي الألماني تكمن في استمرار نفوذ العنصر الجرماني في النمسا، ومتى زال هذا النفوذ أو ضعف لمصلحة السلاف، زالت بالتالي قيمة التحالف.

لقد كانوا في برلين يخافون النضال، ولما فرضت عليهم الحرب كانت الظروف غير مناسبة، وقد حاولوا تفادي المقدر، وحلموا بسلم دائم، ولكنهم استيقظوا على أصوات المدافع.

إن التعلق بالسلام بهذا الشكل؛ أقعد الساسة الألمان عن الأخذ بفكرة التوسع في أوروبا، فقد كانوا يعلمون أن هناك أراضي يمكن الاستيلاء عليها في الشرق، وأنهم بحاجة ماسة إليها، ولكنهم أحجموا عن ذلك؛ لأنهم يريدون السلام بأي ثمن، بدلا من أن يضعوا نصب أعينهم توفير أسباب البقاء ومقاومته للشعب الألماني بأي ثمن! وكانت النتيجة حرب عام1914 - 1918.

و لم يبق إلا سلوك نهج السياسة الاستعمارية والتجارية.

إن طريقة الاستعمار تستلزم وقتًا طويلًا، فالاستعمار ليس بالقفزة الفورية، إنه دفعة تدريجية عميقة ولكنها مستمرة، فعندما سلكت ألمانيا هذا السبيل؛ كان عليها أن تدرك أن هذه السياسة ستقودهم في النهاية إلى الحرب التي أرادوا تجنبها، مع أنهم كانوا يؤكدون نياتهم السليمة. وقد أدى هذا السلوك المتناقض إلى توتر العلاقات مع إنجلترا التي وقفت ضدنا في جميع الميادين، وقد سُهي عن بال زعمائنا أن التوسع في أوروبا يفرض التحالف مع إنجلترا، وفي هذه الحالة لا بد من تبديل المخالفات، وذلك بالتخلي عن النمسا، ولكن برلين لم تفكر بالتحالف مع روسيا، ضد إنجلترا ولا العكس بالعكس، لاعتقادها أن هذا سيؤدي إلى الحرب، ولتلافي النزاعات المسلحة لجأت إلى سياسة الإنتاج كطريقة مثلى لاستعمار العالم بطريقة سلمية.

لقد كان باعتقاد ساستنا أن استعمار العالم اقتصاديًا وسلميًا سيضع حدًا لسياسة العنف، وما أن شعروا بعداء إنجلترا الصريح حتى قرروا بناء أسطول لم يكن الغرض منه الهجوم على إنجلترا وسحقها؛ بل كان الغرض منه الدفاع عن "السلم العالمي" وقد حرصت ألمانيا على أن يكون هذا الأسطول متواضعًا من حيث السلاح، وبذلك تؤكد رغبتها في السلام والمحافظة عليه.

كانت سياسة الفتح الاقتصادي السلمي سياسة سخيفة لا تليق بدول عظمي، فقد بلغ الهوس ببعض المتعصبين لهذه السياسة حدا جعلهم يزعمن أن إنجلترا أسبقت ألمانيا في هذا الميدان، وأصابت نجاحًا باهرًا، حقًا أن بعض الناس يقرؤون التاريخ ولا يعرفون منه شيئًا.

لم تنشئ الإمبراطورية البريطانية بالاستعمار السلمي، فالوحشية التي اعتمدها الإنجليز كانت مضرب الأمثال، إن السر في السياسة الإنجليزية هو في استخدام القوة السياسية لتحقيق الفتوحات الاقتصادية، كما أنها تعرف كيف تحول نجاحها الاقتصادي إلى قوة سياسية، وإنه لمن السخف أن نعتقد أن إنجلترا كانت لا تعرق دماء أبنائها في سبيل التوسع الاقتصادي، فقد كانت إنجلترا تستخدم المرتزقة لكسب الحروب وبذل الدماء، ولكنها في الوقت نفسه كانت تجود بدم أبنائها في الحالات التي لم يكن فيها بدٌ من التضحية.. ولكنا في ألمانيا، كنا نعتقد أن الرجل الإنجليزي رجل أعمال وتجارة، واسع الحيلة، بليد وجبان، و لم يخطر في بالنا أن إمبراطورية واسعة كالإمبراطورية البريطانية لا يمكن أن تكتسب بالخداع واللين، أم الألمان القلائل الذين وقفوا ليحذروا مواطنيهم من قوة الإنجليز كشعب مقاتل، فقد اعتبروهم انهزاميين و لم يأخذ برأيهم.

ما زلت أذكر الدهشة التي كانت تستحوذ على رفاقي في جبهة الفلاندر، عندما جابهنا الإنجليزي في إحدى الملاحم القاسية، فقد أدركنا جميعًا أن هؤلاء الأسكتلنديين محاربون أقوياء، وأن الصحف والبلاغات كانت تخدعنا حين صورتهم لنا بصورة الجبناء.

إن تسرع ألمانيا بالتحالف مع النمسا قد قعد بها عن التوسع في أوروبا معتمدة على صداقتها مع روسيا، وإن الاعتماد على دولة مهترئة مفككة كالنمسا للإقدام على التوسع هو ضرب من الجنون.

فقد كان اندلاع الحرب العالمية بسبب النمسا، من حسن حظ ألمانيا، فقد حالت الحرب بين آل هايسبورج وبين التهرب من التزاماتها تجاه المحالفة المعقودة ولو كان الأمر على عكس ذلك؛ لما عتمت فيها إن وجدت وسيلة لتتهرب من التزامها وتقف على الحياد، وما كان السلاف ليقبلوا بإرسال الجيش النمساوي؛ ليحارب إكرامًا لألمانيا التي تحمي العنصر الجرماني في النمسا. لقد كان للنمسا أعداء كثيرون يطمعون باقتسامها، وبالتالي سيناصبون ألمانيا العداء باعتبارها تقف حجر عثرة في سبيل مطامعهم، ومن أجل النمسا أبغض الإيطاليون ألمانيا، وقد كان بالإمكان التفاهم مع روسيا ما دام الألمان يريدون التوسع اقتصاديًا، ولكن اليهود والماركسيين جعلوا الحرب محتمة، ولولا الحلف الثلاثي لما تمكن أعداء ألمانيا من حمل دول أوروبا الشرقية وروسيا وإيطاليا على خوض الحرب ضد ألمانيا، فقد كان أمل الطامعين هو اقتسام النمسا بعد تصفية حسابها، ولكن رغبتهم في وجود الحرب هو وجود تركيا في عداد حلفاء ألمانيا؛ باعتبار أن تركة السلطنة كانت مما يغري ويسيّل اللعاب.

إن الرساميل اليهودية كانت وراء هذه الإغراءات التي لوحت بها للطامعين، على أمل الوصول إلى هدفها وهو القضاء على ألمانيا، التي لم تكن خاضعة للنفوذ اليهودي الألماني والاقتصادي.

***

أرجع إلى السياسة الاقتصادية لألمانيا خلال السنوات التي سبقت نشوب الحرب، فقد كان النجاح الذي أصابته ألمانيا في ميادين التجارة باهرًا لدرجة أن البعض ذهب في غروره للاعتقاد أن وجود الدولة مرهون باستمرار الازدهار الاقتصادي والتجاري، والدولة هي قبل كل شيء مؤسسة اقتصادية كبرى، علمًا أن استمرار الازدهار هو رهن بقيام دولة قوية تدعمه، إن الاقتصاد وسيلة من الوسائل الضرورية لتحقيق الغرض من وجود الدولة، ولكن ليس سبب وجودها،

فالدولة التي تجعل من الاقتصاد سببًا لوجودها ليس لها ما لبقية الدولة من مقومات البقاء.

إن في تاريخ ألمانيا أكثر من دليل على أن المستوى الاقتصادي لألمانيا كان يرتفع بارتفاع وازدياد نفوذها السياسي في المجال الدولي.

إن العقل والإدارة والتضحية والمثل العليا؛هي القوى التي تنشئ الدولة وتصونها، فالإنسان لا يقدم على التضحية بنفسه من أجل صفقة تجارية، ولكنه يفعل من أجل فكرة أو مثل أعلى.

لقد حاربنا في الحرب العالمية من أجل لقمة الخبز، بينما حاربت إنجلترا دفاعًا عن الحرية، وقد حارب الإنجليز حتى النهاية بقوة وإخلاص، أما نحن فقد استبسلنا في بداية الحرب، و لم نلبث أن تخاذلنا وانهارت معنوياتنا حين علمنا أننا نحارب من أجل اللقمة.

إن الدول تبقى وليدة غريزة حب البقاء، بقاء العرق، سواء كانت هذه الغريزة في ميدان البطولة أو ميدان الدسائس، فإذا تجلت في الميدان الأول نشأت دول آرية يسودها العمل الجدي، أما إذا تجلت في الثاني فإنها تنشئ مستعمرات فضولية لليهود.

لقد أدركت خلال مشاهداتي في فيينا وألمانيا أن الجمود المميت الذي سيطر على أمتنا كان بسبب جرثومة الماركسية الرهيبة، والسموم التي كان ينفثها اليهود أساتذة الماركسية وحماتها.

وانكببت للمرة الثانية على دراسة هذه العقيدة الهدامة، على ضوء الأحداث السياسية الجديدة، وقد اطلعت على المحاولات التي حاولها بعض الرجال العظام للحد من انتشار هذا الوباء العالمي الفتاك، وقد أعجبت بمحاولة بسمارك والتشريعات التي سنها والتي قطعت ذيل الأفعى، ولكنها لم تقض على رأسها، فقد حارب بسمارك ضحايا الماركسية، ولكنه لم يحارب الماركسيين بالذات، فقد حاول أن يقضي على الوباء بقتل المصاب وأغفل عن ناشر الجرثومة، ومرة ثانية درست العلاقة بين الماركسية واليهودية، وتأكدت لي حقيقة اليهود ومراميهم في إشاعة الفوضى والخراب في العالم.. ليتمكن هذا الشعب المختار من استغلال الفوضى وبفرض مشيئته في كل مكان.

كنت أنظر إلى ألمانيا حين كنت في فيينا نظري إلى عملاق جبار ولكن بعد انتقالي إلى ميونيخ تغيرت نظرتي، وصرت أشك في مقدرة هذا العملاق على

الصمود في وجه الأعاصير، وصرت أنتقد سياسة ألمانيا الخارجية بشكل ظاهر وعلني؛ خصوصًا فيما يتعلق بموقفها من خطر الماركسية الذي أخذ بالتفاقم، وقد أدهشني عدم الاكتراث من قبل المسئولين بهذا الخطر الهدام الذي يواجهه اليهود، ومما زاد في نقمتي أن فئة من المفكرين قاموا بحملة تخدير للحكام الذين شعروا بخطر الماركسية، زاعمين أن هذه العقيدة لن تعيش في ألمانيا؛ لأن لشعبنا مناعة طبيعية ضد هذا المرض الفتاك، وقد سها عن بالهم أن هذه العقيلة المريضة قد أودت بحياة إمبراطورية ضخمة.

وأخذت على نفسي منذ عام 1913 مهمة تحذير الشعب من هذا الخطر، وأوضحت أكثر من مرة أن مستقبل ألمانيا يتوقف عليه القضاء على الماركسية قبل انتشارها، وقد كان لهذا التحذير صداه المستحب عند المواطنين الذين هم الآن جنود الحركة القومية الاشتراكية.

وقد تأكد لي مع الأيام أن الأخطاء السياسية التي ارتكبها المسئولون الألمان منذ أواخر القرن الماضي حتى نشوب الحرب العالمية كان نتيجة الأخذ بنصائح عملاء الماركسية من يهود ومفكرين عديمي الإخلاص لوطنهم، فعندما أقامت ألمانيا اقتصادها على تلك الأسس الواهية؛ كان اليهود أول المهللين لها، يقينًا منهم أن الاقتصاد الأعوج سيؤدي بألمانيا إلى الانهيار، فتقوم على أنقاضها الدولة التي يحملون بها، دولة تحكمها في الظاهر البروليتاريا وتخضع في الوقت نفسه لسيطرة شرذمة من رجال المال اليهود.

وقد لاحظت في الصحف الاشتراكية الديمقراطية المقالات المسمومة التي كان يحررها يهود جبناء يذيلون مقالاتهم المحشوة بالسموم بتواقيع مستعارة، وهذا لم يكن له وجود في النمسا.

*

ـ3ـ

هتلر والشيوعية

في عام 1914؛ انقضت صاعقة عظمى على الأرض، وأصم الأذان صوت مدافع الحرب العالمية.

عندما أعلن في ميونيخ نبأ مقتل الأرشيدوق فرانسوا فرديناند، أصابني قلق

شديد، وكنت أتساءل عند وصول الخبر المشئوم: هل قتل الأرشيدوق برصاص طلبة ألمان عز عليهم أن يعمل ولي العهد على إكساب النمسا الطابع السلافي، فقرروا التخلص منه وإنقاذ الشعب الألماني من عدو داخلي؟ وإذا كان افتراضي صحيحًا؛ فمعنى ذلك أن فيينا ستجد مبررًا لزيادة اضطهادها للألمان تجاه العالم كله، ولكن عندما علمت أن الصرب هم المتهمون الرئيسيون بالقتل، دهشت لسخرية القرد، فقد سقط أوفي أصدقاء السلاف برصاص أشد المتعصبين للسلاف.

إن من أتيح لهم تفهم موقف النمسا من صربيا؛ علموا أنه لا بد للصخرة التي ابتدأت بالتدحرج من أن تستقر في قعر الهاوية.

لا يسعنا مؤاخذة الحكومة النمساوية على الإنذار الذي وجهته عقب الاعتداء، فقد كان تصرفها سليمًا، فقد كان على حدود النمسا الجنوبية الشرقية عدوٌّ لدود، ما برح يتربص بها، ويتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليها، ولكن خصوم المملكة كانوا يعتقدون أن زوالها قد أصبح محتّمًا بعد تواري الإمبراطور فرانسوا جوزيف، فهو الوحيد الذي كان يجسد الإمبراطورية في نظر غالبية الشعب، وقد عمل الساسة السلاف على ترسيخ هذا الوهم في نفوس الشعوب، مدخلين في روعهم أن الدولة مدينة بوجودها لعبقرية الإمبراطور وحسن سياسته، وكان هذا المديح يلاقي وقعًا حسنًا في نفس الإمبراطور فرانسوا جوزيف ورجال حاشيته، ولكنه في الوقت نفسه يحوي في طياته خنجرًا مسمومًا ليكون أداة لتمزيق فريستهم.

لقد أدى مصرع ولي العهد إلى دفع عجلة الحرب إلى الأمام، وعلى الرغم من أن الناقدين قد اتهموا فيينا بالتسبب في الحرب؛ فإن الحرب كانت واقعة لا محالة، فلو عملت حكومتا ألمانيا والنمسا على تفادي الحرب بعد مقتل الأرشيدوق؛ لأدى هذا إلى تأجيل الكارثة إلى ظرف أكثر ملاءمة لخصومهما فقط.

إن من يتبجحون بلوم الذين أيقظوا إله الحرب من نومه، ويسدون النصائح السخيفة؛ يجب أن يحملوا وقبل سواهم وزر الحرب وجرنا إليها.

فمنذ عشرات السنين والاشتراكية الديمقراطية الألمانية تحرض على الحرب ضد روسيا، أما بالنسبة لأحزاب الوسط؛ فقد أسهمت في جعل النمسا حجز الزاوية في محور السياسة الألمانية، وذلك باعتبارات دينية بحتة.

وقد جنت البلاد ما زرعته الأحزاب السياسية وتحملت أخطاء هذه الأحزاب.

أما بالنسبة لألمانيا؛ فقد كان خطؤها الوحيد هو حرصها على السلام، فقد

تركت الظروف الملائمة للهجوم تفوتها للحفاظ على السلام الذي ذهبت هي ضحيته، بل ضحية التحالف العالمي لإشعال الحرب العالمية.

إن الإنذار الذي صاغته فيينا في قالب معتدل؛ قد أثار نقمة الشعب واعتبره إنذارًا ضعيفًا، فالحرب عام 1914 لم تفرض على الشعب، فقد أرادها الشعب برمته؛ إذ تقدم للجهاد مليونا ألماني بين رجل وفتى متأهبين جميعهم للدفاع عن الوطن؛ وبذل دمائهم في سبيله.

أما بالنسبة لي شخصيًا؛ فقد حررتني الحرب من جو الكآبة المسيطر عليّ؛ إذ سرعان ما دبّ في الحماس؛ فجثوت أشكر السماء لأنني ولدت في هذا العهد بالذات.

بدأ النضال المرير من أجل الحرية، فقد أدرك الشعب أنه مدعو إلى الكفاح والبذل، لا من أجل النمسا؛ بل من أجل الأمة الألمانية ذات التاريخ المديد، وهكذا بدأ الشعب يتبين مستقبله بعد سنين من التعامي.

لقد مرت بذاكرتي فكرتان بعد صدور البلاغ الرسمي حول مقتل الأرشيدوق؛ أن الحرب باتت محتمة، وأن الظروف ستفرض على النمسا احترام اتفاقاتها المعقودة، فقد كنت أخشى أن تضطر ألمانيا إلى دخول الحرب باسم الحلف الثلاثي من دون أن تكون النمسا السبب الرئيسي للحرب، وربما لاعتبارات سياسية داخلية ستُجبِن فيينا عن القيام بواجباتها كحليفة لألمانيا، ولكن وبما أن الواقعة وقعت بسببِ النمسا - في الظاهر على الأقل - فلم يبق أمام النمسا إلا أن تضع يدها في يدنا لنواجه الموقف معًا متحملين جميع النتائج.

إن موقفي من النزاع كان واضحًا، فقد علمت منذ اللحظة الأولى أن المسألة بالنسبة لألمانيا كانت أخطر من تأديب صربيا، فقد كانت كفاح الأمة الألمانية بأسرها في سبيل وجودها وحريتها، أدركت أن ألمانيا التي حقق لها بسمارك وحدتها، مدعوة مرة أخرى إلى البذل والتضحية، وأن ما قام به أجدادنا من تضحيات وبذل في ميدان المعارك الرهيبة من نيسمبورج إلى سيدان وباريس، يفرض على الجيل الحاضر أن يحرزه من جديد، فإذا تمكنا من الكفاح حتى النهاية، نكون قد حققنا النصرِ وأصبحنا في مصاف الأمم الكبرى، فتصبح الإمبراطورية الألمانية من جديد موئلًا للسلام من دون أن تضطر إلى حرمان أبنائها من قوتهم اليومي إكرامًا للسلام.

وما أن نشبت الحرب، حتى سارعت لتلبية نداء الواجب؛ فوضعت كتبي على الرف بعد أن قررت أن أحمل السلاح لأدافع عن وطني، وفي الثالث من شهر

أغسطس 1914؛ وجهت رسالة إلى جلالة الملك لويس الثالث؛ أطلب قبولي في إحدى القطاعات العسكرية البافارية، وكم كان سروري عظيمًا عندما وصلني في اليوم التالي القبول والموافقة على تطوعي بفيلق بافاري معين، وأقمت أنتظر بزوغ فجر اليوم التالي لأسافر إلى الجبهة، وقد كان همي الوحيد أن أصل إلى ساحة القتال قبل أن تنتهي الحرب؛ لأن الأخبار كانت تجمع على أن الحرب ستكون قصيرة.

وأخيرًا سافرنا إلى الجبهة، وأبصرت لأول مرة نهر الراين عندما اتجهنا غربًا لنسهم في الدفاع عن النهر الألماني العظيم.. وعندما شهدت تمثال جرمانيا رمز السيطرة الألمانية على رينانيا، امتلأت صدورنا بالفخر والاعتزاز، ونشدنا نشيد "الراين" وكلنا حماس وأمل بالنصر الكبير.. وصلنا سهول الفلاندر، وشرعنا بالزحف تحت ستار الظلام من دون أن نلقى أي مقاومة من العدو، ولكن ما أن بزغ الفجر.. حتى بدأ الرصاص ينهمر علينا، فتعالي هتافنا ترحيبًا بالموت والتحمنا مع العدو وسط حقول الملفوف (الكرنب)، وعلت أصواتنا بالأناشيد الحماسية، ومشينا إلى الموت ننشد "ألمانيا فوق الجميع".

بعد أربعة أيامٍ تراجعنا إلى حيث بدأنا الهجوم، لكن المدة القصيرة كانت كافية لنصبح رجالًا مدربين مكتملي الرجولة، فقد كان فليقنا فيلق "ليست" غير مدرب على القتال كما يجب، ولكننا كنا على استعداد تام للموت ميتة الأبطال العريقين في فنون الجندية والقتال.

توالت السنون، وانطفأت جذوة الحماسة في صدورنا؛ ليدخل مكانها الرعب والخوف من الموت، وقام في داخلنا صراع عنيف بين الواجب وحب البقاء، فقد كان الجبن يسيطر علينا محاولًا إقناعنا بضرورة التوقف والتمرد والثورة على قادتنا، ولكن ثباتنا وعنادنا كان يقوى على هذا الشعور المتخاذل، إلى أن انتهى هذا الصراع الداخلي، فاستعدت رباطة جأشي خصوصًا في معارك عام 1914، و لم يعد يراودني هذا الشعور منذ ذلك الحين، وكان هذا ينطبق على بقية رجالنا، فقد تمكن الجيش كله من التغلب على الخوف والضعف وجعلته المعارك المتواصلة صلبًا فولاذي الأعصاب، فقد أثبت الجيش الألماني باعتراف المؤرخين أنه فريد عصره بما أظهره من شجاعة وجلد في مقارعة خصومه، الذين يفوقونه عددًا وعدة، ولن ينسى العالم كله أن الجيش الألماني الباسل ضرب أروع الأمثلة في التفاني ونكران الذات.

لم يكن لدي الوقت في ذلك الحين للاهتمام بالسياسة، إلا أن بعض الصحف المعينة منذ إحرازنا أول انتصاراتنا؛ بدأت في تعكير صفو الابتهاج العام بأسلوب

بارع خبيث، استحال معه تبيّن خطر هذه الألاعيب وأهدافها الحقيقية، فقد عارضت الاحتفالات التي كانت تقام ابتهاجًا بالانتصارات العسكرية، بحجة عدم لياقتها بأمة عظيمة كالأمة الألمانية، فالشجاعة والأعمال البطولية، لا يبرران هذا الإسراف في الابتهاج؛ بل على العكس، قد يسيء إلى ألمانيا باعتبارها دولة محبة للسلام، وهي لم تُرِد الحرب في الأصل، بل هي راغبة في التعاون مع الدول على قدم المساواة.

نتيجة لهذه الحملات الخبيثة؛ قامت السلطات باتخاذ الإجراءات الكفيلة بالحد من الابتهاج العام غير اللائق، بدلًا من أن تأخذ بهؤلاء الثرثارين إلى ساحة الإعدام وتريح الشعب من فلسفتهم، لكن السلطات شاءت أن تكبت الحماس وتخنقه في صدور المواطنين، بدلًا من أن تدعهم يواصلون النضال وهم زاخرون بالقوة والحماس.

والشيء الثاني الذي كان يقض مضجعي منذ اشتعال نار الحرب الكبرى؛ هو التغاضي التام عن نشاط الماركسيين، وكانت حجة السلطات أن المصلحة تقتضي تكاتف جميع الأحزاب، ولا يجوز استثناء الماركسيين.

ولكن الماركسية لم تكن حزبًا؛ بل عقيدة يفضي انتشارها إلى تغيير المقاييس التي حفظت الكائنات، ويترتب على نجاحها القضاء على البشرية قضاءً تامًا.. وقد صرح وزير الداخلية بأن حزب الماركسيين قد دلل على صدق وطنيته وعاد إلى حظيرة الوطن.. وهذا هو الجهل بعينه.

لقد كان على السلطات أن تحزم أمرها وتتخذ جميع التدابير الكفيلة بالقضاء على المضللين والماركسيين ومن ورائهم اليهود، كان على الحكومة أن تقضي على أعداء ألمانيا، على تلك الحثالة الباقية في المؤخرة، بينما كانت النخبة في الأمام تجود بدمائها في ساحة القتال، لكن جلالة الإمبراطور شاء أن يمد يده إلى المجرمين، فعفا عن مصاصي دماء الشعب.. متيحًا لهم فرصة العمل بحذر وحكمة ممهدين الطريق أمام الثورة.

لقد زادت نقمتي على الأوضاع، وكنت أتساءل عن السبب الذي دعا المسئولين إلى هذا التسامح بدلًا من استعمال الشدة والعنف لتأديبهم، وهل تتمكن القوة من القضاء على العقيدة؟ ورجعت إلى التاريخ استقرئه، وخرجت بالمبدأ الأساسي التالي: تصبح العقائد والمبادئ المرتكزة إلى الفكرة الفلسفة ـ بعد أن تبلغ مرحلة معينة ـ أكثر متانة وقوة من أن يقضى عليها بالقوة المادية، إلا إذا وجدت هذه القوة المادية لتقديم فكرة أو عقيدة جديدة، وإلا لا يمكن القضاء

عليها أو منع انتشارها، اللهم إلا إذا أبيد جميع أنصارها ومؤيدوها من الوجود، وهذا يؤدي إلى الإطاحة بالدولة؛ لأن مذبحة كهذه ستقضي على الفريق الصالح من المواطنين مع غيرهم، فكل حركة اضطهاد لا ترتكز إلى أساس فكري؛ تظهر للعالم كأنها حركة ظالمة، وتدفعهم إلى العطف على المضطهدين، وبذلك تزداد قوة الأنصار تبعًا لاتساع حركة الاضطهاد.

إن الشبه الكبير بين العقيدة المحصورة في نطاقها الضيق وبين الكائن الحي وهو لا يزال طفلاً؛ هو أنه يتعرض للأمراض في مرحلة الطفولة، إنما السنون تكسبه مناعة كافية، وهكذا الفكرة أو العقيدة، يسهل القضاء عليها قبل أن تنمو وتنتشر، أما إذا جاء التدبير بعد انتشارها؛ فإن النتائج ستكون مخيبة للآمال للأسباب الآتية:

إن الشرط الأساسي لنجاح فكرة القوة لمكافحة عقيدة ما، هو الاستمرار في محاربتها من دون هوادة، أما إذا كان هناك قليل من التسامح، فالعقيدة لا تلبث أن تستجمع قواها وتعود إلى نشاطها من جديد، لكن الاستمرار في المكافحة يجب أن يقوم على أساس عقيدة أخرى، وإلا كان الاستمرار بالقمع يبدو مترددًا لافتقاره إلى الركائز التي تدعمه.. لهذا نجد أن جميع المحاولات التي بُذلت لقمع فكرة الماركسية قد باءت بالفشل.

إن ما اتخذه بسمارك من تدابير ضد الاشتراكيين؛ لم يؤد إلى نتيجة مُرضية، وذلك لعدم وجود فكرة أو عقيدة مضادة، وقد اضطر في النهاية - لا سيما بعد أن جنح الاشتراكيون نحو الماركسية - إلى الاستعانة بالديمقراطية البورجوازية، أي بكلمة ثانية.. بالاشتراكيين المعتدلين لمكافحة الماركسيين، وكان بعمله هذا كالذي يوصي القط بقطعة الجبن.

-4-

الحرب والدعاية

كانت الدعاية على جانب عظيم من الأهمية، فهي أداة لتنوير الأذهان من جهة، ولخداع من يُراد خداعهم من جهة ثانية، وقد لفت نظري أن الأحزاب الاشتراكية والماركسية كانت تتقن هذا الفن الذي لم يتعلمه سواهم من الأحزاب المناوئة عدا الحزب المسيحي الاشتراكي، الذي كانت لديه دعايات منظمة في عهد الدكتور لوجر.

وقد أدت الدعايات دورًا بارزًا في الحرب، وكنت وأنا أراقب نشاط العدو

في هذا الميدان؛ أكاد أتفجر غيظًا لإغفالنا خطر هذا الفن الفعال، والأدهى من ذلك؛ أن قادتنا لم يفكروا في اللجوء إلى هذا السلاح، مع أنهم لمسوا مدى تأثيره في معنويات الشعب والجيش.

نعم.. لم تكن لنا دعايات منظمة، وكانت الدعايات الممسوخة التي نوجهها تعطي نتائج عكسية؛ لأن الذين أوكل إليهم تنظيمها لم يُحمّلوا أنفسهم عناء تحديد الغرض منها، ومعرفة ما إذا كانت وسيلة أم غاية.

لقد كانت غايتنا من أكثر الغايات نبلًا وأشرفها، فقد كنا ندافع عن حرية شعبنا واستقلاله وتوفير طعامه وضمان مستقبله، لذلك كان المفروض في الدعايات أن تركز على هذا الهدف لتذكي روح النضال في شعبنا لبلوغ النصر.

عندما نكافح من أجل كياننا؛ لا يبقى هناك مجال للاعتبارات الإنسانية، لأن هذه الاعتبارات هي من صنع مخيلة الإنسان، فمتى زال هو زالت معه اعتبارات الإنسانية؛ لأن الطبيعية لا تعترف بها.

قال مولكته: "إن أساليب القتال العنيفة هي أكثر الأساليب إنسانية؛ لأنها تعجل في وضع حد للحرب، والنضال من أجل الكيان ينفي كل اعتبار جمالي؛ لأنه ليس هناك أقبح من ظلم الاستعباد".

نعم.. لقد كان "مولكته" محقًا، وقوله هذا ينطبق على القتال وعلى الدعاية، فالشعب قد حمل السلاح ليدافع عن كيانه، والدعاية التي تهدف إلى إذكاء حماسته الوطنية هي غاية يجب الوصول إليها مهما كانت الوسائل، فكل سلاح مهما يكن منافيًا لمبادئ الإنسانية، يصبح وسيلة إنسانية ما دام الغرض من استعماله الدفاع عن حريتها.

هل توجه الدعاية إلى المتعلمين أم إلى العوام؟

يجب توجيه الإعلان إلى عامة الشعب؛ فالمتعلمون يوجه لهم التفسير العلمي للدعايات، لأن الدعاية لا تحتوي من العلم أكثر مما يحويه الإعلان من عناصر فنية، ففن الإعلان يقوم على براعة الرسام في لفت النظر إلى إعلانه المرسوم، فمثلًا الإعلان عن معرض فني، يطلب أولا إبراز الفن في المعرض المعلن عنه، وإعطاء فكرة عن معنى هذا المعرض، أما الفن فلا يمكن للرسام أن يعطي أي فكرة عنه إلا بزيارة المعرض والنظر إلى جميع لوحة على انفراد.

إن الدعايات تهدف إلى لفت نظر الجمهور إلى وقائع وأحداث، لا إلى تنوير

الشعب على أساس علمي، لذلك وجب التوجه إلى قلوب الشعب لا عقله.

يجب أن تكون الدعاية شعبية لتكون في مستوى تفكيره، وكلما كان عدد الذين تنقل لهم الدعاية كبيرًا؛ وجب خفض مستواها العلمي، ليتسنى لجميع الطبقات تفهمها واستيعاب القصد منها، فالدعاية التي تتوجه إلى قلب الجمهور وحواسه قبل عقله؛ هي التي تكون أشد تأثيرًا فيه، شرط ألا تعتمد التضليل وقلب الحقائق.

لقد ركزت الصحافة الألمانية والنمساوية على السخرية من العدو، وإظهاره بمظهر الجبناء، ولكن هذه الدعاية كانت تعطي نتائج معكوسة، لأن قراء هذه الصحف كانوا يجدون في ساحات القتال جنودًا من الأعداء شجعانًا وأقوياء، لذلك؛ عوضًا عن تقوية روح المقاومة في الجنود، أضعفت من معنوياتهم وأثارت نقمتهم، بعكس الدعاية الإنجليزية التي كانت تبدو معقولة بارعة، فقد كانت تصور الألمان كقبائل "الهون" البرابرة، فهي كانت تعد الجندي الإنجليزي للثبات واليقظة، وعندما يجد في الألمان الشدة في القتال؛ يتأكد من أن الدعاية التي زودته بها حكومته لم تكن مضللة؛ فيقتنع أن الألمان برابرة.

لذلك.. كسبت الحكومة ثقة جنودها؛ فأيقنوا أن حكوماتهم تصارحهم بالحقيقة مهما كانت جارحة، بعكس الجندي الألماني فقد انتهى به العدو إلى اعتبار جميع ما تعلنه حكومته تضليلًا ونفاقًا، وكان فشل الدعاية الألمانية يعود إلى إهمال الاعتبارات السيكولوجية، وعدم إبراز موقف ألمانيا في شتى الميادين من دون اللجوء إلى المقارنة بين ألمانيا والدول الأخرى، أليس من السذاجة أن يعلن أحد معامل الصابون عن إنتاجه الجيد ذاكرًا أن الصابون الذي تنتجه المعامل الأخرى جيد أيضًا؟ فقد كانت دعاياتنا تقوم على هذا المنطق الأعوج، فالدعاية لا تكون إلا لمصلحة الفريق الذي تعمل له.

لقد وقعت الدعاية الألمانية في هذا الخطأ الكبير، حينما أكدت أنه لا يجوز أن تتحمل ألمانيا وحدها مسئولية جر العالم إلى الحرب، وأن العدو يجب أن يتحمل قسمًا من هذه المسئولية؛ فهي قد اعترفت ببعض الحق للعدو، أما شعبها الذي يسوده الشك والارتياب في حكومته، فلما لبث هذا الشعب أن وقع في دوامة القلق، وأصبح عاجزًا عن التمييز بين مسئولية العدو ومسئولية وطنه، وزاده ترددًا وتشكيكًا دعاية العدو المضادة، التي كانت تضع كل المسئولية على ألمانيا وحدها وتحملها جميع التبعات؛ فانتهى به الأمر إلى الوقوع في حبائل الدعاية المضللة.

لقد أدرك الإنجليز أن أكثرية الشعوب في الأزمات تأتي آراؤها وتصرفاتها نتيجة المؤثرات لا نتيجة التفكير المجرد، فالتأثير الذي يسيطر على الشعوب ليس إلا الشعور بالحب أو البغض، بالصدق أو الكذب بالقوة أو الضعف.

لقد اكتشف الإنجليز سر الدعاية، وعرفوا كيف يستخدمونها كسلاح أساسي، فجندوا لها رجالًا أكفاء، فنجحوا نجاحًا باهرًا.

أما نحن؛ فقد اعتبرنا الدعاية سلاحًا ثانويًا، وعهدنا بها إلى نفر من حملة الأقلام البعيدين عن الجمهور؛ فكانت النتيجة الفشل.

ـ 5 ـ

الثورة

بدأت حملة العدو الدعائية عام 1915، وخلال عام 1918؛ تدفقت الإشاعات والأكاذيب على ألمانيا بشكل ظاهر؛ ما أثر تأثيرًا مباشرًا على الجيش، وبدأ يحول تفكيره نحو تصديق ما كان يقوله العدو، وفي الصيف وبعد إخلاء الضفة الجنوبية لنهر المارن، وقفت صحافتنا الألمانية موقفًا مخزيًا إن لم نقل مجرمًا، وقد رحت أسائل نفسي بألم: ماذا تنتظر السلطات لوقف هذه الحملات المسعورة المضعفة لمعنوياتنا؟

ماذا صنعت فرنسا عام 1914 عندما اجتاحت جيوشنا أراضيها؟ وما هو الموقف الذي وقفته عام 1918 عندما أوشكت جيوشنا على دخول باريس؟ لقد قامت الدعاية لتلعب دورها المنظم في إلهاب صدور الشعب بالحماس، مدخلة في عقولهم أن النصر النهائي سيكون لهم.

كما تألمت لأنني لم أكن مكان المسئولين عن الدعاية الألمانية، وهم العاجزون أو المقصرون، ولكن شاءت الظروف أن أكون في وضع يسمح لأي زنجي أن يصرعني برصاصة، مع العلم أنني لو كلفت بمهمة أخرى؛ لأسديت لبلادي خدمات كثيرة، ولكن ما حيلتي أنا الجندي البسيط بين ثمانية ملايين رجل!

في أحد أيام الصيف من عام 1915 وقعت على إحدى النشرات الدعائية التي كان يوجهها العدو، فقرأت فيها أن المجاعة بدأت تنتشر في ألمانيا، وأن الحرب طويلة، و لم يعد هناك أمل في كسب الحرب، لذلك فإن الشعب الألماني يريد السلم، لكن العسكريين والقيصر لا يريدون له السلم.. بل الحرب، وإذا كان العالم قد حمل السلاح، فليس معنى هذا أنه يحارب شعب ألمانيا، ولكن غاية الحلفاء هي معاقبة المسئول الوحيد! القيصر غليوم، ولن تنتهي الخلافات إلا بعد إقصاء القيصر عدو البشرية، ومتى انتهت الحرب ستفتح الشعوب الحرة والديمقراطية ذراعيها للشعب الألماني كي تتعاون وإياه تحت جناح السلم العالمي الدائم، هذا السلم الذي ستقوم دعائمه على أنقاض الروح العسكرية البروسية.

كانت هذه النشرات تقابل بالسخرية التامة، ولكن العدو استمر في إرسالها بواسطة الطائرات، وقد لاحظنا أن النشرات التي كانت تلقى فوق الأراضي التي يسكنها بافاريون تتضمن هجومًا عنيفًا على بروسيا، زاعمة أنها المسئولة عن نشوب الحرب، مع أن الحلفاء لا يريدون الحرب مع بافاريا، ولكن لا يسعهم أن يساعدوها طالما هي مع البروسيين، و لم تلبث هذه الدعاية المسمومة أن أثرت تأثيرًا كبيرًا، فازدادت النقمة على بروسيا؛ خصوصًا في الجيش، من دون أن تكترث لها السلطات، ولما قررت التدخل؛ كان الوضع قد أصبح خطيرًا وأفلت زمامه من يدها، ودفع ثمن تهاونها الشعب الألماني كله.

وقد أسهم في إضعاف معنويات الجنود، الرسائل التي كانت ترسلها النساء إلى أزواجهن يشكون فيها ما يقاسينه من عذاب وحرمان.. وقد حصل العدو على بعض الرسائل مع الأسرى؛ فاستغلها في الدعاية أحسن استغلال.. وهكذا بدأت الأزمة تتفاقم، ولكن بقيت هناك معنويات طيبة بين الجنود، إذ إنهم كانوا يؤدون واجبهم على أكمل وجه ويدافعون عن كل شبر من أرض الوطن.

في شهر سبتمبر عام 1916؛ تلقينا الأوامر للالتحاق بالفيالق المقاتلة قرب نهر "السوم"؛ حيث شاركنا في قتال رهيب مع العدو، وكان سلاحنا جديدًا؛ ما جعل من المعركة جحيمًا، وفي السابع من أكتوبر أصبت بشظية، فنقلت إلى المؤخرة؛ حيث أقلني القطار إلى ألمانيا، وأدخلت إلى مستشفى بيليتز في ضواحي برلين، وهناك قدر لي أن ألمس الفرق بين الروح الوطنية المسيطرة في الجبهة.. وبين المؤخرة، لقد سمعت ما لم أسمعه في ميدان القتال، سمعت جريحًا يتحدث ويفاخر بفشله وجبنه، وسمعت آخر يقول إنه جُرح بالأسلاك الشائكة كي ينقلوه إلى المستشفى، وقد لاحظت أن بعض المستمعين كان يصغي إليه مستحسنين ما يقوله، ما إن تمكنت من المشي من دون تعب؛ حتى طلبت الإذن بإخراجي من المستشفى؛ حيث انتقلت إلى برلين التي كانت في حالة غليان شديد، فالمجاعة متفشية والأمراض تفتك بالناس والنقمة على الأوضاع ظاهرة على وجوه الجميع.

بعد شفائي التام؛ أُلحقت بفوج الاستيداع في ميونيخ، وهناك كانت الحالة أسوأ من برلين، وقد أذهلتني الروح الانهزامية المستسلمة التي سيطرت على مدينة الفن، وكانت معنويات الجنود في الفوج الذي ألحقت به أسوأ من معنويات السكان، فقد كان مدربو الفوج من الضباط المستجدين الذين لم يذهبوا إلى الجبهة قط، لذلك لم يتمكنوا من تفهم نفسية الجنود الذين قاتلوا وأصيبوا ودفعوا ضريبة الدم.

ومن جملة ما لاحظته؛ أن الحالة الروحية إجمالا لم تكن مرضية، فاليهود

كانوا يشغلون معظم الوظائف المدنية، والحياة الاقتصادية أصبحت معلقة بيد اليهود، الذين بدؤوا بامتصاص دم الشعب الألماني بأسلوبهم الناعم، فقد وجد اليهود أن حصر الإنتاج الحربي فيهم هو الأداة الأساسية لضرب الاقتصاد القومي، وهكذا كان؛ إذ لم يأت شتاء 1917 حتى أصبح الإنتاج الحربي بأسره خاضعًا للرساميل اليهودية.

وكان الشعب الألماني، في هذه الأثناء، يغذي الأحقاد في صدوره، فقد كانت الدعايات تحرض الناس على معاداة البروسيين، بينما بقيت السلطات على الحياد من هذه العداءات، مع العلم أنه لو انهارت بروسيا، فهذا لن يدعم موقف بافاريا، بل على العكس؛ فإن سقوط أحدهما سيؤدي إلى سقوط الاثنين.. معًا، وكان اليهود كعادتهم وراء هذه الدسائس، فقد شغلوا بروسيا وبافاريا بالخلافات، بينما راحوا يمتصون دماء الشعب وموارد رزقه، وبينما كان البافاريون يشتمون بروسيا، كان اليهود يهيئون الثورة، فيقوضون دعائم بروسيا وبافاريا معًا.

لم أعد أحتمل هذه الحالة؛ لذلك قررت العودة إلى الجبهة، وغادرت ميونيخ في مارس عام 1917، وقد لاحظت ارتفاع معنويات الجيش الألماني، فقد أنعش الأمل في نفسه انهيار المقاومة في روسيا وانهزام الإيطاليين في خريف 1917؛ فشدد هذا من عزائمهم وزاد من ثقتهم بأنفسهم، ومر الشتاء عام 1918 هادئًا، ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

فبينما كانت استعدادات الجيش الألماني قائمة على قدم وساق، استعدادًا للهجوم الكبير في الربيع المقبل؛ حدثت المفاجأة غير المنتظرة.. فقد لجأ أعداء الأمة إلى طريقة بدت لهم أنها ستوقف هجوم الربيع المنتظر.

فقد هيئوا لإضراب عمال مصانع الذخيرة...

قدروا أن الإضراب سيترتب عليه شل حركة الجيش في هجومه المنتظر؛ ما سيدفع بالحلفاء إلى الهجوم وفتح ثغرات عديدة في الجبهة الألمانية، وبذلك يتفادى أعداء ألمانيا الهزيمة، وتسيطر الرساميل (رأس المال السياسي) الدولية على ألمانيا، وتبلغ الماركسية الخداعة هدفها الرئيسي.

لكن هذا الإضراب المصطنع لم يعط النتائج التي أرادها الأعداء؛ لأن الإضراب لم يستمر إلا وقتًا قصيرًا، ولم تفتقر الجبهة إلى الذخيرة، إلا أن الأضرار المعنوية كانت كبيرة، فقد بدأ الجنود يفكرون في "كيف يمكنهم القتال ولأجل من يقاتلون، طالما أن بلادهم تضرب لتمنع عنهم الذخيرة؟".

ولكن.. ما كان صدى هذا الإضراب عند اليهود؟

في شتاء 1918 خيم التشاؤم على صفوف الحلفاء، فمنذ أربع سنوات والجيوش الحليفة تهاجم العملاق الألماني من دون طائل، مع العلم أن الجيش الألماني كان يحارب على ثلاث جبهات، أما الآن؛ وبعد أن قضى على الحليف الروسي واطمأن إلى مؤخرته، تفرغ نهائيًا لمنازلة أعدائه الباقين، وبذلك أصبح من المتوقع أن يبدأ الجيش الألماني بشن هجومه الكبير.

ساد الصمت الرهيب على طول الجبهة، وكف العدو عن ثرثرته في إيهام الرأي العام عن انهزام ألمانيا.

لقد مرت ثلاث سنوات وجنودنا يقارعون العملاق الروسي، وكان الرأي السائد في عواصم الدول الحليفة؛ أن النصر سيكون للعملاق الروسي الذي كان يتميز بالتفوق العددي.

بعد معركة تاننبرج.. بدأت قوافل الأسرى من الروس تصل إلى ألمانيا، ولكن كثرة عدد الروس بدت كأنها لن تنفد، فكل جيش نسحقه كنا نجد مكانه جيشًا آخر يحل محله، ولكن الجبار الروسي سقط، و لم يبق أمامنا إلا الهجوم الصاعق.. بعد توحد شطري جيشنا الباسل.

لقد كان الحلفاء في موقف حرج، فبينما كانوا يقفون بانتظار مصيرهم المحتوم، وبينما كانت القيادة الألمانية تستعد لإصدار تعليماتها للهجوم؛ أعلن الإضراب العام في ألمانيا، وتنفس العدو الصعداء، وبدأت دعاياته تنصب على رفع معنويات جيوشهم، محاولة إقناعهم أن مصير الحرب لن يقرره الهجوم الألماني؛ بل إن النصر سيكون حليف الذي يثبت للنهاية.

*

كان لي شرف المشاركة في الهجوم الأول والهجوم الأخير، ولن يمكنني نسيان تلك التظاهرات الحماسية التي رافقت انتقالنا من الدفاع إلى الهجوم، فعادت كتائبنا المظفرة تهز ألويتها وتنشد أناشيدها، متأكدة أن النصر سيكون حليفها في الغرب.. كما كان لها في الشرق.

لكن القدر كان يعد مفاجأة لشعبنا، ففي الصيف من عام 1918؛ ظهرت علامات الإعياء في الجبهة، بينما بدأ الشقاق يدب بين صفوف المواطنين في المؤخرة، و لم تلبث الأخبار والإشاعات أن وصلت إلى الجبهة

فمن قائل إن الشعب يرفض القتال، ومن قائل إن النصر قد أفلت من يد ألمانيا، وإن الرأسماليين والقيصر غليوم هم أصحاب المصلحة في استمرار الحرب.

في ليل 14 أكتوبر من العام نفسه؛ انصبت المدافع الإنجليزية على خطوطنا بأمطار من قنابل الغاز المعروف باسم "الغاز ذي الصليب الأصفر"، ومن مميزاته أن المرء لا يشعر بوجوده كي يتجنبه، وكانت فرقتنا تعمل على الجبهة جنوب نهر "الايبر" عندما فوجئنا بالغاز، وفي الليل بدأ نقل المصابين إلى المؤخرة، وكنت واحدًا منهم، فنقلت إلى مستشفى "باسفلك"؛ حيث شاء سوء حظي أن أشهد هناك الثورة.

لم تكن الثورة مفاجئة لكثيرين منا، فقد كان منتظرًا نشوبها بين يوم وآخر، وفي نوفمبر عام 1918؛ انطلقت الشرارة الأولى، فوصل ذات صباح جمهور من رجال البحرية في كميونات للجيش، وبدؤوا يحرضون الشعب على التظاهر، تحت راية العمل من أجل حرية شعبنا وكرامته، وقد لاحظت أن زعماء الحركة كانوا من الشبان اليهود، الذين لم يسبق لهم أن حملوا السلاح.

امتدت العدوى إلى ميونيخ، وكنت لا أزال أعتبرها ثورة ضيقة النطاق يقوم بها نفر من رجال البحرية، لكن الأيام أظهرت لي أن الثورة قد تفاقمت وعمّت البلاد، حتى إنها وصلت إلى الجبهة؛ حيث بدأت الإشاعات عن إلقاء السلاح.

وحدث أن جاء إلى المستشفى أحد رجال الدين ليلقي فينا موعظة، ومنه علمت كل شيء، فقد كان يتكلم بصوت متهدج، ويقول إن آل هوهنزولرن قد فقدوا حقهم بالعرش، وإن ألمانيا قد بدلت النظام الملكي بالنظام الجمهوري، ودعانا إلى الصلاة للنظام الجديد، ثم أخبرنا أن بلادنا خسرت الحرب، وأصبحنا الآن تحت رحمة العدو، وعلينا أن نقبل بالأمر الواقع ونستسلم للشروط المفروضة من دون أن نقنط من رحمة العدو وتسامحه.

عندما وصل القسيس إلى هذا الحد؛ لم أتمالك نفسي.. فخرجت من الغرفة أتلمس طريقي إلى السرير؛ حيث ارتميت عليه ودفنت رأسي تحت الغطاء.

لقد خسرنا كل شيء، وأكثر من ذلك خسرنا مليوني شهيد قتلوا في ساحة الشرف.

كيف سيتبرر موقفنا للأجيال المقبلة؟ وكيف سنكتب غدًا تاريخ هذا الحديث؟

إن الذين تسببوا في وقوع الكارثة ولطخوا بالعار تاريخ شعبنا المجيد؛ قد جنوا على هذا الشعب من دون أن يشعروا.

إن الحقد يغلي في صدري على أولئك الذين سببوا الكارثة، ومرت الأيام وأيقنت أن الاعتماد على سخاء العدو وتسامحه هو نوع من الجنون؛ بل هو الخيانة ذاتها.

قررت الاشتغال بالسياسة واضعًا أمامي إنقاذ ألمانيا من عدوين: الماركسية واليهودية، إن غليوم الثاني كان أول إمبراطور ألماني مد يده إلى الماركسيين؛ الذين صافحوه وبيدهم الأخرى يخفون الخنجر المسموم.

-6-

نشاطي السياسي

في شهر نوفمبر عام 1918؛ رجعت إلى ميونيخ لكي أنضم إلى البقية الباقية من أفراد فيلقي في الاستيداع، وقد وجدت الفيلق تحت عهدة "المجلس العسكري" الذي سرعان ما برمت به وبأساليبه، فانتقلت إلى "ثروتشتين" مع صديقي أرسنت شميت، و لم أعد إلى ميونيخ بعد ذلك إلى عام 1919.

كانت الحالة في المدينة غير مستقرة، فبعد وفاة "إيرنز" سادت الدكتاتورية السوفيتية، وخفت سيطرة اليهود الذين بذروا بذلة الثورة.

لم تمنعني الحوادث الجارية من الجهر بآرائي؛ ما حدا بالسوفييت المركزي في ميونيخ إلى وضع اسمي في اللائحة السوداء، لائحة أعداء الثورة، وقد اضطررت إلى شهر السلاح في وجه ثلاثة رجال جاءوا لاعتقالي؛ فعادوا من حيث أتوا و لم يعاودوا الكرة.

بعد إنقاذ ميونيخ؛ انتخبت عضوًا في لجنة للتحقيق في حوادث العصيان والثورة التي شطرت فيلق المشاة الثاني إلى قسمين، ثم تلقيت أمرًا بمتابعة دروس خاصة في التنشئة الوطنية، التي كانت تلقي على أفراد القوات المسلحة، وهناك تعرفت إلى رفاق كثيرين يوافقوني الرأي على الحالة السياسية، وكانوا جميعهم مقتنعين أن الذين ارتكبوا جريمة نوفمبر لن يتمكنوا من إنقاذ ألمانيا، أما بالنسبة للأحزاب البورجوازية القومية؛ فهي عاجزة عن إصلاح ما أفسده المفسدون.

وقمنا بوضع الخطوط الأولى لتأليف حزب جديد يقوم على مبادئ تقدمية، وقد قررنا أن نعطي الحزب اسمًا يروق للجماهير الشعبية كي تلتحق به، فسميناه "الحزب الاجتماعي الثوري"، باعتبار المبادئ الاجتماعية لحزبنا الجديد كانت ذات طابع تقدمي ثوري، وقد كان هناك سبب مهم دفعني إلى اختيار هذا الاسم،

ذلك أن اهتمامي بالمسألة الاقتصادية لم يتح لي دراسة المشكلات الاجتماعية، فلما تعمقت بدراستي؛ اتضح لي أن سياسة التحالفات الألمانية كانت نتيجة لتقدير خاطئ لأسس الحياة الاقتصادية، كما اتضح لي أن معرفة المسئولين عن رأس المال كانت ضعيفة وسطحية، فما هو رأس المال؟

إنه نتيجة العمل، وهو غير ثابت لأنه خاضع كالعمل نفسه إلى العوامل المؤاتية لنشاط البشر او المعرقلة لها، وعلى هذا تبقى أهمية رأس المال مرتبطة بقوة الدولة وحريتها، فتوجيه رأس المال تمليه مصلحة حرية الدولة واستقلالها، يجره بالتالي إلى خدمة حرية الدولة وعظمتها، وبذلك يجب على الدولة إبقاء رأس المال خاضعًا لها بدلًا من أن تتركه يطغى على الأمة، وهذا لا يتم إلا إذا أصبح الاقتصاد القومي مستقلا، وأصبحت حقوق العامل الاجتماعية مضمونة.

لم يكن هناك فرق كبير بين رأس المال الذي هو ثمرة العمل المنتج، وبين رأس المال الذي يقوم على المضاربات، وكان الفضل يعود إلى الأستاذ فيدر الذي لفت نظري إلى أهمية رأس المال الذي وجدت فيه الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه الحزب الجديد.

كان الأستاذ فيدر يشدد على ضرورة التمييز بين رأس المال الدولي الخاضع لسياسة المضاربات، ورأس المال المرتبط بالاقتصاد الشعبي، وقد حاول النقاد إيجاد ثغرات في نظريته؛ لكنهم اعترفوا أخيرًا بصحتها، ولكن لم يثقوا بإمكانية تطبيقها عمليًا.

إن ما ظهر للناقدين ضعيفًا في نظرية الأستاذ فيدر، بشكل نظري موطن للقوة؛ إذ إنه ما يجب على صاحب مشروع ما أن يهتم به كفاية قبل الواسطة، وبالتالي ينبغي على من يضع مشروعًا لحركة ما؛ أن يحدد الغاية منها، أما تحقيق هذه الغاية.. فيسلم إلى رجل السياسة، فتتجلى عظمة الأول في صحة نظرياته وآرائه، وتظهر عظمة الآخر في تقديره للأمور ومعالجته لها، واستخدامها على ضوء التشريعات التي حددها رجل الفكر.

إن فكرة مثالية ذات أهداف كبيرة لا يمكن تحقيقها بالطرق والوسائل البشرية المعروفة كما صورها عقل صاحبها، لذلك لا يجوز أن نقيس عظمة صاحبها بمقدار ما تحقق من فكرته، ولكن بمدى تأثير هذه الفكرة في تقدم البشرية، أما إذا افترضنا أن نجاح الفكرة نجاحًا كليا هو المقياس لعظيمة موجدها؛ فإننا لن نجد مكانًا بين العظماء لمؤسسي الأديان السماوية؛ لأن تطبيق تعاليمهم الروحية بشكل علمي لهو من الأمور المستحيلة، وإنما أهميته تقوم على الفكرة الموجهة التي أراد مؤسسها أن يصقل الأخلاق والعادات البشرية.

وهذا الفرق الكبير بين مؤسسي الفكرة وبين رجل السياسة؛ يجعل من النادر جدًا أن يجتمع كلاهما في شخص واحد، وهذا ينطبق على رجال السياسة العاديين الذين مارسوا نشاطهم ضمن نطاق الممكن، وقد أشار بسمارك إلى هؤلاء عندما حدد السياسة بقوله إنها "فن العمل في حدود الممكن".

من المؤسف أن نرى مشاريع رجال السياسة البعيدة عن الأفكار السامية والواضحة؛ تصادف نجاحًا كبيرًا وبوقت قصير، لكن هذه المشاريع تكون قصيرة الأجل؛ فإنها تموت بموت صاحبها؛ فهي لا تعود بأي نفع على الأجيال المقبلة؛ لأن نجاحها يقوم على إهمال المشاريع البناءة البعيدة الأثر، ومن الغريب أن نرى أن متابعة هذا النوع من الأهداف السامية لا يرى تشجيعًا من جانب المواطنين؛ فهم يهتمون بالزعماء الذين يؤمنون لهم بطاقات الحليب والبيرة وطعامهم اليومي، تاركين الذين يفكرون بالمشاريع البعيدة الهدف التي لا يستفيد منها إلا الأجيال المقبلة.

لهذه الأسباب.. نرى معظم رجال السياسة ينصرفون عن المشاريع ذات الهدف البعيد؛ حرصًا منهم على ترضية جمهورهم الذي يهمه الوقت الحاضر.

لقد أدركت على ضوء نظريات الأستاذ فيدر؛ أن جهودنا يجب أن توجه ضد فكرة رأس المال الدولي، وقد أثبتت الحوادث صحة هذا الرأي، فحتى نوابغ السياسة البورجوازيين في هذه الأيام أدركوا مدى خطورة رأس المال الدولي، فهو لم يكتف بإثارة الحرب العالمية، بل جعل من السلم جحيمًا لا يطاق، و لم يبق شخص مخلص واحد إلا وأدرك أن محاربة رأس المال المعد للقروض؛ أصبح واجبًا وطنيًا لإنقاذ الأمة وإنقاذ حريتها واقتصادها.

فإلى الذين يتخوفون من هذا الاتجاه، أطمئنهم أن مخاوفهم ليست في محلها، فقد جربت ألمانيا عدة تجارب اقتصادية على غير طائل، ويذكرني تحفظ هؤلاء بتلك الآراء السخيفة التي طلع بها مؤتمر الأطباء البافاريين عندما تنادوا ضد مشروع إنشاء السكك الحديدية، وكانت حجتهم أن المسافرين سيصابون بالدوار، وكذلك السكان الذين سيمر بهم القطار، وأوصى المؤتمرون بإقامة حواجز من الخشب أو غيره يحول دون رؤية الجمهور للقطار وهو يمر بسرعة كي لا يؤثر هذا المشهد على أعصابهم.

فنصيحتي للذين يريدون التطور التدريجي أن يدعوا هذا العمل لغيرهم من المخلصين الذين يقدمون لعرقنا وشعبنا أسباب النمو، كي يمكنه أن يغذي أبناءه ويحفظ دمه نقيًا.

عدت إلى دراسة نظريات اليهودي كارل ماركس؛ فتوضحت لي هذه المرة أهداف رأس المال كما حدده هو، وتبينت بوضوح ما تهدف إليه الاشتراكية الديمقراطية من جراء محاربتها للاقتصاد القومي، فهي تهدف إلى تسخير مالية البلاد واقتصادياتها لخدمة وسيطرة الرأسمال اليهودي.. وقد اشتركت في عدة مناقشات حول هذا الموضوع، وفي أحد الأيام وقف أحدهم ليدافع عن اليهود والماركسية بشكل لفت نظر المستمعين، وقد رددت عليه بشكل عنيف مقنع؛ ما حمل الكثيرين على تبني وجهة نظري.

بعد أيام ألحقت بإحدى الثكن العسكرية في ميونيخ بصفة مربيًا عسكريًا.

بدأت مهمتي الجديدة بحماس شديد، مع أن روح الانضباط كانت ضعيفة؛ فكان عليّ أن أدرب الجنود على التفكير قوميًا ووطنيًا؛ ما فتح أمامي فرصة صقل موهبتي في الخطابة والتحدث في حفل كبير، وسرعان ما أصبحت محدثًا بارعًا وخطيبًا قوي الصوت.

لقد تكللت جهودي بالنجاح، فتمكنت من إعادة مئات من الجنود ضحايا الماركسية، إلى فكرة الوطن والشعب، كما تمكنت من إعادة الانضباط إلى عهده السابق.

ـ 7 ـ

أسباب الانهيار

إن مقياس عمق سقطة جسم ما تقاس بالمسافة بين مكان سقطته والمكان الذي سقط منه، وهذه النظرية يمكن تطبيقها على سقوط الشعوب والدول.

لقد كان سقوط الإمبراطورية من ارتفاع شاهق، فكان الانهيار هائلًا، فالإمبراطورية لم تبن على ثرثرة البرلمانيين، بل على سواعد جنودها وأعمالهم البطولية الخارقة، ففي الحرب السبعينية وبينما كانت المدافع تقصف باريس، اختمرت فكرة تأسيس الإمبراطورية وجعل التاج الإمبراطوري من جديد رمزًا للوحدة المقدسة.

لقد نشأت دولة بسمارك على سواعد جنودنا في ساحات القتال، وأحيطت ولادتها الإمبراطورية بهالة من المجد التاريخي، وعندما بدأت تتسلق درج التقدم؛ أيقن العالم أنها ستبلغ ذروة المجد.. وينعم شعبها بالحرية والطمأنينة والرخاء.

من هذه القمة العالية سقطت الإمبراطورية.. وانتاب الذهول شعبها؛ فباتوا عاجزين عن تكوين فكرة صحيحة عمّا كان عليه بلدهم قبيل انهياره، فكيف يمكنهم أن يلمسوا العوامل التي أدت إلى هذا الانهيار.

ما أقل الذين شعروا بأعراض الانحلال، فالذين كشفوا موطن الداء حاولوا علاجه، لكن المخلصين منهم خلطوا بين أعراض المرض وعلته، فاليوم نعتبر أن ضعف الجهاز الاقتصادي هو السبب المنطقي للهزيمة، فالمثقفون يعتبرون أن الهزيمة كانت هزيمة اقتصادية قبل أن تكون عسكرية، لذلك يحاولون بناء الأمة على أساس اقتصادي سليم.. لكن العامل الاقتصادي يأتي في المرتبة الثانية؛ لأن أهم سبب أدى إلى الانهيار هو عامل السياسة والمعنويات وعامل الدم.. وانطلاقًا من هذه الحقيقة؛ يمكننا تشخيص المرض وإيجاد الدواء الشافي.

إن من الأقوال المنتشرة لتعليل انهيار الإمبراطورية "يجب علينا أن نتحمل نتائج الحرب، أي الأزمة التي نعانيها من جراء الحرب الخاسرة".

وبلا شك هناك من يأخذ بهذا التعليل عن حسن نية.. ولكن هناك من يتعمد تضليل الناس بهذا التعليل، فنجد قسمًا كبيرًا من هؤلاء الخبثاء في أوساط الحكومة بالذات.

لم ينس المواطنون عتاب دعاة الثورة من ماركسيين ويهود على الشعب؛ لأنه لم يلجأ إلى العصيان حين كانت الحرب في بدايتها ليفوت على الرأسماليين لذة النصر وفوائده، ألم يؤكد هؤلاء الخونة على وجوب القضاء على روح العسكرية البروسية، لأن هذا باعتقادهم الضمان الوحيد للاستقرار وللحرية؟ أما بعد الكارثة؛ فقد رأيناهم يلقون تبعة الانهزام على الجيش، وفي الوقت نفسه يعللون متاعب البلاد ومشكلاتها الخانقة بهزيمة الجيش العسكرية.

لا أنكر أن تأثير الهزيمة كان سيئًا على مستقبلنا، ولكن هذه الهزيمة لم تكن عاملًا مسببًا، بل كانت نتيجة عوامل أخرى يعرفها الخونة الذين يتجاهلونها اليوم، لأن الهزيمة كانت نتيجة تآمرهم ودسائسهم، و لم تكن الهزيمة كما يدعون بسبب سوء تصرف القيادة العامة، فالكل يعلم أننا جابهنا جيوشا تفوقنا بالعدد والعتاد، ومع ذلك انتصرنا عليها طوال أربع سنوات، بفضل قيادتنا العسكرية الحكيمة.

إن المحنة الحالية لم يسببها تداعي الجبهة، بل كانت نتيجة لجرائم اقترفها الذين جعلوا من الجيش كبش الفداء في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات المطالبة بتحديد

المسئوليات ومحاكمة المسئولين، متى كانت الهزيمة العسكرية تسبب انهيارًا كاملا للدولة والأمة؟ ومتى كانت خسارة الحرب تحتم هلاك الشعب؟

إن الشعب الذي يصل إلى هذا الدرك، هو شعب فاسد وجبان ونذل، أما الشعب إلى يتمتع بمعنويات وفضائل سليمة؛ فإن خسارة الحرب تصبح بالنسبة له كالدواء المقوى ليدفع به إلى الأمام.

كانت الهزيمة العسكرية قصاصًا أنزلته بنا العدالة السماوية، هي تشكل ظاهرة ملموسة تنم عن وجود التشقق والتصدع الذي تعامى الشعب عن رؤية عوارضه، وقد افتضح أمره وظهر للعيان بصورته البشعة بالطريقة التي تقبل بها شعبنا الألماني الهزيمة الشنعاء.

ألم يتلق الماركسيون واليهود ومن لف حولهم نبأ الهزيمة بالفرح والابتهاج؟ ألم نسمع تشدق البعض بأنهم أصحاب الفضل في هذا الانهيار، وأن العدو لم يفعل سوى الإجهاز علينا؟ ألم يحمّل فريق منا ألمانيا تبعة الحرب وما سببته من ويلات؟ لقد تقبل الشعب الألماني نبأ الهزيمة بطريقة لا تشرفه، وبذلك يكون قد استحق القصاص الذي أنزل به، فلو كانت الأقدار مسئولة عن الهزيمة؛ لما وجد بيننا من يبتهج للمحنة، ولما تشدق المتشدقون بأنهم أصحاب الفضل في إضعاف الجبهة، ولما راح الماركسيون يكرسون الهزيمة ويهينون الجيش المهزوم ويدوسون الإعلام بأرجلهم، ولما كان لضابط إنجليزي أن يقول "بين كل ثلاثة ألمان تجد واحدًا خائنًا".

إن الهزيمة التي لحقت بنا كانت نتيجة الداء الذي أصاب الأمة في زمن السلم، فقضى على مناعتها وأضعف معنوياتها وشل منها غريزة حب البقاء، لكن اليهود وأتباعهم الماركسيين الذين ينفذون لهم خططهم؛ أرادوا أن يحددوا المسئوليات ويحصروها ويلقوا بتبعة الهزيمة على شخص واحد هو لودندورف.. هذا القائد الفذ الذي عمل جاهدًا ليجنب الأمة الانهيار الكامل.

لقد جردوه من سلاحه المعنوي الوحيد الذي يستطيع أن يشهره في وجه الخونة، لأن "المتهم" لا يصلح كشاهد إثبات يوم يأتي يوم الحساب ويصار إلى تحديد المسئوليات.

فالماركسيون وأساتذتهم اليهود عندما أطلقوا كذبتهم الجديدة، كانوا يعملون أن الشعب لن يتبين ما وراء هذه اللعبة، وهذا كاف لخلق جو من البلبلة يحول الأنظار عن المسئولين الحقيقيين.. إن إتقان الكذبَ هو فن يجيده اليهود؛ لأن

كيانهم من أساسه يقوم على كذبة ضخمة.. ألا وهي زعمهم أنهم طائفة دينية، مع أنهم في الواقع جنس وأي جنس؟

لقد وصف شوبنهور اليهود بأنهم أساتذة عظام في فن الكذب، ولا شك أن الرجل لم يظلمهم.. عندما بدأ ازدياد عدد السكان يشكل خطرًا على ألمانيا، اهتم المسئولون بمسألة تأمين القوت اليومي للمواطنين، فبدلًا من أن ينشدوا الخبز مثلا من أوروبا بالذات بسياسة التوسع، اعتمدوا سياسة غزو العالم اقتصاديًا، فترتب على هذه السياسة توسع في الإنتاج، وكان من نتيجة هذا التوسع، انخفاض مستوى الفلاحين، وازدياد عدد العمال في المدن الكبرى بشكل كبير، أدى إلى اختلاف التوازن بين عنصري الأمة المجيدين، وانقسمت الأمة إلى قسمين: الأغنياء والفقراء، وقد لفت هذا الانقسام نظر الماركسيين إلى ضرورة استغلال الضائقة المسيطرة على العمال، واستطاعوا بالتالي أن يوسعوا الهوة بين الطبقات.

في الوقت الذي أصبح الاقتصاد فيه كالعمود الفقري للدولة، ارتكبت غلطة فظيعة، فقد شجع الإمبراطور غليوم النبلاء على الانصراف للشئون المالية، فاستهوت الصفقات المالية الضخمة النبلاء، فانصرفوا عن الاهتمام بالمعارك الحربية، وبدأت المؤامرات تحاك من الداخل والخارج، بينما ظل النبلاء الذين كانوا خدام الإمبراطور وحراسها في شاغل عنها؛ لأن المال أخرجهم من مركزهم النبيل وجعلهم عبيدا لليهود في حقل الصفقات المالية.

وكان من مظاهر انحلال الاقتصاد القومي، اختفاء الثروة العامة أو الدخل الفردي بسبب الاحتكارات الدولية ودسائس الماركسيين، وقد حاولت الصناعة الثقيلة مقاومة هذه الظاهرة، لكن الماركسيين وقفوا بوجه محاولاتها هذه؛ خصوصًا أن ثورتهم نجحت عقب الهزيمة العسكرية، فاستطاع أعداء الوطن أن يدولوا الاقتصاد الألماني، وكان انتقال الخطوط الحديدية من ملكية الدولية إلى ملكية حاملي الأسهم أول نجاح لهم في هذا الحقل.

ولم تمّ لليهود والماركسيين تقويض الاقتصاد القومي؛ وقفوا بعد انتهاء الحرب يزعمون أن الاقتصاد سينهض بالبلاد وينعشها من جديد، وقد تبنى هذه المزاعم الذين قدر لهم أن يكونوا في سدة الحكم.

من أعراض التفسخ التي ظهرت على الدولة الألمانية قبيل الحرب؛ انعدم الحزم والشجاعة الأدبية التي كانت من شيم أبنائنا وأجدادنا، وحل محلها التراخي والميوعة والتردد والتزلف، ولا شك أن منهاج التربية كان المسئول عن هذا التفسخ الخلقي؛ لأنها أهملت تقوية شخصية الفرد.. وكانت هذه النقائص والعيوب

تظهر بشكل واضح في مسلك رجالاتنا تجاه الإمبراطور، فكانوا يتقبلون كل شيء يقوله لهم ويعتبرونه مقدسًا، و لم يكن بينهم رجل واحد لديه من الشجاعة أن يقول له لا.. فهذا التزلف هو الذي أوصلنا إلى هذا الدرك.

إن الذين يحيطون بالعرش ويستأثرون بعطايا صاحبه ويتظاهرون بالولاء له ويدعون أنفسهم ملكيين، هم الذين ينقمون عليه بعد أن تحل به كارثة ما، فنجدهم أول المطالبين بالاقتصاص منه، فهل يرجى من هؤلاء المتزلفين أن يفتدوا ولي نعمتهم بأرواحهم؟

إن المخلص الحقيقي للعرش هو الذي يقدم النصح لجلالته، ويلفت نظره إلى مواطن الزلل فينهاه عنها بحكمته وبعد نظره.

فمن تزلف الساسة إلى سوء التربية المدنية؛ تولد مركب النقص عند أوساط المتهمين بالشئون العامة، فصاروا يتهربون من تحمل المسئولية ويخافون الإقدام حينما تدعو الحاجة لذلك، وقد أسهم النظام البرلماني في تقوية نزعة التهرب من المسئولية، فقامت في البلاد حكومات ضعيفة لم تتمكن من معالجة المشكلات المسيطرة.

وقد أدت الصحافة دورًا بارزًا في إبعاد التربية المدنية عن أهدافها السامية، فالصحافة هي مدرسة الشعب ومهمتها توجيه الرأي العام.

أما قراء الصحف فكانوا ثلاثة أقسام:

1. 1الذين يصدقون جميع ما تنشره الصحف.
2. الذين لا يصدقون شيئًا مما تنشره الصحف.
3. الذين يفكرون بما يقرؤون.

فالقسم الأول من القراء هم الأغلبية الساحقة، وهم الفئة غير المتعلمة من الشعب التي تعتمد على طبقة المثقفين بالتفكير وإعطائهم الخلاصة، باعتقادهم أن الذي يقرأن ويفكر ويدون آراءه لا بد أن يكون مدركا إدراكا تامًا للأمور.

إن هذه الفئة التي لا تفكر هي فريسة سهلة للصحافة التي تعتمد تضليل الشعب بحجة تنويره.

والقسم الثاني يضم بعض العناصر من القسم الأول، انتقلت مع مرور الأيام من الإيمان المطلق إلى الشك المطلق؛ فأصبحت لا تصدق شيئًا مما تكتبه الصحف، وهذا الفريق لا يصلح لأي عمل إيجابي.

أما القسم الثالث؛ فيضم عددًا محدودًا من المواطنين المؤهلين لأن يفكروا تفكيرًا صحيحًا، فيميزوا بين الصالح والطالح، ولكنهم مع الأسف لا شأن لهم أو تأثير في مقدرات البلاد.

فالأكثرية الجاهلة هي التي تتحكم بالبلاد، وذلك بفضل ما يُدعى بنظام الاقتراع العام، وهذه الأكثرية أرسلت إلى البرلمان رجالًا مغمورين جعلت منهم الدعايات الصحفية نجومًا لامعة، وقد رأينا هؤلاء الممثلين للأمة يحشون جيوبهم بالمال، بينما كان شبابنا يضحي بأرواحه في ساحات القتال.

أليس من واجب الدولة أن تُراقب الصحافة نظرًا لتأثيرها القوي على الجمهور.

إن حرية الصحافة شيء جميل، ولكن هذه الحرية تصبح عاملًا من عوامل الفساد إذا لم تمارس حريتها في الحدود التي ترسمها مصلحة الدولة والأمة.

إن الموقف المخزي الذي وقفته الصحافة قبل الحرب لا يمكننا نسيانه، وقد شددت الصحافة اليسارية على وجوب إنقاذ السلام بأي ثمن، بينما كانت الدول المعادية جادة في إعداد عدة الحرب، ألم تدعُ صحافتنا إلى الديمقراطية الغربية وتمجدها وتطالب بتقوية شخصية الفرد، وتدعُ إلى إضعاف الدولة؟ ألم تسهم في محاربة تقاليد شعبنا العريق مزينة له الانغماس في الملذات التي أضعفت مناعته الخلقية؟ ألم تحارب الصحافة مشروع التجنيد الإجباري، وتحرض النواب على عدم منح الاعتمادات للجيش، بينما كانت رائحة الحرب تنتشر في الأجواء؟ ألم تكن مهمة الصحافة الماركسية الكاذبة إضعاف الشعب اجتماعيًا وقوميًا ليسهل إخضاعه للرساميل الدولية ولليهود أسياد الماركسية؟

ماذا أعدت الدولة لدفع الخطر؟

إن الدولة لم تفعل شيئًا يذكر، مع أن معاول المفسدين من اليهود كانت تعمل في هدم صرح الدولة فقضوا على حيويتها وأخضعوا اقتصادها لرقابة أجنبية.. نعم لم تفعل الدولة شيئًا حيال الصحافة الماركسية اليهودية التي كانت تخدر الأعصاب بالدعاية للسلام، فتشل حيوية الأمة بالدعاية الإباحية الرذيلة، و لم يكن تغاضي الدولة يرجع إلى جهلها لخطر هذه الدعايات وضررها، بقدر ما كان هذا راجعًا إلى جبن المسؤولين وإحجامهم عن التصدي لها.

لا بد لنا من القول إن اليهود قد اعتمدوا طرقًا بارعة تبعد عنهم الشبهات، فبينما كانت صحفهم الماركسية تمعن في تسميم أفكار الشعب وتعمل على استفزاز الطبقات بعضها ضد بعض، كانت صحافتهم البورجوازية الديمقراطية

تعالج القضايا بأسلوب رصين هادئ، ذلك أن اليهود كانوا يعلمون أن العقول الفارغة تحكم على المظاهر، هذه العقول التي انخدعت بنعومة الشعب المختار وميوله المسالمة، لن تأخذه بجريرة الآخرين، لعجزها عن كشف اللعبة المزدوجة، فقد كانت مثلًا صحيفة "لاجازيت دو فرانكفورت" نموذجًا للاعتدال اليهودي، وشعارها باعتماد المنطق ونبذ العنف أكبر دليل على رصانتها واعتدالها، حتى إنها كنت تسدي النصح إلى زميلات الماركسيات بوجوب وقف الحملات العنيفة، وفي الوقت نفسه كانت تدافع عنها باسم الحرية، حرية التعبير عن الرأي حين تلجأ السلطات إلى استعمال حقها في محاكمة الصحفيين وتعطيل صحفهم.

وكانت السلطات تعفي عنهم كي لا تغضب الصحافة الطيبة، فتعود إلى نفث سمومها من جديد في جسم الدولة الآخذ بالانحلال، وهكذا نجد أن تفسخ الإمبراطورية يرجع إلى الإهمال باتخاذ التدابير الكفيلة بصيانتها، والانهيار الخارجي كان نتيجة حتمية للانحلال الداخلي.

إن الشواهد على ضعف الحكومة الألمانية كثيرة، فبعد أن أغفلت أمر اليهود والماركسيين، وتقاعست عن الاضطلاع بالمهام المنوطة بها؛ رأيناها تقف حيال الأمراض مكتوفة الأيدي، فتفشى داء الزهري وداء السل بين المواطنين تفشيًا هائلًا بسبب سوء التغذية، ووقف الشعب والحكومة من داء الزهري موقف من لا يستطيع شيئًا، وقد حاولت الحكومة مكافحة المرض بحصر الداء أولًا، ولكنها أغفلت مسببات المرض وهو البغاء الذي ما أن ينتشر في بلد ما، إلا ويكون مصير الشعب الفناء.. إذ إن البغاء يعني تحويل الحب والعلاقات الجسدية إلى صفقات تجارية، وانتشار البغاء يعني تراخي العلاقات والروابط التي تجمع بين المحبين، فتسود الإباحية ويكثر اللقطاء وأبناء الزنى، ويكفي أن نلقي نظرة على أبناء النبلاء والبورجوازيين لنفهم خطورة الخطوة التي خطتها أمتنا نحو الانهيار.. فقد انتقلت عدوى هذا الداء الوبيل إليهم عن طريق علاقاتهم الجنسية مع الموظفات اليهوديات في المحال التجارية والأندية، وكانت النتيجة أولادًا ضعفاء مشوهين.

فبدلًا من أن تتخذ الحكومة الإجراءات الكفيلة بالقضاء على البغاء - هذه التجارة اليهودية الرابحة - عمدت إلى تشجيع المؤتمرات الطبية لدرس هذه الظاهرة الخطيرة.

إن القضاء على هذه الظاهرة الخطرة يتطلب خطوات عملية وجريئة، فالزواج المبكر في مقدمة الأسباب التي تحد من انتشار البغاء، فالزواج يهدف إلى غاية سامية: هي حفظ النوع والجنس، ومن حسنات الزواج المبكر أنه يعطي الأمة

أولادًا أقوياء البنية، فيجب على الدولة قبل أن تشجع هذه الخطوة، أن تعمد إلى تأمين المستوى الاجتماعي اللائق للمواطنين.

أما الخطوة التالية؛ فيجب أن تعمد الدولة إلى تغيير مناهج التربية والتعليم، ففي نظامنا الحالي لا نجد اهتمامًا بالرياضة البدنية التي لمس آباؤنا أهميتها في تنشئة جيل قوي روحيًا وجسديًا، فالعقل السليم هو في الجسم السليم، ففي الفترة التي سبقت نشوب الحرب عمدت الدولة إلى رعاية العقل الذي يدعم نهضة الأمة، فلما انتشرت البلشفية في الأوساط التي لا تملك المناعة الخلقية، تبين أن هذه المبادئ ما كانت لتلقى رواجًا لو ألقيت إلى عقول سليمة في أجسام سليمة.

إن عدم اهتمامنا بالتربية البدنية قد فتح الطريق أمام النزوات والغرائز الجنسية، فالشاب الذي يمارس الألعاب الرياضية يصبح أكثر قوة ومقدرة على كبح جماح غرائزه الجنسية، فالنظام التربوي يجب أن يتعهد العقل والجسد معًا، بالإضافة إلى الأخلاق، كذلك يجب القضاء على مظاهر الخلاعة التي تثير الغرائز الجنسية، وذلك بتطهير الحضارة الألمانية تطهيرًا كاملًا يشمل المسرح والفن والسينما والصحافة، فصحة شعبنا تتطلب محافظتنا - أيضًا - على عرقنا ولو على حساب الحرية الفردية التي يتشدق بها اليهود المسؤولون أولًا وأخيرًا عن الإباحية.

إن التدابير السابقة ليست كافية - إذا تم تنفيذها - للقضاء على داء الزهري قضاء مبرمًا، بل هناك تدابير أخرى يجب اتخاذها على نطاق واسع وحاسم، أليس إجرامًا بحق الأمة والعرق أن نترك المصابين بالزهري، الذين لا أمل في إنقاذهم أن يمارسوا العلاقات الجنسية، وبذلك ينقلون العدوى إلى الأصحاء ألا يعادل هذا التسامح الشعور الإنساني السخيف الذي يجعلنا نسمح بهلاك مئة شخص لندفع الإساءة عن واحد!

إن منع المصابين بالزهري الذي لا أمل في شفائهم، من ممارسة العلاقات الجنسية هو إجراء إنساني حكيم، يهدف إلى التضحية بالبعض في سبيل الجموع، ولكن يجب أن يكون المنع أكثر جدوى، أي يُعزل المصاب والقضاء على طاقته التناسلية، إن هذا الإجراء الذي يبدو وحشيًا كفيل بإنقاذ الأجيال المقبلة وصون حيوية الأمة.

من أعراض الانحلال التي بدت على الإمبراطورية قبل الحرب؛ تدهور المستوى الثقافي بفعل المؤثرات الغربية، لا سيما تلك التي كانت خاضعة لتوجيهات اليهود، فمنذ ابتداء القرن العشرين طرأ تحول كبير على الفن أبعده عن القواعد المدرسية وأخضعه لأهواء قلة من المنحرفين فكريًا، فقد قام الفنانون

اليهود والبلاشفة بفكرة التجديد والابتكار، وذلك بالحط من قدر التراث الألماني الفكري والهزء بمقدسات الأمة، فقد هزؤوا من شيلر وجوته وشوبنهور وهيفل وغيرهم، لقد أرادوا أن يقطعوا كل صلة بين الماضي والحاضر، فجعلوا من الأدب الرخيص والفن الإباحي بضاعة سهلة التناول، فامتلأت واجهات المكتبات وجدران المتاحف بإنتاج هزيل لا أثر فيه للفكرة أو الفن.

و لم يكتف اليهود بهذا، فشنوا الحملات على الدين ورجاله بحجة تقديس حرية المعتقدات، وقد قاموا بترجمة المؤلفات الأجنبية التي لا يجوز أن توضع بين أيدي المثقفين، فكيف بعامة الشعب، أما رجال الكنائس فكانوا منصرفين عن هذه الأعمال التخريبية داخل البلاد، للتسابق إلى هدي زنوج أفريقيا، هذا التسابق الذي لم يؤد إلى أية نتيجة بالنسبة إلى النتائج الباهرة التي حققها الإسلام هناك.

لقد ترك رجال الكنيستين نعاجهم إلى الذئاب، وكانت النتيجة تزعزع الايمان وتقلص شأن الوازع الديني.

وفي الحقل السياسي؛ تجلى التفكك والانحلال، فالحكومات كانت ترتجل مشروعاتها في الداخل والخارج من دون أن ترسم أهدفًا معينة، ولعل المسؤولين قد اتخذوا من كلمة بسمارك شعارًا لهم، ألم يقل المستشار الحديدي إن السياسة هي "فن العمل في حدود الممكن؟".. ولكن هذا لا يعني أن السياسة هي تخبط وارتجال، ولكن مستشاري هذه الأيام قد اعتبروا هذا القول تحريرًا لهم من قيود المبادئ والأهداف.

لقد أدرك المخلصون، قبل نشوب الحرب ببضع سنوات، أن أضعف جهاز في الدولة هو البرلمان أو الرينستاج، مع أنه أريد بهذه المؤسسة تقوية الصرح لا إضعافه، ففي هذه المؤسسة يجتمع الجبن والتهرب من المسؤولية، وتكثر الثرثرات الفارغة، فالبرلمان هو المسؤول عن انعدام الانسجام في سياسة الدولة، كذلك عدم الاستقرار والارتجال، فهذه كانت من العوامل الرئيسية التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية، فكل خطوة خطتها الحكومة وجاءت ناقصة كانت نتيجة لإهمال البرلمان إن لم تقل لخيانته.

إن سياسة المخالفات كانت مرتجلة وضعيفة، وسياستنا حيال بولونيا كانت ضعيفة ومرتجلة، فقد أثيرت هذه القضية أكثر من مرة من دون أن نتمكن من معالجتها معالجة جدية وفعالة، فجاءت النتيجة التي أردناها انتصارًا للجرمانية أو تفاهمًا مع بولونيا، جاءت لتباعد بيننا وبين روسيا.. وكانت الحلول التي قدمناها لمسألة الألزاس واللورين غير مجدية، فعوضًا عن أن نسحق الفرنسيين بضربة

واحدة، ونعطي للألزاس الحقوق الممنوحة لباقي دويلات الرايخ، رحنا نتودد إلى الفرنسيين متجاهلين أماني الألزاسيين، كل ذلك لأن في أحزابنا السياسية أكبر الخونة المارقين.

وكانت الضحية الكبرى للسياسة المترددة الحائرة، الأداة الوحيدة التي يتوقف عليها مصير الإمبراطورية: الجيش.

لقد رأينا الأحزاب البرلمانية تجرد الأمة من سلاحها المعد للدفاع عن كيانها وحريتها وتأمين خبزها، ولو قام أبطال سهول الفلاندر من قبورهم لاتهموا أعضاء البرلمان بالخيانة لدفعه بمئات الألوف إلى أشداق الموت جنودًا غير مدربين، ذلك أنه بينما كانت اليهودية العالمية تهاجم "الروح العسكرية الألمانية" في صحافتها الماركسية والديمقراطية، محاولة أن تلقي بمسؤولية الحرب على ألمانيا ولو سلفًا، كانت الأحزاب الماركسية والديمقراطية عندنا تقف في البرلمان ضد تدريب القوى الشعبية.

لم يقتصر الإهمال على الجيش البري فحسب؛ بل تعداه إلى الأسطول، الذي لم ينل ما يكفيه من العناية والاهتمام، مع أن القادة قد أدركوا منذ عام 1904 أن إنجلترا الدولة البحرية الأولى ستقف ضدنا أيام الحرب.. لذلك كان علينا أن نجعل من القوة البحرية سلاحًا ضخمًا وقويًا، فبينما كانت المصانع الإنجليزية تصنع السفن الضخمة كانت مصانعنا تنتج سفنا صغيرة غير صالحة، وقد رأينا أن زيادة سرعة السفن الضخمة كانت مصانعنا تنتج سفنًا صغيرة غير صالحة، وقد رأينا أن زيادة سرعة السفن الألمانية كانت تتم على حساب تصفيحها، وكان المسؤولون يعزون أنفسهم بأن المدافع الألمانية من عيار 28 توازي مدافع السفن الإنجليزية من عيار 30، مع أن المهم هو التفوق لا مجاراة العدو، وكان بإمكانهم تزويد السفن بمدافع من عيار 30.

وقد تركت القيادة البحرية المبادرة للعدو عندما عمدت إلى جعل سفنها صالحة للأغراض الدفاعية، وهكذا قدمت النصر للعدو على طبق من فضة؛ لأن النصر لا يتحقق إلا بالهجوم لا بالدفاع، وفي معركة سكاجراك كان النصر حليف الأسطول الإنجليزي، فلو كانت للسفن الألمانية حمولة سفن العدو وسلاحها وسرعتها لكان النصر حليفها بفضل المدافع من عيار 28، وقد كان على القيادة الألمانية أن تحذو حذو زميلتها اليابانية، فقد جابهت اليابان في بور أرثور كل سفينة روسية بسفينة تفوقها سرعة وحمولة وسلاحًا.

لقد حرصت الحكومة والقيادة على التقيد بتوجيهات البرلمان وآرائه، بل

سمحت للبرلمانيين بالتدخل في الشؤون العسكرية وفي تعيين القواد وتحديد حمولة السفن وسرعتها، وقد تدارك الجيش أمره وعزل نفسه عن التيارات البرلمانية المضادة لمصلحة الوطن، وكان لودندورف أول من قاد الحملة ضد سياسة التقتير في الإنفاق على التسلح، ولئن عجز لودندورف عن إحراز النصر، فالذنب يقع على البرلمان وعلى المستشار الضعيف هولويج.

كان الجيش في طليعة المؤسسات التي توحي بالثقة والطمأنينة رغمًا عن الضعف والانحلال الباديين على الدولة، فهو الدعامة المتينة للبنيان الصامد، ولابد أن ينصب عليه حقد الحاقدين ودسائس الدساسين من الأعداء في الخارج وفي الداخل، وعندما اجتمع المتآمرون الدوليون في فرساي، اختلفوا على أشياء كثيرة ولكنهم أجمعوا على وجوب تصفية الجيش الألماني لأنه سياج الوطن وعنوان مجده، فلولا الجيش لما تردد العدو في تطبيق أحكام معاهدة فرساي التي تعني القضاء على شعبنا قضاء تمامًا، فنحن مدينون للجيش بكل شيء.

نعم.. كان الجيش يجسد معنى المسؤولية، فهو مدرسة الأمة الألمانية وقوتها المعنوية الهائلة، ومع أن هناك من يجل هذه الحقيقة أو يتجاهلها، لكن العالم الخارجي قد أدركها وبنى سياسته على أساسها.

هناك دعامة أخرى إلى جانب الجيش هي هيئة الموظفين، فقد كانت ألمانيا أرقى البلدان تنظيمًا وإدارة، فالموظف كان مثالًا للدقة والتجرد.

وكان يحلو للحساد أن يعيبوا على الموظف الألماني جهله إدارة المشاريع التجارية، لكن نجاح الدولة في استثمار السكك الحديدية قد برهن على مقدرته، ومن مميزات جهاز الإدارة الألمانية؛ أنه كان متمتعًا بالاستقلال التام عن الحكومات، فكان لا يتأثر الموظف بتغيير الوزارات ونزعاتها السياسية.

ولكن وضع الموظف اليوم أصبح قلقًا غير مستقر، فالوظائف الآن ليست وفقًا للأكفاء، فالجمهورية تريد أن تفسح المجال لأنصارها، وكل حزب يريد أن يخص أعضاءه وأنصاره بالوظائف الحساسة.

أما الرشوة في دوائر الدولة؛ فكانت متفشية تفشي اليهود، فالرشوة واليهود صنوان لا يفترقان.

كان جهاز الإدارة السليم يرتكز إلى النظام الملكي والعسكري، وعليها ترتكز الإمبراطورية الجبارة، ومنها كانت تستمد الإمبراطورية قوتها وهيبتها فتمارس سلطة الدول ممارسة فعلية.

إن سلطة الدولة لا تقوم إلا على الثقة بالذين يمسكون بدفة الحكم، وهذه الثقة هي وليدة الاقتناع بوطنية السلطات وتجردها، كما تكون وليدة الارتياح العام إلى نظم الحكم وشرائعه والمبادئ التي يسترشد بها.

والآن بعد أن أوضحت للقارئ أن الإمبراطورية كانت تقوم على ثلاث دعائم قوية، أصبح من حقه أن يتساءل كيف كان الانهيار؟ وهل كانت عوامل التفسخ والانحلال قوية لدرجة أنها جرفت عوامل الاستقرار التي كانت تجعل من ألمانيا دولة مثالية؟

إن عوامل التفسخ والانحلال لم تكون لتقوى على الإطاحة بالإمبراطورية، ولكن هناك عاملًا رئيسيًا انضم إليها، وهذا العامل المهم هو عدم الاهتمام بمسألة الأجناس وأثرها في نمو الشعوب.

لقد تساءلت كيف تمكن أجدادنا من التغلب على الهزيمة ونتائجها؟ وهل نحن غير جديرين بالأمجاد التي تركها لنا الأجداد؟ وهل الدم الذي يجرى في عروقنا غير الدم الذي كان يجرى في عروقهم؟

ومن هناك كان اقتناعي أن جيلنا قد تلقى هذه الكارثة؛ لأنه لم يكن يتحلى بفضائل الأجداد، وإن تحوله عن الطريق الذي رسمه له تاريخ الأمة الألمانية المجيد ليس وليد الصدف؛ بل هو نتيجة حتمية للنهج الذي اعتمده في سعيه لحفظ النوع واستمرار الجنس، وسنرى في الفصل القادم كيف أن الاختلاط في التناسل لا يكون في مصلحة العرق المتفوق.

فالدم الآري الذي كان يجرى في عروق أجدادنا كان صافيًا، فهل يمكننا التأكد بأن ما يجري في عروقنا نحن هو دم آري صرف؟

يجد القارئ الجواب لو دقق النظر في حالة ألمانيا قبل الحرب، وتتبع تطور الأحداث الداخلية، ألم يكن غريبًا أن يزداد عدد النواب الماركسيين بعد كل انتخاب، وأن يجدد الشعب الألماني الولاية لمن عمل على إضعاف الجيش والأسطول، وهل من المعقول أن يصافح الشعب الألماني اليد التي عملت على إذلاله؟ ومتى كان الألماني.. الألماني الحقيقي يضحي بمصلحة وطنه في سبيل مبدأ هوائي كالسلام العام الذي هو من ابتكار اليهود والماركسيين؟

إن انتفاضة الشعب عام 1914 قد حَمَلتْه عليها غريزة حب البقاء؛ لأن سموم الماركسية قد شلت إرادته، فقام ليجابه أعداءه وهو ضعيف الإيمان بالنصر فانهزم، ولكنه استيقظ وقضى على مفعول المخدر، وجاءت الثورة لتقطع الطريق على

عناصر البعث والنهضة، فلم يبق إلا العمل على هامش العهد الجديد، وأن تضع الأسس السليمة التي يجب أن تقوم عليها الدولة الجديدة، الدولة الجرمانية؛ حيث يسود العنصر المتفوق، ولا يفسح مجال النشاط البناء إلا للآريين الحقيقيين.

ولن يكون لليهودي وصنيعه الماركسي أي مكان في الدولة الجديدة والنظام الجديد.

-8-

الحزب يبدأ العمل

اقتسم الشعب الألماني، عام 1918 إلى قسمين؛ الأول يضم طبقة المفكرين وهي طبقة ذات ميول قومية مبهمة إن لم تكن سطحية، لأنها كانت تمثل مصالح تتناسب والمصالح الملكية، مع أنها في الظاهر تبدو ملتصقة بالدولة، وقد حاولت هذه الطبقة الوصول إلى أهدافها بواسطة الأسلحة الفكرية، لكنها لم تنجح ضد خصمها القوي، وقد رأينا العدو يسيطر عليها بسهولة ويرغمها على الرضوخ للشروط التي تعمد بها إذلال شعبنا.

والقسم الآخر يضم الأغلبية الساحقة من العمال اليدويين، الذين دخلوا في منظمات ذات ميول ماركسية متطرفة تهدف إلى القضاء على كل من يحاول الوقوف في طريقها، ولا تعترف بالمصالح القومية ولا تقيم وزنًا للمثل العليا، وكان أخطر ما في هذه الحركات العمالية انضمام أغلبية الشعب إليها واشتمالها عناصر لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق الإنعاش القومي، ذلك أن الشعب كان بحاجة ماسة إلى من ينفخ فيه روح الحماس وقوة الإرادة، لمقاومة الضغط الأجنبي المتزايد، فمحاولات الإنعاش الشعبي يجب أن تعتمد على تلك العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق هذا الإنعاش، هذه العناصر التي انضوت تحت لواء الحركات العمالية المتنكرة لقوميتها، فكيف يمكن والحالة هذه النهوض بدولة حين تكون غالبية شعبها تدين بمبادئ غير قومية ؟! لذلك كان على حركة حزبنا أن تتهيأ لبعث الدولة الألمانية وإعادة اعتبارها، وتعمل على اجتذاب الأغلبية إلى صفوفها؛ لأن هذه الأغلبية تؤلف العناصر المهم في الأمة، ومن دونه تذهب الجهود الرامية إلى تحرير شعبنا هباء.. والبورجوازية لم تكن تشكل خطرًا على حركتنا القومية، فآفاقها الضيقة ونزعاتها القومية المضطربة كانت لا تمسح لها بالمقاومة إلا بطريقة سلبية، كالطريقة التي اتبعتها في عهد بسمارك، منتظرة ساعة الخلاص.

لقد بدت مهمتنا شاقة، فالأغلبية الساحقة من المواطنين كانت مبهورة بزخرف الدعوات الماركسية، فتنكرت لأمتها وجنحن إلى العنف بتحريض من اليهود.

ولم يفتنا أن الماركسيين وحلفاءهم قادرون على منع الدولة الألمانية ذات النظام البرلماني من اتخاذ سياسة خارجية قومية؛ لأنهم قادرون على إظهارها بمظهر الدولة المتفككة؛ كي لا تجد من يحالفها أو يتعاون متعها باعتبار أن أغلبية الشعب تعارض كل سياسة داخلية بناءة وكل خطوة خارجية حازمة.. وقد أدركنا أن شعبنا الباسل لن يتمكن من الوصول إلى مركز الصدارة إلا بعد أن يصفي حساب الذين تسببوا في انهيار الدولة واستغلوا بعد ذلك هذا الانهيار، فشهر نوفمبر سنة 1918 لم يكن بالخيانة العادية؛ بل جريمة كبرى.. نعم لن يتمكن شعبنا من تهيئة نفسه للمعركة الكبرى؛ قبل أن يتخلص نهائيًا من أعدائه الداخليين وعلى رأسهم اليهود.. وقبل أن يتمكن من نزع الفكرة الماركسية من عقول الملايين من الألمان، وحقدهم على أمتهم.

ولئن يكن اجتذاب الأغلبية هو الهدف الأول لحركتنا، فقد أدركنا أن نشاطنا يجب أن يقوم على أسس ثابتة يقوم عليها صرح التعاون بين فئات الشباب الألماني، وقد اتبعنا خطة في عام 1919؛ تركزت على المبادئ التالية:

أولًا: يجب التضحية بكل شيء في سبيل اجتذاب الأغلبية الساحقة إلى حركة الإنعاش القومي، فالتنازلات الاقتصادية لمصلحة العمال لا تكفي ما لم يرافقها إدخال الطبقات الشعبية إلى الجسم الاجتماعي الذي هو جزء لا يتجزأ منه، فلو حافظت النقابات على مصالح العمال في أثناء الحرب وانتزعت الموافقة على مطالبهم ولو بالإضرابات؛ لما خسرت ألمانيا الحرب.

ثانيًا: لا يمكن إنشاء الأغلبية نشأة قومية إلا برفع مستواها الاجتماعي.

ثالثًا: إن اجتذاب الأغلبية إلى فكرة القومية لا يتم بأنصاف التدابير والجهود المنقطعة، فلا بد من مواصلة الجهود كي نجعل من شعبنا شعبًا قوميًا، ونعالج المشكلات بقوة وحزم، فالسم يعالج بالدواء المضاد له، لا بمكافحته بالتعاويذ.

إن الأغلبية الساحقة ليست من الأساتذة والدبلوماسيين، لذلك لا يمكن استمالتها بالنظريات العملية، بل تؤخذ بالعواطف، ففي هذا المضمار تكمن انتفاضاتها من سلبية وإيجابية، فالأغلبية لا تعمل إلا لمصلحة القوة ذات الاتجاه الصريح، ولا تعمل مطلقًا لمصلحة خطوة مترددة مذبذبة، على أن مشاعر الجمهور وعواطفه متقلبة وليست ثابتة، فما يراد إقامته على أساس ثابت يجب أن يرتكز

على إيمان الشعب وتمسكه بالفكرة التي يراد حمله على اعتناقها؛ إذ إن الإيمان أقوى من صمود العلم، والمحبة أقوى على الاستمرار من التقدير، والبغض أطول نفسًا من النفور، وقد برهن لنا التاريخ أن الثورات الكبرى لم تحركها الأفكار العلمية أو الحرص على نشرها؛ بل حركها التعصب الأعمى لرأي أو عقيدة.

رابعًا: لا يمكن كسب ثقة الشعب إلا بعد تحطيم العقبات التي تقف في طريقهم، مزيلين عن طريقهم أعداء حركتهم، فالأغلبية تعتبر مهاجمة خصومها بطريقة عنيفة حقًا من حقوقها المقدسة، وترفض بالتالي التساهل أو التسامح، فهي تعتقد أن البقاء هو للأصلح والأقوى.

خامسًا: إن القضايا الكبرى في العصر الحديث هي نتيجة القضايا الأعمق جذورًا، ويأتي في طليعة هذه القضايا قضية المحافظة على سلامة العرق، وذلك بصون نقاوة دمه، فإن فسد دم عرق من الأعراق نتيجة الاختلاط؛ فسرعان ما تتفكك عرى الحدة الروحية وتنهار قوة الإبداع وصروح الحضارة، فمن يطمح إلى إخراج الشعب الألماني من مشكلاته الحالية، عليه أن يطهر الصفوف من الذين أفسدوه وعلى الأمة الألمانية أن تبادر إلى مواجهة المسألة العرقية متخذة جميع التدابير الحاسمة لإنهاء المشكلات التي يثيرها وجود اليهود بيننا.

سادسًا: إن الأغلبية الساحقة من الشعب التي استمالتها الماركسية إلى جماعة الأمم؛ يمكن انضمامها إلى الجماعة القومية من دون أن تتخلى عن حقها في الدفاع عن مصالحها، علمًا أن اختلاف المصالح بين مختلف الهيئات لا يبرر قيام النزاع بين الطبقات؛ لأن هذه المصالح ليست إلا نتيجة طبيعية لتركيبنا الاقتصادي، وحين ندرك هذه الحقيقة نرى أن قيام تكتلات مهنية لا يتعارض مع قيام اتحاد شعبي، وبالتالي دولة قومية، وانضمام طبقة من الطبقات إلى الاتحاد الشعبي أو إلى الدولة؛ لا يفرض تدني مستوى الطبقات العليا؛ بل يرفع من مستوى الطبقات الوضعية، فالبورجوازية لم تنضم إلى الدولة لأن طبقة النبلاء أرادت أن تفتح أمامها المجال وتتنازل عن بعض امتيازاتها؛ بل لأن البورجوازية قد استحقت وضعها الجديد بفضل نشاطها وثباتها، لذلك يمكن القول إن العامل الألماني لم يتوصل إلى أن يصبح قوة فاعلة إلا بعد أن نجح في رفع مستواه الاجتماعي ليوازن به مستوى سائر الطبقات.

أما تنكر العمال اليوم للفكرة القومية، فليس معناه أنهم منتظمون في هيئات تعاونية أو نقابات تقدم مصلحتهم على بقية المصالح؛ بل لأن المحرضين هم الذين نفخوا فيهم روح المغامرة الخطرة التي جعلت منهم أعداء الوطن والشعب،

وجعلتهم بالتالي أداة لتحقيق مصالح المغامرين الدوليين ومصالح اليهودية العالمية، فإذا تطهرت النقابات من المحرضين ووجهت توجيهًا قوميًا وشعبيًا صحيحًا؛ تمكنت من أن تكوّن لنفسها مركزًا قويًا مهمًا، باعتبارها أكثر الطبقات إنتاجًا وحماية لتقاليد هذا الشعب العريق.. وبالإضافة إلى هذا؛ يجب تطهير صفوف أرباب العمل من الجشعين والأنانيين الذين تتعارض مفاهيمهم للعمل مع المبادئ التي جيب أن يقوم عليها التعاون بين أعضاء المجتمع الواحد؛ ليعود هذا التعاون بالنفع على الجميع، فرب العمل يظن أن اندماج العامل في الجماعة الشعبية سيحرمه اقتصاديًا من الوسائل التي اعتاد على استخدامها للدفاع عن مصالحه ومحاربة مستخدميه، كذلك يعتقد رب العمل أن كل محاولة لحماية مصالح العمال الاقتصادية حتى لو كانت حيوية، تشكل اعتداء على مصالح الجماعة.. لذلك يجب مكافحة هذه النظرية الخطرة واعتبارها في رأس المهام التي سيضطلع بها الحزب الجديد.

إن العامل الذي يتعمد إرهاق رب العمل بمطالبه المستحيلة، ويلجأ بحق أمته - وكذلك صاحب العمل الذي لا هم له إلا جني الأرباح الطائلة - إلى العنف كلما أراد أن يرهب مستخدمه، هذا العامل يعتبر مجرمًا وخائنًا الذي تجعل منه رجلًا متحجر العواطف، هذا الرجل يعتبر حليفًا ونصيرًا للمشاغبين والماركسيين.

إن نشاط حزبنا يجب أن يوجه إلى العمال بالدرجة الأولى، ليعمل على إنقاذهم من حبائل المغامرين الدوليين، وبالتالي لرفع مستواهم الاجتماعي كي يصبحوا عنصرًا شديد المراس، مشبعًا بالأفكار القومية لا تؤثر فيه الدعايات المضللة، ولن يرفض الحزب الجديد التعاون مع جميع العناصر القومية، ولكنه لن يعمل على اجتذاب طبقة البورجوازيين؛ لأنها ستصبح عالة عليه، وبالتالي ربما ترتب على هذا التعاون نفور العمال منه.

سابعًا: يجب أن توجه دعاية الحزب إلى أحد المعسكرين اللذين يؤلفان الأكثرية الساحقة، فالتفاوت في المستوى الفكري يجعل الدعاية المبسطة غير ذات قيمة بالنسبة إلى المتعلمين، في حين أن الدعاية الرفيعة لن تلاقي تجاوبًا عند غير المتعلمين، وحتى طريقة التعبير لا يمكن أن تكون واحدة في التوجه إلى الطبقتين، فإذا اعتمدت الدعاية البساطة في التعبير ظلت الأوساط المتعاملة بعيدة عنها، وإذا ركزت على الدعاية الفكرية العالية لن تتمكن من إثارة عاطفة الأغلبية الشعبية.

لن نجد بين مئة خطيب عشرة يتمكنون من مخاطبة جمهور من الحدادين والكناسين مثلًا، وبنفس الوقت يتوجهون لمخاطبة أساتذة الجامعة، ولا يغربن عن

بالنا أن أحسن فكرة لا يمكن نشرها إلا بعد تبسيطها، ويتوقف نجاحها على الذين يتناقلونها أكثر مما يتوقف على مبلغها.

إن قوة انتشار الحركة الماركسية تقوم على وحدة الأسلوب في مخاطبة الجمهور الذي يتألف من طبقة معينة، وقد أدرك الماركسيون أن الأغلبية لا تتمكن إلا من استيعاب التعاليم السطحية، لذلك وضعوا تحت تصرفه كل ما هو ملائم لمستوى تفكيره، لذلك يجب على الحزب الجديد ألا يرتفع بدعايته إلى المستوى العالي، أي فوق مستوى الشعب، ففي حفل شعبي يكون الخطيب الذي يغزو قلوب الجمهور هو سيد الكلمة، لا الخطيب الذي يصفق له المتعلمون والمفكرون.

ثامنًا: إن نجاح حركة الإصلاح السياسي تعتمد نجاح القوة السياسية، فالنجاح هو المقياس الوحيد لملاءمة فكرة ما لمصلحة المجموع.

فالقول إن الحركة الثورية في ألمانيا قد نجحت لأن قادة الحركة قد تسلموا زمام الحكم، هو قول هراء، فالنجاح الوحيد الذي تحرزه الثورة هو في جعل الأمة أكثر ازدهارًا.

إن حركة ما تعتبر القوة السياسية شرطًا أساسيًا لنجاحها، يجب أن تعتمد على تأييد الأغلبية الساحقة من الشعب وأن تعلم أن الحركات الإصلاحية لا تقوم على سواعد رواد الأندية الأدبية وشاربي الشاي ولا على سواعد لاعبي الشطرنج من البورجوازيين.

تاسعًا: الحركة الجديدة في جوهرها وتنظيمها هي ضد النظام البرلماني، فهي لا تعترف بسيطرة الأكثرية، هذا النظام الذي يجعل من رئيس الحكومة منفذًا لمشيئة الآخرين، إن حزبنا يحصر المسئولية بالرجل الذي يتسلم مقدرات الدولة، وبشخص زعيم الحزب، وهذا المبدأ يجب تطبيقه على النحو التالي:

- يُعين زعيم الحزب رؤساء للفروع ويكون رئيس الفرع مسئولًا عن فرعه، وتوضع اللجان الحزبية تحت تصرفه التي تنحصر مهمتها في درس المسائل التي قدمها لها رئيس الفرع.

- إن زعيم الحزب هو المسئول الوحيد الذي يأخذ مركزه بالانتخاب، وتتولى انتخابه الجمعية العمومية، وهو مطلق الصلاحية نظرًا لجسامة مسئولياته، فإذا خرق نظام الحزب أو فرط بمصلحة الحزب عملت الجمعية العمومية على إسقاطه وانتخبوا زعيمًا غيره.

ـ هذا المبدأ يجب أن يطبق على الدولة نفسها، فعلى من يطمح إلى الزعامة أن يحمل إلى جانب السلطة غير المحدودة المسئولية الكاملة.

ـ إن التقدم والحضارة هما نتيجة جهود العبقرية، لا نتيجة ثرثرة الأكثرية، فحزبنا يحارب النظام البرلماني لأنه يقصي النخبة عن الميدان ويفتح الطريق أمام الدجالين والخونة.

عاشرًا: يرفض الحزب الجديد أن يحدد موقفه من المسائل الخارجية عن نطاق عمله السياسي، فهو لا يهدف مثلًا إلى الإصلاح الديني؛ لأن في كلتا الطائفتين الدينيتين دعائم قوية يرتكز إليها بقاء شعبنا، والأحزاب التي تنكر على الدين دوره كدعامة معنوية لاستخدامها في الأغراض السياسية، يجب على حركتنا محاربتها بشدة وعنف.

إن حركتنا تهدف إلى إعادة تنظيم شعبنا سياسيًا، ولكنها لن تتصدى لإقامة شكل معين من أشكال الحكم، فالملكية والجمهورية سيان في نظرها، والمهم هو تقرير المبادئ الأساسية التي يجب أن تقوم عليها الدولة الجرمانية المثالية.

أما تنظيم الحركة داخليًا؛ فهو متصل بالغاية التي وضعها الحزب، والنظام الأنسب هو النظام الذي لا يقيم جهازًا من الوسطاء بين الزعيم وأنصاره فالتنظيم هو نقل فكرة معينة مختمرة في رأس رجل واحد، إلى جمهور كبير من الناس، وعندي أن التنظيم هو شر لا بد منه، وهو فوق ذلك واسطة لا غاية.

وما دام العالم مفتقرًا إلى الأدمغة المفكرة التي تقود المخلوقات الآلية، فالتنظيم مهمة سهلة بالنسبة إلى تجسيد فكرة ما، فالفكرة تشق طريقها مجتازة المراحل الآتية: تخرج الفكرة من دماغ رجل واحد ليبشر بها، فيجمع حوله عددًا من الأنصار، ونقل هذه الفكرة إلى الأنصار مباشرة هو الطريقة المثلى، ولكن هذا النقل سيصبح متعذرًا بعد ازدياد عدد هؤلاء الأنصار، فيتطلب عندئذ الاستعانة بالوسطاء، هذا الشر الذي لا بد منه، وهذا ما يفرض التنظيم على أساس إنشاء شعب وخلايا محلية، بيد أنه لا يجوز التسرع في إنشاء هذه الخلايا قبل أن تترسخ سلطة مؤسس الحركة في المركز الرئيسي لحركته، فمثلًا سحر مكة وروما يعطي الإسلام والكاثوليك قوة منشؤها الوحدة الداخلية وخضوع المؤمنين والأنصار للرجل الذي هو رمز لهذه الوحدة، ومن هنا وجب علينا إحاطة المكان الذي انطلقت منه الفكرة بهالة من القدسية تجعله محجة للأنصار ورمزًا لوحدتهم.

يتضح مما أسلفنا أن الأسس التي يجب أن تقوم عليها حركتنا داخليا هي الآتية:

1. حصر النشاط في مدينة واحدة هي ميونيخ؛ حيث بها مجموعة كبيرة من الأنصار المتحمسين، ويصار إلى تأسيس مدرسة لتعليم رسل الحركة، وفي الوقت نفسه يحاول الحزب فرض وجوده ومحو الوهم العالق في الأذهان باستحالة قيام حركة جديدة تقوى على التصدي في وجه الماركسية والتغلب عليها.

2. لا يصار إلى إنشاء خلايا محلية ما لم تتثبت سلطة المركز في ميونيخ.

3. لا يصار إلى إنشاء فروع إقليمية ما لم تتوافر الإثباتات الكافية على ولاء الأنصار للمركز الرئيسي وتقيدهم بتعليماته، علما بأن إنشاء مراكز إقليمية يتوقف على عدد كاف من الأفراد الذين يعتمد عليهم بإدارة المراكز.. ويمكن للحزب أن يجّتذب أفرادًا أذكياء، فينشئهم تنشئة قوية تؤهلهم للقيادة، إذا توافر لديه المال الكافي، ويمكن أن يدفع رواتب الموظفين من صندوقه الخاص، أما إذا لم تسمح له ماليته باستخدام رؤساء موظفين؛ فإنه يعهد بإدارة الفروع إلى رجال لا يبخلون على الحزب بالجهد والوقت والمال.

وقبل إنشاء الفرع يجب تعيين رئيسه؛ فإذا تعذر ذلك يترك الفرع من دون رئيس أو تُترك المنطقة من دون فرع؛ لأن الرئيس الفاشل كالقائد الأحمق الذي لا يحسن وضع وتنفيذ الخطط.

إن نجاح حركة سياسية لا يعتمد على تعصب الأنصار واعتبار حركتهم أكثر الحركات نبلًا وسموًا.. ومن يعتقد أن اندماج حركتين متماثلتين يضاعف من قوة الحركة هو مخطئ؛ لأن هذا يزيد في النمو الخارجي، مع أن هذا الاندماج يلقي بذور ضعف داخلي تظهر أعراضه بسرعة، ذلك أنه مهما كان التشابه قريبًا، فالشبه التام بينهما يبقى مستحيلًا، والطبيعة نفسها لا تسمح بالتزاوج بين جهازين مختلفين، فتعمد إلى استفزازهما إلى القتال ليبقى الأنسب والأقوى.

فالتاريخ يعلمنا أن قوة الأحزاب تقوم على التعصب ضد كل ما هو خارج عنها، وأن أنصار الحزب حين يقتنعون بصحة فكرتهم يتجندون للدفاع عنها ولمنازلة خصومهم؛ موقنين أن النصر حليفهم، ولا يزيدهم الاضطهاد إلا شدة وعزيمة، فالمسيحية لم تنتشر وتشتد بالتسويات بين تعاليمها وتعاليم بقية الديانات بل شقت طريقها بفضل تعصبها لرسالتها ودفاعها عنها دفاعًا مستميتًا.

ينبغي لحركتنا أن تعلم وتفهم الشعب الألماني أن اليهودي إذ يقول الحقيقة؛

إنما يحاول تغطية خدعة كبرى، وأن كل افتراء يصدر عن اليهود هو كالشهادة بحسب السلوك، وكل ألماني يهاجمه اليهود هو واحد منا، وكل ألماني يبغضه اليهود هو أفضل أصدقائنا.

يجب على حركتنا أن تفهم أنصارها أن من يقرأ جريدة صباحية يهودية ولا يجد فيها جملة من الافتراء عليه، فمعنى ذلك أنه أضاع نهاره السابق سدى، فلو أمضى نهاره السابق في مكافحة نشاط اليهود؛ لوجد في صباح اليوم التالي حملة الافتراء والتجريح في صحف الصباح.

حين يدرك أنصارها هذا كله؛ تصبح حركتنا قوية لا يمكن أن تغلب.

لم يكترث الجمهور لعملنا الحزبي، وكان معذورًا إذ كان عددنا في البداية سبعة رجال لا حول لهم يهدفون إلى تحقيق ما عجزت عنه الأحزاب الكبيرة.

فكنا نجلس في اجتماعنا نحن السبعة حول طاولة عارية إلا من أقلامنا وأوراقنا، لنتناقش بضع ساعات في أمور تافهة كتنظيم دعوة أو إعداد بياني، وغني عن القول إن ميونيخ كانت في شاغل عن الانتباه لأمر سبعة رجال يعقدون اجتماعًا، وقد ظل هذا دأبنا إلى أن قررنا توسيع نطاق حركتنا بدعوة الناس لحضور اجتماعاتنا، فنظمنا اجتماعات دورته مرة أو مرتين في الشهر، وتولينا كتابة أوراق الدعوة وتوزيعها بأنفسنا، وحدث أن قمت بنفسي بتوزيع ثمانين بطاقة دعوة على أشخاص طالما امتدحوا حركتنا وكذلك فعل رفاقي؛ فبلغ مجموع ما قمنا بتوزيعه نحو خمسمئة وعشرين بطاقة، ولكن النتيجة كانت مخيفة لآمالنا بشكل كبير، ففي الموعد المعين؛ لم يكن في قاعة الاجتماع سوى الأعضاء السبعة.

بعد هذا الحادث؛ طبعنا أوراق الدعوة على الآلة الناسخة، فضمنا نجاح الاجتماع الثاني؛ فحضره نحو الثلاثة عشر مواطنًا، وتدريجيًا ازداد الرقم، إلى أن وضعنا إعلانًا في إحدى الصحف المستقلة عن اجتماعنا السادس، وكانت النتيجة مشجعة؛ إذ استأجرنا قاعة في "هوفبروس كيلر" تتسع لمئة وثلاثين شخصًا، وفي الوقت المحدد حضر الاجتماع نحو المئة وأحد عشر شخصًا.

وقع الاختيار عليّ لأخطب في الجمهور، وكانت هذه أول مرة أخطب فيها؛ فعارضني معارضة شديدة رئيس الحزب الهر "هارير"، الذي كان يظن أني أصلح لكل شيء ما عدا الخطابة، ولكن كان "هارير" مخطئًا، فقد اكتشف الجمهور أنني خطيب من الطراز الأول، وقد قوطع خطابي بالتصفيق الحاد عدة مرات، وعندما دعا المستمعين للتبرع لصندوق الحركة؛ بلغت حماستهم حدها الأقصى؛ فأقاموا

على التبرع ودخل على الصندوق نحو ثلاثمئة مارك؛ ما أتاح لنا طبع نشراتنا وتعاليمنا وأوراق الدعوة.

لم يقتصر نجاح الاجتماع على هذه الناحية؛ فقد كان من جملة الحاضرين بعض الذين حاربت معهم في الجبهة، فمضوا إلى رفاقهم ورفاقي يصفون انطباعاتهم عن الاستماع ويشرحون لهم مبادئ حركتنا وأهدافها، واستطاعوا استدراج الكثيرين لحضور الاجتماعات المقبلة، ولكنهم ما لبثوا أن انخرطوا في الحزب الجديد، وكانوا شبانًا شجعانًا تشبعوا بروح النظام وأخذوا من الخدمة العسكرية شعارًا ممتازًا "أن لا مستحيل في الحياة".

وما هي إلا أسابيع معدودة حتى بدأ الحزب يعطي نتائجه الطيبة.

كان أول رئيس للحزب الهر هارير، صحفيًا لامعًا مثقفًا، ولكنه كان يجهل مخاطبة الجمهور وإثارة حماسته، وكذلك الهر دركسلر رئيس فرع ميونيخ، الذي لم يكن هو الآخر ذا موهبة خطابية، وقد لاحظت عليه الضعف والتردد، وقد علمت أنه لم يدخل الجندية قط، فاتضح لي سبب افتقاره إلى معالم الرجولة الحقة، فهو لم يدخل المدرسة الوحيدة التي تنشئ رجالًا يثقون بأنفسهم ثقة لا حد لها.

كان هارير ودركسلر ضعيفي الثقة بأنفسهما وبحركتنا الجديدة؛ خصوصًا بما يتعلق بقوة الحركة على سحق كل من يقف في طريق نموها وانتشارها، إن هذه المهمة لجديرة برجال صهرتهم الجندية وحولتهم إلى رجال أكثر صلابة وقوة، وإن كنت جنديًا قد نسيت في الجبهة شيئًا اسمه "خطر" أو "مستحيل"؛ لأن حركتنا كانت تعد مجازفة خطرة، فقد كان الماركسيون أسياد الموقف يهاجمون كل من يعقد اجتماعات شبيهة باجتماعاتهم، فيعتدون على الحاضرين ويزعمون أن المجتمعين قد تحرشوا بهم واستفزوهم، فقد كانوا يكافحون كل اجتماع يجتذب الجمهور، وكان هذا موقفهم تجاه حزبنا الفتي، الذي بدأ اجتماعاته بدعوة العمال والمستخدمين، وعندما أطلقنا على حركتنا اسم "حزب العمال الألماني"؛ بدأ الماركسيون بمهاجمتنا كما بدا على أنصارنا أنهم خائفون ويفضلون التهرب من الاصطدام مع الحمر خوفًا من الهزيمة، وراح المسئولون يؤجلون عقد الجمعية العمومية خوفا من الاصطدام، وكنت أنا أعارض هذا التخاذل وأطلب منهم قبول التحدي والعمل على استفزاز خصومنا ومحاربتهم بسلاحهم، فسلاح الإرهاب لا يحارب إلا بالإرهاب، وأخيرًا فازت نظريتي، فعقدنا الجمعية العمومية الأولى بعد أن تهيأنا لمواجهة جميع الاحتمالات وكان النجاح حليفنا، فعقدنا عدة اجتماعات متتالية، وقد تكلمت في أحد الاجتماعات لمدة ساعة

كاملة بحضور حشد كبير من المستمعين، وقد حاول بعض العناصر التشويش وإشاعة الفوضى؛ إلا أن رفاقنا تصدوا لهم وأوسعوهم ضربًا وطردوهم من قاعة الاجتماع، وتوالت اجتماعاتنا وازدادت استعداداتنا لصد الاعتداءات بالعنف نفسه الذي يستعمله الماركسيون، وكان إيماننا قويًا وتعصبنا للفكرة التي بدأت تفتح طريقها قادرًا على نقل الجبال من أماكنها.

انصرفنا بعد ذلك إلى وضع النظام الداخلي للحزب، وقد حدثت بعض المناقشات حول القضايا الشكلية كتسمية الحزب مثلًا، بينما انصرفت خلال هذا التنظيم إلى مقاومة فكرة قبول بعض الأعضاء الذين يطلقون على أنفسهم اسم "الألمان الشعبيون"، فهؤلاء طبقة من المواطنين لا يعادل عملها الإيجابي الصفر، ويتجاوز ادعاؤها الفارغ كل حد، وقد أوضحت لرفاقي أن حركتنا الفتية لن تكسب شيئًا من انضمام رجال مقدرتهم الوحيدة هي أنهم أمضوا ثلاثين أو أربعين سنة في خدمة فكرة من الأفكار.

إذ إن رجلًا أمضى أربعين عامًا في خدمة ما يعتبره فكرة من دون أن يؤمن لها النجاح المطلوب، أو على الأقل من دون أن يحول دون انتصار خصومها، هذا الرجل لن يرجى منه أي خير لحركتنا الناشئة، والأمَرّ من ذلك أن هؤلاء "المناضلين" العريقين يرفضون الانضمام كأعضاء عاديين؛ بل يطلبون مراكز عالية تتناسب و"جهادهم" الطويل.

وأوضحت لزملائي أيضًا أن هذا النوع من السياسيين الخائبين لا يريدون من انضمامهم إلى حركتنا خدمة هذه الحركة؛ بل يريدون تنفيذ نظريتهم الخاصة بواسطتنا، ولئن يكن بعضهم يتصرف عن جهل مطبق؛ فإن بعضهم الآخر يتصرف بناء على خطة مرسومة ولهدف معين، ومن بين هذا البعض نجد فئة تريد محاربة اليهود على الصعيد الديني، بينما تدعي أن الحركات الإصلاحية في البلاد يجب أن تقوم على أساس عنصري محض.

لذلك.. قررت إبعاد هؤلاء "العنصريين"؛ فاقترحت تسمية الحزب الجديد "حزب العمال الألماني الوطني الاشتراكي" وهكذا كان، فابتعد هنا محترفو السياسة و"المناضلون" الذين يريدون القتال وسلاحهم القلم والورقة، وقد قام هؤلاء بحملة ضدنا في الصحف المأجورة واليهودية، منتقدين شعارنا القائل "سنرد بعنف على من يحاول إرهابنا بعنف"، وادّعوا أننا جماعة تمجد القوة ولا تؤمن بالفكرة والقيم الروحية.

في بداية العام 1920؛ قررت أن أهيئ إلى اجتماع كبير رغمًا عن الاعتراضات الكثيرة من قبل بعض المتنفذين في الحزب، وكانت الصحف الحمراء قد بدأت تهتم بنا وتحمل علينا بعنف، ونحن بدورنا بدأنا نحضر اجتماعات الماركسيين

للتشويش عليهم، وكان كل واحد منا يأخذ نصيبه من الضرب واللكم، وقد جعلنا هذا الأسلوب حديث المجتمعات، وتأكدنا أن "أصدقاءنا" الحمر سيحضرون أول اجتماع كبير لنا ليعاملونا بالمثل، وعلى الرغم من تأكدي أن خصومنا سيتغلبون علينا في ميدان اللكم والضرب، لكني كنت على ثقة تامة بأن ثباتنا وقوة عزيمتنا ستقوي من معنويات حزبنا في الخارج، فالشعب تبهره القوة والأعمال البطولية، وقد عارض رئيس الحزب هذا الأسلوب؛ فقدم استقالته من رئاسة الحزب، فحل محله دركسلر الذي سلمني مهام الشئون الدعائية، فقررت يوم 24 فبراير 1920 كيوم الاجتماع الحاسم، وأشرفت بنفسي على طبع وتوزيع النشرات الإعلانية، كما حرصت على أن تتضمن المبادئ الأساسية للحركة.

وما أن توزعت النشرات حتى صمم الماركسيون وحزب الشعب البافاري على محاربة الحزب الجديد، وكان الحزب هذا مهيمنًا على شئون الحكم في البلد، زاعمًا أنه ينهج منهجًا قوميًا صحيحًا، وقد رأيناه يستخدم قوة البوليس لمصادرة نشراتنا من أيدي ألوف العمال، الذين ضللتهم الدعاية الماركسية وجعلتهم أعداء للوطن والقومية.

وقد شذ من الحكام حلفاء الماركسيين اثنان فقط هما: أرنست بوهنر مدير البوليس، ومستشاره الدكتور فريك، هذان الموظفان الكبيران اللذان كانا ألمانيين قبل أن يكونا موظفين.

في مساء الرابع والعشرين من فبراير دخل على قاعة الاجتماع ما لا يقل عن الألفي شخص، وكان نصفهم على الأقل من الشيوعيين والفضوليين الذين حضروا للتشويش.. وكانت النتيجة عكس ما قرروه.

عندما بدأت خطابي شرع أعداء الحركة في التشويش.. فقاطعوني عدة مرات، ولكن تصدِّي بعض الزملاء من ذوي العضلات المفتولة.. فرض الهدوء نسبيًا، وبعد نصف الساعة طغت أصوات الاستحسان والموافقة على صراخات الاستنكار، وعندما تلوت على الجمهور المقترحات الخمسة والعشرين أقرها الأعضاء بالإجماع وفي جو حماسي رائع، وهكذا خطبت في مواطنين جمعهم إيمان جديد وإرادة جديدة، وعلمت وأنا أرى الناس تتدافع إلى الخارج بعد انتهاء الاجتماع.. أن حركتنا ستنتشر بسرعة خاطفة في أوساط الشعب الألماني.

إن جمرة قد اتقدت في تلك الأمسية من فبراير، ومن لهيبها سيخرج السيف الذي يعيد إلى سيجفريد الجرماني حريته وإلى الأمة الألمانية الحياة.

لقد تراءى لي موكب البعض وهو يتحرك، وخيل إليّ أن إله الانتقام قد هب ليمحو عار التاسع من نوفمبر عام 1918.

وتابعت حركتنا سيرها.

ـ 9 ـ

في اجتماع 24 فبراير وضعت حركتنا المخططات والمبادئ التي ستضع حدًا لفوضى الآراء ذات الأهداف غير القومية، والآن بقي أن تنتقل حركتنا إلى خطوات جديدة حاسمة، توقظ الأحزاب البورجوازية من سباتها العميق.

فعندما تعمد الأحزاب البورجوازية إلى تغيير منهج ما، يكون هاجسها التودد إلى الناخبين، وبمجرد أن يشعر محترفو السياسة أن الشعب بدا يبرم بهم.. حتى يسارع كل حزب يمثلونه إلى بث الخبراء والمنجمين ليبحثوا عن رغبات الشعب ومطالبه، وعلى ضوء التقارير التي يرفعها الخبراء تعمد الأحزاب إلى تغيير مناهجها أو تعديلها، وحتى إلى تبديل مبادئها إكرامًا للناخبين، كما لا يخفى عليها أن تضمن في مبادئها الوعود الخلابة للفلاح بحماية إنتاجه، كما تَعد الموظفين بزيادة رواتبهم.. ولا تلبث هذه الوعود أن تتبخر بعد المعركة الانتخابَية، ويرجع "ممثلو الأمة" إلى عوائدهم السابقة في خدمة مصالحهم الخاصة فقط.

هذه المهزلة التي تتكرر كل أربع سنوات.. ليست الوحيدة؛ فإننا نجد بين المواطنين من يؤمن أن في مقدرة الأحزاب البورجوازية منازلة الأحزاب الماركسية المنظمة وهزمها بواسطة الديمقراطية الغربية، وقد فاتهم أن الديمقراطيين لن يفكروا في منازلة الماركسيين، بل يتعاونوا معهم إذا كان في ذلك مصلحة لهم، وفي اليوم الذي تبنّى فيه البرلمانيون البورجوازيون فكرة الأخذ بمبد الأكثرية البرلمانية لضمان الاستقرار المنشود، أي في اليوم الذي تبنوا مفهوم الغرب للديمقراطية؛ عمد الماركسيون واليهود إلى الاستيلاء على الحكم عن طريق الأكثرية، وذلك بفضل الديمقراطية الغربية، ومن ثم تخلوا عن هذه الديمقراطية التي أوصلتهم إلى سدة الحكم، فالماركسية تُماشي الديمقراطية حين تكون عاجزة عن فرض نفسها وتحقيق أغراضها بطرقها الخاصة، وهي اليوم تستعمل هذه الطريقة في تحالفها مع الأحزاب البورجوازية.. ولكنها يوم أن تشعر أن الأكثرية البرلمانية قد ناصبت الشيوعية العداء، فسرعان ما يتخلون عن الديمقراطية ويتوجهون إلى البروليتاريا، وينتقل الصراع من البرلمان إلى الشارع، ولا يصعب على الماركسية في هذه الحال، تصفية حساب الديمقراطية في أسرع وقت، وقد أظهرت الحوادث عام 1918

عقم كل محاولة لوقف الغزو اليهودي بالطرق التي تستعملها الديمقراطية الغربية.

لذلك وجب علينا إفهام أنصارها وشعبنا أننا حزب ذو عقيدة، وأننا نأبى على الحركة أن تنقلب على جمعية تضم الانتهازيين والوصوليين، وقد ركزنا على إيضاح مفهوم الحزب للدولة، لأن فكرة الدولة قد شوهتها تعاليم كارل ماركس والنظريات المتدفقة من الخارج.

اقترح بعض الرفاق عليّ وجوب وضع العنصرية كواحدة من الأسس التي يقوم عليها الحزب.. ولكني اعترضت على الاقتراح؛ لأن العنصرية بمفهومها الشائع لا تزال تعبيرًا مطاطًا يدل على أكثر من مدلول، ولا تصلح بالتالي أساسا للعمل النضالي المشترك إلا بعد أن نحدد معناها بوضوح.

واستطعت بعد ذلك إقناع زملائي بجعل العنصرية قاعدة رئيسية، بعد أن نتفق على تحديد مهمة الدولة أولًا، وتحديد مدلول العنصرية نفسها كمفهوم فلسفي ثانيًا.

إن بعض المفاهيم الفلسفية الشائعة تعزو إلى الدولة إمكانية الإبداع والتوازن، كما أن الدولة هي وليدة ضرورات اقتصادية وسياسية، فهذا المبدأ يؤدي حتمًا إلى تجاهل القوى البدائية المرتبطة بالعنصر، وإلى الإقلال من قيمة الفرد، وبديهي أن يخطئ من ينكر وجود فروق بين الأجناس من ناحية إمكانياتها للإبداع ووضع الأسس الحضارية؛ لأن تساوي الأجناس يؤدي إلى تساوي الشعوب والأفراد، وقد تبنى ماركس هذا المبدأ ليجعله عقيدة سياسية، ثم نمقه وهذبه وجعله منسجمًا مع مصلحة أبناء جلدته اليهود.

إن الماركسية هي خلاصة المفهوم السياسي والفلسفي للدولة، لذلك لا يتمكن ما نسميه "العالم البورجوازي" أن يقف في طريقها أو يقلل من نشاطها؛ لأن العالم البورجوازي هذا قد تشبع هو أيضًا بتلك السموم التي ينفثها كارل ماركس واليهودية العالمية، والمبادئ التي يعتقنها تختلف اختلافًا بسيطًا عن المفهوم الماركسي، إذن فالبورجوازيون ماركسيون، ولكنهم يقولون بإمكانية سيطرة جماعة معينة من الناس "البورجوازية"، بينما تهدف الماركسية إلى إخضاع العالم كله لسيطرة اليهود.

أما المفهوم العنصري للدولة كما حدده حزبنا فيما بعد؛ فإنه يقيم وزنًا للأعراق البدائية، ويعتبر الدولة حاملة رسالة الحفاظ على كيان الأجناس البشرية، ولا تعترف العنصرية بتساوي الأجناس؛ ما يجعلها تؤيد بقاء الأصلح والأقوى، وبالتالي خضوع الضعيف لهما، وذلك انسجامًا مع المبدأ الأرستقراطي للطبيعة.

والعنصرية بتنكرها لمساواة الأعراق، تنكر أيضًا تساوي قيم الأفراد، أي أنها تنكر حق البقاء لكل عنصر ضعيف وضيع يحاول الاختلاط بالعناصر المتفوقة وإضعافها؛ لأن عالما تجتاحه سلالة من الزنوج لا بد له من الاضمحلال بعد أن تتشوه فيه مفاهيم الحق والجمال.

ـ 10 ـ

في الدولة

هناك ثلاث نظريات في الدولة:

أولًا: النظرية القائلة إن الدولة ليست إلا تجمع أناس بمحض إرادتهم وخضوعهم لسلطة حكومة من الحكومات.

وأصحاب هذه النظرية يؤلفون الكثرة، فهم ينادون بمبدأ الشرعية ولا يقيمون أي اعتبار للشعب، فيكفي أن تقوم الدولة لتصبح مقدسة، وقد يبلغ بهم الحرص على حماية نظريتهم السخيفة هذه إلى دعوة الناس للتعبد للدولة وسلطتها، فالدولة ـ حسب قولهم ـ لم توجد لخدمة الناس، لذلك وجب على الناس أن يعبدوا سلطتها، هذه السلطة التي ينفذها أناس مثلهم، وقد جعلوا المبرر الوحيد لوجود سلطة الدولة؛ الحفاظ على النظام والاستقرار.. وقد مثل هذه النظرية في ألمانيا جماعة المحافظين ـ مع الأسف.

ثانيًا: نظرية الذين يقولون إن وجود الدولة يخضع لاستيفاء شروط معينة، فالخضوع لسلطة واحدة يجب أن يتبعه وجود لغة واحدة للسكان.. ويقولون إن سلطة الدولة ليست المبرر الوحيد لوجودها، إذن يجب عليها أن تؤمن للمواطنين الازدهار والرفاهية، لذلك لا يطلب إحاطة الدولة بهذه القدسية طالما هي موجودة، وخلاصة القول؛ إن أصحاب هذه النظرية يريدون من الدولة أن تعطي الحياة الاقتصادية شكلًا يتلاءم مع مصلحة الفرد، وهذه النظرية ممثلة عندما في البورجوازية المتوسطة.

ثالثًا: نظرية الذين يرون في الدولة وسيلة لبلوغ أهداف استعمارية أو توسعية غير واضحة المعالم، فهؤلاء يطالبون بإنشاء دولة شعبية متحدة العناصر، ذات لغة مشتركة، باعتبار أن وحدة اللغة تساعد على توجيه الفكرة القومية توجيهًا معينًا.

في القرن الماضي توسع بعض المفكرين في تفسير الحركة الجرمانية، ولا أزال

أذكر الجدال الذي قام بين صحيفتين في فيينا حول أهداف الحركة الجرمانية وإمكاناتها، فقد ذهبت إحداهما إلى القول إنه من الممكن "جرمنة" الصقالبة من أبناء البلاد، ولكن الخطأ في القول هو أن "الجرمنة" يقصد بها جمع الجرمان في دولة واحدة، أما الجرمنة المقصود بها التوسع، فهذه تطبق على الأرض وحدها، إلا على الناس، ألا يبدو سخيفًا من يقول إن بالإمكان "جرمنة" صيني أو زنجي بمجرد تعليمه اللغة الألمانية؟ إن هذا النوع من الجرمنة - أي عن طريق اللغة - يعطي نتائج عكسية؛ لأنها تقضي باختلاط الألمان الحقيقيين بالأجناس الوضيعة التي ليس لها من خصائص الجرمانية إلا اللغة.. فالقومية أو بالأحرى فالعرق هو مسألة دم لا مسألة لغة.

ينبغي لنا في هذه المناسبة أن نغبط أنفسنا على فشل "الجرمنة" التي أراد جوزيف الثاني تطبيقها في النمسا، فلو نجح في مخططه لأدى ذلك إلى بقاء النمسا على قيد الحياة، وبالتالي أدت هذه المحاولة إلى انخفاض مستوى الأمة الألمانية لتخالطها مع أقوام هم أدنى منها بمراحل.

لم ننس ما كان من أمر اليهود الذين هاجروا إلى أمريكا على أنهم ألمان باعتبارهم يتكلمون اللغة الألمانية، فقد حسبهم الأمريكيون علينا، ولما ضاقت ذرعًا بهم شملت تدابيرها الألمان الحقيقيين.

إن النظريات الثلاث التي شرحناها تتجاهل أهمية العرق كأساس ترتكز إليه القوى المبدعة والقيم، كما تغفل الدور المهم الذي تقوم به الدولة في حفظ العرق ورفع شأنه، فالبورجوازية بتجاهلها أهمية العرق ودور الدولة فيه؛ فتحت الطريق أمام العقائد والمذاهب السياسية، وأهمها المذهب الذي ينكر وجود الدولة، لذلك فالمعركة التي تقودها ضد الماركسية هي معركة خاسرة حتمًا؛ لأن خصمها اكتشف نقاط الضعف وراح يحاربها بالسلاح الذي وضعته في متناوله.

لذا وجب على الحزب الجديد، ما دام يعمل على صعيد المفاهيم العنصرية؛ أن يبدأ بتعريف الدولة وتحديد مبررات وجودها، كما أن المبدأ الأساسي الذي يجب أن يعرفه هو أن الدولة وسيلة لا غاية، واعتبارها سببًا من مسببات الحضارة من دون أن تكون المبعث الوحيد لهذه الحضارة، ذلك أنه لا يمكن أن نتصور حضارة قابلة للاستمرار من دون وجود المتفوق القادر على خلقها ودعمها، ويمكن القول إن وجود الدول لا ينتفي معه احتمال زوال الجنس البشري في حال زوال من يمثل العرق المتفوق، مؤسس الحضارة المثلى، لأن زوال هذا يفضي حتمًا إلى تجريد البشرية من طاقة المقاومة والاحتمال وموهبة الخلق.

لنفترض أن زلزالًا ضرب الأرض ومن فيها، وقضى على معالم الحضارة كلها، ولكن صدف أن نجا بضع كائنات بشرية تنتمي إلى عرق متفوق؛ فإنها لا تلبث أن تستأنف الخلق والإبداع وتنشئ حضارة جديدة ترجع بالأرض إلى وضعها السابق، ولدينا من أمثلة التاريخ ما يؤكد أن الدول التي وضع أسسها عرق غير مؤهل، تعجز عن الصمود في وجه الزعازع.

لذلك فالشرط الأساسي لبقاء الشعب المتفوق هو بقاء العرق ذي المواهب المبدعة، لا بقاء الدولة، فالمواهب تكمن في الأعراق بانتظار الفرص المناسبة لتبرز، وهكذا كانت حالة الجرمان قبل النصرانية، فالقول إن الجرمان كانوا برابرة لا يستند إلى الحقيقة والواقع؛ لأن المناخ في المناطق الشمالية التي سكنها الجرمان فرض عليهم نوعًا معينًا من الحياة كان سببًا في تأخير نمو طاقاتهم المبدعة، ولو أنهم سكنوا المناطق الجنوبية ووجدوا العتاد البشري الذي تقدمه الأعراق الوضيعة؛ لتمكنوا بفضل طاقة الإبداع الكامنة في هذا العرق.

الدولة العنصرية التي نطالب بها ستكون مهمتها الأولى السهر على بقاء ممثلي العرق البدائي الذي قدم للعالم حضارة من أسمى الحضارات وأجدرها بالبقاء، ونحن كآريين نفهم الدولة أنها جهاز يوفر للشعب مقومات وجوده وينمي مواهبه، أما الدولة التي يريدون فرضها علينا فهي ثمرة أفدح الأخطاء البشرية، ولا نجهل أن خصومنا جادون في عرقلة مساعينا، ولكن لن نلتفت لما يقولونه لجيلنا هذا؛ لأننا نقصد بحركتنا هذه الأجيال المقبلة التي ستباركها وستقدر أهميتها العظمى.

*

على ضوء هذه المبادئ والنظريات التي قدمناها؛ يمكننا نحن ـ الوطنيين الاشتراكيين ـ أن نجعل من الدولة ما يفترض بها أن تكون، وأن نقيس مدى نفعها من خلال مصلحة البشرية كلها.

إن الدولة تمثل شكلًا أو هيكلًا، فإذا أصبح الشعب ذا شأن كبير في ميدان العلم والفن والحرب وغيره.. فهذا التقدم لا يصلح مقياسًا لنفع الدولة التي تحضنه، لا شك أن شعبًا ذو مواهب هو أقدر على الظهور بمظهر لائق من قبيلة زنجية مثلًا، ومع ذلك فربما تكون الدولة التي ينشئها هذا الشعب أسوأ حالًا من القبيلة الزنجية، فالدولة تقضي على العرق الذي أوجد الحضارة إذا هي سمحت أو كانت السبب في زوال مواهبه المبدعة وقدرته على الخلق.

وعلى هذا الأساس تقدر قيمة الدولة بمقدار النفع الذي عادت به على شعبها، فعندما نأتي على ذكر رسالة الدولة؛ فهذه الرسالة هي التي يضطلع بها الشعب، أما هي فمهمتها الأساسية تنحصر في توفير أسباب النمو لهذا الشعب.. فإذا قلنا نحن الألمان: كيف يجب أن تكون الدولة التي تحتاج إلى أمننا؟ تعين علينا توضيح نقطتين: من هم المواطنون الذين يجب أن تضمهم الدولة؟ وما هي الأهداف التي يجب أن تعمل لها؟

أسارع إلى القول؛ إن شعبنا الألماني لم يبق له العرق المتجانس أساسا، فالاندفاع الذي تم بين العناصر البدائية لم ينبثق عنه عرق جديد، فالاختلاطات المتتالية التي سببت تعكير دم شعبنا، سببت بالتالي انحلال الشعب الألماني روحيًا وجسديًا، ذلك أن حدود وطننا المفتوحة والتماس المستمر مع أجهزة سياسية غير ألمانية على طول مناطق الحدود، ودخول الدم الأجنبي، فهذا التجدد المستمر لم يتح الوقت الكافي لتحقيق الاندماج الكامل الذي يجب أن ينبثق عنه عرق جديد، وترتب على هذا النقض انعدام التجانس بين السكان.

إن ما يسمى عندنا "الفردية المبالغ فيه" هي نتيجة التجاور بين السكان من دون التوصل إلى الاندماج فيما بينهم، وربما كان لهذا التجاور المتحفظ بعض المزايا في أثناء السلم، ولكنه يصبح وبالًا على الأمة في أثناء الحرب، ولو تكاتف الشعب الألماني في تاريخه الطويل لاستطاع الرايخ الألماني أن يسود العالم.

وقد ترتب على افتقار شعبنا إلى اللحمة التي يوفرها الدم الواحد؛ قيام عواصم للعديد من صغار الأمراء الألمان، وحرمان الشعب من حقوقه الأساسية كسيد، وفي أيامنا الحاضرة؛ يعاني شعبنا الأمرين من جراء هذا النقص، ولكن ما كان سبب شقائنا؛ قد يصبح مصدر خير وبركة في المستقبل؛ لأن فقدان هذه اللحمة بين العناصر البدائية التي كانت تؤلف عرقنا، يقابله لحسن الحظ بقاء دم فريق من الألمان سليمًا طاهرًا؛ ما يشكل ضمانة لمستقبل شعبنا، وزيادة في الإيضاح أقول: إن الامتزاج الكامل بين العناصر البدائية؛ سيؤدي لو تم إلى نشوء شعب قادر على التطور، ولكن الحضارة لن تظهر بالمظهر الذي يمكن أن تظهره على أيدي العناصر الممثلة للعرق المتفوق، الذي ابتدع الحضارة، لذلك ولحسن الحظ؛ بقي في شعبنا قوى احتياطية تتمثل بأبناء العنصر الجرماني، قوى حافظت على نقاء دمها وطابعها المميز، مؤلفة نواة صالحة لأجيال تتمكن من النهوض بشعبنا ودفعه إلى عجلة التقدم.

*

إن عهد الجمود والاتكال واللامبالاة، سيتبعه عهد من النضال الشاق والكفاح المرير، فالنصلة التي لا تستعمل يتآكلها الصدأ، ومن يطلب النصر عليه بالهجوم

لأنه الطريق المؤدي للنصر.

إن الصعاب التي تنتظرنا في كفاحنا من أجل نشر مفهومنا الجديد للدولة، تكمن في عدم وجود مناضلين يثبتون معنا في الكفاح الطويل، فمجتمعنا هرم لا هم له إلا الإبقاء على الحالة الراهنة.. لكن الصعاب والعقبات ستقوي من همتنا لأنها تبرز عظمة الرسالة التي نحملها.. وستكون الدعوة إلى الحرب الإشارة التي يترقبها المناضلون، وليعلم الوطنيون الاشتراكيون أنه متى اتحد عدد من الرجال متصفين بصفات العزم والقوة واضعين أمام أعينهم هدفًا معينًا؛ فلن يلبث هؤلاء الرجال أن يمسكوا بزمام القيادة.

فالتاريخ صنعته النخبة، وهي الأقلية، ففي كل مرة كانت الأقلية العددية مجسدة للإرادة والجرأة.

والطبيعة بدورها تتدخل لتصحيح نتائج الاختلاطات التي تعكر نقاء الأجناس البشرية، فهي إما ترحم المخضرمين ولا سيما السلالات الأولى حتى الجيل الخامس، وتجردها من المميزات التي كانت للعنصر البدائي للتفوق الذي كان شريكا في الاختلاط، ناهيك عمّا يترتب على انعدام وحدة الدم من تضارب بين الإرادات والقوى الحيوية، ففي الظروف الحرجة يتخذ الإنسان ذو الدم الصافي قرارات حكيمة ومنسجمة، أما المخضرم؛ فإنه يفقد التوازن والسيطرة على أعصابه، وينتهي به الأمر إلى الخضوع للإنسان ذي الدم الصافي، ويكون في الغالب عرضة للزوال السريع.

وفي بعض الحالات؛ يضطر بعض الشعوب المتفوقة إلى الاختلاط بشعوب وضيعة، ولكن ما أن تزول هذه الحالات الاضطرارية؛ حتى تميل العناصر السلمية إلى الاختلاط بشكل ترضى عنه الطبيعة، الاختلاط بين الدم الواحد، فلا تلبث سلالات المخضرمين أن تقف على الهامش؛ فتصبح مقاومتها مستحيلة.

لذلك وجب على الدولة الجرمانية أن تمنع كل اختلاط جديد، وعدم الالتفات إلى الدعوة اليهودية الماركسية التي تتطلب إزالة الحواجز الفاصلة بين الأجناس، وعدم الالتفات إلى احتجاج أنصار الاختلاط على المساس بحقوق الإنسان المقدسة، فالإنسان له حق مقدس واحد هو السهر على بقاء دمه نقيًا طاهرًا، ليتمكن من صون الحضارة ومقوماتها، وعلى الدولة العنصرية أن ترفع مستوى الزواج لتعيد إليه قدسيته كمؤسسة تهدف إلى خلق كائنات على صورة الله ومثاله، مسوخ تشبه القرود.

إن البورجوازيين يعترضون علينا لأننا نطلب منع التزاوج بين المصابين بالأمراض الزهرية، وذوي العاهات.. ولكنهم في الوقت نفسه لا يمانعون في استعمال الوسائل التي يستعملها الأصحاء لمنع الحمل ولإتلاف الزرع البشري.

والأغرب من ذلك أن الكنيستين الكاثوليكية واللوثرية تتذمران من موجة الإلحاد العاتية، لكنهما لا تعملان لوقف هذه الموجة، بل تلتفتان إلى الزنوج محاولتين إفهامهم أشياء لا يمكنهم فهمها.. فلو تركت الكنيستان الزنوج وشأنهم لتفهما الشعب أنه من الأفضل عند الله أن يقوم الضعفاء وذوو العاهات بتبني الأيتام بدلًا من خلق أولاد مرضى وضعفاء يكونون عالة عليهم وعلى أمتهم.

يتحتم على الدولة العنصرية أن تسد هذا النقص بجعل العرق محور حياة الجماعة.. ساهرة على بقائه نقيًا، وعليها أن تجعل من الولد أثمن ما في حوزة الشعب، وأن تحصر حق التناسل بالأصحاء فقط؛ بل يجب أن نعلن أن الزواج بين المرضى وذوي العاهات هو فعل منكر، وأن أنبل عمل يقدمونه هو عدم التناسل، وفي الوقت نفسه يجب على الدولة أن تعاقب كل من يتمتع بصحة جيدة ويستعمل طريقة منع الحمل.

نعم.. يجب على الدولة أن تتدخل، فتدخلها هذا هو لمصلحة الشعب ومستقبله، وعليها أن تستخدم الطب والعلم لمنع تناسل غير المستحقين وغير المؤهلين، فتجردهم من القدرة على التناسل كما ينبغي عليها أن تضع حدًا لتحديد النسل بين العائلات الفقيرة التي تخشى تعدد الأولاد، وذلك بتشجيع الأقوياء منهم عمليًا، فيطمئن المتزوجون إلى مستقبل أولادهم من دون هموم وهواجس.

ألا تعتبر جريمة بحق المجتمع أن ينقل المريض أمراضه إلى ذريته؟ فعلى الدولة أن تفهم الفرد أن كون الإنسان مريضًا ليس عيبًا، إنما هو محنة تثير الشفقة، ولكنه يتحول إلى جريمة يوم يورث المريض داءه أو عاهته إلى مخلوق آخر بريء لا ذنب له، فالبشرية تتمكن من إنقاذ نفسها إن اعتمدت هذا الأسلوب لبضعة قرون.

يمكن للدولة خلق عرق سليم خالٍ من العاهات، إن هي أخضعت أقاليم المكتسبة حديثًا لشروط مدروسة، وأنشأت لجانًا خاصة تقوم بالترخيص للأفراد بإنشاء مستعمرات ضمن هذه الأقاليم، ولا يُعطى الترخيص إلا لمن يثبت انتماؤه إلى العرق المؤسس للحضارة، كما يثبت بقاء دمه نقيًا طاهرًا، وبذلك تقوم المستعمرات النموذجية على سواعد أشخاص يمثلون العنصر المتفوق ويتحلون بصفاته الفريدة، ويؤلفون النواة الصالحة لشعب جديد.

يبقى على الدولة العنصرية توفير المناخ لنمو الجيل الجديد، وعندها يكف الناس عن الاهتمام بتحسين نسل الخيل والكلاب، لينصرفوا إلى تحسين النوع البشري، وبذلك يبلغ المجتمع حدًا من الرقي لا تحتاج معه الدولة إلى فرض الرقابة على عملية التناسل، فغير الصالحين سيمتنعون من أنفسهم، والصالحون يضطلعون بها بإخلاص تام.

يبدو هذا للقطيع البورجوازي حلمًا صعب التحقيق.. لأنه ليس هناك من شاغل لهم إلا الاهتمام بالمكاسب، وليس لهم من معبود سوى المال.

ونقول لهم حين يقلبون شفاهم مرتابين لهذه النتيجة: أليس هناك آلاف من الرجال والنساء نذروا أنفسهم للشرائع الدينية.. ممتنعين عن التناسل فارضين على أنفسهم التبتل؟ فلم لا يكون هذا ممكنًا بالنسبة للمواطنين غير الصالحين للتناسل حين يحل محل تعاليم الكنيسة ووصاياها إنذار توجهه الدولة إليهم تفرض عليهم وضع حد للخطيئة الأصلية الحقيقية، وأن يمجدوا الخالق القادر بسلالات تكون على صورته ومثاله؟

*

متى علمنا أن أول واجب للدولة هو المحافظة على أفضل عناصر العرق وتوفير المناخ الملائم لنموه؛ يتبين لنا أن مهمة الدولة التالية تكون في تربية النشء تربية تتيح له في المستقبل المساهمة في رفع مستوى الجماعة، وغني عن القول إن أول أهداف التربية يجب أن يكون في المحافظة على صحة الأفراد، ففي معظم الحالات؛ نجد أن العقل السليم في الجسم السليم.. والدولة العنصرية التي تدرك هذه الحقيقة ستعمل على إعطاء الأمة أجسامًا سليمة قوية، أما التعليم وحشو الأدمغة فيأتي بالمرتبة الثانية.

يجب على الدولة العنصرية أن تنطلق من المبدأ التالي: الرجل السليم الجسم القوي الإرادة، المقدام؛ هو العضو النافع للمجتمع، والرجل المحدود الثقافة أنفع من رجل ذي عاهة مهما بلغت مواهبه العقلية، كما أن شعبًا من العلماء الضعفاء جسديًا، الضعفاء الإرادة، المبشرية بسلام مثبط للعزيمة - إن شعبا هذه صفاته - يعجز حتى عن توفير ما يكفل بقاءه على هذه الأرض، وفي الجهاد الذي يحتمه علينا القدر لن ينهزم القوي جسديًا، وإنما الخاسر المهزوم هو الذي يستمد من معرفته وعلومه قرارات غير مجدية، بل بعيدة عن روح الرجولة وينفذها بطريقة تثير الشفقة.

يجب أن يكون هناك انسجام بين الماديات والمعنويات، فالجسم المصاب بمرض الجذام مثلًا، لن يعيد إليه الإشعاع الفكري جماله ونضارته.

إن العناية بتقوية الأجسام؛ هي من أولى خصائص الدولة العنصرية، وذلك لارتباطها الوثيق بصيانة العرق أو الشعب الذي تمثله هذه الدولة وتحميه، لذلك يجب على الدولة الاعتناء بالنشء الجديد وتقوية أجسادهم منذ الطفولة، وذلك بإرشاد الأمهات بطريقة عملية لينموا ويترعرعوا في أحسن الحالات، كما يتوجب على المدارس الاعتناء بالرياضة البدنية؛ لأن التمارين الرياضية تنشط الجسم والعقل معًا، ولا يجوز أن يمر يوم من دون أن يمارس الفتى مختلف أنواع الرياضة لمدة ساعتين يوميًا على الأقل، وهناك رياضة مهمة هي الملاكمة، هذا النوع من الرياضة الذي يعتبره "العصريون" نوعًا من البربرية، فالملاكمة تنمي روح الكفاح وتروض العقل على التصميم والتنفيذ بسرعة خاطفة، كما تجعل الجسم صلبًا من دون أن يفقد شيئًا من مرونته، فالرجل الذي يحرص على كرامته يجب أن يدافع عنها بقبضة يده، ولا يقبل على نفسه بإطلاق ساقيه للريح إلى أقرب مخفر ليشكو أمره إلى الشرطة، إن مهمتنا خلق رجال أقوياء يتحلون بالجرأة والإقدام ونساء مؤهلات لإعطاء الوطن رجالًا حقيقيين.

فلو مارست الطبقات العليا الرياضة البدنية إلى جانب الدرس والتحصيل؛ لو أنها مثلًا مارست الملاكمة إلى جانب الرقص، لما تمكن الخونة من إشعال نار الثورة في ألمانيا، لأن الثورة لم تنجح بفضل شجاعة وإقدام القائمين بها، وإنما نجحت لأن الحكام كانوا جبناء مترددين، فقد واجهوا قبضات المخربين وأسلحتهم بالأسلحة الفكرية، وقد تغلبت الغوغائية لأن معاهدنا أنشأت رجالًا موظفين وكتابًا وأساتذة و لم تنشئ رجالًا شجعان.

إن التربية البدنية لا تصنع العجاب، فمن كان جبانًا أصيلًا لن تتمكن الرياضة من جعله شجعًا جسورًا، ولكن الشجاعة وحدها لا تكفي؛ بل يجب أن ترافقها القوة البدنية، وقد أدركت قيادة الجيش هذه الحقيقة وعملت على ضوئها، فمهرت البلاد في السلم بجيش شجاع رابط الجأش قادر على تحمل المشاق، وقد رأينا جيشنا البطل في صيف عام 1914 ينطلق لملاقاة الموت كأنه ذاهب إلى حفلة عرس، فهذه الثقة بالنفس هي ثمرة التربية البدنية التي تنمى الشخصية وتبلورها ولا سيما الشجاعة وروح النضال.

وما أحوج شعبنا اليوم إلى هذه الثقة بالنفس! إن الدولة العنصرية ستربى النشء على فكرة أن شعبنا متفوق على سائر الشعوب، وستعيد إليه إيمانه بمقدرات وطنه والثقة بمستقبل أفضل.

*

لن يكون اهتمام الدولة العنصرية مقتصرًا على إنماء القوى الجسمانية؛ بل سيكون الاهتمام ملاحقًا للنشء، ما دام هو بحاجة إليه، فنحن اليوم نلاحظ اهتمام الدولة بشؤون التربية، فالشبيبة تتردى في مهاوي الرذيلة، فلا تجد من يردعها ويعنى بتربيتها خلقيًا وجسديًا.

فعلى الدولة العنصرية أن تكلف مؤسسات خاصة تابعة لها للقيام بمهمة التربية البدنية، بحيث تكون هذه التربية كمرحلة إعدادية تؤهل الشبيبة للالتحاق بالخدمة العسكرية، بحيث لا يتطلب من الجيش إعادة إنماء قواهم الجسدية، بل يتلقاهم بصفته معهدًا للتربية القومية؛ فيتخرج الشاب في مدرسة الخدمة العسكرية حاملًا شهادتين، شهادة المواطن التي تتيح له الحصول على وظيفة، وشهادة صحية تثبت صلاحيته للزواج.

وهذا سينطبق أيضًا على الإناث، وستكون غاية التربية النسوية إعداد الفتيات للاضطلاع بدورهن العظيم يوم يصبحن أمهات الغد.

بعد التربية الجسمانية يأتي دور التربية الخلقية:

لا شك أن بعض الطباع ثابتة لا تتغير، فالأناني يبقى أنانيًا والمثالي يبقى مثاليًا، وهناك ملايين الطباع المانعة التي لا تستقر على حال.

فالمجرم بالفطرة يبقى على إجرامه، ولكن ربما تمكن المجتمع من إصلاحه وجعله عضوًا نافعًا، وهناك طباع مانعة تتطور لتصبح شريرة، إذ لم يتعهدها المجتمع بالتربية اللازمة، وكثيرًا ما تذمرنا ونحن في الجبهة من نزعة متأصلة في شعبنا وهي الثرثرة، فكان الرؤساء يلقون صعوبة كثيرة لمنع تفشي الأسرار العسكرية للعدو، وذلك بسبب ثرثرة بعض الأفراد من شعبنا، فهل فكر المربون يومًا في إفهام النشء الجديد أن الثرثرة عيب كبير، وأن الكتمان هو فضيلة يتصف بها الرجال الأفذاذ.

إن المربين يعتبرون هذه القضية تافهة، ولكنهم لو فكروا قليلًا لظهر لهم في تسعين بالمئة من قضايا القدح والذم والافتراء ناجمة عن الثرثرات الفارغة، كما أن المصالح الاقتصادية تتضرر باستمرار؛ لأن الثرثارين يفشون أسرار الصناعات، وحتى الأسرار العسكرية لم تسلم من ثرثرتهم، فترتب على ذلك خسارة معارك كثيرة.

ولا يغربن عن بالنا أنه من المستحيل تقويم الخلق المعوج بعد أن يكمل المرء نضوجه، لذلك يجب أن تبدأ التربية في البيت حيث يتولاها الآباء والأمهات، ثم المدارس.

أما اليوم فلا نجد أي أثر للتربية الخلقية في مدارسنا، ولكن الدولة العنصرية ستعطي هذه الناحية اهتمامها الزائد؛ فتعلم النشء الجديد أن الإخلاص ونكران الذات والتحفظ فضائل يجب أن يتحلى بها كل شعب عظيم، كما ستدعو المربين إلى تدريب التلاميذ على تحمل الألم والظلم بصمت ورباطة جأش، لكي تجعل منهم في المستقبل جنودًا ثابتي الجنان، قادرين على أداء واجبهم في أشد الظروف وأقسى الحالات.

*

سيكون من مهام التربية في الدولة العنصرية العمل على تنمية قوة الإرادة وروح الإقدام ومواجهة المسؤوليات.

في الماضي كان الجيش يأخذ بالمبدأ القائل: "الأفضل للقائد أن يصدر أمرًا ما، بدلًا من أن يحجم عن إصدار الأوامر"، وفي أيامنا.. يجب إفهام النشء أن الخوف من تحمل المسؤولية هو الذي عجل بكارثة 1918، ففي ديسمبر من العام المذكور، أحجم الجميع بمن فيهم السلطات عن تحمل المسؤوليات، وتركوا ممارسة صلاحياتهم، كما تركوا الزمام يفلت من أيديهم، واليوم نجد أنفسنا عاجزين عن إبداء أية مقاومة، لا لأننا لا نملك السلاح؛ بل لأننا لا نملك الإرادة الحسنة، ألم يقل أحد القادة العسكريين: "أنا لا أقدم على خطوة ما لم أضمن لها نسبة 51 بالمئة من النجاح"، فهذا القول يعطينا فكرة واضحة عمّا وراء الكارثة وانهيار ألمانيا، فالذي ينتظر من الأقدار أن تضمن له النجاح، لن يكون له أي فضل في هذا النجاح، وبالتالي يكون آخر من يعتمد عليه.

إن ضعف الإرادة والتهرب من المسؤوليات مبعثه سوء التربية وفساد الأسس التي تقوم عليها، وهذه العيوب نجدها في الذين قاموا بالاضطلاع بمهمة القيادة من حكام وبرلمانيين عسكريين ورؤساء أحزاب.. ولكن الدولة العنصرية ستولي هذه الناحية اهتمامها البالغ وستضع أمامها هدف تحرير الشعب الألماني من هذا الضعف الذي كان من جملة أسباب انهيار ألمانيا.

وستدخل الدولة العنصرية تعديلات ثلاثة على التعليم هي:

أولًا: نظام التعليم.. ففي أيامنا هذه نجد التلاميذ مرهقين من جراء حشو أدمغتهم بالمعلومات التي لا فائدة منها، والتي لا يلبث التلميذ أن ينساها، وإذا علق في ذهنه شيء منها فلن يفيده في المستقبل.

يقول أنصار هذا الأسلوب إن المعلومات التي يتلقاها التلميذ تنمي فيه موهبة

التفكير والملاحظة، وهذا صحيح إلى حد ما، ولكن هذا السيل من المعلومات يغرق دماغ التلميذ، فلا يتمكن من الاستيعاب ولا يبقى له شيء من المقدرة على التفكير والملاحظة، لذلك وجب على الدولة العنصرية أن تعطي لكل مواطن قدرًا كافيًا من المعلومات تفيده وتؤهله لخدمة المجتمع.

ما هي الحكمة من فرض تعلم اللغات الأجنبية، علمًا أن بضعة ألوف فقط من الملايين الذين يتعلمونها يستفيدون منها في المستقبل، أما سائر المواطنين فلا، أليس من الأفضل تخصيص هذه الساعات التي يمضيها التلميذ في تعلم اللغة الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والاستعاضة عنها بالألعاب الرياضية، وبالوقت نفسه جعل تدريس اللغات الأجنبية اختياريًا؟ كذلك على الدولة العنصرية أن تبدل من المنهج التعليمي لمادة التاريخ، فالتلميذ لا يعلم من الأحداث سوى تاريخ حدوثها ومكان حدوثها وأبطالها، وقد كان لجهلنا التاريخ الباعث على فشل سياستنا الخارجية؛ لأنه لا ينتظر من رجل دولة أن ينجح في معالجة القضايا الدولية، إذا كان جاهلًا الخطوط الكبرى للتاريخ.

إن التاريخ الذي يجب أن يتعلمه المواطن؛ هو الذي يظهر الأسباب والعوامل، فالمقصود من دراسة التاريخ استخراج العبر منه لا معرفته فقط، وستجعل الدولة العنصرية من التاريخ غاية لتعليم الألمان ما ينبغي لهم أن يعملوه لبناء مستقبل أفضل، وستعمل على وضع تاريخ شامل تحتل فيه المسألة العنصرية المقام الأول.

ثانيًا: تعنى المناهج التعليمية في أيامنا هذه عناية خاصة بالرياضيات والعلوم، فهذه المواد لها أهميتها في عصرنا هذا، ولكن لا يجوز التركيز عليها وإهمال المواد الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والآداب.. وعندي أن تكون هذه المواد هي المواد الأساسية، وإذا أراد الطالب بعد ذلك أن يتخصص في فن من الفنون فله الاختيار.

ثالثًا: العزة القومية، وهذا يجب إدراجه في المناهج التعليمية لدى الدولة العنصرية، فالتاريخ الشامل وتاريخ الحضارة يجب أن يتجه هذا الاتجاه، فالمؤرخ في الدولة العنصرية لن يقدم المخترع على أنه رجل عظيم إلا لأنه يمثل شعبه، وعليه أيضًا أن يسلط الأضواء على نوابغ شعبنا لتمتلئ صدور المواطنين بالفخر والاعتزاز، حتى إذا تخرجوا في مدارسهم عملوا لوطنهم مضيفين أمجادًا جديدة إلى الأمجاد السابقة.

وأخيرًا؛ ستبلغ الدولة العنصرية غايتها كمعلم ومرب يوم تخلق في قلب النشء فكرة العرق، كي لا يترك مقاعد الدرس شخص إلا وقد اقتنع أن نقاء الدم هو ضرورة حيوية.

- 11 -

هتلر والنازية

الدولة وتنشئة النخبة

سأبدأ هذا القسم بالتشديد على أهمية الدور الذي ستقوم به الدولة العنصرية في تنشئة النخبة أو الصفوة.

في أيامنا هذه لا يقام أي وزن للاستعداد الشخصي، فالتحصيل العالي مقتصر على أبناء الأغنياء والأمراء وكبار رجال الدولة، ومن النادر أن نجد في الجامعات طالبًا أبوه فلاح، وإذا وُجدَ وكان متفوقًا فأبواب الوظائف المرموقة ستقفل بوجهه؛ لأنها محفوظة لأبناَء الوزراء والسياسيين والنبلاء والأغنياء، وهناك حقل واحد تتساوى فيه المواهب، وهو حقل الفنون، أما المال فليس له أي تأثير لأن الموهبة لا تُشترى ولا تُباع.

أنا لا أقول بوجوب جعل التحصيل الجامعي أو الاختصاص في متناول الجميع، فالنخبة تفرض نفسها على المجتمع؛ لأن ما تبدعه هو ثمرة زواج الكفاءة والمعرفة، فمثلًا يمكننا أن ندرب رجلًا عاديًا ذا استعداد عقلي متوسط على استيعاب معلومات تفوق طاقته، لكن شأنه يبقى شأن الحيوان المدرب، فيقوم بحركات آلية مستقلة عن النشاط العقلي.

أجل.. فبواسطة التدريب العقلي يمكننا إعطاء الدولة جيشًا من الموظفين الذين يصرفون الأعمال تصريفًا آليا، وأن نتيح لكل بيت أن يقدم عالمًا، ولكن العلم الذي يستوعبه العقل - غير المؤهل - استيعابًا آليًا يبقى مادة ميتة، فالمواهب المولدة يصقلها الاكتساب ويستفزها للعمل، ولكنه لا يوحدها، فمثلًا نجد في الصحف الفنية صورًا لزنوج اشتهروا في فن الموسيقى أو برزوا في الطب أو السياسة أو تفوقوا على البيض في الملاكمة أو السباحة، فيقوم من بين المفكرين من يعرب عن سروره بهذه النتيجة التي أعطتها نظم التعليم الحديثة، أما اليهودي الخبيث؛ فيجعل من هذه الظاهرة سندًا لنظريته التي يحاول عبثًا فرضها: المساواة بين الناس!

لو عادت البورجوازية المنهارة إلى عقلها، لوجدت أن هذا العمل هو تحد لمشيئة الخالق في ترويض مخلوق هو نصف قرد؛ كي يصبح طبيبًا، بينما هناكَ ملايين من أبناء العرق المتفوق لا يجدون عملًا يؤمّن لهم قوت يومهم، ويتيح لهم

وضع مواهبهم في خدمة الحضارة، ففي أمريكا الشمالية ازداد عدد الاختراعات زيادة كبيرة خلال العشر سنوات الأخيرة؛ لأن التحصيل العالي كان مقتصرًا على المؤهلين للخلق والإبداع، ذلك أن موهبة الاختراع تجد في المعرفة حافزًا ومنشطًا، ولكن العلم من دون المواهب الطبيعية يبقى عاجزًا عن العطاء، عقيمًا.

لذلك؛ يجب على الدولة العنصرية أن تبحث عن أصحاب المواهب وتعهد إليهم بالمهام الرئيسية، وبالتالي يجب عليها أن تفتح أبواب التحصيل العالي لأصحاب المواهب بغض النظر عن مستواهم الاجتماعي، فهناك أكثر من دليل على عظمة المشروعات التي قام بها نابغون من أبناء الشعب، ناهيك عن العواقب التي تنجم عن استئثار طبقة معينة بالعلوم العالية، فقد نتج عن هذا الاستئثار ظهور طبقة من المفكرين مقفلة منطوية على نفسها، تأنف من الاختلاط بالشعب؛ ما يجعلها بعيدة عن الإحساس بقضاياه، عاجزة عن تفهم مشكلاته ونفسيته، يضاف إلى ذلك أن حصر العلوم العالية بطبقة الأغنياء والنبلاء أدت إلى تسليم مقدرات البلاد لفئة من الرجال تنقصهم الجرأة والتضحية، غير قادرين على مواجهة الأحداث الصعبة.

لقد كان من سوء حظنا، اضطرارنا إلى خوض معركة الحياة أو الموت في وقت كان فيه مستشار الرايخ فيلسوفًا، فلو قدر لألمانيا أن يتولى زمام الأمور فيها رجلٌ من أبناء الشعب؛ لما ذهبت تضحيات جنودنا البواسل سدى.

يتعين على الدولة العنصرية أن تسهر على تطعيم المثقفين بدم قوي هو دم الطبقات الدنيا، وعليها أن تغربل الرعايا بعناية ودقة لتستخرج العتاد البشري الموهوب وتضعه في خدمة الجماعة، فوجود الدولة مرتبط بالخدمات التي تقوم بها، وهذا لا يتم إلا بتنشئة رجال مؤهلين للاضطلاع بالعبء.

يبدو أن تحقيق هذا الإصلاح متعذر بالنسبة للبورجوازيين الذين سيبدون الملاحظات الوجيهة: كيف يجوز أن نفرض على أبناء كبار الموظفين أن يكونوا عمالًا يدويين، لنفسح المجال أمام أبناء الفلاحين ليحلوا محلهم في الجامعات العالية؟ إنه لاعتراض وجيه بالنسبة لقيمة العمل اليدوي في مجتمعنا، لذلك وجب على الدولة أن ترفع من مستوى العمل اليدوي وأن تتخذ من قيمة العمل - لا من العمل نفسه - أساسًا للحكم على الفرد، أليس من الظلم أن يحتل كاتب قصة بوليسية سخيفًا مركزًا في المجتمع أكبر من المركز الذي يحتله عامل ذو اختصاص؟

فللعمل قيمة مزدوجة: معنوية ومادية، فالقيمة المادية تتجلى بأهمية العمل من ناحية تأثيره في المجتمع، فكلما ازداد عدد المنتفعين بالعمل؛ ازدادت قيمته المادية،

أما القيمة المعنوية؛ فلا تتجلى بأهمية إنتاج العمل، بل تتجلى بضرورته، ولا شك أن الفائدة المادية لاختراع ما، يمكن أن تكون أكثر مما يقوم به العامل في يومه، ولكن خدمات العامل ضرورية أكثر من الاختراع الذي سيبقى مشروعًا جامدًا إذا لم تتوافر له الأيدي اللازمة.

في دولة يسودها العقل؛ يتوجب على الحكومات أن تعهد إلى كل مواطن بالعمل الذي يتناسب مع كفاءته، أما قيمة الفرد فمقياسها هو مدى نجاحه في أداء المهمة المنوطة به، ومدى إفادته للمجتمع الذي أعده للاضطلاع بها ونجاحه في ذلك العمل يعني أنه استطاع أن يعيد للمجتمع ما سبق وتلقاه منه.

ـ 12 ـ

رعايا الدولة والمواطنون

تضم الدولة قسمين من الناس: قسم المواطنين، وقسم الأجانب، فالمواطن هو الذي يتمتع بالحقوق المدنية بفضل منشئه أو تجنسه، أما الأجنبي فهو من يتمتع بالحقوق نفسها في دولة أخرى، وبين هاتين الفئتين نجد أحيانًا الهايمتلوز، وهم الذين لم يتح لهم شرف الانتماء إلى دولة ولا يتمتعون بالحقوق المدنية في البلاد التي يقيمون على أرضها.

إذن يكفي أن يولد الإنسان في دولة ما ليتمتع بالحقوق المدنية، فليس للعرق أو الدم المشترك أي تأثير في ذلك، وهذا يعني أنه يعتبر ألمانيًا الوليد الزنجي الذي جاء أبواه إلى ألمانيا من إحدى المستعمرات ليقيم إقامة مؤقتة أو دائمة، كذلك يُعدون مواطنين أبناء اليهود والبولونيين والأمريكيين والآسيويين الذين يولدون في حالات مماثلة.

وهناك طريقة أخرى للحصول على الجنسية الألمانية، وجعلها بالتالي في متناول كل من توافرت فيه شروط معينة.

يشترط في طالب الجنسية ألا يكون لصًا أو تاجر رقيق، ولا يكون ذا ماض سياسي يؤهله لتمثيل دور بارز، كما يشترط فيه أن يكون قادرًا على العمل كي لا يصبح عالة على الدولة، أما المسألة العنصرية؛ فإنها تبقى بمعزل عن هذا الموضوع، ولا يقام لها أي اعتبار، وهذا لا يكلف طالب الجنسية أي عناء، فهو يتقدم بطلب خطي إلى السلطات الإدارية فتدرسه وترفعه إلى رئيس الدولة في ملاحظاتها التي تكون عادة لمصلحة الطالب، وبعد أيام تصله الموافقة بأنه أصبح مواطنًا ألمانيا،

وهذا العمل السحري يقوم به رئيس الدولة، فالذي تعجز عنه الآلهة يحققه موظف بجرة قلم، وهكذا ينقلب المغولي بين يومٍ وآخر إلى مواطن ألماني مئة بالمئة.

أما العصر الذي ينتمي إليه طالب الجنسية، وأما حالته الصحية؛ فمسألتان لا تثيران اهتمام السلطات، فالمهم أن يعول الألماني الجديد نفسه ولا يشكل خطرًا على الدولة.

وفي الدولة بوضعها الحالي يتمتع المواطن الألماني والأجنبي بالحقوق والامتيازات نفسها، فلهما الحق بشغل الوظائف والالتحاق بالجندية وانتخاب أعضاء البرلمان والمجالس الإقليمية، قد يقول المدافعون عن هذا الوضع الغريب إن الديمقراطية تعتبر للأجنبي بهذه الحقوق، ولكني أقدم لهؤلاء مثالاً حيًا هو الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت ترحب بالأجانب، ولكنها اليوم عادت ووضعت العراقيل في طريقهم، رافضة قبول المرضى والملونين، فهذا التصرف يجعلها تتماشى ونظرتنا العنصرية إلى الدولة.

إن السكان في الدولة العنصرية ثلاث فئات: مواطنون ورعايا وأجانب، والفرق الوحيد بين الفئتين الثانية والثالثة هو أن الأجانب هم رعايا دولة أخرى، وتعتبر الدولة العنصرية جميع الذين يولدون على أرضها كرعايا لها، ولكن الرعوية وحدها لا تخول صاحبها حق المساهمة في النشاط السياسي ولا تؤهله لشغل وظيفة عامة، فكل ألماني هو أحد رعايا الدولة العنصرية الألمانية، ولكنه لا يكتسب صفة مواطن ألماني إلا بعد أن تصهره المدرسة والجيش في البوتقة القومية، فالجيش هو المدرسة التي تخرج المواطنين ولكن لا تمنحهم صفة المواطن الألماني إلا بعد أن تتحقق من أنهم موفورو الصحة ومسلكهم الخلقي خالٍ من أي عيب.

وشهادة المواطن هي أعظم وثيقة تمنح للفرد في الدولة العنصرية، فبواسطتها يتمكن من ممارسة حقوق المواطن والإستمتاع بالامتيازات الخاصة بهذا اللقب، فالمواطن يحتفظ بهذا اللقب ما دام أهلاً له، أما الخائن والمجرم والضعيف؛ فهؤلاء لن يتمتعوا بهذا اللقب، بل يعودوا إلى صف غير الناضجين قوميًا، ويلقبوا برعايا الدولة العنصرية.

أما الفتاة الألمانية؛ فلا تمنح لقب مواطنة إلا بعد أن تتزوج كما تستثنى الفتيات اللواتي تضطرهن ظروفهن إلى العمل وتحصيل قوتهن اليومي.

*

إن نظرة الدولة العنصرية إلى الفرد تجرها حتمًا إلى محاربة المبدأ الماركسي القائل

بالمساواة بين البشر، ولكن التباين الذي نلمسه بين الشعوب والأعراق؛ قائم بين العناصر ذات الدم واحد، لذلك وجب على الدولة العنصرية أن تخص بعنايتها في المجتمع الواحد العناصر المتفوقة، علمًا أن اكتشاف هذه العناصر لا يكلفها جهدًا يذكر، ولكن الجهد كل الجهد ينحصر في غربلة المتفوقين لاختيار الصفوة التي يجب أن تتولى مهمة القيادة، ففي الدولة العنصرية لن يصار إلى اختيار القادة بالطريقة المتبعة، أي بمبدأ الأكثرية الذي يفسح المجال أمام النكرات للتلاعب بمقدرات الأمة، كما يجعل من الأكفاء كمية مهملة، لن يؤخذ بهاذ المبدأ في دولة تطمح إلى تزعم العالم المتمدن، فالشخصية القومية تفرض نفسها بفضل الجهود التي تقوم بها الدولة قاطعة الطريق أمام الانتهازيين وتجار السياسة المحترفين.

يعتقد بعض الذين يدرسون حركتنا، أن الفرق الوحيد الذي يجب أن يكون بين الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية وبقية الدول؛ هو الفرق المادي المتجلي في التنظيم الاقتصادي؛ إذ تعنى الدولة العنصرية بإقامة توازن عادل بين الثروة والحرمان، أو بتحسين مستوى الطبقات الكادحة أو بجعل الأجور متناسبة مع قيمة الإنتاج، إن من ينتظر من حركتنا هذه الإنجازات فقط ليست لديهم فكرة صحيحة عن أهدافنا، لذلك لا يحق لهم توجيه النقد إليها، فالشعب الذي يكتفي بتنظيم أموره بهذه السطحية؛ لن يكون مؤهلًا لقيادة الموكب البشري الآخذ بأسباب النمو والحضارة، لن تكتفي حركتنا بهذه الإصلاحات السطحية؛ بل ستجعل في رأس الإصلاحات تمكين النخبة من استلام مهمة التوجيه، وهذا يجعل الدولة مؤسسة ذات ظروف مواتية لنمو شخصية الفرد.

ولكي نوضح أهداف حركتنا على حقيقتها؛ لا بد من الرجوع إلى التاريخ مرة أخرى؛ لأن هذا يوضح دور الفرد في تكوين الحضارات.

إن الخطوة الأولى التي ميزت بين الإنسان والحيوان؛ كانت تلك التي خطاها الإنسان نحو الاختراع، وقد كان جهده منصبًا علي استنباط الحيل والمداورات التي تمكنه من حماية نفسه.

إن هذه الاستنباطات يفسرها البعض بأنها غرائز صدرت عن جماعة وجدت نفسها في مأزق؛ فاخترعت الوسائل التي تنقذها، لكن المدققين يجدون العكس تمامًا، فالنشاط الإنساني في شتى مظاهره يبدأ من الفرد، وكل تطور لمصلحة الكائنات الحية وضع أسسه رجل فرد، فكانت بادرته إشارة الانطلاق للآخرين، لذلك فالقول إن الاختراعات البدائية هي من صنع الجماعات يناقض الواقع حتى بالنسبة إلى الحيوانات، التي تلجأ بغريزتها إلى الحيلة، فالحركة التي يقوم بها قطيع

من الماعز ليتفادى خطر حيوان مفترس هي تقليد لحركة أتاها رأس من الماعز ثم يتبعه القطيع بعد ذلك، ولا شك أن الحيل الأولى التي اخترعها البشر لدفع الخطر عنهم كانت من تدبير شخص أو أفراد موهوبين، وتبعت بعد ذلك الجماعة خطاه، ولما شرع الفرد الموهوب باختراع آلات الدفاع عن النفس؛ اقتبست الجماعة اختراعه البدائي وأفادت البشر بعد آلاف السنين من اختراعات تفتقت عنها عبقرية أفراد موهوبين.

وابتكر الإنسان بعد ذلك طرقًا جديدة مكنته من السيطرة على كائنات حية كان يخافها، وما لبث أن استخدم هذه الكائنات في أغراضه المختلفة، ولما اطمأن إلى وضعه ككائن متفوق برزت مواهبه الخلاقة فصقل الحجر وروض الحيوان الشرس واخترع السلاح الحاد ثم السلاح الناري.. وهكذا، وقد كانت جميع هذه الاختراعات ثمرة نشاط أفراد موهوبين، فالسواد لا يبدع شيئًا وكذلك الكثرة؛ لأن التصميم والتنظيم لا يصدران عن جماعة.

*

إن وضع الزمام في الأيدي القادرة أصبح في أيامنا منهجًا عامًا في جميع الميادين، ما عدا الحياة السياسية، إذ لا تزال الأكثرية تسود وتطغى، وحيث نجح اليهود في القضاء على تأثير الشخصية ليُحلوا محله تأثير الأكثرية.. وهكذا زال المبدأ الآري الخلاق، هذا المبدأ الذي يجعل من الصفوة دعامة المجتمع والعنصر الفعال القادر على الخلق والإبداع، وساد المبدأ اليهودي الهادم الذي يهدف إلى إفساد الشعوب والأعراق وهدم الحضارات الحقة، وقد أخذت الماركسية بهذا المبدأ اليهودي؛ لأنه يزيل النخبة ويترك السيطرة للأكثرية، من هنا عطف الماركسية واليهودية على النظام البرلماني، ومن هنا عطفها الكاذب على الطبقة العاملة وتحريضها النقابات على الشغْب كأسلوب من أساليب المطالبة بالحقوق، وقد نجم عن تسخير الاقتصاد القومي لأهواء الأكثرية؛ فقدان الحوافز الشخصية التي كانت بالنسبة للاقتصاد كالمهماز الذي يدفع به إلي الأمام.

ليست حركتنا حزبًا منافسًا للماركسية، لذلك يجب أن نوضح الفروقات الكبيرة بين مفهومنا العنصري وبين نظرة الماركسيين إلى الدولة والأمة والعرق، فالدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية تضع مسألة العرق في موضعها اللائق، وتقدر أهمية الشخصية وتجعل منها أساسًا لكل عمل إيجابي بناء، فإذا أفضى سوء الحظ بأن تمهل حركتنا هذا المبدأ الأساسي، وأن نسلم بالأمر الواقع فنقر مبدأ الأكثرية؛ فلن يكون حزبنا أكثر من جماعة لا همّ لها إلا منافسة الماركسيين، فيفقد بالتالي مبرر وجوده كحركة تقوم على عقيدة فلسفية.

لن يكون في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية شيءٌ اسمه قرار الأكثرية؛ بل سيكون فيها رؤساء ومسؤولون، وتسترد كلمة "مشورة" معناها الحقيقي، فيكون لدى الرئيس مستشارون، ولكن القرارات تصدر عنه وحده، والدولة العنصرية تحسن صنعًا حين تأخذ بالمبدأ الذي كان الجيش البروسي يطبقه في الماضي، للرئيس السلطة المطلقة على مرؤوسيه، وهو مسؤول تمامًا أمام رؤسائه، أما البرلمانات فتنقلب إلى مجالس استشارية لا أكثر، وسيكون لهذه المؤسسات بعض النشاطات كمدرسة لتنشئة الرؤساء.

يمكننا إعطاء فكرة عن دور البرلمان في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية:

لن يكون في الرايخ مجالس تمثيلية تمارس صلاحية اتخاذ القرارات الملزمة للحكومة؛ بل سيكون له مجالس استشارية تقوم بما يوكل إليها الرئيس القيام به، ولن تسمح الدولة العنصرية بأن يبتّ في القضايا الحيوية أشخاص غير مؤهلين لهذه المهمات، لذلك سيكون هناك مجالس سياسية وأخرى تعاونية، ولكي تتمكن هذه المجالس من التعاون، سيتحدث مجلس شيوخ يكون بمثابة الحكم، بيد أنه لن يكون هناك أي نوع من التصويت في تلك المجالس، فهي مؤسسات مهمتها العمل، وليست آلات للتصويت.

إن اقتصار مهمة المجلس التمثيلية على الدروس وتقديم المشورة؛ لا تعتبر بدعة طلع بها حزبنا، فمبدأ الأكثرية لم يؤخذ إلا قليلًا منذ أن كان في العالم حكومات ودول، وقد كان الأخذ به سببًا من أسباب حرب الشعوب وانهيار الدول، والتحول الذي ندعو إليه لا يتم حالما تتخذ التدابير النظرية؛ بل يلزم لتحقيقه بذل جهود جبارة وطويلة، وهذا ما أخذ على عاتقه القيام به حزبنا الوطني الاشتراكي.

-13-

المفهوم الفلسفي والتنظيم

لن يكون للأحزاب السياسية الموجودة أي شأن في العمل البناء الذي تقوم به حركتنا، إذ كيف يمكن لهذه الأحزاب أن تعمل على هدم الأوضاع الراهنة وهي مدينة بوجودها لفساد هذه الأوضاع؟ ولا يخفي أن موجهي الأحزاب الحالية هم اليهود، فإذا لم نجد من يضع حدًا لتلاعب الشعب المختار بمقدرات شعبنا؛ فلن يمر وقت طويل حتى تتحقق نبوءة اليهود القائلة:

"سيخضع اليهودي شعوب الأرض جميعها ويصبح سيدها المطاع".

كيف يُرجى من الأحزاب البورجوازية وأحزاب اليسار أن تقاوم الذين يوجهونها ويسخرونها لخدمة أغراضهم ومصالحهم؟

إن مهمتنا الأولى ليست بإقامة هيكل الدولة العنصرية؛ بل بالقضاء على الدولة اليهودية، فقد علمتنا الأحداث أن الصعوبة ليست في إقامة وضع جديد، بل في فسح المجال لهذا الوضع، وهكذا يترتب علينا أن نبدأ كفاحنا بالعمل على إزالة الوضع الراهن.

على كل عقيدة جديدة أن تبدأ كفاحها بشهر سلاح النقد في وجه خصومها، واليوم نسمع من يقول من العنصريين المزعومين إنهم يترفعون عن النقد لينصرفوا إلى العمل البناء، إن هؤلاء يجهلون تاريخ عصرهم الذي يعيشون فيه، فالماركسية التي تسعى إلى فرض سيطرة اليهود العالمية قد بدأت عملها بالنقد، وظل هذا شأنها لمدة خمسة وسبعين عامًا، وكان نقدها هدامًا طويل الأمد، حتى تقوضت دعائم الدولة الهرمة، وعند ذلك بدؤوا بعملهم البناء المزعوم، فقد أدرك الماركسيون أن حالة ما لا يمكن أن تزول بمجرد ظهور حالة جديدة، فالحالتان تستمران وتتعايشان، ولا تلبث العقيدة الفلسفية المزعومة أن تعيش مقفلة في الإطار الحزبي الضيق، ذلك أن التسامح لم يكن من شيم أصحاب العقائد، فالعقيدة تأبى أن تكون حزبًا من جملة الأحزاب الموجودة، فهي تطمح لفرض مبادئها ولا تسمح ببقاء أي أثر للنظام القديم.

كان هذا شأن الأديان ولم يزل، فالنصرانية لم تكتف بإقامة هيكل الدين، بل عمدت أولًا إلى هدم الهياكل الوثنية، فلولا تعصبها الأعمى؛ لما كان هذا الإيمان الكبير الذي قدم للنصرانية العديد من الشهداء.

قد يعترض معترض بقوله إن التعصب والأنانية هما نقيضان عالقان باليهود؛ وإنه ليس جديرًا بنا أن نحذوا حذوهم وأن نستعمل سلاحهم نفسه، ولكن مع أن هذا الاعتراض صحيح، يجب علينا أن نحارب العقيدة القائمة على التعصب والأنانية بالطرق والأسلحة نفسها التي تستعملها؛ لأن الإرهاب لا يسحقه إلا الإرهاب، ولئن فضلت أحزاب السياسية حل المشكلات القائمة بالتسويات، فالمذاهب الفلسفية لا تساوم ولا تتنازل عن حقها، فالأحزاب تتعاون في بعض الأحيان مع أحزاب مناوئة لها، أما المذاهب الفلسفية فلا تمد يدها إلى المناوئين وتعتبر نفسها معصومة عن الخطأ.

والأحزاب السياسية تبدأ نشاطها بالاستيلاء على السلطة والانفراد بالتوجيه، وتحاول أن تعتنق مذهبًا فلسفيًا معينًا، ولا تلبث أن تبتعد عن المعتقدات الفلسفية؛ رغبة منها في مسايرة الجماهير التي ترغب في الانضمام إلى الحركات السياسية، فتلتف حولها جماهير من الرجال الضعيفي النفوس، الذين لا يقوون على

الكفاح، ولا تلبث أن تنادي بالتعاون الإيجابي مع المؤسسات القائمة؛ طمعًا بالحصول على نصيب بسيط من الغنيمة، فيقف كفاحها عند هذا الحد، أما المذهب الفلسفي؛ فيرفض التعاون مع مذهب آخر؛ لأنه يعتبر نفسه ملزمًا بمحاربة جميع المذاهب القائمة حتى يتمكن من إزالتها جميعًا!

ولكسب النصر النهائي؛ يجب على الحزب أن يوجد قيادة عليا حكيمة بعيدة النظر، ورجالًا تسيرهم العاطفة ويخضعون لهذه القيادة خضوعًا، فالسرية التي تضم مئتي رجل كلهم أذكياء وأكفاء، هي أصعب من قيادة السرية التي تضم مئة وتسعين رجلًا عاديًا وعشرة رجال أذكياء يمسكون زمام القيادة، أما الحزب الاشتراكي الديمقراطي؛ فقد أدرك هذه الحقيقة وعمل على ضوئها، فقد بسط هذا الحزب سيطرته على ممثلي الطبقات الشعبية المسرَّحين من الجيش، الذين دربهم على النظام والطاعة، فأخذهم الحزب وأخضعهم لنظام لا يقل قوةً وانضباطًا عن الجيش، فأصبح العامل الألماني جنديًا في الحزب، كما رجل الفكر اليهودي ضابطًا أو قائدًا.

بينما كان البورجوازيون يتشدقون بأن أنصارهم يؤلفون نخبة المتعلمين، ويعيرون الماركسية بأنها تضم الجماهير الجاهلة، كان العقلاء من المواطنين يردون نجاح الماركسية إلى هذا العامل بالذات، إذ إن الأحزاب البورجوازية ضمت جماعات من أهل الفكر والوجاهة لا يتقيدون بنظام أو يعترفون بالانضباط، أما الأحزاب الماركسية؛ فقد ضمت قوة من المناضلين الانضباطيين كانت تطيع قادتها اليهود طاعة عمياء.

انطلاقًا من فكرة الاعتماد على الجماهير المكافحة التي لا تهاب الكفاح، فقد عمدت إلى استخلاص خمسة وعشرين مبدأ من منهاج الحزب ووضعتها في متناول أبناء الشعب؛ لأن هذه المبادئ تعطي صورة واضحة عن أحداث حركتنا، كما تصلح في الوقت نفسه لتكون قانون إيمان للمنضوين تحت لوائها، وعلى الحزب أن يقدس هذه المبادئ، وبالتالي عليه أن يمتنع عن تعديلها أو تغييرها ما دامت حركتنا لم تبلغ بعد أهدافها الكاملة.

ـ14ـ

تأثير الكلمة

كان النجاح الذي لاقاه اجتماعنا في 24 فبراير 1920 مشجعًا لنا على عقد اجتماعات شعبية دورية، وبعد أن كنا ننظم اجتماعًا واحدًا كل شهر؛ أصبحنا ندعو إلى الاجتماعات الحاشدة كل أسبوع، وقد فاق نجاح اجتماعاتنا

الأسبوعية كل تقدير؛ إذ أصبح عدد المستمعين كبيرًا جدًا، وقد تطرأ خطباؤنا إلى القضايا التي تشغل الأذهان بعد أن وضحوا مبادئ الحزب، وقد بدؤوا بتعيين المسؤولين الحقيقيين عن الحرب ونتائجها مبرزين مساوئ معاهدة "فرساي"، هاتان القضيتان اللتان انفرد حزبنا بإثارتهما في ذلك الوقت؛ لأن مجرد البحث فيهما كان يعتبر خيانة للجمهورية تعلقًا بالرجعية والملكية، فكانت الذين ضللتهم الماركسية يتصايحون حين يسمعون أحدنا يتعرض لمعاهدة "فرساي"؛ فيقاطعونه قائلين: "ومعاهدة برست ليتوفسك"، وقد صادفتنا صعوبات كبيرة في بادئ الأمر، حين حاولنا إفهام الجمهور أن معاهدة "فرساي" قد ألحقت العار بألمانيا، وقد ترتب علينا إزاء موقف الجمهور المتصلب؛ إما أن نتوقف عن الحملة مراعاة لهم، أو نستمر بها ولو كلفنا هذا ابتعاد الشعب عن حزبنا.

كانت مصارحة الشعب بالحقائق في ذلك الوقت مغامرة كبرى، فالحزب الذي يقاوم التيار يغامر بشعبيته، وقد رأينا البورجوازية تتجنب مقاومة الأكثرية مفضلة أن تتركهم في ضلالهم.. أما نحن فقد زادنا عناد الجمهور تصلبًا ورغبة في الكفاح، مضينا في طريقنا هادفين إزالة الأوهام العالقة في أذهان الشعب عن معاهدات الصلح خصوصًا معاهدة "فرساي"، فيولي حركتنا ثقته ولا يبخل عليها بالتشجيع.

كانت مهمتنا صعبة جدًا، فقد كنا نعلم أننا نتوجه إلى أناس تشبعت عقولهم بأفكار وآراء مناقضة لآرائنا، وكان عليّ أن أقف أمام الجماهير وألقي بهم خطابًا لمدة ساعة أو ساعتين، محاولًا نسف الأسس التي قامت عليها أفكارهم، ومن ثم أحاول إقناعهم بصحة مبادئنا وأدعوهم إلى اعتناقها.

لقد دخلنا المعركة ونحن مصممون على كشف الحقائق المجردة، وأدركت من خلال الاجتماعات الأولى أنه يجب علينا أن نبادر إلى انتزاع السلاح من يد خصمنا، فقد لاحظت أن اعتراضات الماركسيين تكاد تكون نفسها في كل اجتماع، فصرت أفند هذه الاعتراضات المحتمل سوقها قبل أن أبدأ بعرض الموضوع، وبذلك قطعت الطريق أمام المشاغبين الذين حفظوا الدور الذي لقنه لهم أسيادهم اليهود، وبفضل هذه الطريقة استطعت أن أكسب تأييد بعض أصحاب النيات الحسنة.

وانسجامًا مع هذه الخطة؛ بدأت أشرح أحكام معاهدة "برست ليتوفسك" في معرض حملتي على معاهدة "فرساي"؛ لأنني اكتشفت أن الناقمين على المعاهدة الأولى لا يعرفون عنها شيئًا، فقد أدخلت الدعاية الماركسية في عقولهم أن ألمانيا

فرضت تلك المعاهدة على الشعب الروسي، لذلك كانت معاهدة "فرساي" كرد فعل لما ارتكبه الألمان بحق الروس، لقد كان على أن أدحض المزاعم الماركسية بإجراء مقارنة بين المعاهدتين، وقد وفقت إلى عرض مساوئ معاهدة "فرساي" ومحاسن معاهدة "برست ليتوفسك"، في محاضرة ألقيتها واستغرقت ساعتين، ومن ثم ألقيت عدة محاضرات في هذا الموضوع ضاربًا على الوتر نفسه، وكانت مكافأتي هي تحرير ألوف المواطنين من الأوهام التي أدخلتها الدعايات الماركسية في رؤوسهم.

ونتيجة لهذه الاجتماعات ملكت ناصية الكلام، وأتقنت فن الخطابة وإذكاء حماس الجماهير، ولم نكتف بالخطب كوسيلة لتنوير الشعب؛ بل عمدنا إلى إصدار النشرات وإذاعة البيانات التي ضمنها رأي الحزب في معاهدة "فرساي"، وفي العوامل التي أدت إلى نشوب الحرب، لكن مجهودنا الأكبر كان مركزًا على الخطب والمحاضرات؛ اقتناعًا منا بأن الكلمة هي التي تثير حماسة الجمهور وتترك في نفسه أكبر الأثر.

منذ أسابيع أثيرت هذه المسألة في الصحف المحلية، فسخرت صحف البورجوازيين من الرأي بأن الكلمة لها التأثير الكبير، ولم أستغرب هذا الموقف من جانب طبقة تعيش في برجها العاجي وتحاول أن تتصل بالجمهور بواسطة أقلام مفكريها البعيدين عن عامة الشعب بُعد الأرض عن السماء.

لا تعلم البورجوازية أن الخطيب يكيف كلماته حسبما يقرؤه على وجوه مستمعيه، ولكن الكاتب يدفع إلى جمهور لا يعرفه بكتابات ربما تصادف هوى لدى القراء أو ربما لا تكون منسجمة مع آراء قرائه.. فيعزفون عنها.

ولا ننسى أن أبناء الشعب ينفرون بطبيعتهم من قراءة ما لا يتفق وآرائهم، أو مع ما كانوا يتوقعونه، أما إذا أراد الكاتب أن يستدرج الشعب إلى الوقوف على رأيه المكتوب؛ فعليه باعتماد النشرات والبيانات القصيرة كوسيلة لنشر رأيه، لأن الجمهور يقرأ ما يقدمه له بهذه الطريقة بدافع الفضول لا أكثر.

وما يمكن كتابته في البيانات، ينطبق على الصور والأشرطة التي تعطي فكرة سريعة عن الموضوع بوضوح نسبي، والكاتب يتمكن من التلاعب بعواطف الجمهور كالخطيب إذا هو استعمل أسلوبًا جذابًا وصاغ ألفاظه بطريقة مفهومة لدى الطبقات الشعبية، لكن اختيار تأثير الأسلوب الكتابي يستغرق وقتًا طويلًا وجهودًا متواصلة، أما الخطيب فإنه يطالع في وجوه المستمعين مدى تأثير كلماته، فيقرأ في هذه الوجوه ما إذا كان المستمعون يفهمونه بوضوح، وإذا كانوا يتتبعون

باهتمام ما يبسطه لهم بإسهاب، وإلى أي حد نجح في إقناعهم بوجهة نظره، وإذا لا حظ أنهم لم يفهموه؛ اعتمد طريقة أخرى كي يتقرب من مفهومهم العقلي قدر المستطاع، وإذا قرأ في وجوه البعض أن آراءه لم تقنعهم عمد إلى دحض الاعتراضات التي يفترض وجودها في خواطرهم، ثم يكرر الأدلة والأمثلة الحية إلى أن يرى من الأمارات المرتسمة على وجوههم أنهم بدؤوا يقتنعون.

ومن المعلوم أن المطلوب إقناعهم هم في أغلبيتهم من المواطنين الذين ذهبوا ضحية الدعايات الخبيثة، فصاروا يتصرفون بدافع عاطفة وهمية لا بدافع التفكير والاقتناع.

في ألمانيا صحف بورجوازية يوزع منها يوميًا ملايين من النسخ، ولكن هذا الانتشار الكبير لم يمنع الشعب من الالتفاف حول الحركات المضادة للبورجوازية، أما السبب في ذلك؛ فإما أن يكون نتاج المفكرين وحملة الأقلام البورجوازيين عقيمًا لا يحمل جديدًا إلى الناس، وإما أن تكون الكلمة المكتوبة قاصرة عن النفاذ إلى قلوب الناس.

زعمت إحدى الصحف في برلين أن الأدب الماركسي ومؤلفات كارل ماركس فعلت في الشعب فعل السحر.. فما أبعد هذا القول عن الحقيقة، فإن ما استحوذ على عقول عامة الشعب هو كثرة الدعايات الشفوية التي عرف الماركسيون كيف يوجهونها، و لم يكن لمؤلفات كارل ماركس أو غيره من اليهود التي تدس السم في الدسم أي شأن في هذه الناحية، ولنجد مئة عامل من أصل مئة ألف تصفحوا كتاب كارل ماركس، فكتاب ماركس لم يكتب ليكون في متناول عامة الشعب؛ بل كتب ليكون دستورًا للحركة اليهودية العاملة على إخضاع العالم لسيطرة "الشعب المختار" وتولت الصحافة مهمة الدعاية للمبادئ التي ضمنها تطبيع الماركسية بطابع اجتماعي إنساني يبهر الطبقات المحرومة.

إن نجاح الماركسية في اجتذاب ملايين العمال مرده إلى الدعايات الطويلة التي يقوم بها آلاف المحرضين، وقد حرص الدعاة من مفكرين وخطباء على معايشة عامة الشعب للوقوف على أحوالهم من مفكرين وخطباء على معايشة عامة الشعب للوقوف على أحوالهم والتعرف على مشكلاتهم، بالإضافة إلى مواكب التظاهرات التي كان يمشي فيها عشرات الألوف من الصعاليك تدفعهم الرغبة بإظهار تضامنهم وإفهام الملأ أنهم يؤلفون قوة هائلة تستطيع فرض سيطرتها وإخضاع العالم البورجوازي لمشيئة البروليتاريا.. هذه المظاهر هي التي خدمت الماركسية وجذبت إلى صفوفها السواد الأكبر من الشعب.

وقد أحسن الماركسيون في اختيار الدعايات المكتوبة، فكانت تبدو صحافتهم كأنها ناطقة أكثر منها مطبوعة، فيما كان الأساتذة والكتاب والأدباء في الأحزاب البورجوازية يلجؤون أحيانًا إلى الكلام، نجد في الحزب الماركسي أن الخطباء يلجؤون أحيانًا إلى الكتابة، يساعدهم في ذلك اليهود الذين يتولون الدعاية المكتوبة لحساب الماركسية، فاليهودي بارع في كتابة الأكاذيب المضللة، فكان يبدو خطيبًا أكثر منه كاتبًا، فلا عجب إذن أن تظل الصحافة البورجوازية مقصرة عن بلوغ مستوى الصحافة الماركسية في حقل الإقناع واستمالة الجماهير إلى آرائها.

وقد استخرجت من الاجتماعات الحاشدة التي كنت خطيبها الرئيسي أمثولة سبقني الماركسيون إلى استخراجها، فقد تعلمت أن محاضرة في موضوع معين يلقيها المحاضر ليلًا ليكون لها وقع أشد مما لو ألقاها في النهار.

أذكر أننا دعونا إلى اجتماع شعبي في ميونيخ، وقررنا الاجتماع في الساعة العاشرة من صباح الأحد، وكان الإقبال عظيمًا؛ لأن اليوم كان يوم أحد، ولأن موضوع خطابي كان "اضطهاد الألمان في المناطق المحتلة".

وعلى الرغم من أن الإقبال كان شديدًا؛ فقد ظل المستمعون محتفظين بوقارهم، فلا تحركت أيديهم بالتصفيق ولا بطلب الاستيضاح أو حتى الاعتراض، وأحزنني أن يُقابل خطابي بهذه اللامبالاة، فكررت الاجتماعات النهارية، لكن النتيجة كانت فيها جميعًا مخيبة للآمال.

وأخيرًا غيرنا المواعيد، وألقيت خطابًا في أول اجتماع ليلي، ففعلت كلماتي في نفوس المستمعين فعل النار في الهشيم، وطالعت في وجوههم أني سحرت الألباب وقد حيرني هذا الانقلاب المفاجئ، فالجمهور لم يتغير وكذلك الخطيب وموضوع الخطاب، ولكن ما لبثت أن أدركت سر هذه الظاهرة، عندما نصحني أحد الأصدقاء بمشاهدة تمثيلية "الشعب المتحرر"، وقال إنه شاهد المسرحية مرتين وإن انطباعاته كانت في المرة الثانية غيرها في المرة الأولى، وأعرب عن اعتقاده أن المشهد التمثيلي في الليل يترك في النفس أثرًا أعمق من الأثر الذي يتركه في النهار.

وهنا تذكرت قول أستاذي "البرخت": إن قوى الإرادة عند الإنسان تقاوم في النهار كل محاولة تحاول إخضاعها لإرادة أخرى؛ فإذا استهدفتها المحاولة نفسها ليلًا؛ فلا تلبث أن تخضع للسيطرة، ذلك أن قوة الإرادة تضعف في آخر النهار، وأننا نلاحظ أن الكنيسة الكاثوليكية تصطنع الظلال في المعابد لتسبغ عليها جوًا من الرهبة والجلال، هذا الجو يجعل المؤمنين في حالة نفسية يسهل معها على الواعظ أن يتلاعب بقلوبهم وعواطفهم.

حضرت ذات يوم اجتماعًا في ميونيخ، وكان الحزب الذي دعا إليه قد جعل الدخول مباحًا، وكان الخطيب أستاذًا في إحدى الجامعات، وجلس حول المنصة ثلاثة رجال باللباس الأسود، عرفت فيما بعد أنهم يؤلفون اللجنة التنفيذية.

كان الخطاب مكتوبًا، فبدأ الأستاذ يقرؤه متمهلًا، وما هي إلا عشرون دقيقة حتى شعرت بالتململ بين الحضور فكثر المتثائبون، وبدأ التسلل من القاعة، وكان يجلس بقربي ثلاثة رجال من العمال، فرأيتهم يتغامزون ويتبادلون الابتسامات الساخرة، وما لبثوا أن غادروا القاعة، وعندما انتهى الخطيب من إلقاء خطابه، وقف أحد الثلاثة من اللجنة التنفيذية فشكره باسم الحاضرين، وقال إن المحاضرة تعد حدثًا داخليًا خطيرًا، لهذا فهو يدعو الحاضرين إلى إنشاد النشيد الوطني الألماني، فوقفوا وأنشدوا النشيد، وما أن انتهوا حتى تدافعوا نحو الباب يتنفسون الصعداء في الهواء الطلق ويطردون السأم الذي استحوذ عليهم.

شكرت الله لأن هذا لم يكن جو اجتماعاتنا نحن، فقد كنا نحرص على أن تكون خطاباتنا ومحاضراتنا حافلة بما يثير العواطف ويهز المشاعر ويستفز الخصوم للدخول معنا في مناقشات طويلة.. فقد كان الحزب الشيوعي يرسل العشرات من المشاغبين ليشوشوا ويصفروا في أثناء الخطابات، كما يستفزونا إلى العراك كي يتدخل البوليس وينهي الاجتماع ويعطله لبعض الوقت.

وكان العديد من الماركسيين يحضرون اجتماعاتنا وهم يعتقدونها اجتماعات شيوعية؛ لأننا اخترنا للافتاتنا اللون الأحمر، وقد ذهل البورجوازيون لاختيارنا اللون الأحمر، فزعموا أننا ماركسيون مموهون وأن اشتراكيتنا زائفة، أما سبب اختيارنا هذا اللون؛ فكان لاستفزاز اليساريين المتطرفين واستدراجهم إلى حضور اجتماعاتنا ولو للتشويش والمشاغبة؛ لأن هذه كانت أفضل طريقة لنشر مبادئنا بين صفوفهم.

وقع الماركسيون في الشرك الذي نصبناه لهم؛ فأقبل العمال على حضور اجتماعاتنا، لكن رؤساءهم، بعد أن اكتشفوا اللعبة، حرّموا عليهم حضورها، ولكن بعضهم لم يتقيد بأمر رؤسائهم فداوم على الحضور وتنكر لتعاليم كارل ماركس واستجلب معه من أمكنه إقناعه، عند ذلك قرر الرؤساء إرسال أعوانهم الحمر، فصار العمال يحتلون القاعات التي تعقد فيها اجتماعاتنا قبل الموعد بنصف ساعة، وكانت نيتهم دخول القاعة ومقاطعة الخطباء وتحطيم المقاعد، إلا أنهم كانوا يخرجون وقد بدؤوا يشكون في صحة العقيدة الماركسية.

خيبت هذه النتائج آمال الرؤساء؛ لأن مبادئ حزبنا زعزعت إيمان العمال بالماركسية، فعاد الرؤساء إلى منع العمال من الحضور تحت عقوبة الطرد، فحرك

هذا المنع فضول الذين وقفوا من حركتنا موقف اللامبالاة، فصاروا يغشون القاعات سرًا ولا يأتون بأي حركة اعتراض أو تشويش خوفًا من افتضاح أمرهم، وقد أتاح سكوتهم هذا للخطباء فرصة عرض مبادئ الحزب في جو هادئ، وبذلك حرروا العديد من الألمان من أوهام نسجتها حولها اليهودية العالميّة بدقة وإحكام.

أما الصحافة الحمراء؛ فقد وقفت موقف المتجاهل لحركتنا في بادئ الأمر، ولكن وبعد اشتداد ساعد الحركة؛ عمدت إلى مهاجمتنا على صفحاتها الأولى، ولكن الحملات أعطت نتائج عكسية لهم، فقد لفتت الأنظار إلينا بشكل لم نكن نتوقعه نحن، فما كان من الصحافة الحمراء إلا أن خففت من لهجتها واجتهدت في الحط من شأن الحركة بادعائها أن الحركة سخيفة لا تقوم على أساس علمي، ولكن "سخافة" حركتنا لم تمنع الصحف الماركسية من الاستمرار في مهاجمتنا؛ ما أثار فضول الناس وحملهم على التساؤل عن السبب في هذه الحملات، ما دامت حركة الوطنيين الاشتراكيين سخيفة لا ترتكز على أساس علمي.. وأدرك الماركسيون هذا الخطأ؛ فغيروا من أسلوبهم واعتمدوا الطريقة اليهودية التي تجعل من الخصم هدفًا لحملة من الافتراءات لا تنتهي، فزعموا أننا منظمة إرهابية وأن زعماء الحزب يغذون الحقد والبغضاء في الصدور.. ولكن رغمًا عن ذلك؛ لم يتحول الناس عنا و لم تؤثر ادعاءاتهم في نمو حركتنا وانتشارها، وبذلك نكون قد سخرنا أعداءنا أنفسهم للدعاية لنا.

وجدير بالذكر أن خصومنا عجزوا عن تعطيل اجتماعاتنا، وذلك بفضل دوائر استخباراتنا التي أنشأناها، فقد كنا نعلم بخططهم في الوقت المناسب؛ فنتخذ التدابير اللازمة لإفساد تلك الخطط، وقد كنا نحمي اجتماعاتنا بطرقنا الخاصة؛ لأن الاستعانة بالبوليس كانت تعطي نتائج عكسية؛ إذ تعمد السلطات إلى فض الاجتماع حين تصلهم أخبار التصادم، وهذا ما كان يريده خصومنا بالذات، فقد جرى البوليس على خطة تتنافى مع أبسط قواعد الحرية، فحين تصله الأخبار بأن جماعة من المشاغبين تنوي تعطيل أحد الاجتماعات، يعمد البوليس إلى منع هذا الاجتماع المنوي الاعتداء عليه بدلًا من أن يتخذ التدابير اللازمة لحماية المجتمعين ومعاقبة المشاغبين والمحرضين، وبفضل هذه الطريقة الفذة؛ أصبح في إمكان أي شقي أن يشل نشاط الرجل الشريف في الميدان السياسي، أو أن يفرض عليه رأيًا معينًا، فإذا لجأ هذا الرجل إلى البوليس طالبًا تدخله؛ عمد إلى الموافقة لمشيئة الشقي باسم النظام والأمن، وينصح الرجل بأن يتجنب مظاهر التحدي والاستفزاز.

وهكذا وجدنا السلطة ـ في كل مرة يهدد النقابيون بتعطيل اجتماعاتنا ـ تبادر إلى منعنا من عقد الاجتماع بدلًا من أن تعتقل هؤلاء وتلاحقهم قضائيًا، فتأكد

لدينا أن السلطة لن تحمي نشاطنا الحزبي، لذلك وجب علينا أن نحمي أنفسنا بأنفسنا، وكان تجاهل السلطة حمايتنا من حسن حظنا؛ لأن كل اجتماع يحميه البوليس يظهر تجاه الشعب بمظهر ضعيف، فالقوة وحدها هي التي تنال إعجاب الجمهور وتبهره، لذلك قررنا الدفاع عن كيان حزبنا بالقوة وسحق إرهاب خصومه بوسائلنا الخاصة، وقد تم لنا ذلك بفضل إدارتنا الحازمة وشجاعة رجالنا الذين عهدنا إليهم الحفاظ على النظام.

لا أنكر أننا وقبل أن نخطط أنظمة الاجتماعات وحمايتها، راقبنا نشاط البورجوازيين والماركسيين في هذا المضمار، وأخذنا منهم دروسًا وعبر، فهم يتحلون بروح نظامية ممتازة، ويقوم الرجال بتنفيذ تعليمات رؤسائهم بدقة، لذلك لم يكن تعطيل اجتماعات اليساريين موضع بحث في الأوساط البورجوازية، في حين كان تعطيل اجتماعات البورجوازيين الشغل الشاغل للحمر، فقد استطاعوا إقناع النقابيين أن كل اجتماع غير ماركسي هو ضد البروليتاريا، وكانت الصحف الماركسية تناشد السلطات منع الاجتماع خوفًا من الاصطدامات الدامية، فإذا كانت السلطات ضعيفة تبادر فورًا إلى إلغاء الاجتماعات حفاظًا على الأمن والنظام، أما إذا كان الحاكم ألمانيًا حقيقيًا فلا يتأثر بأقوال الصحف، عندئذ تتوجه الصحافة إلى العمال أنفسهم مناشدة إياهم تعطيل اجتماعات "أعداء الشعب الرجعيين".

لقد كان موقف البورجوازيين ضعيفًا تجاه الحمر! فقد كانوا يلغون أكثر اجتماعاتهم خوفًا من اعتداء العمال، وإذا عقدوا اجتماعات افتتحه الرئيس بكلمة موجهة إلى "السادة المعارضين، مؤكدًا لهم أن الحزب يرحب بحضورهم ويسعده أن يرى بين المستمعين مواطنين لا يشاطرونه رأيه، ثم يرجوهم ألا يقاطعه الخطباء، فالمحاضرة قصيرة وليس بها ما يجوز اعتباره إهانة لخصومنا أو إقلالًا من شأن حركتهم السياسية وأهدافهم الوطنية". لكن الحمر قلما كانوا يتأثرون بهذه الكلمات، فما أن يبدأ الخطيب إلى النزول عن المنبر ويسود القاعة الهرج ويتسابق البورجوازيون إلى الانسحاب طلبًا للنجاة.

لذلك؛ وجد الحمر أنفسهم وهم يحتكون بنا، أنهم أمام حزب قوي يعرف كيف ينظم اجتماعاته ويحميها، فقد حرصنا منذ اللحظة الأولى على إفهام الحضور أننا لن نسمح لأي من كان أن يقاطع الخطباء أو يشوش عليهم، وأن بوليس الحزب يقوم بحفظ النظام، ولن يتردد في إخراج المشاغبين بعد أن يؤدبهم.

لقد كان لنا بوليس مدرب على قمع أعمال الشغب، أما الأحزاب البورجوازية؛ فقد كانت تعهد بمهمة حماية الاجتماعات إلى رجال ضعاف

قاربوا عتبة الشيخوخة، آملين أن يحترم المشاغبون شيبتهم ويتهيبوا وقاره، وقد فاتهم أن الحمر لا يقيمون وزنًا لهذه الاعتبارات.

لقد جندنا "بوليس الاجتماعات" من الرجال الأشاوس والجنود المُسَرحين، وقد اخترتهم من الشباب المفتولي السواعد، وحرصت على إفهامهم قبل أن يقسموا اليمين أن القضية التي تجندوا للدفاع عنها هي قضية نبيلة تستحق أغلى التضحيات، وأن الإرهاب لا يسحقه إلا الإرهاب. وأن فكرتنا لن تنتشر ما لم تدعمها القوة وتوفر لها الحماية اللازمة، وأن ربة السلم لا تقوى على الظهور ما لم يأخذ بيدها إله الحرب.. ولن أنسى ما حييت كيف كان رجال الحرس ينقضون على خصومهم، غير حافلين بالإخطار وبالتفوق العددي لخصومهم، فقد كانت مهمتهم حماية الحركة وإزالة كل عقبة تعترضها.

*

في ربيع 1912؛ توسعت دائرة نشاطنا، فأصبح علينا أن نعزز الحرس بعناصر جديدة، وقد اضطررنا لتنظيم الوحدات النظامية إلى خلق شارة أو راية للحزب، وما أن قررنا أن يكون للحزب راية خاصة ترمز لرسالته، حتى انهالت علينا التصاميم والاقتراحات، فدرسناها و لم نأخذ بها إلى أن عرض علينا طبيب أسنان مشروعًا لا بأس به، لكن الألوان التي أخرجها كانت متنافرة، فوفقت أنا بين الألوان وقدمت للرفاق المؤسسين راية الحزب: دائرة بيضاء في قماشة حمراء، وفي وسط الدائرة صليب معقوف باللون الأسود، فتبني الرفاق رمز الحركة الوطنية الاشتراكية، واختاروا في الوقت نفسه شكل الشارة المعدنية ولون رابطة الذراع التي ستوضع على أذرع رجال الحرس.

لقد كانت الراية حقًا رمزًا لحركتنا وأهدافها السامية، فاللون الأحمر يرمز إلى الناحية الاجتماعية من الحركة، واللون الأبيض إلى الفكرة القومية، والصليب المعقوف يرمز إلى النضال المرير في سبيل انتصار الآري وانتصار فكرة العمل المنتج، وفي عام 1922 عندما جعلنا من الحرس نواة وحدة مقاتلة اخترنا للوحدة علمًا خاصًا بها.

بعد اتساع حركتنا ضاعفنا عدد الاجتماعات؛ فأصبحنا نعقد ثلاثة اجتماعات أسبوعيًا، وذلك في كبرى قاعات ميونيخ، وكان البوليس يتدخل كل مرة لمنع الازدحام وإقفال الأبواب وإرجاع الناس.

وفي شتاء 1921؛ وجدت ألمانيا نفسها أمام معضلة جديدة، فقد أنذرتها لندن

وباريس بوجوب دفع مئة مليار مارك ذهبًا عملًا بأحكام الاتفاقات المعقودة.

وفي 21 يناير من العام نفسه؛ اجتمعت الأحزاب المسماة "عنصرية" وقررت القيام بتظاهرة مشتركة في ميونيخ احتجاجًا على الحلفاء، كما دعا حزبنا لإرسال مندوبين عنه لحضور اجتماعات اللجنة التنظيمية، وقد قررت اللجنة أن تبدأ التظاهرة من ميدان "كونسيج"، ولكنها عدلت عن رأيها، وبعد ثمان وأربعين ساعة؛ عدلت عن فكرة التظاهرة وقررت عقد اجتماع كبير في قاَعة "كنو كيلز"، وطال تردد اللجنة؛ فطلبت منها اعتباري مندوبًا عن الحزب، وطلبت اتخاذ قرار نهائي قبل أول فبراير، فاستمهلوني وفي اليوم المحدد شعرت مجددًا بترددهم، فانسحبت ورفاقي من الاجتماع بعد أن صرخت بهم بأننا سننظم الاجتماع وحدنا.

وظهرت النشرات ظهر الأربعاء 2 فبراير 1921؛ تدعو الشعب إلى حضور اجتماع في ملعب كرون مساء 3 فبراير، وكانت هذه البادرة خطرة جدًا؛ إذ إن الملعب كان كبيرًا واسع الأرجاء، وربما لا ننجح باجتذاب العدد اللازم لملئه، كما أن الحرس في ميونيخ ليسوا من الكثرة كي يتمكنوا من المحافظة على النظام في مكان كبير كملعب كرون.

وفي صباح يوم الاجتماع؛ هبت رياح شديدة وهطلت الأمطار، فساد التشاؤم دوائر الحزب؛ لأن الناسٍ لن تتمكن من الحضور في ذلك اليوم العاصف، لكن الجو مال إلى الصحو قليلا بعد الظهر، فاقترحت تسيير شاحنتين تجوب شوارع ميونيخ وهي مزدانة بالأعلام الحمراء يتوسطها الصليب المعقوف وعليها عشرون رجلًا وفتاة من أنصار الحزب يوزعون النشرات ويدعون الناس إلى الاجتماع.. فشاهد السكان لأول مرة، سيارتين كبيرتين ترفرف عليهما الأعلام من دون أن يكون ركابها ماركسيين، ووقف البورجوازيون يرقبون هذا المشهد مذهولين، أما الحمر فقد استبد بهم الغضب لهذا التحدي السافر.

ما أن أزفت الساعة السابعة مساءً حتى غصت القاعة الرئيسية بالحضور، وبدأت القاعات الأخرى تستقبل الوافدين، ولما وصلت إلى الملعب في الساعة الثامنة وجدت جمهورًا غفيرًا يقف في الساحة الخارجية؛ لأن المكان ضاق بالوافدين؛ ما اضطر الحرس إلى منع المئات من الدخول، وقال لي أحد معاوني إن شباك التذاكر باع خمسة آلاف وخمسمئة بطاقة، وإن أكثر من ألف عاطل عن العمل دخلوا مجانًا، فأصبح عدد الحاضرين ستة آلاف وخمسمئة شخص.

كان موضوع المحاضرة "يجب أن نبني الغد أو لنتوارى".. وقد استغرقت

محاضرتي هذه ساعتين ونصفًا، وقد شعرت منذ اللحظة الأولى بالتقارب بيني وبين المستمعين، وقد حاول البعض مقاطعتي في أوائل المحاضرة، ولكن ما أن انقضت عشرون دقيقة؛ حتى كان ثلاثة عشر ألف كفٍ تقاطعني بالتصفيق وتلقف كل كلمة ألفظها بلهفة وإيمان.

دام نجاح الاجتماع حديث ميونيخ لمدة أسبوع كامل.. ونشرت الصحف المستقلة صورًا ناطقة لهذا النجاح، أما الصحف البورجوازية؛ فقد أشارت إليه إشارة عابرة، وقصدت إغفال ذكر اسم الخطيب.. وحرصًا مني على الإفادة من هذا النجاح، فقد نظمت اجتماعًا آخر في الأسبوع التالي في الملعب نفسه فحضره سبعة آلاف، وقفت منه خمسمئة في الساحة الخارجية، وقد تركنا الأبواب مفتوحة ليتسنى لهم سماع المحاضرات.

وقد شجعني النجاح على زيادة الاجتماعات؛ فازداد بالتالي عدد الأنصار والمؤيدين.

لم يقف خصومنا مكتوفي الأيدي حيال هذا النجاح الساحق؛ فقرروا إرهابنا بشكل نعجز به عن عقد الاجتماعات.

وقد مهد الخصوم لهذه الخطة الإرهابية بحادثة افتعلوها وحاولوا أن يلقوا بمسئوليتها علينا، ففي إحدى الأمسيات أطلق "مجهول" النار على النائب الاشتراكي "إرهارد أوير"، ولكن الرصاص لم يصبه وهرب المعتدون.

وصدرت الصحف الماركسية واليهودية في اليوم التالي تحمل علينا بشكل سافر وتطلب وضع حد لما دعته "نشاط العصابة الإرهابية التي عاثت فسادًا في ميونيخ"، وقد اتهمت حزبنا بالحادثة، ومما ذكرته الجريدة الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي البافاري؛ أن تدابير حازمة ستتخذ قبل أن تناطح الأشجار السماء، وأن معاول العمال ستهوي على هذه الأشجار وتلقي بها على الأرض.

وبعد أيام قام خصومنا بمحاولتهم، ولكن الأشجار العالية الشامخة لم تقع أرضًا.

ففي 2 نوفمبر 1921؛ دعونا إلى اجتماع يعقد مساء 4 منه في قاعة هوفيروهوس، وعلمنا قبل نصف ساعة من الموعد أن الحمر مصممون على تعطيل الاجتماع، وأنهم جهزوا له مئات العمال، فلم نتمكن من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لضيق الوقت، لذلك اكتفينا بسواعد ستين رجلًا من رجال الحرس، ولما وصلتُ أخبرني رئيس الحرس أن القاعة ملأى بالمشاغبين، و لم يتمكن رجالنا من

الدخول وبقي معظمهم خارج القاعة.

فسارعت إلى جمع الحرس وزودتهم بالتعليمات اللازمة، وصارحتهم بأن الوضع خطر، وأنه ربما سقط منهم بعض القتلى، لكني قرأت في عيونهم ما أشاع الطمأنينة في نفسي، وعندما دخلت القاعة الكبرى وجدتها غاصة بالناس، وقد استقبلني الذين عرفوني بالشتائم والتهديدات من نوع "سنصفي حسابكم اليوم" و"سنضع حدًا لثرثرتكم وسنربح ألمانيا منكم".

وقفت وراء الطاولة التي توسطت القاعة لألقي محاضرتي على جمهور من المستمعين يحتسي الجعة وبحالة عصبية ظاهرة.

تكلمت ساعة كاملة غير آبه للصياح والغضب، وخيل إليّ أني أصبحت سيد الموقف؛ فانتهرت أحد المشاغبين الحمر، وكانت هذه هي الغلطة الفادحة؛ فقد استغل الحمر هذه الحادثة البسيطة لينفذوا خطتهم المرسومة، فوقف رجل طويل القامة وهتف ثلاث مرات للحرية، فردد "أنصار الحرية" الهتاف وقلبوا الطاولات وعمدوا إلى الزجاجات الفارغة يرشقون بها أنصارنا؛ فتعالي الصراخ واختلط الحابل بالنابل.. و لم أغادر أنا مكاني؛ بل رحت أراقب رجال الحرس وأنا مطمئن إلى النتيجة، فرأيتهم يهجمون على الخصوم وفي مقدمتهم "موريس" أمين سري الخاص و"وهيس" الذي تولي قيادة الهجوم، وما هي إلا دقائق حتى كانت جموع الحمر تتراكض مندفعة إلى الأبواب منهزمة أمام أبطالنا الشجعان، وبقي محصورًا نحو خمسين ماركسيًا، فهجم عليهم رجالنا محاولين إخراجهم بالقوة، وفجأة دوى انفجار هائل سقط على أثره خمسة من رجال الحرس، فألهبت هذه الحادثة شعور أنصارنا حتى النساء والشيوخ؛ فهرعوا لنجدة الحرس وهجموا على المشاغبين وتمكنوا من إخراجهم وتطهير القاعة بعد أن سقط تسعة جرحى من صفوفنا يقابلهم ثلاثة وعشرون من الحمر.

وبينما كان الرفاق ينقلون الجرحى؛ وقف هرمان إيسر رئيس الاجتماع، وأعلن استئناف الجلسة ودعاني إلى إلقاء محاضرتي، ففعلت وتركت مكاني بعد ذلك لأقف في الصف الأمامي لأشارك في الأناشيد القومية التي اعتدنا أن نختتم بها اجتماعاتنا؛ فاقترب مني أمين السر وهمس في أذني أن قوة كبيرة من البوليس قد وصلت ودخل ضابط البوليس في هذه اللحظة.. وأعلن بصوت جهوري أنه يفض الاجتماع بأمر السلطة.

*

ـ15ـ

القوي قوي بنفسه

ذكرت في الفصل السابق قيام تعاون أو شبه ذلك بين الأحزاب "العنصرية" في ميونيخ؛ كي تقوم هذه الأحزاب بمجهود مشترك في سبيل الهدف المشترك.

لا شك أن التعاون بين الأحزاب المتقاربة الأهداف أمر مرغوب فيه.. لكن يخطئ من يعتقد أن هذا التقارب يقوي على زيادة العمل الذي يرفع من شأن كل منهما، فقد تعلم حزبنا أن الهدف يجب أن يصل إليه الحزب الذي كان السابق إلى اختياره، فإذا عجز عن تحقيق هذا الهدف جاز للأحزاب التي تعمل لنفس الهدف أن تعمل عوضًا عنه علّها تنجح إذا أخفق هو، أما إذا تغلب الحزب الأول على الصعاب؛ فبقاء الأحزاب الأخرى منفصلة عنه يعتبر خيانة لهذه الفكرة وإضعافا للحركة حتى لو قام تعاون وثيق بينهما.

وقد حاولنا نحن عام 1922 أن نتعاون مع المنظمات "العنصرية" على أساس توحيد الخطط ما دام الهدف واحدًا، ولكن سرعان ما أدركنا خطأنا، لأن حلفاءنا أرادوا من هذا التعاون تقوية منظماتهم على حسابنا، فكانت النتيجة أن عمت الفوضى وانعدمت المسئولية وقامت الأنانية والمطامع الشخصية لتبعد الحركة الموحدة عن أهدافها السامية، عند ذلك طلبت من حزبنا أن يضع حدًا لهذا التعاون المضر بحركتنا، وكانت حجتي أن حركة قوية كحركتنا ستخسر من قوتها بتعاونها مع حركات أضعف منها، وبينت لهم مطامع زعماء المنظمات بانضمامهم إلى حركتنا.

*

كانت قوة الدولة قبل عام 1918 تعتمد ثلاث دعائم: النظام الملكي والجيش وهيئة الموظفين الإداريين، وقد قوضت ثورة عام 1918 الدعامة الأولى، وسرّحت الجيش، وأفسدت الموظفين، وبذلك فقدت سلطة الدولة مقوماتها الأساسية.

إن الأساس الأول الذي ترتكز إليه السلطة هو الشعبية، ولكن السلطة تبقى ضعيفة إذا كانت الشعبية مرتكزها الوحيد؛ لأن سلامتها واستقرارها يبقيان مضطربين، لذلك كانت القوة مرتكز السلطة الثاني، ولكن القوة وحدها لا تضمن الاستقرار والسلامة، فإذا توافرت الشعبية والقوة أمكنهما أن يولدا ما يدعى بالتقليد، ومن هذه المرتكزات الثلاث يمكن انبثاق سلطة قوية الأركان متينة.

لكن الثورة جعلت توافر المرتكزات الثلاثة مستحيلاً، فهي قد نزعت التقليد من كل سلطة حين قضت على النظم الملكي، كما لطخت سمعة الموظفين عندما سمحت للسياسيين أن يعينوا ويعزلوا وينقلوا من يشاءون تدفعهم إلى ذلك نزعاتهم ومصالحهم السياسية، كما أزالت الثورة معالم القوة حين سرحت الجيش، رمز القوة، ففقدت السلطة بذلك مرتكزها الثاني، ولم يبق للثورة إلا الشعبية، وهذا المرتكز كان غير مستقر في بلد ضعضعته الهزيمة وأطاحت الحرب بالتوازن الطبيعي الذي جعل من شعبنا مثلاً للشعوب.

فالشعب الألماني كسائر الشعوب يتألف من ثلاث فئات، فئة النخبة ذات الميول الوطنية المتطرفة، وهي تتحلى بالترفع والإخلاص والشجاعة ونكران الذات، وفئة تضم حثالة البشر كالمغاوير والأنانيين والخونة، وبين هاتين الفئتين نجد الفئة الثالثة المتوسطة التي تترفع عما يشين الفئة الثانية، ولكنها لا تتمتع بفضائل الفئة الأولى، فإذا تقدم مجتمع بشري نحو الرقي كان بفضل الفئة الأولى، وإذا نما هذا المجتمع نمواً طبيعيًا في ظل الهدوء والنظام؛ كان بفضل الفئة المتوسطة التي تميل بطبيعتها إلى الاعتدال، أما حين يدرك المجتمع الانحلال وتنهار فيه القيم؛ فهذا يرجع إلى تسلط العناصر الفاسدة من الفئة الثانية.

وجديرٌ بالذكر أن الفئة المتوسطة وهي الأغلبية الساحقة لا تتمكن من السيطرة إلا حين يكون التنافس على أشده بين الفئتين المتطرفتين، ولكن إذا انتصرت إحداهما فسرعان ما تخضع الأغلبية للمنتصر، ولكنها لا تؤيد المنتصر الشرير ولا تعترضه بالوقت نفسه؛ لأن هذه الفئة المتوسطة لا تتميز بروح النضال.

قلت إن الحرب أطاحت بالتوازن بين الفئات الثلاث، فقد ضحت النخبة بدمائها وسقط آلاف الشهداء من الفئة المتوسطة، بينما بقي الأشرار يوفرون أنفسهم للثورة ولطعن ألمانيا في ظهرها، كان المسئولون يذيعون النداءات مناشدين المواطنين التطوع لأداء مهمات معينة، واستمرت النداءات طيلة أربع سنوات ونصف، فكان يلبي النداء شبان دون السابعة عشرة من عمرهم، وشيوخ تجاوزوا الخمسين تدفعهم وطنيتهم الصادقة وشجاعتهم النادرة، ليلقوا بأنفسهم في جحيم النيران المشتعلة.

فالذين سقطوا في معارك 1914 كانوا أبناء الفئتين الخيّرة والمتوسطة، فاختل التوازن لمصلحة الفئة الشريرة التي أتاح لها تراخي السلطات أن تبقى بمأمن من الخطر، فما أن أصيبت جيوشنا بالنكسة حتى قامت هي بمهمة لغم الجبهة الداخلية بثورة جارفة لم تقف في طريقها أي عقبة؛ لأن البقية الباقية من العناصر الطيبة كانت أضعف من أن تقاومها.

فالقول بأن ثورة شعبية قول عارٍ عن الحقيقة، فالذين قاموا بالثورة كانوا أعداء للشعب؛ لأنهم استغلوا الهزيمة أبشع استغلال بعد أن تسببوا فيها.

لقد رحب جنودنا بانتهاء القتال، ورحبوا بالعودة إلى بيوتهم، ولكنهم ظلوا غرباء عن الثورة ومسببيها، لأن المحرضين عليها ما أوحوا للجنود غير الحذر والحيطة، ولأن الحرب وويلاتها لم تنسهم الضرر والعبث اللذين يتميز بهما نشاط الأحزاب السياسية في البلاد، أما المواطنون القلائل الذين رحبوا بالثورة؛ فقد استبشروا بما ستؤتيه من جديد و لم يرحبوا بها هي، على هذه القلة ارتكزت الثورة، ولكن هذا المرتكز الشعبي كان من الضعف؛ إذ وجد الماركسيون أنفسهم بعد أشهر من قيام الجمهورية، مضطرين إلى إيجاد مرتكز جديد لسلطتهم قبل أن تنظم الفئات الخيرية نفسها وتخرج البلاد من عهد الفوضى والفساد.

كانت الجمهورية عام **1919** بعيدة عن الاستقرار، و لم يخف على "أبطال" الثورة أن المرتكز الشعبي لسلطتهم سينهار عند أول زوبعة من زوابع النقمة، لذلك راحوا يبحثون عن رجال يمكنهم حماية الجمهورية بقوة السلاح.

وجدت الجمهورية التي سرحت الجيش نفسها في أشد الحاجة إلى جيش يدافع عنها، لكن مرتكزها الوحيد الذي هو شعبيتها؛ كان يستمد أصوله من أوساط اجتماعية لا تؤمن بالمثل ولا ينتظر منها أن تضحي ولو بالقليل في سبيل مثالية جديدة، فالأوساط كانت تضم اللصوص والمحتالين والخونة والمغامرين - أي فئة الأشرار التي لم تقم بالثورة - جنودًا يدافعون عن الثورة، هذه الفئة التي جعلت همّها الوحيد نهب الجمهورية التي قامت على أنقاض الملكية.

أما أصوات الاستغاثة التي انبعثت من ممثلي الشعب؛ فلم تسمعها تلك الفئة العابثة، لقد استغاث هؤلاء لأنهم شعروا أن الشعب الألماني بدأ يتململ، وأن هناك من يدعو إلى قلب النظام القائم ووضع حد للسرقات والخيانات.

أما الذين لبوا النداء في شتاء **1919**، وأخرجوا بزاتهم المهترئة وحملوا بنادقهم من جديد، فقد فعلوا ذلك بدافع الوطنية لا حرصًا على الجمهورية، فقد كان الأمن والنظام بحاجة إلى من يحفظه، وكان الوطن بحاجة إلى من يرد عنه مؤامرات أعدائه الداخليين، فانتظموا في وحدات ارتجلت ارتجالًا، وعملوا مخلصين لدعم الجمهورية مع نفورهم من هذا النظام الذين أقاموه.

لقد أدرك منظم الثورة الفعلي - اليهودية العالمية - الموقف على حقيقته، فالشعب الألماني لم يهبط إلى مستوى الشعب الروسي ليتمكن من جره لأوحال المستنقع

البولشفي، ويمكن القول إن ضعف البولشفية في ألمانيا مرده إلى وحدة العرق التي ربطت رجال الفكر الألمان بالعمال الألمان، وهذه ظاهرة اجتماعية موجودة في أغلب البلدان الأوروبية العربية، ولكن لا أثر لها في روسيا؛ حيث يبقي المفكرون في برجهم العاجي لأنهم غرباء عن قوميتهم الروسية، فهم لا يشعرون بقضايا الطبقة العاملة ولا يعانون مشكلاتهم، و لم يكن هناك من يقوم بربط الصلة بين المفكر والعامل، علمًا أن مستوى الأغلبية الفكري والخلقي كان منخفضًا قبل الحرب، لذلك لم يجد المحرضون عناء في حمل الملايين من الجهلة والأميين على رفع الراية الحمراء وخدمة أغراض أسيادهم اليهود الذين موهوا دكتاتوريتهم حين زعموا أنها دكتاتورية صعاليك.

أما ما حدث في ألمانيا فهو الآتي:

لم تنجح الثورة في ألمانيا إلا بعد انحلال الجيش، وإن هذا لا يعني أن الجندي في الجبهة كان وراء تلك الثورة ووراء انحلال الجيش وتفككه، فالذين عملوا للثورة وبنوا روح التذمر في الجيش كانوا من الذين لم يذهبوا إلى الجبهة، إما لأنهم إداريون لا يُستغنى عن خدماتهم، وإما لأن السلطة انخدعت بهم واعتبرتهم إخصائيين في الشئون الاقتصادية والمالية، يضاف إلى هؤلاء ألوف الفارين الجبناء الذين يتمكنوا من الهرب بفضل تسامح القوانين.

إن الجبان يخاف الموت الذي يبرز أمامه في ميدان المعركة بأشكال مختلفة مرات عديدة كل يوم، ولكي نمنع الجنود الجبناء من الفرار، يجب علينا إفهامهم أن المرء يمكن أن يموت في الجبهة، أما الجبان الفار فسيموت حتمًا حين يهرب.

إن أداء الواجب فضيلة كبرى لا يتحلى بها - مع الأسف - المواطنون كافة، والمواطن المثالي هو الذي يؤدي واجبه من تلقاء نفسه، أما المواطن العادي فليس هذا شأنه، لذلك كان وجود الحافز الإرهابي ضروريًا.

لندلل على ذلك بمثل القوانين الموضوعة لقمع اللصوصية، إن هذه القوانين لم تسن لإرهاب الشرفاء؛ بل لتخويف ضعفاء الإرادة العاجزين عن مقاومة التجربة والغرائز، فلولا هذه القوانين التي ترهب هذه الفئة، ولولا العقوبات الزاجرة التي تنزل بها؛ لقامت نظرية تقول إن الرجل الفاضل الشريف هو إنسان أبله، والأفضل للمرء أن يسرق بدلًا من أن يبقى صفر اليدين.

إذن كان من قصر النظر حين ظن المسئولون أن باستطاعتهم التغاضي عن تدبير مهم أثبت جدواه طيلة قرون، أعني به الإعدام، فعقوبة الإعدام تفرض

نفسها كتدبير احترازي وإرهابي حين يكون المقاتلون مزيجًا من الأبطال والأفراد العاديين الذين فرضت عليهم الجندية، ففي صفوف هؤلاء هناك الجبان والأناني الذي يرى أن حياته أثمن من حياة المجتمع الذي ينتمي إليه، لذلك وجب قيام إجراء رادع لضمان بقاء هؤلاء المقاتلين في ساحة القتال؛ حيث هم أو لحثّهم على ملاحقة الموت ومواجهة العدو.

لقد ترتب على إلغاء عقوبة الإعدام عندنا، انتشار جيش من الجبناء الهاربين في المؤخرة، وقد عرف الخونة من الداخل كيف يستغلون هؤلاء الجبناء ويستخدمونهم لتنفيذ مآربهم ويتخذون منهم وقودًا لثورة 1918.

وبعد وقف القتال ولما عاد الجيش إلى أرض الوطن؛ استحوذ القلق على رجال الثورة، وأصبحت معرفة رأي العائدين بالذي حدث شغلهم الشاغل، فهم يريدون التأكد من رغبة الجيش في التعاون معهم، لذلك وخلال الأسابيع الثلاثة التي مضت بين إعلان الهدنة ووصول القوات الألمانية إلى الوطن؛ عمد الثوريون إلى تبديل اتجاه الثورة، إذ إن فرقة واحدة من الجيش تقوم لطرد الحمر من البلاد، تكفي لينضم إليها عشرات الفرق خلال أيام معدودة، وقد أدرك اليهود هذه الحقيقة فبدلوا الاتجاه المتطرف واعتنقوا شعار الاعتدال والهدوء.

لذلك كانت الدعوات الحارة للتعاون مع السلطات؛ خصوصًا النداءات إلى كبار القادة العسكريين للعمل على إنهاض ألمانيا من كبوتها، فاليهود وحلفاؤهم كانوا بأشد الحاجة إلى العسكريين للاستفادة من خدماتهم من جهة، ومن جهة ثانية اتقاء لشرهم وقطع الطريق أمامهم لمقاومة الوضع القائم.

لقد نجحت هذه المناورة اليهودية نجاحًا باهرًا، لكن المتطرفين بعد أن لزم أسياد العهد جانب الحكمة والاعتدال، حاولوا مقاومة هذا الاتجاه الجديد؛ لكن اليهود استطاعوا تشتيت قواهم، وذلك بإحداث انقسام خطير في صفوف أكبر حزب ماركسي: الحزب الاشتراكي الديمقراطي.

فهناك قسم اقتنع بالوضع الجديد وقسم عارضه، وترتب على هذا الانقسام قيام معسكرين الأول شعاره الهدوء والثاني الإرهاب، أما البرجوازية فكان عليها أن تختار بين الاثنين؛ فانتقلت إلى المعسكر المعتدل.

وهكذا أصبح الموقف في مطلع شتاء1919 كما يلي:

كانت الثورة من صنع فئة شريرة من الشعب، تبعتها بعد ذلك الأحزاب الماركسية كلها، ولكن الذين استولوا على الحكم بدلوا مناهجهم وقرروا مبدأ

الاعتدال؛ ما أغضب المتطرفين؛ فقاموا بسلسلة من الأعمال الإرهابية في طول البلاد وعرضها، ولمواجهة هذا الخطر تعاون أنصار الوضع الجديد مع أنصار الوضع القديم لمجابهة الإرهاب القائم.

وهكذا نظم أعداء الجمهورية أنفسهم لمحاربة الجمهورية كنظام حكم، متعاونين أيضًا مع الذين يحاربون الجمهورية؛ لأنها توشك أن تغرق البلاد في الفوضى.. لا لأنها نظام حكم.

وقد أيد هذا التحالف تسعة أعشار الشعب الألماني، وفي الوقت الذي كان المتطرفون من الجانبين يقتتلون، كانت الفئات المتوسطة ـ وهي الأغلبية الساحقة ـ تقبض على الزمام، و لم تتأثر الجمهورية بالاشتباكات الدامية، فقد أدى التقاء الماركسية والبورجوازية إلى تقوية مركزها مع أن البورجوازيين قبيل الانتخابات، بدؤوا يتوددون إلى الملكيين متظاهرين بالحنين إلى العهد السابق؛ لأنهم كانوا بحاجة إلى أصوات المحافظين.

*

كيف تمكنت الثورة من النجاح على الرغم من افتقارها إلى مقومات هذا النجاح؟ والجواب عن ذلك هو:

1. تحجر نظرتنا إلى الواجب والطاعة.

2. سلبية أحزابنا المحافظة.

ويعود تحجر نظرتنا إلى الواجب والطاعة؛ إلى تربيتنا الوطنية التي تركز على مفهوم الدولة ولا تعتني بالقومية، وقد نجم عن هذا النقص عجزنا عن تمييز الواسطة من الغاية، وفاتنا أن الشعور بالواجب وأداء الواجب ليس غاية بحد ذاتها، وكذلك الدولة، ولو لم نسهُ عن هذه الحقيقة؛ لكان موقفنا من مسببي الكارثة غير هذا الموقف المخزي الذي أساء إلى سمعتنا إساءة بالغة، ففي الوقت الذي كان شعبنا يقاسي من الهوان والعذاب من جراء الخيانات، كانت الطاعة لهؤلاء إجرامًا بحق الوطن، ولو تجاهل البعض تنفيذ الأوامر المعطاة له وتصرف حسب ما يمليه عليه واجبه ومسئوليته الشخصية؛ لتغيّر الوضع تمامًا، ولكن ماذا نفعل بالبورجوازيين ونظرتهم إلى الدولة؟ فالطاعة العمياء هي أول واجبات البورجوازيين ولو كانت على حساب الشعب، أما نحن ـ الوطنيين الاشتراكيين؛ فإننا نقدم طاعة الرؤساء الضعاف، ونرى أن مسئولية الشخص تجاه أمته تصبح في الظروف الحرجة أكثر الواجبات قدسية.

أما عن سلبية الأحزاب المحافظة فنقول:

لقد نتج عن تساقط الفئات الخيّرة في ميدان القتال تجريد أحزاب اليمين من العنصر الوحيد الذي كان باستطاعته حمايتها وحماية النظام الذي تحرسه، وقد شاء البورجوازيون، بعد أن أضاعوا القوة المادية؛ أن يتولوا الدفاع عن مبادئهم على صعيد الفكر وبالأسلحة الفكرية، علمًا أن خصمهم قد استعاض عن تلك الأسلحة وقرر فرض مبادئه بالقوة والعنف، وقد أثبت الماركسيون بعد نظرهم، فكانت قوتهم سيدة الموقف، بينما ضاعت بلاغة البرلمانيين البورجوازيين بين الضجيج وأزيز رصاص الحمر.

وبعد الثورة عادت الأحزاب البورجوازية بأسماء جديدة وبرزوا إلى الميدان بسلاحهم القديم وأهدافهم القديمة: الاستيلاء على كرسي الحكم.

لقد أصيب البورجوازيون بهزائم شنعاء في البرلمان وفي الشارع، وعندما قدمت الحكومة للبرلمان مشروع قانون حماية الجمهورية؛ عارضه خطباء أحزاب الميمنة والوسط معارضة شديدة، وعلم الماركسيون أن المشروع لن ينال أكثرية الثلثين؛ فأوعزوا إلى رجالهم بالتظاهر أمام البرلمان، فقدم نحو مئتي ألف ماركسي، وباشروا الهتافات والصياح والتهويل، فجبن المعارضون وتخاذلوا وأضحت النتيجة إقرار المشروع بأكثرية ساحقة.

وهكذا قامت الدولة الجديدة من دون أن تلاقي أية مقاومة جدية، وكانت هناك منظمات قامت لتقف في وجه الماركسية بشجاعة وهي "الكتائب الحرة" و"الحرس المدني" و"عصبة الدفاع عن التقاليد" و"عصبة المحاربين القدماء".

لكن هذه المنظمات لم يكن لها أي تأثير لأسباب عديدة: فلم يكن لهذه الأحزاب المعتدلة أي سلطة في البلاد لافتقارها إلى العناصر المناضلة، وقد كان للمنظمات اليمينية وحدات صدام منظمة، ومع ذلك بقي تأثيرها ضعيفًا؛ لأنها لم تكن ذات مبادئ وليست لها أهداف سياسية واضحة.

لقد فاز الماركسيون وانتصروا على العقبات بفضل الترابط بين الإرادة السياسية والتصميم وبين شراستهم في العمل، ولو اجتمع لألمانيا القومية هذا الترابط بين الشراسة والإرادة القومية لما تمكنت الماركسية من الانفراد بتقرير مصير البلد، فقد كان للأحزاب القومية إرادة قوية، ولكنها كانت بحاجة إلى القوة لفرض إرادتها هذه، أما المنظمات؛ فقد كانت تتمتع بالقوة وكان بإمكانها أن تفرض سيطرتها على الشارع وعلى الدولة، ولكن كان ينقصها الدافع والهدف السياسي، وقد

استغل اليهود هذا النقص المزدوج وعملوا جاهدين لإقناع المواطنين بقبول الأوضاع الحالية باعتبارها مناسبة، فقد راحت الصحافة ـ بإيعاز اليهود ـ تظهر الطابع غير السياسي للمنظمات اليمينية وبالتالي تمتدحه، كما كانت تمتدح الذين "يقابلون التحدي والعنف بالأسلحة الفكرية"، وقد تبنى ملايين الألمان هذه النظرية السخيفة و لم ينتبهوا للخدعة اليهودية التي جردتهم من كل سلاح حين اعتمدوا الفكر وحده سلاحًا وحيدًا في معركة الحياة أو الموت، فأصبحوا بذلك تحت رحمة اليهود وعصاباتهم الشرسة.

وهناك تفسير آخر لضعف الأحزاب البورجوازية والمنظمات اليمينية، فقد نزلت إلى المعركة ولا مثالية لها، وفي التاريخ أكثر من مثال على حركة من هذا النوع، فهي لا تتحلى بروح النضال الذي تتحلى به الحركات ذات الرسالة، فالإيمان بانتصار فكرة ما يعطي لرسل هذه الفكرة حق اللجوء إلى العنف حتى أقصى درجاته.

لقد نجحت الثورة الفرنسية؛ لأن إعلان حقوق المواطن بهر الجماهير، فتبنته وتعصبت له وناضلت في سبيله، وقامت الثورة الروسية بفكرة لاقت صداها الحسن عند الجماهير، فآمنت بها واستماتت في الدفاع عنها، كما أن الفاشستية استمدت قوتها من رسالتها الإصلاحية.

*

بقيام الحزب الوطني الاشتراكي؛ قامت في ألمانيا حركة غايتها إعادة بناء الدولة على أساس عنصري، وقد قررالحزب اعتماد الوسائل الفكرية لنشر مبادئه، مع الاحتفاظ بمبدأ القوة لدعم هذه المبادئ إذا لزم الأمر.

قلت في فصل سابق إنه لا يمكن التغلب على حركة يدعمها الإرهاب باعتماد الأسلحة الفكرية، فلا بد من مواجهة تلك الحركة بحركة ذات عقيدة تعتمد أيضًا سلاح الإرهاب.

فقد ظلت الدولة الألمانية هدفها لهجوم ماركسي عنيف طوال سبعين عامًا، و لم تنجح في صد هذا الهجوم على الرغم من جهودها المريرة وكفاحها الشاق، فلم تنجح في سحق المبادئ الهدامة رغم تدابيرها الصارمة بحق زعماء تلك المبادئ، وهذا يرجع إلى كونها اتخذت تدابير سلبية عوضًا عن مقابلة هذه المبادئ بمذهب فلسفي يقضي على مبرر وجودها، فالدولة التي ألقت السلاح في 9 نوفمبر 1918 وتركت للماركسيين حرية العمل والاستيلاء على زمام الحكم؛ لا يرتجى منها خير،

خصوصًا بعد وصول البورجوازيين إلى الحكم في ظل النظام الجديد، فمنذ عام 1921 والحكومة البورجوازية تلاطف الحمر زاعمة أنها لا تريد إغضاب البروليتاريا، فهذا الخلط بين الماركسية والطبقات الكادحة هو تزوير للتاريخ يتحجج به الحاكمون لتغطية فشلهم في إنقاذ البلاد من مخالب المغامرين الدوليين.

تجاه هذا الخضوع للماركسية أخذت الحركة الوطنية الاشتراكية على نفسها مهمة إنقاذ ألمانيا فاتخذت على مسئوليتها تدابير وقائية لتواجه بها الإرهاب الأحمر، وقد ذكرت أن حركتنا قد أنشأت وحدات هجومية لحماية اجتماعاتنا، وبعد أن توسعت دائرة نشاطنا جعلنا من الوحدات نواة من دعيناه "الحرس الخاص"، واتبعنا نظام المنظمات اليمينية في تنظيم الحرس التي عرفت باسم "منظمات الدفاع"، ولكن وجه الشبه لم يتعد التنظيم، فالمنظمات اليمينية كانت تعمل معنا - كما تقدم - من دون هدف سياسي واضح، أما "الحرس الخاص" الذي أنشأناه؛ فكانت مهمته حماية حركتنا القومية التي ترفض تكريس الوضع القائم وتناضل في سبيل خلق ألمانيا جديدة.

*

بعد معركة قاعة "هوفمبروهوس" أطلقنا على وحدة الحرس اسمًا جديدًا هو "فرقة الهجوم" وقد شعر الماركسيون بخطر حركتنا الزاحفة؛ فزادوا من قوة نشاطهم محاولين بالإرهاب وباستعداد السلطات علينا تعطيل اجتماعاتنا، وكانت الصحافة الماركسية تؤدي دورها في التحريض علينا وفي التهليل والتصفيق لكل محاولة يحالفها التوفيق.

ولكن ماذا نقول عن الأحزاب البورجوازية التي كانت تفرح لفرح الماركسيين حين يتمكن هؤلاء من تعطيل أحد اجتماعاتنا؟ فقد كان يفرحهم أن ينهزم حزبنا أمام الماركسي الذي كان قد هزمهم في السابق، وماذا نقول في الموظفين والإداريين ومدراء البوليس، وحتى الوزراء المتظاهرين الوطنية الذين يتسابقون لخدمة الماركسية حين تصطدم بحزبنا الوطني الاشتراكي؟ هذه العقلية المريضة هي التي أجبرت مدير البوليس السابق بوهنر، هذا الموظف المثالي، على القول للذين أرادوا رشوته: "لقد حرصت في حياتي على أن أكون ألمانيًا قبل أن أكون موظفًا، وأنا كألماني صميم لا أسمح لأحد بأن يشك في نزاهة وطهارة ذيلي، وإذا كان لدينا موظفون يقبلون الرشوة، فهؤلاء هم حثالة شعبنا، وإن الدم الذي يسري في عروقهم ليس دمًا ألمانيًا نقيًا"..

لأسباب كهذه كان علينا أن نوسع نطاق منظمتنا الدفاعية، وقد حرصنا على

إظهار فرقة الهجوم بمظهر يستهوي الجماهير، كما حرصنا على أن نجعل منها قوة معنوية مشبعة بالمثالية الوطنية الاشتراكية، فلا يكون لها طابع الجمعية السرية ولا عقلية المنظمات البورجوازية المنشأة لأغراض دفاعية.

وقد قام هذا الحرص للاعتبارات التالية:

- أن التربية العسكرية لدى المنظمات الخاصة تعتمد على المساعدات المالية التي تقدمها لها الدولة، يضاف إلى ذلك أن هذه المنظمات الخاصة تكتفي بالنظام الاختياري، وهذا معناه عدم تمكين القيادة من معاقبة من يجب معاقبته.

لقد كان إنشاء "الوحدات الحرة" ممكنًا في ربيع 1919؛ لأنها أنشئت من المحاربين القدماء والجنود المسرّحين حديثًا، وكلهم سبق وتخرجوا في مدرسة النظام والانضباط أي الجيش الألماني، أما النظام والانضباط ففضيلتان لم تتوافرا لدى رجال "المنظمات الدفاعية البورجوازية"، فهي لم تضم من الجنود والمسرحين إلا نسبة عشر بالمئة، وقد كان تدريب المتطوع في تلك المنظمات يتم بصورة شكلية، فالمتطوّع الذي لم يحمل بندقية من قبل، كان يخضع لتدريب لمدة ساعتين أسبوعيًا على أن تنتهي مدة تدريبه خلال ستة أشهر.

عندما اقترح بعض الرفاق عليّ جعل منظمتنا الهجومية ذات طابع سري؛ عارضت هذا الاقتراح بشدة؛ لأن المنظمات السرية ستبقى ضمن نطاق محدود وضيق خوفًا من افتضاح أمرها تجاه السلطات، علمًا بأن شعبنا يميل إلى الثرثرة، فالمحافظة على سرية القرارات المتخذة أمر صعب جدًا، خصوصًا أن للسلطات مؤسسات بوليسية تتزود بالمعلومات الأولى من المخبرين والجواسيس البارعين في فن الكذب والتلفيق، فحركتنا لم تكن بحاجة إلى مئة متآمر شجاع، ولكنها تحتاج إلى جيش يضم آلاف المناضلين المتعصبين العاملين في وضح النهار؛ ليبهروا الجماهير بمظاهرة القوة وحسن التنظيم، وحركتنا لن تنتصر ما دام الشارع تحت أسياد الشارع القابضين على الزمام.

أما خطر المنظمات لسرية؛ فيكمن في ظاهرة شائعة في أيامنا، فأعضاء هذه المنظمات لا يدركون عظمة مهمتهم، وكل ما يدركونه أن مصير شعب من الشعوب يمكن أن تقرره جريمة قتل!

ويمكن الأخذ بنظرية الاغتيالات حين يكون الشعب خاضعًا لحكم طاغية مستبد، ففي هذه الحالة يمكن أن يبرز مواطن من صفوف الشعب ويغمد خنجره في صدر الطاغية، ولا ننسى أن شيلر مجد في "غليوم تل" جريمة من هذا النوع.

كان يخشى بين عامي 1919 و1920 أن تلجأ المنظمات لسرية إلى سلسلة اغتيالات للانتقام من مسببي الكارثة ومن مستغلي محنة الوطن، ولو أنها فعلت ذلك لجاء هذا الانتقام في غير محله؛ إذ إن الماركسية لم تنجح بفضل عبقرية قادتها، بل نجحت لأن العالم البورجوازي أفسح لها مجال العمل بانطوائه على نفسه.. وأستطيع أن أفهم كيف يلقي البورجوازي الفرنسي سلاحه أمام رجال من طراز "روبسبير ودانتون ومارا"، ولكن أليس من العار أن ينحني البورجوازي الألماني أمام أشباه الرجال أمثال "شيدمان وأرزبرجر وفردريك ألبيرت" وغيرهم من أقزام السياسة؟ لذلك فاغتيال زعيم أو أكثر لن يعود على القضية القومية بأي فائدة ما دام هناك من يستطيع أن يأخذ مكانه، جميع هذه الاعتبارات جعلتني أعارض مشروع جعل "فرقة الهجوم" ذات طابع سري، وحرصت منذ ذلك الحين على أنصارنا من الانتظام في منظمات تعمل في الظلام.

بعد أن قررنا إزالة الطابع السري عن "فرقة الهجوم" وإبعادها عن المنظمات الدفاعية؛ انصرفنا إلى العناية بأمور ثلاثة هي: التدريب، وعلنية الاجتماعات والاستعراضات واللباس الخاص.

أما التدريب؛ فلم ننظر إليه من ناحية عسكرية بحتة، بل حرصنا على جعله منسجمًا ومصلحة الحزب، فمثلًا أولينا الأفضلية للتمارين الرياضية بدلًا من التمارين العسكرية، فقد كان رأيي دائمًا أن الملاكمة والمصارعة اليابانية أفضل من التدريب على الرماية تدريبًا ناقصًا.

ولإزالة الطابع السري عن الفرقة؛ فقد حظرنا على الرجال التستر والتآمر بعد أن وسعنا نطاقها، وحرصنا على توسيع أفكارهم حتى شعروا أنهم حماة فكرة مثالية وأعداء عقيدة غريبة تريد بالوطن شرًا.

أما بالنسبة للباس الخاص؛ فقد حرصنا على جعله لائقًا بالرجال في اللون والزي ونوعية القماش.

وفي أواخر صيف 1922؛ جاءت ثلاث مناسبات كانت بمثابة امتحان للفرقة، فاجتازتها بنجاح باهر أدى إلى نموها وعاد على الحركة بالفوائد الكثيرة، أما المناسبات الثلاث فكانت:

أولًا: التظاهرة التي قامت بها الهيئات الوطنية في ساحة كونيفس في مونيخ احتجاجًا على قانون حماية الجمهورية.

فقد اشترك حزبنا في التظاهرة ومشى الرجال في صفوف متواصلة، منظمة

وكانت فرق الهجوم الخاصة بمدينة ميونيخ تتقدم الصفوف بنظام بديع تحمل على سواعدها خمس عشرة راية، وقد استقبل الشعب هذه الفرق لدى دخولها استقبالًا حماسيًا رائعًا، وكان لي شرف الكامل باسم الحزب؛ فتلوت خطابًا جريئًا ألهب شعور ستين ألف مستمع.

وفي ذلك اليوم بالذات حاول الحمر التعرض لموكبنا؛ فتصدت لهم فرقة الهجوم وصفت حسابهم في دقائق، وهكذا أثبتت حركتنا أنها قادرة على النزول إلى الشارع وفرض سيطرتها عليه، مزيلة ما كان باقيًا من أوهام في أذهان الشعب حول قوة الحمر في ميونيخ.

ثانيًا: زيارة مدينة كوبورج.

قررت المنظمات "العنصرية" عقد مؤتمر ألماني في كوبورج في أكتوبر 1922، وقد تلقيت دعوة للحضور مع الرجاء بأن أصطحب معي نفرًا من أنصار الحزب الوطني الاشتراكي، فقررت أن آخذ ثمانمئة من رجال فرقة الهجوم ونقلهم بقطار خاص من ميونيخ إلى كوبورج، وبناء على التعليمات المرسلة إلى أنصار الحركة في الأماكن التي مر بها القطار، كان يستقبلنا في كل محطة وفود الوطنيين الاشتراكيين ومعهم أعلامهم؛ ما كان له أكبر التأثير في نفوس السكان.

ولكن في محطة كوبورج كانت تنتظرنا مفاجأة مزعجة.

فقد استقبلتنا لجنة تنظيم المؤتمر وأبلغتنا أن النقابات المحلية والحزب الاشتراكي المستقل والحزب الشيوعي والسلطات المحلية؛ قررت بالاشتراك مع منظمي المؤتمر عدم السماح بدخول المدينة إلا بمجموعات صغيرة من دون أي مواكب أو أعلام.. وقد رفضت من دون تردد هذه الشروط الغريبة قائلًا إن هذا المسلك غير مشرف، وصرحت لهم أن فرق الهجوم ستدخل المدينة صفوفًا متراصة تتقدمها الأعلام والموسيقى، وهكذا كان.. وقبل أن نغادر المحطة وصلت جماهير غفيرة كانت تنتظر إشارة من خصومنا لتتحرش بنا، وراحت تكيل لنا الشتائم، لكن فرقنا لم تلتفت إليها واستمرت في تنظيم صفوفها، ووصلت قوات من البوليس ورافقت الموكب إلى قاعة "هوفمبروهوس" في وسط المدينة، وقد لحقت بنا الجماهير الغاضبة من دون أن ترتد عن التحرش بنا، وما أن دخلنا القاعة حتى هجم المشاغبون يريدون اقتحامها، لكن البوليس سارع إلى إقفال الأبواب كمن يريد وضع الاجتماع تحت حمايته، فجمعت الرجال فورًا وطلبت منهم أن يكونوا على استعداد تام، ثم طلبت فتح الأبواب حالًا، وقلت لقائد البوليس إننا قادرون على حماية الاجتماع بطريقتنا الخاصة عندما يحين الموعد، وأفهمته أننا

نريد الذهاب إلى مركز الحزب في كوبورج، فأمر بفتح الأبواب وسلكنا طريقا آخر متجهين إلى المركز منشدين الأناشيد القومية، ولمّا وجد الحمر وحلفاؤهم أن الشتائم لم تخرجنا عن وقارنا؛ عمدوا إلى رشقنا بالحجارة، فنفد صبر الرجال وشمّروا عن سواعدهم القوية وهجموا على المعتدين وفي أقل من عشر دقائق؛ خلت الشوارع من المشاغبين.

وقد حصلت اصطدامات عنيفة في الليل في عدة أحياء من كوبورج، وقد اعتدى الحمر على إخوان لنا من أبناء المدينة بشكل وحشي، ولكن رجال فرقة الهجوم أعادوا الكرة عليهم ونظفوا الشوارع منهم، وسحقت إرهاب الحمر الذي سيطر على كوبورج لسنوات.

لكن الماركسيين لم يكتفوا بما حصل، فدعوا إلى تظاهرات شعبية يمشي فيها ألوف العمال، وزعمت نشراتهم أن "الوطنيين الاشتراكيين دخلوا المدينة ليقوموا فيها بحملة إرهابية ضد العمال المسالمين"، ولما علمت بالخبر أمرت فرق الهجوم بتجهيز ألف وخمسمئة رجل بالاشتراك مع الأنصار المحليين، ومشيت على رأس هذه القوة إلى قلعة المدينة مرورًا بالميدان الذي دُعيَ العمال إلى التجمهر فيه، وقد كان هدفنا تحدي الخصوم وتلقينهم درسًا لا ينسونه، لكننا لم نجد في الميدان إلا بضع مئات من الرجال والنساء والأولاد، فمررنا بهم تتقدمنا الأعلام والموسيقى من دون أن يحركوا ساكنًا أو تبدو من أحدهم بادرة عداء.

كان لمظاهرتنا فعل السحر في نفوس السكان، فبعد أن كانوا غير مكترثين لنا؛ وقفوا على الأرصفة يحيونا ويهتفون لحركتنا، كما أنهم شيعونا في المساء حتى المحطة، وهناك فوجئنا برفض الموظفين المختصين قيادة القطار العائد بنا إلى ميونيخ، وكان هذا بتحريض من النقابيين الماركسيين الذين تجمهروا حولنا ليراقبوا تطور الموقف، ولكني فاجأتهم بقولي إنني لن أتورع عن احتجاز العشرات منهم في إحدى عربات القطار الذي سنتولى نحن قيادته على الرغم من عدم معرفتنا بالقيادة، وإذا تدهور القطار سنهلك ويهلك معنا الذين احتجزناهم، وهذا الاقتراح ينسجم مع مبدئهم في المساواة حتى في الموت، وكان لهذا التهديد نتيجة حسنة؛ إذ تحرك بنا القطار من المحطة في الموعد المحدد ووصلنا ميونيخ في اليوم التالي سالمين.

لم تظهر نتائج رحلتنا إلى كوبورج دفعة واحدة، ولكن رجال "فرقة الهجوم" عادوا من رحلتهم وقد ازدادت ثقتهم بأنفسهم وبرؤسائهم، وكذلك الذين استخفوا بحركتنا في بدايتها، فقد بدؤوا ينظرون إلى الحزب الوطني الاشتراكي

كمؤسسة قوية ستتمكن يومًا ما من الوقوف في وجه الوباء الماركسي في ألمانيا.

أما انتصارنا في كوربوج؛ فقد شجعنا على مواجهة الإرهاب الأحمر في كل مدينة وقرية، وتمكنا من سحقه حتى في المناطق الخاضعة لسيطرة الحمر، وهكذا أعاد حزبنا حرية عقد الاجتماعات وتنفس الناس الصعداء في بافاريا لسقوط كابوس الماركسية الرهيب، وما أن انتهى عام 1922؛ حتى أصبح لدنيا أفواج جديدة ألّفنا منها ومن الأفواج السابقة "جيش الهجوم".

ثالثًا: في مارس 1923 احتل الفرنسيون منطقة الروهر، فأجمعت الأحزاب والمنظمات ذات الطابع القومي على ضرورة جعل المنظمات الدفاعية وحدات عسكرية ذات طابع هجومي، وقد أسهمنا نحن في ذلك وأتحنا لجيش الهجوم فرصة الإسهام في الدفاع عن شرف الوطن، وما أن انتهى هذا التدريب المؤقت حتى أعدنا لجيش الهجوم طابعه الأول: جندي الحركة وعنوان قوتها وحامي مثاليتها.

-16-

القناع الفيدرالي

في أثناء عامي 1919 و1920 اضطر حزبنا الناشئ إلى تحديد موقفه من قضية كان قد جرى حولها جدال طويل في أثناء الحرب.

في فصول سابقة وصفت أعراض الانهيار الذي كان يهدد البلاد.. وهي منصرفة إلى منازلة الأعداء الشديدي المراس، ولمحت إلى المحاولات التي لجأت إليها الدعايات الإنجليزية والفرنسية لتوسيع الخلاف بين جنوب ألمانيا وشمالها، ففي ربيع عام 1915 ظهرت نشرات حليفة تحمل بروسيا وحدها تبعة نشوب الحرب، وفي شتاء عام 1916 تركزت الدعايات على ألمان الجنوب مشجعة إياهم على التحرر من سيطرة البروسيين، ولا بد من الاعتراف أن الدعايات حول الحوادث اللاآدمية بين ألمان الجنوب والشمال لم تكن دائمًا كاذبة ومغرضة.. ولا بد من الإقرار أيضًا أن السلطات الألمانية المدنية والعسكرية خصوصًا السلطات البافارية تُلام أشد اللوم لعدم تعرضها للصحافة الألمانية الثرثارة التي كانت تنشر مقالات تبرز النزعات الانفصالية.

بدأ الحقد على بروسيا والبيت المالك أول ما بدأ في ميونيخ، ولا يسعنا إلا الاعتراف بأن الشعب لم يكن ليقع في شرك الدعايات الحليفة لو لم تكن الأدلة كافية على سوء نية ولاة الشأن، فقد كانت إدارة الاقتصاد القومي سيئة جدًا،

وكانت برلين مستأثرة بالسلطة، وبرلين في نظر الرجل العادي هي بروسيا.

كان الشعب يعلم أن أمور الحرب التي تبرم منها متجمعة كلها في برلين، ولكنه كان يجهل أن منظمي أمور الحرب لم يكونوا برلينيين أو بروسيين، وأن معظمهم لا يمت إلى ألمانيا بصلة.. أما حكومة بافاريا فكانت على علم تام بكل شيء، ومع ذلك بقيت متجاهلة تفاقم التيار المعادي لبروسيا بدلًا من أنّ توقفه وتزيل ما علق بأذهان الناس من أوهام.

أما اليهودي الماكر الذي نظم مصالح الحرب ليسرق الشعب بواسطتها، فقد تبنه إلى أن النقمة ستنفجر بوجهه، ولتفادي هذا الانفجار عمد إلى التفريق بين أبناء الوطن الواحد، فحرض بافاريا على بروسيا والعكس بالعكس، ووقعت كلتاهما في الفخ الذي نصبه ونسوا خطورة العلقة الدولية التي كانت تمتص دماء الشعب.

واستمرت الحال على هذا الشكل إلى أن نشبت الثورة، فانتهزها اليهود والبلاشفة فرصة ذهبية لتفكيك روابط الوطن الألماني، وعين منظم الثورة في بافاريا نفسه وصيًا للمصالح البافارية، مع أنه آخر من يحق له الكلام باسم الشعب البافاري وهو اليهودي الشرقي ذو الماضي المجهول.

لقد حرض منظم الثورة البافارية "كورث أميزنر" على صبغ الحركة بطابع الهجوم على باقي أجزاء الرايخ، وهو إذ يحرص على هذا إنما ينسجم مع نفسه كيهودي أصيل ومنفذ لتعليمات اليهودية العالمية، التي شاءت تقطيع أوصال الوطن الألماني قبل بلشفة شعبه.

وحين أنقذت القوات الألمانية بافاريا من مخالب البلاشفة؛ ادعت دعايتهم أن نضال الحمر في سبيل بقاء سيطرتهم أنه "نضال العمال البافاريين ضد العسكريين البروسيين"، وقد كان لهذه الدعاية المغرضة صداها المطلوب، فازداد نفور البافاريين من بروسيا كما ازداد حقدهم عليها.

في ذلك الحين نزلت أنا إلى المعترك لكي أسهم في الحد من هذه الدعايات، ودعوة المواطنين إلى تفهم عواقب انقسامهم.

كانت مهمتي صعبة لأن النقمة على بروسيا بلغت حدًا من الذروة في الأوساط البافارية، ففي كل مدينة أو قرية كانت تقوم منظمات خاصة تحض السكان على كراهية البروسيين وتدعوهم إلى الانفصال.

لكني قررت الصمود في وجه التيار؛ فحضرت اجتماعًا عقده غلاة

الانفصاليين في قاعة لوفن ـ بروكلر في ميونيخ، وذهبت بمرافقة بعض الأصدقاء، وبعد أن انتهى أول الخطباء، نهضت من مكاني وارتجلت كلمة صريحة نددت فيها بالنزعة الانفصالية، وقلت لهم إن النزاع القائم لن يسفيد منه إلا المغامرون الدوليون من يهود وماركسيين، لكن صراحتي هذه أغضبت الحاضرين وتصدت لي جماعة منهم تريد مهاجمتي؛ لولا أن أحاطني رفاقي الشجعان بسواعدهم وأخرجوني من القاعة.

وتكررت مداخلاتي منذ ذلك الوقت وازداد عدد المؤيدين والأصدقاء، ولكن الانفصاليين لم يتركونا وشأننا؛ بل كانوا يعتدون على رفاقي بالضرب واللكم بشكل وحشي مؤسف.

وبعد قيام الحزب تبنى وجهة نظري، وقام بالعبء الضخم الذي قمت به وحدي في عام 1919 والأشهر الأولى من عام 1920، معتمدًا على وطنية المناصرين من أبناء بافاريا الذين بذلوا جهدهم لتنوير أذهان مواطنيهم، متحملين أنواع الأذى وشتى أنواع الاعتداءات.

ولما ازدادت حملة الحزب ضد الاتجاه الانفصالي عمد اليهود إلى تكتيك جديد لتغطية لعبتهم الخطرة؛ فزعموا أن الحركة التي افتعلوها تهدف إلى إنشاء دويلات الرايخ على أساس اتحاد فيدرالي، بشرط أن تقطع بروسيا لمصلحة الدويلات المجاورة لها، وهكذا افتضحت اللعبة الانفصالية الخطيرة وتسهلت بالتالي مهمتنا إلى حد كبير، وجاءت حادثة "دورتن" الانفصالي الريناني الخائن، فأزالت الوهم العالق في أذهان المخدوعين من أبناء بافاريا، وتبين لهم أن زعماء الحركة الانفصالية والفيدرالية مأجورون للأجنبي ويعملون لحساب إنجلترا أو فرنسا.

وقد لاحظنا أن الحملة التي استهدفت بروسيا انصبت على العناصر البروسية المحافظة دون غيرها، باعتبار أن المحافظين رفضوا دستور فيمار الذي وضعه الألمان الجنوب واليهود.. وعندما شعر اليهود بتلاشي الحركة الانفصالية؛ صرفوا الأذهان عن أعمالهم في السلب والنهب والإيقاع بين المحافظين البافاريين والمحافظين البروسيين.

أما الشعب؛ فكان في غفلة عن دسائس اليهود، وفي شتاء عام 1919 حاولنا تنوير الأذهان إلى الخطر اليهودي المتفاقم، لكن الناس استنكروا هذه الحملة ونعتونا بالمتعصبين، ولابد من الاعتراف بأن الفضل الأكبر في إثارة المسألة اليهودية يرجع إلى "عصبة الدفاع والهجوم" التي نشأت في العام المذكور، والتي تبنى فكرتها الحزب الوطني الاشتراكي وجعلها محور حركة شعبية واسعة الناطق؛

لكن اليهود علموا بهذا الخطر الجديد، فبادروا إلى حماية أنفسهم معتمدين طريقتهم التقليدية، فأثاروا القضايا المذهبية في ثلاث صحف مأجورة، ووقفوا يتفرجون على الجدل العقيم بين الكاثوليك والبروتستانت، وعلى ما نجم عن هذا الجدل من انقسام بين صفوف العنصريين القائمين بالحركة اللاسامية.

نسي الكاثوليك والبروتستانت عدوهم المشترك ليقاتلوا بعضهم بعضًا، نسوا هذا الغريب ذا الشعر الأسود والأنف الطويل الذي يعيش عالة عليهم ويدبر لهم المؤامرات ويلطخ دمهم الآري، نسوا أن اليهودي الوسخ هو عدو المسيحية لا فرق عنده بين كاثوليكي وبروتستانتي، وهو الذي يتجاسر على هدر كرامة الآري النبيل حامل مشعل الحضارة عبر الأجيال.

نسوا كل هذا ليدخلوا في جدل عقيم حول قضايا بعيدة عن جوهر الدين بُعد الأرض عن السماء، وقامت الصحافة الماركسية والملحدة لتزيد النار اشتعالًا بنشرها آراء الطرفين السخيفة، وبدلًا من أن يبادر العنصريون إلى إخماد النار نزلوا إلى المعترك وأدخلوا الحركة العنصرية في النزاع الديني القائم، وفي هذه الأثناء كان اليهودي يتابع تلويث دم شعبنا وهدر كرامته وتحطيم مصالحه، وكان أعداؤنا في الخارج يقسمون العالم فيما بينهم ساخرين من مشكلاتنا الداخلية الحقيرة.

اضطر الحزب الوطني الاشتراكي إلى تحديد موقفه من النزاع القائم بين الفدراليين وأنصار الدولة الموحدة، فقد وجب عليه إبداء رأيه في هذا النزاع من دون أن يتدخل تدخلًا فعليًا.

كان علينا والحالة هذه أن نحدد مفهومنا الدولة الاتحادية؛ لأن هذا التعبير قد أسيء فهمه حتى في عهد بسمارك.

فالدولة الاتحادية هي مجموعة دول مستقلة اتحدت فيما بينها وتنازلت لهذا الاتحاد عن بعض حقوقها كدول ذات سيادة، وهذا التعريف لم يطبق عمليًا في الدول الاتحادية الموجودة، فالولايات المتحدة الأمريكية مثلًا لم تنشأ عن اتفاق دول ذات سيادة باعتبار أن هذه الولايات التي تألف منها الاتحاد لم تكن دولًا ذات سيادة أصلًا، حتى إن بعضها جاء نتيجة الاتحاد نفسه، كذلك الولايات لم تمارس أية سيادة لا قبل الاتحاد ولا بعده، فهي تمارس الحقوق التي حددها لها الدستور وأصبحت كامتيازات محلية.

كذلك لا ينطبق هذا التعريف على ألمانيا انطباقًا تامًا، رغمًا عن كون الدول التي يتألف منها الاتحاد قد سبق قيامها إنشاء الاتحاد، فالرايخ الألماني لم ينشأ عن

اتفاق بين الدول الألمانية أو نتيجة تعاون متساوٍ بينها؛ بل كان نتيجة تفوق إحداها أي بروسيا.

فبروسايا كانت من ناحية المساحة أكبر الدول الألمانية، وأكثرها عطاء، فكان من البديهي أن تتزعم حركة تكوين الدولة الاتحادية، يضاف إلى ذلك أن سيادة الدويلات الألمانية كانت اسمية فقط، وبذلك يمكن القول إن هذه الدويلات تنازلت للاتحاد عن حقوق لم تمارسها أو ربما مارستها جزئيًا.

ليس هناك مجال لبحث قضية هذه الدويلات، وتكفي الإشارة إلى ضعف تركيب هذه الدويلات، وأن نذكر أن إنشاءها كان لاعتبارات سياسية محضة وفي أسوأ العهود التي مرت بالرايخ، أي عهود ضعفه وانهياره.

عندما أنشأ بسمارك الرايخ الألماني أخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار، فجعل تمثيل دول الاتحاد في مجلس "البوندسرات" متناسيًا أهمية كل منها، وكان معتدلًا في تعزيز سلطة الرايخ على حساب الدويلات التي يتألف منها، فما أخذ منها إلا ما كان الاتحاد بحاجة ماسة إليه، كما حرص في الوقت نفسه على احترامٍ العادات والتقاليد المحلية، وقد شاء المستشار الحديدي مداراة الدويلات الألمانية تاركًا للزمن إتمام ما بدأ به هو؛ لأن الطفرة غير مضمونة العواقب، وبذلك برهن على بعد نظره وسلامة تفكيره، وهكذا نما الرايخ نموًا كبيرًا على حساب الدويلات الألمانية.

أما بعد الحرب والهزيمة؛ فكان من البديهي أن تفقد الدويلات الألمانية أهميتها بمجرد زوال الأنظمة الملكية، ورأينا الكثير من هذه الدول الوهمية تندمج في دول أخرى مجاورة لها أو تتعلق بركابها.

وبالإضافة إلى الضربة القاصمة التي وجهت إلى نظام الرايخ الاتحادي نتيجة لانهيار النظام الملكي، فقد أجهزت على هذا النظام الشروط والالتزامات التي فرضتها علينا معاهدة الصلح؛ إذ إن الرايخ جرد الدول الألمانية من صلاحياتها المالية عندما فرضت عليه التزامات مرهقة لا يتمكن من احتمالها بالاعتماد على الوسائل العادية المتوافرة لديه، و لم يكن تأميم السكك الحديدية والبريد سوى نتيجة حتمية لسياسة التخاذل التي تبعها الرايخ حيال المنتصرين، فقد اضطرته الحاجة الماسة إلى المال ليقوم بالتزاماته إلى أن يضع يده على موارد البلاد كلها.

فلو عرفت الأحزاب الألمانية كيف تنهي الحرب نهاية حسنة لما اضطر الرايخ إلى الاستئثار بالسلطة وتجريد الدول الألمانية من معا لم سيادتها إرضاء للمنتصرين، لكن الأحزاب تجاهلت حقوق الرايخ ومصالحه إبان الحرب، وذلك لتلتفت

لخدمة مصالحها الخاصة.

إن الذين يبكون اليوم على السيادة الضائعة والحقوق السلبية؛ هم من المنافقين الذي يحاولون تغطية مساوئهم، فهم أسهموا إسهامًا مباشرًا في القضاء على الأسس التي وضعها بسمارك للدولة الفدرالية، وقاموا اليوم باتهام الرايخ بالأنانية ليبرئوا أنفسهم تجاه الناخبين، والأدهى من ذلك أن الأحزاب تحاول أن تضع اللوم على الحكومة الاتحادية في برلين وتعتبرها المسؤولة عن إشراف الرايخ على مالية الدويلات الألمانية، هذا الإشراف الذي أثار الحقد في الأوساط الشعبية.

إن الشعب الألماني لم ينقم على الرايخ لأنه انتزع من الدويلات التي يتكون منها مقومات سيادتها، بل هو نقم عليه لأنه لم يعبر عن أمانيه، وقد بقي الرايخ الحالي منقومًا عليه من الألمان، ولئن تكن القوانين الاستثنائية والتدابير الإرهابية ضامنة لسلامة المؤسسات الجمهورية، لكن هذه القوانين لن تنجح في تقريبها من قلوب الشعب.

كيف نطلب من الشعب أن يتعلق بالدولة، حينما يشعر أن دولته خاضعة تمام الخضوع للقوى الدولية التي تسببت في خراب بلاده وجرتها إلى هذه النهاية المؤسفة، فقد كان الشعب فخورًا بانتمائه إلى الرايخ الألماني السابق، وكان يجد فيه الطمأنينة في الداخل كما يجد فيه مظاهر العظمة والقوة في الخارج، أما الجمهورية فتضطهد المواطن في الداخل بينما تتخاذل حيال الخارج.

إن الدولة القومية النشيطة ليست بحاجة إلى سن القوانين العديدة في الداخل، فالمواطنون يحترمونها ويؤيدونا، وبالتالي يبعدون عن كل ما يسيء إلى سمعتها، لكن الدولة ذات الطابع الدولي تسخر رعاياها بالقوة وتعامله معاملة العبيد، لذلك فالنظام الحالي في ألمانيا لا يمكن أن يصف مواطنيه بأنهم "مواطنون إحرار"، فهذا كان شأنهم أيام الرايخ السابق، أما الآن فالجمهورية تستعبد شعبها لخدمة الأجنبي، وليس لديها مواطنون ولا هي تملك علمًا قوميًا، أما الرمز الذي اختارته فقد احتقره الشعب و لم يعترف به.

تجد الدولة الحالية نفسها مضطرة إلى تجاهل حقوق الدويلات الألمانية، لا لاعتبارات مادية فحسب، بل لاعتبارات سيكولوجية، فهي حين تتبع طريقة إرهاق الشعب بالضرائب والكبت والتضييق على الحريات تخشى انفجار النقمة الشعبية يومًا ما وتتحول إلى ثورة مكشوفة، وهي تجنح تدريجًا إلى الاستئثار بالسلطة كلها منتزعة من حكومات الدويلات الألمانية البقية الباقية من معالم السيادة.

من الواضح أن دول العالم المتمدن تتجه إلى المركزية، وألمانيا لن تشذ عن هذا التطور، فالتشبث بسيادة الدويلات في الرايخ الألماني هو السخف بعينه، سيما والدويلات هذه قد فقدت أهميتها ومرتكزها الأساسي لسيادتها "الملكية"، فالنظام الفدرالي كان له ما يبرره حين كانت وسائل النقل والمواصلات بطيئة، أما اليوم فبفضل المخترعات الحديثة اختصرت المسافات الطويلة وأصبح بالإمكان الانتقال من ميونيخ إلى برلين في ساعات معدودة.

إذن فالاتجاه نحو المركزية هو تطور لا بد منه.. أما نحن ـ الوطنيين الاشتراكيين؛ فنجد أنفسنا مجبرين على محاربة هذه المركزية حين تتم في الوقت الحاضر لمصلحة دول تسيء استعمال سلطتها، فالرايخ الحالي لم يؤمم مثلاً السكك الحديدية تمشيًا مع نهج قومي واضح نبيل، لكنه اعتمد التأميم لينفذ شروط المنتصرين وينزل عند رغباتهم.

لذلك وجد حزبنا نفسه معاديًا للمركزية، وهناك سبب آخر لمعاداة المركزية، فهي قد تؤدي إلى تقوية نظام حكام معين كان و لم يزل وبالاً على الأمة الألمانية، ولما كان هدفنا الرئيسي القضاء على النظام "الديمقراطي – اليهودي"، وإقامة دولة عنصرية يتوافر فيها للشعب جو العمل والإبداع، فقد قررنا والأحزاب البافارية، التي بدأت تتبرم بازدياد صلاحيات الرايخ الجديد، وتعادي المركزية، وقد حاولنا رفع القضية إلى مستوى رفيع يجعل منها قضية قومية وألمانية بعكس ما يريدها "حزب الشعب البافاري" قضية محلية ذات طابع خاص.

وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن السببين السابقين، فقد تجمع لدينا أكثر من دليل على أن اليهود هم وراء جنوح برلين نحو المركزية المطلقة، وإن ما يدعى "بالتأميم من أجل الرايخ الألماني"، لم يكن في الحقيقة إلا محاولة لسحب المشروعات الكبيرة من الدويلات؛ ليتمكن اليهود والأحزاب التي يوجهونها من استثمار تلك المشاريع بأنفسهم ولمصلحة مؤيديهم، فبعد تأميم البريد قامت السلطات بطرد موظفي الإدارة القدامى وعينت مكانهم أشخاصًا تثق بهم وبولائهم إلى الجمهورية، وعهدت بفريق من الخبراء اليهود لعملية الإشراف على الاستثمار.

يجب ألا نفسر محاربتنا للمركزية بأنها محاربة للمبدأ بحد ذاته، فنحن من محبذي توسيع صلاحيات الرايخ؛ لأن الدولة نفسها ليست أكثر من شكل أما الجوهر الذي يحتويه هذا الشكل فهو الشعب، ومن الواضح أن مصلحة الدولة يجب أن تخضع لمصلحة الشعب وتنسجم معها، ولما كانت النزعات الخاصة لكل دويلة من الدويلات الألمانية تتعارض ومصلحة الشعب الألماني، فنحن نكون ضد هذه النزعات ولا نعترف للدويلات بحقوق الدولة ذات السيادة، ونطالب

بمنعها من تبادل الممثلين الدبلوماسيين مع الخارج، باعتبار أن هذه النزعة الخاصة تكشف عن ضعف الرايخ في العواصم الأجنبية وتغري به الطامعين.

فالدولة القومية التي نطمح إليها إنما هي دولة موحدة لن تعتبر المركزية وسيلة للاستئثار بالمنافع، ولن تعمل على القضاء على ميزات البافاريين وأبناء الساكس والبروسيين وغيرهم.. فهي ستشجع مثلا بقاء ميونخ عاصمة الفن الألماني الرفيع، وليبزيج عاصمة العلوم، ولكنها بالوقت نفسه لن تسمح بأنه يكون لبافاريا جيش ذو طابع بافاري وللساكس جيش ذو لباس وأعلام خاصة به.. فالجيش الألماني في الدولة القومية يجب أن يبقى بعيدًا عن التيارات الخصوصية؛ لأن الدولة القومية ستجعل منه بوتقة تنصهر بها النزعات المختلفة، فينسى الجندي البافاري أنه له وطنين بافاريا والرايخ، فيعتز بأنه ينتسب إلى الأمة الألمانية.

قلت إن الحزب الوطني الاشتراكي هو ضد المركزية التي تتم لمصحلة الرايخ الحالي، لكن الحزب يرجب بكل خطوة تخطوها الجمهورية لتنظيم الجيش وإخضاعه للمركزية.. أليس من العار أن يبقي الجندي البافاري في ثكنة ميونيخ والجندي من وارتمبورج في ثكنات شتوتجارت وأبناء إمارة فرنكوني في ثكنات نورمبرج؟ ألا يكون أفضل للبافاري أن تتاح له فرصة زيارة بلاده فيرى تباعًا رينانياو وستفاليا ومنطقة بحر الشمال؟ وأن نتيح لابن هامبورج رؤية الألب ولابن بروسيا الإقامة في ميونيخ لبعض الوقت؟

إن الدولة التي ندعو لها بالمركزية؛ هي التي تكمل ما بدأه بسمارك من دون أن تتعرض للطابع الخاص لكل جزء من أجزاء الوطن الألماني، وهي التي تحمل هذه الأجزاء على التنازل بمحض إرادتها واختيارها عن آخر حق من حقوقها في السيادة.

هذه الدولة التي تطلب هي الدولة العنصرية التي تسود فيها العقيدة الوطنية الاشتراكية.

أخيرًا يتهمنا الانفصاليون في بافاريا أننا نعمل لمصلحة برلين، بينما يتهمنا الحمر بأننا انعزاليون متعصبون، كذلك تتهمنا برلين بأننا نقف في طريق المركزية التي تريدها.

إن الحركة القومية تسخر من الحدود المصطنعة والنزعات المفتعلة؛ لأنها تعمل على تحقيق الوحدة الألمانية الشاملة، والسير بالأمة الواحدة طريق المجد والعظمة.

- 17 -

هتلر والحركة النقابية

الدعاية والتنظيم

كان لعام 1921 معنى خاص بالنسبة لي شخصيًا، وبالنسبة إلى الحركة الوطنية الاشتراكية، فبعد أن أصبحت عضوًا في حزب العمال الألماني اضطلعت بمهمة تنظيم الدعاية للحزب والإشراف على توجيهها، وذلك بعد مضي بضعة أشهر من انضمامي إلى الحزب، وقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن مسئوليتي ستتعدى التنظيم والإشراف من الناحية الإدارية؛ بل ستتعداها إلى نشر الفكرة نفسها، فالدعاية يجب أن تسبق التنظيم لتجمع حول الفكرة أكبر عدد ممكن من الناس، ولم أبدل رأيي هذا فيما بعد لاقتناعي أن الترتيبات المرتجلة لا يمكن أن تنبثق منها منظمة حية؛ لأن المنظمات تستمد وجودها من كائن عضوي ينمو نموًا طبيعيًا مستمرًا.

عندما يتبنى فريق من الناس فكرة ما؛ نراهم يسارعون إلى تنظيم جمعية أو حزب ينضمون إليه، وهذا التطور السريع له ميزته الكبرى، ولكن في أغلب الأحزاب تبرز في هذه المنظمة أو الحزب شخصية موهوبة تصلح للزعامة؛ فتفرض نفسها والحركة لا تزال في بدايتها وتعمل على رسم سياستها وتوجيهها، لكن الاستئثار قبل أن تنتشر الفكرة بشكل كاف؛ يؤدي في أغلب الأحيان إلى نتائج سيئة ويكون وبالًا على الفكرة وعلى الحزبَ الذي يأخذ بها.

لذلك يجب العمل على نشر الفكرة أولًا، وحين يتجمع حولها عددٌ ضخمٌ من المؤيدين، يمكن البحث عن الأشخاص المؤهلين للزعامة، ويخطئ من يعتقد أن العلوم النظرية تكفي للشخص بأن يصبح مؤهلًا لاحتلال مركز الزعامة، فالمفكرون لا يصلحون للتنظيم؛ لأن عظمة المفكر ومؤسس المنهج تقوم على المعرفة وسن القوانين، لكن المنظم يجب أن يكون رجلًا عمليًا مطلقًا على نفسية البشر ليعالج القضايا بشكل موضوعي، ولا يسقط من حسابه، في محاولتها إنشاء منظمة، الضعف البشري والنزوات الحيوانية.

من النادر أن نجد صاحبِ فكرة مؤهلًا للزعامة، ولكن باستطاعتنا إيجاد زعماء بين صفوف المحرضين مثلًا؛ لأنهم يكونون أعلم من غيرهم بنفسية الجماهير نتيجة احتكاكهم بهم، فالمفكر دائمًا منطوٍ على نفسه مستغرق في تأملاته بمعزل

عن الناس، فالتوجيه والقيادة يعنيان تحريك الناس أو الشعب، أما موهبة خلق النظريات والمبادئ؛ فإنها لا تؤهل صاحبها للزعامة.

لقد أجهد فريق من المتناظرين أنفسهم في نقاش طويل حول مسألة عقيمة هي: من يستحق شكر الإنسانية: صاحب الفكرة أم منفذها؟ وقد سها عن بالهم أن أعظم الأفكار تبقى من دون قيمة إن لم يخلق لها زعيم يتمكن من جذب الجمهور إليها، كما أن أقدر الزعماء وأذكاهم يبقى عاجزًا عن توجيه حركة لا يضع أهدافها رجل مفكر، وكان إذا اتفق واجتمعت في شخص واحد مواهب الفكر والتنظيم والزعامة وهذا نادر، انبثق من هذا الاجتماعِ الرجلُ العظيم ـ الفوهرر.

قلت إنني انصرفت إلى تنظيم الدعاية؛ وقد وضعت نصب عيني توفير نواة العتاد البشري الذي يمكن اعتماده كأساس للعمل المنظم، وبتوافر النواة تألفت العناصر الأولى للمنظمة، فقسمناها إلى قسمين: الأنصار والأعضاء، وأصبح من واجب الدعاية حشد الأنصار، ومن واجب المنظمة نفسها كسب الأعضاء، أما الفرق بين الأنصار والأعضاء؛ فهو أن الأنصار تؤيد مبادئ الحركة وأهدافها، أما الأعضاء فهم الذين يجاهدون في سبيل هذه الحركة.

إن عمل الدعاية هو في كسب الأنصار، وعمل الأعضاء هو اختيار الأنصار، وجعل المناسب منهم عضوًا في الحركة ولا يتطلب من الأنصار أكثر من الأخذ بالفكرة؛ ولكن العضو عليه أن يمثل هذه الفكرة ويدافع عنها وينشرها، لذلك كان الأعضاء قلة في المنظمة وكان الأنصار أكثرية ساحقة.

كان على الدعاية التي عهد إلي بتنظيمها وتوجيهها أن تجمع الأنصار للفكرة، وبعد ذلك تختار الحركة الأعضاء من بين هؤلاء الأنصار، ولم يكن على الدعاية أن تعرقل هؤلاء الأنصار وتصنفهم حسب كفاءاتهم ومعارفهم، فهذه الغربلة من اختصاص المنظمة نفسها التي يمكنها اختيار الأعضاء الصالحين لتوجيه الحركة والسير بها إلى النصر.

*

تعمل الدعاية على نشر فكرة ما بين الشعب كله، أما المنظمة فلا تدخل لديها إلا الذين لا يستطيعون لأسباب سيكولوجية، أن يقفوا حجر عثرة في طريق انتشار الفكرة.

*

تدخل الدعاية في ذهن الشعب فكرة من الأفكار وتعمل على ترسيخها في أذهانهم معدة إياهم ليوم النصر، أما المنظمة فتكافح في سبيل النصر معتمدة على هؤلاء الأنصار خصوصًا على الذين يتصفون بالشجاعة والإقدام.

*

يتوقف انتصار الفكرة على مدى النجاح الذي تحرزه الدعاية في كسب الأنصار، أما انتصارها فيبقى مرتبطًا بتنظيم الهيئة التي يعهد إليها قيادة النضال.

تظل الحركة بحاجة إلى العديد من الأنصار مهما بلغ عددهم، ومتى تمكنت الدعاية من إقناع شعب كامل؛ تتمكن بالتالي المنظمة من استغلال هذا النجاح بقبضة من الرجال، بذلك فإن كل خطوة موفقة تقوم بها الدعاية تخفض من عدد الأعضاء العاملين، أما وبحال فشلت الدعايات المنظمة؛ فإن الحركة ستحتاج إلى جهاز أكبر من الموظفين والأعضاء، لذلك يمكن القول إن عدد الأنصار يزداد نتيجة فشل الدعاية وينقص نتيجة نجاحها.

*

أولى مهمات الدعاية اجتذاب الناس إلى الحركة، وأولى مهمات المنظمة كسب هؤلاء الناس ليتابعوا الدعاية؛ وثانية المهمات الدعائية هي إثارة النقمة على الأوضاع السائدة وإقناع الناس باعتناق العقيدة الجديدة، أما مهمة المنظمة الثانية؛ فهي الجهاد من أجل القوة لاستخدامها في تهديد أسس الأوضاع السائدة ونصرة العقيدة الجديدة.

*

يُضمن النجاح لحركة ثورية جديدة إذا مهد لها بتعليم الشعب كله مفهوما جديدا للكون وللحياة، أو حتى بفرض هذا المفهوم فرضا عند الزوم، ففي كل حركة ذات أهداف انقلابية يجب على الدعاية أن تقوم بنشر مبادئ تلك الحركة وتشرحها وترسخها في عقول الناس، أو على الأقل تسعى لزعزعة العقائد القديمة، والدعاية بحاجة إلى مرتكز قوى يمكن توفيره بواسطة قوة المنظمة التي تعتبر كمرتكز للدعاية وعلى المنظمة أن تختار أعضاءها من بين الأنصار الذين استمالتهم الدعاية إلى صفوف الحركة الجديدة، وتشتد قوة المنظمة حين يقبل الناس على اعتناق الفكرة، كما يتسع نشاط الدعاية حين يكون وراءها منظمة قوية.

على المنظمة أن تسعى دائمًا لمنع ظهور أي خلافات بين أعضائها، تلك الخلافات التي من شأنها إحداث شقاق يؤدي إلى إضعاف الحركة، وبالتالي عليها أن تسهر على الإبقاء على روح الكفاح مشتعلة لتقوى وتزداد يومًا بعد يوم، ولتحقيق هذا الغرض المزدوج لا تحتاج المنظمة إلى زيادة مطردة في عدد أعضائها؛ لأن الحزم والشجاعة هما من صفات القلة المختارة وفي التاريخ أكثر من دليل على ما آلت إليه الحركات التي نمت بسرعة من ضعف وتفكك، لأنها فتحت ذراعيها بعد نجاحها الذين رفضوا الاعتراف بها ومساعدتها قبل أن تبلغ هذ النجاح.

إن الحزب ذا الأهداف الانقلابية سيفقد طابعه الثوري حين يزداد عدد أعضائه بصورة غير طبيعية على أثر إحرازه انتصارًا حاسمًا، لأن الجبناء والأنانيين الذين وقفوا موقفًا لا مباليًا من الحركة في أثناء كفاحها الأول؛ لا بد لهم بعد انتصارها من التزلف لها وخطب ودّها، فإذا هي قبلت بهم وأدخلتهم في منظمتها؛ فسرعان ما يحولونها عن أهدافها الحقيقية ويسخرونها لخدمة مصالحهم الخاصة.

لذلك كان عليّ إقناع رفاقي بوجوب إقفال الباب في وجه الجمهور حين نحرز أول انتصار حاسم لنا؛ لنتمكن من المحافظة على النواة السليمة والخيرة التي أوكلنا إليها مهمة القيادة والتوجيه والسعي لتحقيق أهداف الحركة.

باشرت بإعداد الأفكار الجديدة للحركة الوطنية الاشتراكية، بصفتي مديرًا للدعاية في الحزب، وحرصت في الوقت نفسه على تصفية العناصر المائعة والمترددة والخائفة وإقصائها عن اللجان التنفيذية والهيئات العاملة، وقد أقر لي المئات من الأنصار أنهم مع كونهم مخلصين للحركة كأعضاء عاملين، وذلك لاعتبارات شخصية أو خوفا من المتاعب التي هم في غنى عنها، فلو فتحنا مجال الدخول لعضوية الحزب أمام هذا النوع من الأنصار المترددين؛ لكنا قضينا على الحركة في مهدها ولأصبحت حركتنا حركة إخاء وحب وتقوى.

وقد ترتب على إعطاء الشكل النضالي الحي لحركة الدعاية التي تسلمتها؛ إظهار الحركة الوطنية الاشتراكية بمظهر التطرف؛ ما أقصى عنها الاتكاليين والوصوليين والانتهازيين وضعفاء النفوس، وجعل عضويتها وقفًا على المتصفين بالجرأة والإقدام.

في صيف عام 1921؛ لجأ فريق من العنصريين النظريين إلى الاتفاق مع رئيس الحزب وضع أيديهم على الحركة والانحراف بها عن غايتها، لكننا أحبطنا المحاولة وانتخبتني الجمعية العمومية رئيسًا للحركة وأعطتني صلاحيات مطلقة

للعمل، وفي الوقت نفسه وافقت الجمعية العمومية على مشروع نظام يخول الرئيس المنتخب صلاحيات جديدة ويحد بالتالي من صلاحيات اللجان والهيئة المركزية أي مكتب الحزب، وقد بدأت عهدي الجديد بإعادة تنظيم الحزب؛ لأن الحركة كانت قد تبنت الأنظمة التقليدية ووزعت السلطة بشكل ضاعت معه المسؤوليات.

ففي عام 1919 - 1920؛ قامت بإدارة الحركة لجنة انتخبتها مجالس الأعضاء، وكانت هذه اللجنة تتألف من رئيس ورئيس ثان وأمين صندوق وأمين ثان وأمين سر ومعاون، يضاف إليهم جميعهم لجنة من الأعضاء ورئيس الشؤون الدعاية وغيرهم.

وكانت هذه اللجنة المنتدبة صورة مصغرة لما كانت الحركة تحاربه أي النظام البرلمان، وكانت اجتماعات اللجنة صورة طبق الأصل من جلسات البرلمان، فالقرارات تتخذ بالأغلبية والمسئولية تائهة ضائعة وكذلك المؤهلات.

وكان للجنة أمناء سر وأمناء صندوق وهيئة لتنشئة الأعضاء الجدد وهيئة للدعاية وغير ذلك.. وكان هؤلاء يشتركون جميعهم في درس القضايا المعلقة ويصوتون عليها، وكذا كان الرجل المختص في شئون الدعاية والتنظيم.

لقد انتقدت هذه الفوضى حين كنت عضوًا عاديًا، وبعد أن كلفت بشؤون الدعاية انقطعت عن حضور الاجتماعات، ومنعت أعضاء اللجنة من التدخل في الحقل الذي أفردته الحركة لنشاطي.

وما أن انتخبت رئيسًا وخولت الصلاحيات الكاملة بموجب النظام الجديد؛ حتى باشرت بوضع حد للفوضى السائدة، وحصرت المسؤوليات بي شخصيًا، وابتداء من شهر سبتمبر 1921؛ أصبح الرئيس الأول هو المسؤول الوحيد عن الحركة، فهو الذي يكلف أعضاء اللجنة بمهامها، ويختار معاونيه ويوجههم، ويعتبر كلًا منهم مسؤولا تجاهه عن المهمة التي كلف بها، وسرعان ما ألفت الحركة مبدأ المسؤولية المطلقة، أما الأقلية التي لم ترق لها الأوضاع الجديدة؛ فقد طردتها من الحزب وبلغت جميع الفروع بوجوب طرد كل عضو يحن إلى مبدأ الأكثرية، لأن الحركة التي أخذت على عاتقها محاربة النظم البرلمانية؛ يجب أن تحرر نفسها من تلك النظم قبل تحرير البلاد، وقلت في خطابي الذي ألقيته في الجمعية العمومية إن الحركة التي تقوم في زمن طغى فيه مبدأ الأكثر على مبدأ مسؤولية الفوهرر هي الحركة المؤهلة لتغيير الأوضاع القائمة وإنشاء نظام جديد يصلح ما أفسدته الأنظمة القديمة.

عندما انضممت إلى الحزب في خريف 1919؛ كان عدد الأطباء المؤسسين ستة فقط، ولم يكن للحزب مكتب ولا موظفون حتى ولا أدوات للكتابة، وكانت اللجنة المؤسسة تعقد اجتماعاتها في المقاهي أو الحانات، ولكن منذ أن انضممت إلى الحزب حاولت أن أجد مكانًا يصلح لعقد الاجتماعات، وكان عليّ أن أراعي حالة الحزب المالية، فلا أرهق ميزانيته في المصاريف، فوجدت في حانة ستربنكر في شمال "ثال" حجرة كانت ملتقى مستشاري "الإمبراطورية المقدسة" في بافاريا كلما أرادوا عقد اجتماع سري.

كانت الغرفة مظلمة تطل نافذتها الوحيدة على زقاق ضيق، حتى إننا كنا نلاقي صعوبة في تبين طريقنا إلى الباب في النهار، ولم يكن باستطاعتنا استئجار مكان أنسب منه باعتبار أن وضع صندوق الحزب لا يسمح بذلك، ومع هذا كان ما حققناه في هذا المضمار يعتبر خطوة لا بأس بها، ولم تمض مدة طويلة حتى أوصلنا الكهرباء إلى الغرفة المظلمة وكذلك حصلنا على هاتف خاص، كما تبرع بعض الرفاق المقتدرين بشراء مكتب وبضعة كراسي وخزانة صغيرة، ولما لم يكن للحزب موظفون للأعمال الروتينية؛ فقد اقترحت تعيين أمين سر للحزب، فوقع اختيارنا على أحد أصدقائي القدامى وهو جندي قديم يدعى "شوسلر" الذي اضطلع بأعباء المهمة دون أن ينفك عن عمله، فكان يعمل في المكتب ساعتين يوميًا من السادسة صباحًا حتى الثامنة، ثم ازدادت مسؤولياته كأمين سر، وذلك بازدياد نشاط الحزب واتساع نطاق عمله، فترك عمله الخاص وحصر نشاطه في خدمة الحزب، واستجلب آلة ناسخة كان يمتلكها ووضعها في المكتب لتساعده في عمله، ولكن الحزب اشتراها منه بأموال التبرعات، كما اشترى صندوقًا حديديًا لحفظ الملفات والوثائق المهمة.

في نهاية عام 1920 انتقلنا إلى مكتب جديد في شارع كورينوس مؤلف من ثلاث غرف وقاعدة كبيرة، وفي شهر ديسمبر من العام نفسه؛ عمل الحزب الوطني الاشتراكي على إصدار جريدة، فأخذ على عهدته إصدار جريدة "فولكيشر بيوباختر" التي كانت تعطف على النزعة العنصرية؛ فبدأنا بإصدارها نصف أسبوعية، إلى أن أصدرناها في مطلع عام 1923 يومية وبحجم كبير، لكنها كانت الجريدة الوحيدة ذات الميول العنصرية في بلد تتلاعب بعقول سكانه الصحافة اليهودية المضللة، وقد شعرت في اللحظة الأولى لانتقال الجريدة إلى الحزب أنها أضعف من أن تثبت ضد حملات الصحف المعادية وأن تنافسها في الانتشار والرواج، أما سبب الضعف؛ فيعود إلى قلة الإمكانات المالية وقصر نظر القائمين على إدارة الصحيفة، فقد اعتقد هؤلاء أن جريدة الحزب يجب أن تكتفي بمواردها الخاصة، أي بما تجنيه من أجور اشتراكات وإعلانات ومبيعات، أما أنا فقد اعتبرت الجريدة مشروعًا تجاريًا وقد ناقشت اللجنة المركزية مرارًا إلى أن

أقنعتها وحملتها على الأخذ بوجهة نظري، فعملت بعد ذلك على اختيار مدير تجاري لجريدة الفولكيشر بيوباختر، وشاءت الظروف أن يضع في طريقي أحد الرؤساء في خط النار "ماكس أمان" وهو رجل يتمتع بمواهب تنظيمية خارقة، وكان الحزب في ذاك الوقت يجتاز مرحلة دقيقة ويعاني أزمة مالية خانقة، فناشدته أن يدير شئون الحزب المالية والتجارية، فوافق بعد تمنع كثير بسبب مشاغله الكثيرة الناجحة التي كانت تأخذ كل وقته، لكنه اشترط للاضطلاع بهذه المهمة أن تطلق يده في العمل، فلا تتدخل اللجنة في عمله ضمن الحزب.

وقد تولى ماكس أمان الإشراف على الجريدة من الناحية المالية، ولم تمض ثلاثة أشهر حتى كانت مالية الحزب منتظمة على أساس تغطية النفقات العادية بالعائدات العادية، وإنفاق المداخيل الإستثنائية في الوجوه الاستثنائية، وقد نظم ماكس العمل في الحزب كأنه ينظم عملاً تجاريًا، فأبعد العناصر التي تنقصها الكفاءة من الوظائف في الحزب وفي الجريدة، واستعان في بعض الحقول بأشخاص لهم من الكفاءات والمؤهلات ما ينسجم والمصلحة المالية، رغمًا عن كونهم غرباء عن الحزب، وقد عارض المسئولون هذا الأسلوب، لكن ماكس لم يلتفت لمعارضتهم هذه باعتبار أن الانتساب للحزب لا يؤهل المنتسب لأداء مهام هو غير كفء لها، إلا أن هذا لم يمنعه من الاستغناء عن خدمات الغرباء حين يجد بين الأعضاء من تتوافر فيه الشروط المطلوبة.

وبفضل حزم المدير الجديد للحركة؛ استطاع الحزب أن يتخطى الأزمة المالية بسلام؛ فازدهرت جريدة الفولكيشر بيوباختر وتصدرت مكانها اللائق بين الجرائد الرئيسية في بافاريا، وبعد أن انتخبت رئيسًا للحزب تخلص ماكس نهائيًا من مداخلات اللجنة؛ لأن النظام الجديد وزع الاختصاص توزيعًا دقيقًا انتفى معه تعارض الصلاحيات، وأصبح كل عضو مسئولاً عن الحقل الذي تعود إليه إدارته، وعندما حلت السلطات الحزب يوم التاسع من سبتمبر عام 1923 وصادرت أمواله وممتلكاته بما فيها جريدة فلوكيشر؛ بلغت قيمة هذه الممتلكات 170 ألف مارك ذهبي.

- 18 -

الحركة النقابية

في عام 1923؛ اضطرنا نمو الحركة إلى تحديد موقفنا من قضية لم تظفر حتى يومنا هذا بحل نهائي.

فحين كنا نبحث عن الوسائل التي تمكننا من غزو قلوب الشعب؛ كنا نصطدم باعتراض لا سبيل إلى إنكار أهميته؛ إذ لا يتمكن العامل أو أي شخص كادح آخر أن ينذر نفسه للحركة التي ندعو إليها طالما أن مصالحه الاقتصادية ممثلة في أشخاص تختلف آراؤهم السياسية عن آرائنا، ذلك أن أي عامل أو ذا حرفة لا يتمكن من ممارسة أي عمل خارج النطاق النقابي، فضمن نطاق النقابة يشعر بالاطمئنان إلى وجود حماية له ولحرفته، وعند ظهور حركتنا كان هناك ثمانون بالمئة من العمال وأصحاب الحرف منتظمين في نقابات وجمعيات تعاونية ناضلت طويلًا في سبيل رفع الأجور وتخفيض ساعات العمل.

وفي وقوف البورجوازيين أحزابًا وأفرادًا من الحركة النقابية موقف المتفرج اللامبالي، ولكن ما أن اشتد ساعد النقابات وسيطرت عليها الماركسية، حتى وقف البورجوازيون لمحاربتها على الصعيد النظري البحت، عوضًا عن معالجة هذه القضية بروح إيجابية محاولين استمالة هذه الحركة الجديدة إلى جانبهم ليستخدموها في مكافحة الماركسية.

وقد دافعت في فصل سابق عن الحركة النقابية واعترفت بحق الطبقات العمالية في التحالف والتكتل والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم، ما دام هناك أرباب عمل أنانيون لا يهمهم إلا الكسب المادي ومراعاة مصالحهم الخاصة، و لم تتغير وجهة نظري مذ ذاك؛ لأن عقلية أرباب العمل لم تتغير، لذلك وجب على الحزب أن يحدد رأيه وموقفه من هذه القضية قبل أن يحاول استمالة العمال إلى صفوفه لا سيما النقابيون.

فإن علينا أن نفصل في القضايا التالية:

1. هل من الضرورة قيام النقابات؟
2. أينبغي للحزب النازي أن يعتبر نفسه هيئة تعاونية أم يجوز له أن يعمل على إدخال أعضائه في إطار نقابي معين؟
3. إذا أنشأ الحزب نقابة نازية محضة، فما هي أهداف تلك النقابة وما هي واجباتها؟

أظن أنني وضحت رأيي في المسألة الأولى، حين اعترفت بضرورة قيام النقابات في الأوضاع الراهنة؛ لأن المؤسسات النقابية تأتي في طليعة المؤسسات ذات الأثر في حياة الأمة اجتماعيًا واقتصاديًا؛ لأن شعبًا يؤمن لسواده حاجاته الحيوية ضمن نطاق مؤسسة نقابية معترف بها، لهو شعب قادر على الانتصار في معركة البقاء بفضل تمتعه بقوى روحية ومادية ضخمة.

ولا ننسى أهمية النقابات في البرلمان الاقتصادي الذي يجب أن تؤلفه الغرف التجارية والاقتصادية في الدولة العنصرية.

إن الاعتراف بضرورة قيام الحركة النقابية يجعل المسألة المثالية سهلة الحل، فالحركة النازية ـ وقد سميناها كذلك منذ عام 1923 ـ التي تهدف إلى إنشاء الدولة العنصرية؛ لن تسمح بوجود مؤسسات على هامش الدولة، بل ستحرص على قيامها جميعًا من صميم الدولة، لكن حركتنا لن تقع في الخطأ الذي وقع فيه سواها، فتحاول إعادة تنظيم الأجهزة قبل أن تحصل على العناصر المؤهلة للتنظيم، لأن القيام بخطوة حاسمة في هذا السبيل، يجب أن يسبقه اختيار رجال مشبعين بالفكرة مؤمنين بها، نعم من الممكن فرض مبادئ زعيم أو دكتاتور على جهاز اجتماعي ما، لكن هذه المبادئ تبقى ضعيفة إذا لم يأخذ بها جيش بشري منتخب وقادر على تحقيق فكرة ألفوهرر.

لن تقع النازية في الأخطاء التي وقعت بها الأحزاب في العهد الجديد ـ العهد الجمهوري ـ فقد اعتقدت تلك الأحزاب أن مجرد سنها دستورًا جديدًا للبلاد؛ سيضمن له الاستقرار والبقاء، وقد رأيناها ترتجل دستور "فيمار" وتقدمه هدية إلى الشعب الألماني، ثم وجدناها تهدم المؤسسات القائمة وتشيد على أنقاضها مؤسسات جديدة تتوكأ عليها كأسس لسلطتها.

سيكون للدولة النازية مؤسساتها، ولكنها لن ترتجل هذه المؤسسات؛ لأن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تُبنى على الرمال، ولكنها تنظم نفسها منذ الآن كما لو أنها دولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وكل مؤسسة نازية تقوم الآن تكون بمثابة النواة لأن تصبح فيما بعد إحدى دعائم الدولة النازية، وهكذا تصبح حركتنا بمنظماتها ومبادئها ومفاهيمها المؤسسة الكبرى التي نعتبر تحقيقها المبرر الوحيد لقيام حزبنا.

لذلك وجب على الحركة النازية أن تنظم نفسها على أساس التعاون أو أن تؤسس تعاونيات نازية صرفة، كما ينبغي للحركة النازية أن تربي العمال وأصحاب العمل تربية نازية مسهلة للطرفين في سبيل التعاون ضمن إطار المصلحة المشتركة، فبغير هذا التقارب يبقى الجهد المبذول في سبيل بعث الجماعة الشعبية حبرًا على ورق.

بقيت لدينا المسألة الثالثة:

لن تكون الحركة النقابية النازية كجهاز للنضال الطبقي، بل ستكون جهازًا للتمثيل الحرفي، فالدولة النازية لا تعترف بالطبقات ولكنها تعترف من الناحية

السياسية فقط بوجود بورجوازيين متساوين في الحقوق والواجبات العامة، وكذلك بوجود رعايا لا يتمتعون من الوجهة السياسية بالحقوق المعترف بها للمواطنين.

فالتعاونية لا تعني بالنسبة للحزب الوطني الاشتراكي أو النازي أداة للنضال؛ لكنها تعني ذلك بالنسبة للماركسية التي سخّرتها في الصراع الطبقي كأداة لتفكيك روابط الجماعة الشعبية، كما استخدمتها اليهودية العالمية في الوقت نفسه كأداة لهدم أسس الاقتصاد القومي لكل دولة مستقلة؛ ليتسنى لها استبعاد الشعوب الحرة.

لن يكون الإضراب بالنسبة للنقابات النازية، وسيلة لتخريب الإنتاج القومي وتقويض أسسه؛ بل سيكون الإضراب وسيلة من وسائل الازدهار لهذا الإنتاج، فبفضل جهاد النازية وكفاحها ضد العوامل المصطنعة التي تفوت على الاقتصاد القومي؛ فرصة الإفادة من نشاط السواد، ستبعث بذلك الازدهار والنمو للإنتاج القومي.

يجب علينا أن نفهم رب العمل النازي أن ازدهار مشاريعه يتوقف على اطمئنان عماله إلى مستوى معيشتهم وارتياحهم إلى وضعهم.

في الدولة النارية يمثل أرباب العمل والعمال الشعب الألماني في الميدان الذي يعملون فيه، ويتمتعون بقدر كاف من الحرية الشخصية؛ لأن إنتاج الفرد يزداد بحال أعطيت له حرية العمل ضمن الحدود التي ترسمها المصلحة العامة.

لكن حق الإضراب تنكره قطعًا الدولة النازية على النقابات إذا كانت أسباب الرفاهية والطمأنينة متوافرة للعامل، ويوم تتجاهل الدولة ـ سواء كانت نازية أو غير نازية ـ حقوق العمال والكادحين، وتعتبر نفسها حامية لمصالح أرباب العمل؛ يصبح عندئذ الإضراب واجبًا مقدسًا بل من أقدس الواجبات للتعاونيات النازية.

إن المنازعات القائمة اليوم بين ملايين البشر، يجب أن توجد لها تسويات عادلة بواسطة الهيئات الحرفية والبرلمان الاقتصادي المركزي، الذي سيضم في كنف الدولة النازية، ممثلين عن الصناعيين والتجار، كما يضم ممثلين عن النقابات، وبقيام هذه المؤسسات يجب أن يزول التنازع بين البروليتاريا وأرباب العمل، وبالتالي سيمتنع العمال عن المطالبة برفع الأجور وتخفيض ساعات العمل، كي يتمكن ممثلوهم في البرلمان الاقتصادي من حل هذه المشكلات بالاتفاق مع ممثلي الفريق الآخر، وذلك لمصلحة الطرفين التي لا تتعارض مع مصالح الدولة.

ولكن.. كيف يمكننا إنشاء هذه التعاونيات التي تتوافر فيها الشروط المذكورة.

إن وضع الأسس في أرض بكر، أسهل من وضعه في أرض سبق استعمالها للغرض نفسه، وليس هناك أسهل من فتح دكان في منطقة خالية من الدكاكين، ولكن فتح الدكان هذا في منطقة تشكو تضخمًا في الدكاكين.. لهو مغامرة كبرى، لا سيما إذا كان الدكان يبيع البضاعة نفسها الموجودة في الدكاكين القديمة، ففي هذه الحالة يتوجب على الجديد أن يضاعف جهوده ليتمكن من الثبات، كما يتوجب عليه السعي لإزالة المزاحمين من طريقه، وهذا ينطبق على النقابات تمامًا، فقيام نقابة نازية إلى جانب نقابات أخرى لن يعطي ثماره؛ لأن هذه النقابات لن تتسامح مع النقابات الأخرى ولو كانت هذه النقابات صديقة، ولا تدخر وسعًا في سبيل القضاء عليها ليخلو لها الجو، لذلك فقد وجدت حركتنا نفسها أمام أمرين:

1. إنشاء تعاونية نازية ومحاربة النقابات الماركسية القائمة.

2. التسلل داخل النقابات الماركسية ونشر مبادئ حركتنا في صفوف النقابيين لكسبهم جنودًا لمثلنا.

لم يكن حزبنا في وضع مالي يمكنه من اعتماد الطريقة الأولى، كان تدهور النقد الألماني بشكل مطرد من الأسباب التي لم تشجع الحزب على الإغراء بالفوائد المادية للذين يمكن دعوتهم إلى الانتظام في تعاونية وطنية اشتراكية صرفة، يضاف إلى هذا العامل الرئيسي عامل آخر لا يقل عنه أهمية، هو افتقار حركتنا إلى شخصيات قوية يمكن الاتكال عليها في أمور تنظيم الحركة النقابية الوطنية الاشتراكية، ولو وجدت هذه الشخصية وقدر لها نشر فكرة التعاونية النازية والقضاء على النقابات الماركسية، لو وجدت هذه الشخصية لوجب علينا رفعها إلى مرتبة العظماء الألمان وأن نقيم لها تمثالًا في كل مدينة وقرية.

إن الذين يسيطرون على مقدرات النقابات الماركسية ليسوا أفذاذًا، وحتى الذين أنشئوا هذه النقابات ورسموا لها أهدافها لم يكونوا نوابغ، علمًا أن هذه النقابات حين تم إنشاؤها لم يكن عليها أن تزيل المنافسين من طريقها، لذلك كانت مهمة الذين أنشئوها سهلة، لكن الحركة النازية اليوم تواجه عملاقًا قويًا ثابت القدم متأكدًا من مقدرته على الكفاح الطويل.

إن قلعة التعاونية الماركسية يمكن أن يدير شؤونها رجل عادي اليوم، ولكن لا يمكن اقتحام أسوارها بحملة من الهجوم العادي، ولكن يجب علينا للوصول إلى

هذا الغرض، أن نسلم القيادة إلى رجل عبقري يتصف بالجرأة والحزم، فإذا لم نجد رجلًا كهذا؛ فلا لزوم لنا أن نجهد أنفسنا ونحاول قلب الأوضاع الراهنة.

ألا يكون أفضل التخلي عن مشروع ما بدلًا من تحقيقه بشكل ناقص لعدم وجود الإمكانات؟

كان وراء تخلينا عن اعتماد الطريقة الأولى أسباب أخرى؛ منها اقتناعنا التام بأن إدخال الاقتصاد في نشاطنا النضالي من شأنه إضعاف هذا النشاط؛ إذ يكفي أن تقول الدعاية إنه بوسع الفرد الألماني أن يبني بيتًا إذا هو اقتصد قليلًا، يكفي هذا القول ليتحول الفرد الألماني بكل اهتمامه إلى هذه الناحية وينصرف عن السياسة انصرافًا كليًا، ويرفض أن يمد يد المعونة إلى الذين يناضلون في سبيل القضاء على اللصوص الذين يسلبون المواطنين أموالهم التي وفروها.

وكان رأيي في الاجتماعات الحزبية أن حركتنا لا تزال فتية وطريق الكفاح أمامها لا يزال طويلًا، فعليها قبل أن تجابه الحركات النقابية الماركسية وغيرها من الذين يدورون في فلكها على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي؛ أن تعمل أولًا على نشر مبادئها ودعوة الشعب إلى اعتناق هذه المبادئ، ولن تتمكن الوطنية الاشتراكية من النجاح إلا بعد أن تجند جميع قواها لهذه المهمة، أما إذا وزعت قواها واعتنت بالاقتصاد والسياسة معًا؛ فإنها ستخسر المعركة في الميدانين.

بقيت الطريقة الثانية وهي ذات اتجاهين: فإما أن ندعو الوطنيين الاشتراكيين إلى ترك التعاونيات التي هم أعضاء فيها، أو نطلب منهم البقاء فيها ليحاولوا بنشاطهم هدمها، وقد اقترحت الاتجاه الثاني، وكان رأيي دائمًا أن الاعتناء بالحركة التعاونية سابق لأوانه، أما حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية فيجب أن يقوم بها الحزب بعد وصوله إلى الحكم، وعندما أصر بعض الرفاق على وجوب إنشاء هذه التعاونيات النازية ودعمت الأكثرية هذا الاقتراح؛ حدث الانقلاب في الحزب وانتخبت أنا رئيسًا له، فاستبعدت الفكرة نهائيًا وأوضحت في نشرة دورية أن تعاونية نازية تكون مهمتها الوحيدة منافسة التعاونيات الماركسية لن تفيد حركتنا شيئًا، كما أن الحزب بوضعه المالي الراهن لا يتحمل أعباء مالية جديدة لإنشاء تعاونيات تصلح للوقوف في وجه الحركة النقابية اليسارية؛ لأنه يفتقر إلى المغريات، ولأن أنصاره من الكادحين لم يتشبعوا بالفكرة الوطنية الاشتراكية بشكل كاف، كي يمكنهم فهم رسالتهم، كنقابيين نازيين بأنها كفاح مرير لا ضد النقابات الماركسية كنقابات فحسب، بل كعقيدة يجب القضاء عليها.

وأوضحت في نشرة لاحقة أن خصوم الحركة يقولون إن الحزب النازي

يناصب الحركة النقابية العداء؛ لأنه ذو ميول رأسمالية، وقلت إن الحركة النازية لم تكن موجهة ضد النقابات من حيث إنها مؤسسات ترعى مصالح العمال، ولكنها ضد النزاع الطبقي وتحارب كل تجمع نقابي يقوم على هذا الأساس.

*

إن الأحزاب التي قامت بعد الحرب لم تكن تدري بهذه الحقائق التي عرضته،ا فحاولت أن تقلد الماركسيين في الحقل النقابي، وأنشأت بين 1919 - 1922 ست نقابات يمينية ونقابتين مستقلتين، إحداهما نقابة عمال الصناعات الخفيفة، لكن جميع هذه المؤسسات لم تدم طويلاً؛ لأنها كانت بحاجة إلى التنظيم وإلى المثالية، ولأن الذين أنشئوها كأداة لمحاربة الماركسيين؛ لم يحسنوا تقدير قوة خصمهم الذي سحقهم سحقًا حين تحرشوا به، و لم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

*

- 19 -

سياسة المحالفات

لم يكن لحكومات الرايخ أي نهج تسلكه في سياساتها الخارجية، لم يكن لديها مبادئ ترتكز عليها سياسة المحالفات التي تنسجم ومصالح البلاد، أما الثورة فلم تفعل شيئًا؛ بل تركت الفوضى تدب في الصفوف؛ لأنه لم يكن من أهداف الماركسيين واليهود في وقت من الأوقات النهوض بالدولة الألمانية وتقويتها في الداخل والخارج باتخاذ سياسة بناءة مستوحاة من مصالح الشعب الألماني، بل كان أول أهداف مجرمي نوفمبر 1918 القضاء على الإنتاج في ألمانيا وإخضاع البلاد لسيطرة الرساميل الدولية، و لم يسهُ عن بال رجال الثورة أن تخلص الرايخ من القيود التي فرضها عليه المنتصرون يعني زوال نجمهم هم؛ لأن تحرر البلاد من السيطرة الأجنبية يفسخ أمامها طريق الحرية لتتمكن من إعادة الأمور إلى مواضعها، وذلك بطرد الخونة والمغامرين الدوليين.

ذلك أن الشعب الناهض لتحرير نفسه ينمو فيه الشعور الوطني نموًا عجيبًا وتستيقظ حواسه إلى كل نشاط للعناصر غير القومية، فيحاربها من دون هوادة، والشعوب تنفض دائمًا هذه الانتفاضة كلما واجهت ضغطا أجنبيًا يؤدي إلى تفجير الأحقاد الداخلية، فيصب الرأي العام جام غضبه على الفئات الموالية للأجنبي أو التي تقف في سبيل نهضته القومية.

وقد أدركت الطفيليات التي استغلت حوادث نوفمبر أن سياسة المحالفات إن كانت رشيدة فستقوى الشعور الوطني وتعيد الثقة إلى نفوس الألمان، فيعيدونها إلى القعر الذي خرجت منه ويخلصون البلاد من آثامها.

وهذا ما يبين لنا سبب تخبط السياسة الخارجية الألمانية بعد الحرب وسلوكها السبيل الأعوج، وسوء الإدارة الداخلية وتجاهلها لمصالح الأمة الحيوية.

لم تكن الحكومات مسئولة وحدها عن هذا الوضع الشاذ، فقد شجعها على تجاهل مصالح البلاد البرلمان المؤلف من أكثرية لا قومية، والشعب الذي ضرب رقمًا قياسيًا في الصبر وطول البال، ولا بد من الإقرار أن حزبنا لم يهتم بالسياسة الخارجية اهتمامًا كبيرًا وهو بعد حركة ناشئة تحاول أن تثبت وجودها، وكانت حجتنا أن كسر القيود التي فرضها الأجنبي لا يتم إلا بعد القضاء على الضعف الداخلي والإطاحة بالذين يستغلون هذا الضعف، لذلك ركزنا الاهتمام على الإصلاح الداخلي أولًا والشئون الخارجية ثانيًا.

وعندما قويت الحركة وازداد عدد أنصارها وجدت نفسها مضطرة إلى تحديد موقفها من المسائل التي كانت تثيرها معاهدات الصلح، وهي لم تكتف بهذا القدر؛ بل عمدت إلى وضع الأسس التي يجب أن تنتهجها السياسة الخارجية الألمانية، ومن دون أن تبتعد عن المخطط العام الذي ترتكز عليه مفاهيمنا العقائدية.

كان على حركتنا أن تثقف الشعب وتدل المسئولين إلى الطرق الواجب اتخاذها ليتمكن شعبنا من استخلاص حقوقه واستقلاله، وقد وضعنا أمامنا المبدأ الأساسي التالي:

السياسة الخارجية هي الواسطة لبلوغ غاية سامية، والغاية هي خدمة مصالح الشعب، فكل مسألة من مسائل السياسة الخارجية يجب أن تراعي بحلولها مصلحة الشعب في حاضره ومستقبله، وأن تنبذ كل حل يعود بالضرر على هذه المصلحة.

هذا هو الاعتبار الوحيد الذي يجب علينا أن نقف عنده، والذي تسهل أمامه جميع الاعتبارات الأخرى من دينية وإنسانية وغيرها.

*

قبل الحرب كان على السياسة الخارجية أن تهتم بتوفير الغذاء لشعبنا بتمهيد السبل المواصلة إلى هذه الغاية، وأن تؤمن للرايخ قوة إضافية باعتمادها نظام

محالفات مستوحى من الاختبارات، وقد بقيت هذه المهمة عينها بعد الحرب مع فارق واحد، فقبل عام 1914 كان على ألمانيا أن تحافظ على كيان الشعب وتؤمن له مسببات البقاء، معتمدة على دولة قوية ومستقلة، أما اليوم.. فعلينا أن نعيد إلى شعبنا المقدرة على بعث الدولة القوية الحرة، فمن دون هذه الدولة القوية لا يمكن ممارسة سياسة خارجية قادرة على صون كيان الشعب وتأمين غذائه وأسباب نموه.

ومجمل القول: يترتب على سياسة ألمانيا الخارجية في الوقت الحاضر أن تهيئ للشعب الألماني السبل التي يجب عليه أن يعتمدها ليستخلص استقلاله ويسترد اعتباره وحريته، ولا يسهو عن بال الذين يثبطون العزائم بآرائهم السخيفة أن توحيد أراضي الدولة ليس بالشرط الأساسي لنجاح الثورة التحررية، فيكفي أن يحصل على الحرية جزء صغير من الدولة ليتولى إعداد العدة للكفاح واسترداد حقوق الشعب المسلوبة.

وعندي أن شعبنا يفضل العبودية على رؤية بلاده مجزأة، هو شعب لا يستحق الحرية، وأفضل منه ألف مرة شعب ينهض القسم المتحرر منه لتحطيم الاستعمار وقيادة معركة الخلاص التي تزيح الكابوس عن الشعب كله، ولا يكفي أن يعلن القسم الحر الطليق أن الشعب متحد اتحادًا روحيًا وثقافيًا، بل عليه أن يتخذ الإجراءات الكفيلة بدعم بقية الشعب الذي يرزح تحت وطأة الظلم، فيمده بالسلاح ويدربه على استعماله ويحثه على العمل المشترك لجمع شتات الأمة.

وعندما يكون الأمر متعلقًا بدولة أضاعت جزءًا من أرضها؛ يتوجب على الوطن الأم أن يبدأ باسترداد اعتباره واستعادة قدرته السياسية قبل أن يفكر باسترداد الجزء الذي أضاعته، وبكلمة أخرى أن مصالح الأراضي المفقودة يجب أن يُضحى بها في مثل هذه الأحوال، وذلك للالتفات إلى ناحية أهم وهي تحرير الوطن الأم، ذلك أن تمنيات الجزء المغتصب ومعارضة الأجزاء المتمتعة بالحرية لن تفيد شيئًا ولا تؤدي بالتالي إلى تحرير المناطق الخاضعة لسيطرة الأجنبي، فمهمة التحرير مناطة بالأجزاء المتحررة، ولكي تتمكن هذه الأجزاء من القيام بهذه المهمة؛ ينبغي لها أن تقوي نفسها وتزيد من إمكانياتها؛ ليصبح في مقدورها يومًا ما أن تحمل السلاح في وجه العدو المستعمر وتجبره على الرحيل.

إن صناعة سلاح الانتقام والتحرير يجب أن تقوم بها سياسة الحكومة الداخلية، كما أن همة السياسة الخارجية فتكون في تمكين صانع السيف من العمل في جو يسوده السلام والطمأنينة.

*

في الجزء الأول من الكتاب شرحت العوامل التي انحرفت بسياسة ألمانيا الخارجية عن أهدافها قبل الحرب، فقد كان هناك أربع وسائل بإمكاننا اعتمادها كلها أو إحداها في محاولاتنا الحفاظ على كيان شعبنا وتأمين الغذاء له، وقد اختارت السلطة في ذلك الوقت إحدى الوسائل فنهجت سياسة استعمارية وتجارية ظنًا منها أن هذه السياسة لن تشكل خطرًا على ألمانيا ولن تضطرها بالتالي إلى مسك السلاح، ولكن النتيجة كانت اندلاع الحرب العالمية وهزيمة الرايخ.

كان على الرايخ أن يلجأ إلى وسيلة غير التي اتبعها، فكان بإمكانه التوسع في أوروبا نفسها وعلى حساب أوروبا نفسها، ومن ثم يفكر بنهج سياسة الاستعمار، أما التوسع في أوروبا؛ فيجب أن يسبقه تفاهم بين ألمانيا وإنجلترا، أو تخصيص موارد الدولة كلها على تعزيز الجيش كي تزداد قوتها العسكرية وتنمو على حساب نشاطها في بقية الحقول ولا سيما الحق الفكري، لكن الرايخ لم يقدم على هذه الخطوة، وقد سها عن بال المسئولين أن النهضة الفكرية هي بنت الاستقلال السياسي، وأن الأمة التي تنتابها الهواجس ويستبد بها القلق على مستقبلها؛ لن تتمكن من تقديم نتاج فكري ذي قيمة، فالتضحيات مهما كانت قيمتها فإنها تهون في سبيل حرية الأمة، ومتى توافرت لدى الأمة قوة عسكرية ضخمة وذهب عنها الخوف؛ أمكنها عند ذلك أن تعوض ما فاتها في ميادين الثقافة، فالنهضة الفكرية في عصر بيركليس جاءت بعد حروب طاحنة بين الإغريق والفرس، وقد رأينا الجمهورية الرومانية تنصرف إلى العلوم والفنون وغيرها من ميادين التثقيف حالما تحررت من المخاوف والهموم التي سببتها الحروب.

ولكن هل كان منتظرًا من الأكثرية الجاهلة أو البرلمانيين الثرثارين والساسة الانتهازيين أن يقدموا الأهم على المهم وأن ينشئوا الإعداد العسكري الكافي، مضحين في هذا السبيل بما يعتبره الشعب الجاهل مصالح مهمة.

كل هذا كان ممكنًا تحقيقه على يد رجل مثل فردريك الكبير، الذي كان شغله الشاغل تقوية الرايخ عسكريًا وسياسيًا، أما الذين كانوا يأملون من النظام البرلماني الديمقراطي اليهودي خطوة كهذه؛ فقد كانوا أغبياء حقًا؛ لأن تقوية الرايخ عسكريًا وسياسيًا هي آخر ما يفكر به البرلمانيون الذين باعوا أنفسهم للشيطان.

دخلت ألمانيا الحرب العالمية من دون أن تكون مستعدة لها، وعندما شعر المسئولون بالضعف؛ كان الأوان قد فات، فاضطروا - والحالة هذه - إلى البحث عن حلفاء يعتمدون عليهم ليسدوا هذا النقص، ولكنهم بدلًا من أن يحالفوا الإنجليز ليتوسعوا في الشرق أو يحالفوا الروس ليأمنوا شرهم ويتفرغوا لمقارعة

الأعداء في الغرب، أغضبوا الروس والإنجليز معًا، و لم يجدوا من يحالفون إلا آل هايسبورج.

*

هكذا كانت سياسة ألمانيا الخارجية قبل الحرب العالمية، أما سياستنا الخارجية في هذا العهد؛ فهي تخبط في ديجاير الفوضى ولا يعرف لها نهج ولا هدف.

إذا قمنا بدرس أوضاع الشعوب الأوروبية من جانب قوة كل شعب منها؛ نطلع بالحقائق التالية:

ـ أن أبرز ما نجده في تاريخ أوروبا منذ منتصف القرن السابع عشر إلى اليوم هو سياسة توازن القوى التي اتبعتها إنجلترا، فهي توقع بين دول القارة الأوروبية من وقت لآخر لتتمكن من تحقيق أهدافها الاستعمارية من دون عناء، ومنذ أن تولت الملكة إليزابيت تميزت الدبلوماسية الإنكليزية بطابع تقليدي لا يزال لاصقًا بها؛ وهو التصدي بجميع الوسائل لقيام دولة أوروبية قوية تستطيع إخضاع أوروبا لسيطرتها أو الوصول إلى مركز مرموق بين مجموعة الدول الأوروبية.

ولتنفيذ هذه السياسة اعتادت إنجلترا اللجوء إلى وسائل عديدة، ولكن بعزم وقوة إرادة لم تخذلانها أبدًا، فكانت تقوي وتتوسع بعد كل نزاع يدمي أوروبا ويستنفد قواها، وعندما انفصلت عنها مستعمراتها في أمريكا الشمالية؛ حرصت على حماية ظهرها، فبدأت بتصفية حساب هولندا وإسبانيا باعتبارهما دولتين بحريتين، وبعد ذلك تفرغت للوقوف في وجه فرنسا ومنعها من السيطرة على القارة، وقد تم لها لك حين غاب نجم نابليون.

أما بالنسبة لألمانيا ومطامعها التي كان تنمو ببطء.. لأن الشعوب الألمانية لم تكن موحدة الكلمة، ولا تشكل بالتالي أي خطر أو عقبة تعترض مشاريع الدبلوماسية الإنجليزية وأهدافها البعيدة، يضاف إلى هذا أن السلطات البريطانية تحرص دائمًا على إعداد الأفكار للخطوة التي يعتزمون القيام بها، حتى لا يفاجأ الرأي العام بهذا الاتجاه الجديد في السياسة وكي يلقى الحكم عناء كبيرًا في تبريره، أما هذا الإعداد فيستغرق بعض الوقت، لكن الدعاية تتولاه ببراعة.

حددت إنجلترا موقفها من ألمانيا تحديدًا صريحًا بعد الحرب السبعينية مباشرة، أما ساستنا فقد ضيعوا فرصًا ثمينة في ذلك الوقت للتفاهم مع بريطانيا التي كانت تبحث عن حليف قوي يُعتمد عليه في مواجهة روسيا الآخذة بالنمو، وأمريكا التي أقضت بنشاطها الصناعي مضاجع رجال الأعمال في العالم المتمدن، وعندما

سحقت قواتنا الجيش الفرنسي في سيدان بعد أن تقدمت الصناعة في بلادنا بشكل جعلها تنافس بريطانيا، رأينا لندن تنظر إلينا بغضب وتخطط من جديد لسياستها الأوروبية، جاعلة هدفها الجديد وضع حد لنمو ألمانيا الاقتصادي ومنعها من غزو العالم اقتصاديًا.. وقد تكتلت الدول ذات القوة العسكرية ضدنا بتحريض من إنجلترا تحت ستار المحافظة على السلم وحالفتها لأنها كانت مقتنعة أن هذه الدول لن تتمكن من الوقوف منفردة في وجه الجبار الألماني، أما الذين عابوا على إنجلترا لجوءها إلى الخداع وتشويه الحقائق لحمل الدول الأوروبية على معاداتنا؛ فقد فاتهم أن كل وسيلة تصبح مشروعة عندما يكون الأمر متعلقًا بصون كيان الشعب وضمان مستقبله، وأن الترفع عن الخداع في مثل هذه الأحوال هو تقصير في الواجب إن لم تقل خيانة له.

وجاءت الثورة الألمانية لتضع حدًا للقلق الذي راود إنجلترا وهي تتابع نمونا المطرد، فلم يعد لها مصلحة في أن ترى بلادنا تتمرغ في الحضيض بعد أن حطمت الحرب أضلاعها وقصمت ظهرها، وقد فوجئت إنجلترا بعد الانهيار الألماني الذي أدى إلى اختلال التوازن الأوروبي بشكل أفسد عليها خططها ومشاريعها البعيدة المدى، فهي قد عملت وناضلت طوال أربع سنوات لهذه اللحظة، واستعدت الدول الكبرى على ألمانيا لتقلع الشوكة التي كانت تضايقها، وها قد انهارت ألمانيا التي كانت تهدد بالسيطرة على أوروبا كلها، ولكن في هذه اللحظة برزت لها شوكة جديدة هي فرنسا.

لم يكن في وسع الدبلوماسية الإنجليزية أن تفتح صفحة جديدة عندما فوجئت بهذا الواقع، ولا يمكنها تحويل الرأي العام الذي أعدته الدعاية للوقوف ضد ألمانيا، لا يمكنها توجيه وجهة معاكسة بين ليلة وضحاها.. يضاف إلى ذلك أن إنجلترا خرجت من الحرب مثخنة بالجراح هي الأخرى، ولم يكن من الحكمة مناصبة فرنسا العداء في وقت كانت فيه فرنسا قد أخذت مكان الصدارة وراحت تفرض مشيئتها في مفاوضات الصلح وفي المؤتمرات الدولية، تساعدها في ذلك دويلات اعتادت السير في ركاب القوي.

كانت ألمانيا الدولة الأوروبية الوحيدة التي يمكن لإنجلترا أن تعتمد عليها في مواجهة فرنسا والحد من مطامعها، لكن ألمانيا كانت في ذلك الوقت فريسة الحرب الأهلية، وكان ساستها يتسابقون إلى إرضاء فرنسا مسلمين بكل ما يطلب من بلادهم، ولما لم تجد إنجلترا من تعتمد عليه؛ اضطرت إلى العمل مع فرنسا يدًا بيد كيلا يفوتها القطار ويستقل الفرنسيون في العمل وحدهم.

عندما اشتدت حدة التوتر قبيل الحرب؛ كانت بلادنا من الناحية العسكرية في وضع لا تحسد عليه، فقد كان في أوروبا دولتان بريتان قادرتان على سحق ألمانيا بتفوقهما العسكري؛ هما فرنسا وروسيا، فكيف إذا تعاونتا مع إنجلترا الدولة البحرية الأولى؟ إن مركز فرنسا اليوم هو غير مركز ألمانيا قبل الحرب، ويختلف عنه اختلافًا كبيرًا، ففرنسا اليوم الدولة العسكرية الأولى في القارة الأوروبية، وليس لها أي منافس قوي في هذا الحقل، ويحمي ظهرها من الجنوب حدود طبيعية تتحطم عليها كل محاولة يمكن أن تحاولها إسبانيا أو إيطاليا، وقد اطمأنت فرنسا إلى جانب ألمانيا بعد أن سقطت هذه مكسورة الجناح فضلًا عن أن فرنسا تشرف من سواحلها الغربية على المرافق الحيوية في الجزر البريطانية التي تمسي تحت رحمة المدافع البعيدة المدى وفي متناول السلاح الجوي بحال نشوب حرب مع إنجلترا، ويمكن أيضًا للغواصات الفرنسية أن تضرب المواصلات البحرية البريطانية ضربات قاصمة من قواعدها المنتشرة على شواطئ المحيط الأطلسي والبحر المتوسط.

بذلك تكون إنجلترا قد جنت على نفسها، فهي حين سعت إلى القضاء على ألمانيا أتاحت الفرصة لفرنسا في بسط سيطرتها على القارة الأوروبية، وفي الوقت نفسه اضطرت إلى مسايرة الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ اعتبرتها ندًا لها باعتبارها دولة بحرية، أما في الحقل الاقتصادي فقد تنازلت لحلفائها عن مناطق كانت لها فيها مصالح حيوية ضخمة.

ومما يُذكر أن أهداف الدبلوماسية الفرنسية كانت تتعارض والأهداف الدبلوماسية الإنجليزية، فالإنجليز يترصدون ميزان القوى في القارة حتى إذا ظهر لهم أن هناك دولة ستبدل من هذا النظام في ميزان القوى؛ عمدت فورًا إلى إضعافها كي لا تتمكن هذه الدولة من الظهور على مسرح السياسة العالمية.

أما الفرنسيون؛ فيسلكون المسلك نفسه لكن على نطاق أضيق، فالمهم عندهم أن يمنعوا ألمانيا من الوقوف على قدميها، فقد علمتهم التجارب أن ألمانيا الموحدة تشكل قوة ضخمة لا يمكن التغلب عليها، لذلك اعتمدت الدبلوماسية الفرنسية إضعاف بلادنا بشتى الوسائل، متوسلة إلى ذلك بتشجيع الحركات الانفصالية وافتعال تيار يكون في مصلحة النظام الاتحادي على أساس اللامركزية، وهكذا يقوم بين الدويلات الألمانية توازن يشبه التوازن الأوروبي الذي تهتم به إنجلترا.

*

نتيجة لما تقدم؛ لست أرى أي طريق لألمانيا أن تسلكه في بحثها عن أصدقاء، أفضل من التقرب إلى إنجلترا وكسب صداقتها، أنا لا أنكر أن سياسة الحرب التي

اتبعتها إنجلترا قد جرّت علينا الويلات، ولكن ماذا سيفيدنا الحقد على دولة لم يعد لها أي مصلحة في القضاء علينا نهائيًا بعد أن وجدت هذه الدولة نفسها تجاه خطر جديد محدق بها هو خطر المطامع الاستعمارية الفرنسية التي تجاوزت كل حد؟

إن مصالح الشعبين الإنجليزي والألماني يمكن أن تلتقي ما دام العدو مشتركًا، ولكنني أحذر الساسة المسئولين من مغبة التعلق في الأوهام، فقد تعود ساستنا أن يستسلموا للأحلام السعيدة كلما لمسوا عطفًا من زعيم أجنبي على القضية الألمانية، فليفهم الذين يتوهمون أن الإنصاف لن يأتي من رجل دولة أجنبي، إن الإنجليزي يبقى إنجليزيًا قبل كل شيء وكذلك الأمريكي والإيطالي، لذلك من السخف التفكير باعتماد عطف رجال الدولة الأجانب كأساس للمحالفات، فالشرط الأساسي لربط مصير شعبين هو الفائدة التي يمكن أن يجنيها كل شعب منها نتيجة لهذا الارتباط، إن رجل الدولة الإنجليزي مثلاً يمكنه أن يعتمد سياسة إنجليزية بحتة تعود بالخير والنفع على الشعبين الإنجليزي والألماني معًا، من دون أن يكون ملزمًا باعتماد سياسة تكون في مصلحة الشعب الألماني وحده.

إن في أوروبا دولًا يقلقها بقاء ألمانيا مكسورة الجناح، في حين أن فرنسا تنمو وتشتد ويبرز تفوقها العسكري والاقتصادي، ونحن الألمان لا نعرف لنا عدوًا لدودًا، عدوًا مميتًا لا يرحم سوى فرنسا، وسواء حكم هذه الدولة البوربون أو اليعقوبيون آل بونابرت أم الديمقراطيون البورجوازيون الجمهوريون المعتدلون أم الماركسيون، فهدفهم سيبقى كما هو لا يتغير: احتلال رينانيا وتجزئة ألمانيا بحيث لا تقوم لها قائمة.

تكره إنجلترا أن ترى ألمانيا تتقدم وتنمو وتزدهر، أما فرنسا فتريد أن تزيل ألمانيا من خريطة أوروبا والعالم، والفرق بين ما تكرهه إنجلترا وبين ما تريده فرنسا هو شاسع جدًا، واليوم لا نناضل في سبيل استرداد مكانتنا كدولة عظمى، بل علينا أن نعمل ما في وسعنا في سبيل ضمان كيان الوطن ووحدة الأمة وإطعام أولادنا، وإذا استعرضنا الحلفاء الذين يمكننا الاعتماد عليهم في أوروبا؛ فلا نجد أمامنا إلا إنجلترا وإيطاليا، فإنجلترا لا تريد لفرنسا أن تشتد وتقوى كي لا تهدد مصالحها وتعرقل لها مشاريعها وتفسد عليها خططها، ولا يعقل أن تقف إنجلترا موقفًا لا مباليًا من استيلاء فرنسا على مناجم الحديد والفحم في أوروبا الغربية، لعلمها أن حليفة الأمس تستطيع بفضل هذه المناجم الغنية أن تؤدي دورًا بارزًا في توجيه الاقتصاد العالمي، كما لا يعقل أن تقف إنجلترا موقف المتفرج إزاء تزايد نفوذ فرنسا في القارة ومحاولتها تسيير دفة السياسة العالمية.

كذلك تراقب إيطاليا النفوذ الفرنسي في أوروبا بمزيد من القلق، فالإيطاليون يتطلعون إلى حوض البحر المتوسط ويطمحون إلى التوسع على حساب البلاد المجاورة لممتلكاتهم الإفريقية، فإيطاليا لم تدخل الحرب لتشارك في إعلاء شأن فرنسا؛ بل دخلتها وفي نيتها توجيه ضربة قاضية إلى جارتها النمسا من دون أن تنسيها رفقة السلاح أن في فرنسا منافسًا خطيرًا لا يقل خطورة عن جارتها الشرقية.

بناء على ما تقدم؛ يمكننا اعتبار إنجلترا وإيطاليا الدولتين الوحيدتين اللتين لا تمانعان في قيام أمة ألمانية موحدة، باعتبار أن توحيد ألمانيا لن يمس بمصالحهما، بل ربما كان قيام هذه الأمة القوية والموحدة لصالح الدولتين.

عند دراستنا لمسألة العلاقات التي يمكن أن تقوم بيننا وبين الإنجليز والإيطاليين؛ ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار عوامل ثلاثة يتعلق أولها بنا مباشرة، أما العاملان الباقيان؛ فإنهما يتعلقان بإنجلترا وإيطاليا.

هل ستقدم دولة ما على التحالف مع ألمانيا في وضعها الحاضر؟ هل يعقل أن تجازف دولة ذات أهداف هجومية بالتحالف مع دولة يحكمها منذ سنوات حكام غير أكفاء وتعمي بصائر الكثرة الساحقة من أبنائها المبادئ الديمقراطية والتعاليم الماركسية فيخونون شعبهم ووطنهم؟ وأي منفعة ستجنيها دولة قوية من التحالف مع دولة خانعة لا تتحرك للدفاع عن كيانها ولا تفعل شيئًا للتحرر من الأعباء الضخمة التي فرضت عليها، لأن إمكاناتها أصبحت في قبضة حكام خونة غير صالحين، ولأن أيادي المغامرين الدوليين امتدت لتسرق مقدرات البلاد؟

إن دولة تحترم نفسها وتعتبر التحالف أكثر وأهم من صفقة تعقد من برلمانيين يطمعون في الربح، إن دولة كهذه.. لا تقدم على التحالف مع ألمانيا في وضعها الحاضر.

كما لا يخفى أن أجهزة الدعايا في كل من إنجلترا وإيطاليا أعطت فكرة جد بشعة عنا في أثناء الحرب، وليس في تصرفنا اليوم ما يسهل مهمة هذه الأجهزة إذا هي حاولت تغيير منهاجها وإقناع الرأي العام أن عدو الأمس يمكن أن يصبح اليوم حليفًا يُعتمد عليه.

ولا ننسى أن اليهودية العالمية ترحب ببقاء ألمانيا دولة ضعيفة وتعتبر هذا الواقع منسجمًا ومصالحها وموافقًا لمخططاتها، ولم يعد خافيًا على الجميع أن سياسة إنجلترا التقليدية تتعارض وسياسة المؤسسات المالية الخاضعة لسيطرة اليهود،

فاليهود يريدون هدم أسس الاقتصاد والسياسة في ألمانيا، وقد رأيناهم يعملون بكل قواهم ودهائهم على بلشفة ألمانيا ليتسنى لهم وضع أيديهم على مفاتيح الاقتصاد القومي، ولما أحسوا بعجز الماركسية الألمانية عن تقويض أسس الدولة القومية في ألمانيا، أشعلوا نار الحرب العالمية وبذروا بذور الثورة الحمراء داخل ألمانيا، واستغلوا الكارثة في الوقت المناسب استغلالًا بارعًا.

لقد اختارت اليهودية العالمية بلادنا مسرحًا لدسائسها وهدفًا لمؤامراتها؛ لأن بلشفة البلاد وتخريب الوجدان القومي الألماني يخضع الإنتاج القومي لإشراف المؤسسات المصرفية اليهودية؛ ما يجعل هذا الإشراف خطوة واسعة نحو إخضاع العالم بأجمعه للسيطرة اليهودية، ويستفاد من مضمون إحدى وثائق "بروتوكولات حكماء صيهون"، وهو دستور الحركة اليهودية، أن محور النضال اليهودي يجب أن يكون في ألمانيا لتحقيق حلمهم في السيطرة العالمية، فإذا تمكن "الشعب المختار" من إخضاع ألمانيا؛ يكون قد تخلص من أهم العقبات الرئيسية التي تعترض طريقه.

واليهودية العالمية تتقلب حسب كل حال وحسب كل وضع، فهي حين تسعى إلى خداع الرأي العام وتسميم أفكار الأمم والشعوب، تعتمد طرقًا وأساليب كثيرة ومختلفة، فتخاطب كل أمة بطريقة خاصة تترك أثرًا عميقًا في نفسها، ففي ألمانيا حيث تكثر الاختلاطات الدموية، ينشر اليهود مبادئ خاصة مستخرجة من المثالية السلمية، فيزعمون أنهم أمميو النزعة، أما في فرنسا فتستغل اليهودية النزعة الفردية والنفور من الأجانب، وفي إنجلترا تضرب على وتر المصالح الاقتصادية واعتبارات السياسة العالمية.

ولئن يكن التناقض واضحًا بين مفاهيم السياسة القومية ومصالح اليهودية العالمية في كل من إنجلترا وإيطاليا، فالتفاهم والانسجام موجود في فرنسا بين القوميين وملوك البورصة الممثلين باليهود، وهذا التفاهم يشكل خطرًا كبيرًا جدًا على ألمانيا، ويشكل من فرنسا عدوًا مميتًا لا يجب أن نسهو عنه أو نسقطه من حسابنا لحظة واحدة، فالشعب الفرنسي الذي يهبط تدريجيًا بمستواه إلى مستوى الزنوج، يعرض كيان الجنس الأبيض في القارة الأوروبية لخطر الزوال والانقراض بمسايرته مشاريع اليهودية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم.

ولا نظلم الفرنسيين حين نقول إن لهم يدًا في تلويث الدم الألماني في رينانيا؛ لأن هذا الشعب المتهتك لا يختلف عن اليهود برغبته في القضاء على حيوية شعبنا حين يشجع الأجناس المنحطة على تلقيح الألمان بدمها النجس.

إن الدور الذي تؤديه فرنسا، بدافع من الحقد وبتحريض من اليهود؛ هو إجرام بحق الجنس الأبيض، وسيأتي اليوم الذي تتكاتف فيه الشعوب الأوروبية وتلقن هذا الشعب المجرم درسًا لن ينساه وتنزل به العقاب الصارم الذي يستحق.

يجب على ألمانيا أن تتناسى أحقادها وتمد يدها إلى إنجلترا وإيطاليا معًا، هاتين الدولتين اللتين تراقبان بكثير من القلق تزايد النفوذ وتضخيم المطامع الفرنسية.

*

من تتبع المراحل التي مرت بها السياسة الخارجية الألمانية منذ قيام الثورة، ومن راقب خصوصًا نشاط رجال الدولة؛ لن يتمالك نفسه من اليأس، فمنذ تشرين الثاني 1918 حتى اليوم، لم يفعل هؤلاء الرجال أكثر من ترضية فرنسا والخضوع لها باعتبارها "الأمة العظمى"، والمبالغة في إكرام ممثليها لكسب عطفهم، وهذه السياسة المبنية على تقديرات خاطئة كانت تلاقي تشجيعًا من جانب الممسكين بالخيوط من وراء الستار لعلمهم أن خضوع ألمانيا واستسلامها يتفقان والخطط اليهودية، وإن تقرب ألمانيا من فرنسا يؤدي قطعًا إلى إزالة كل سياسة تحالف تتفق مع مصلحة الشعب الألماني.

وفي الوقت نفسه؛ تطوعت الصحافة الألمانية الخاضعة لنفوذ اليهود لزرع بذور الحقد في نفوس الشعب على إنجلترا، كما حاولت تخويف إنجلترا وتحريك هواجسها حين دعت السلطات إلى إعادة تكوين الأسطول الألماني، والمطالبة بالمستعمرات قبل تحرير البلاد وتقوية مركزها في القارة الأوروبية.

لقد أجاد اليهود تمثيل أدوارهم وأتقنوا لعبتهم بشكل لائق: فهم يلهون شعبنا الطيب القلب السليم النية بمسائل ثانوية جدًا، ويدفعونه إلى التظاهر والاحتجاج، في حين تمعن فرنسا في تقطيع الجسم الألماني وتضع الألغام تحت مرتكزات استقلالنا، ألم تتطوع الصحافة اليهودية في إثارة مسألة "التيرول" الجنوبي، لتلهي الشعب الألماني، ألم تثر هذه القضية وتدعو الشعب إلى السير في مظاهرة سلمية صامتة وتطير برقيات الاحتجاج إلى عصبة الأمم؟

و"التيرول" الجنوبي الذي يبكيه البرلمانيون اليوم، كنت أنا في عداد المدافعين عنه والمقاتلين في سبيله إبان الحرب العالمية، في حين كان المتباكون يلغمون الجبهة من الداخل، ويحرضون العمال في المصانع على الإضراب ليطعنوا الجيش في ظهرهن ويلحق الأذى والعار بالقضية القومية في الرايخ.

عندما كان "التيرول" الجنوبي ميدانًا للمعارك الدامية؛ لم يكن بالإمكان

استعادته إلا بالسلاح، وقد أبلت الجيوش الألمانية في هذا القطاع بلاءً حسنًا وبقيت صامدة إلى أن فوجئت بانهيار الجبهة الداخلية وانقطعت عنها الإمدادات، فالذين سببوا الانهيار في الجبهة الداخلية قد خانوا التيرول وخانوا بقية الأراضي والأجزاء الألمانية، والذين يعتقدون اليوم أنه بالإمكان حل مسألة التيرول الجنوبي بالاحتجاجات والتظاهرات السلمية؛ هم إما مصابون في عقولهم أو سذج يصدقون كل ما يقال لهم، متى يفهم المواطنون أن استرداد الأراضي السليبة لا يتم بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى، ولا بتطيير برقيات الاحتجاج إلى عصبة الأمم، إن استعادة الأراضي السليبة يكون على أيدينا حين نصبح قادرين على مجابهة أعدائنا.

والأدهى من ذلك أن الذين يبجحون اليوم بأن خسارة "التيرول" الجنوبي كانت غلطة جسيمة وخيانة وطنية، لم يفعلوا للحفاظ عليه سوى ذرف دموع التماسيح والتشدق بثرثرات فارغة، ولو طلبنا منهم اليوم حمل السلاح لاسترداد الأراضي السليبة، لقبعوا في جحورهم يرتدعون خوفًا.

إن المتباكين على مصير التيرول الجنوبي من حملة الأقلام وأسياد المنابر، الذي يطالبون بإعادته إلى الوطن الأم، هم أنفسهم الذين يدعون في خطاباتهم إلى الكف عن إزعاج المنتصرين - خصوصًا فرنسا - بمطالب لا يمكن تلبيتها، وقد رأيناهم بالأمس يدافعون عن معاهدة فرساي ويشجبون أعمال "كتائب التحرير" في نسف الجسور في الروهر، ولكن ألاعيب هؤلاء افتضحت، فهم طلعوا بنغمة التيرول حين شعر اليهود وأذنابهم أن الشعب راغب في قيام تحالف مع إيطاليا، خصوصًا بين الأوساط التي تنظر بعين المصلحة إلى البعيد، ومن الطبيعي أن يعمد اليهود وأنصار آل هايسبورج إلى قطع الطريق أمام كل محاولة تهدف إلى تقوية مركز ألمانيا الدولي.

وبدافع من الحقد على كل ما هو ألماني صميم، وانسجامًا مع طبيعة "الشعب المختار" الضليع في فن الكذب والتلفيق، راح المتباكون على مصير "التيرول" الجنوبي يكيلون التهم للقوميين؟؟ ويصفونهم بالخونة ويقولون إن العسكريين البروسيين هم السبب في خسارة هذا الجزء المهم من الوطن الألماني، فلهؤلاء المنافقون المتجنون على المخلصين أقول:

- إن كل ألماني قادر على حمل السلاح ولكنه أمضى سنوات الحرب قابعًا وراء مكتبه و لم يقدم خدماته إلى وطنه.. هو خائن.
- وكل ألماني لم يشارك خلال سنوات الحرب في تقوية المقدرة على النضال والثبات في نفس الشعب الذي كان يواجه أعداء متفوقين

عليه.. هو خائن.

- وكل ألماني أسهم في ثورة تشرين الثاني إن بالأفعال أو بالسكوت عن المجرمين، محطمًا بسكوته السلاح الذي كان بإمكانه إنقاذ التيرول الجنوبي.. هو أيضًا خائن.. لم يخن التيرول الجنوبي فقط، بل خان الوطن الألماني كله.

كذلك الأحزاب وممثلو الأحزاب الذين وقعوا معاهدتي فرساي وسان جرمان، هم خونة بحق الوطن والأمة.

وللشعب الألماني أتوجه بالقول: إن استرداد الأراضي السلبية لا يتم بالخطب النارية التي يتفوه بها من يتقن صناعة الكلام، فتحرير الوطن لا يتطلب ألسنة حادة؛ بل يتطلب سلاحًا حادًا، وليس معنى هذا أنني أطلب إشعال الحرب لاستعادة التيرول الجنوبي، فأنا لا أوافق على هدر دماء الشعبين الألماني والإيطالي في سبيل تحرير مئتي ألف مواطن، في وقت يرزح فيه سبعة ملايين من إخواننا تحت نير الاحتلال الأجنبي في رينانيا.

فإذا كانت ألمانيا مصممة على تغيير هذا الوضع الذي من شأنه في حال استمراره أن يزيلها من خريطة أوروبا؛ عليها أن تتجنب الوقوع في الخطأ الذي وقعت فيه قبل الحرب، عندما استعدت العالم كله، لأنها لم تعرف كيف تختار أصدقاءها، لذلك عليها أن تعرف من هو عدوها الألد وتتفرغ له لتضربه بكل قواها، وتغض الطرف عن أعدائها الثانويين ولو كلفها ذلك بعض التضحيات.

يجب علينا نحن ـ الوطنيين الاشتراكيين ـ أن ننادى بالفكرة القائلة إنه يجب أولًا استخلاص حرية الوطن واستقلاله قبل البدء باسترداد الأراضي المغتصبة، وأن ندعو دائمًا إلى وجوب نهج سياسة محالفات مستوحاة من الواقع الألماني والأوروبي معًا، فقد حكمنا عواطفنا حين تحالفنا مع آل هايسبورج، فأصبنا بالهزيمة الشنعاء، لذلك لن تسمح حركتنا لمحترفي السياسة في هذا العهد أن ينهجوا على صعيد السياسة الخارجية نهجًا يتعارض ومصلحة الأمة الألمانية.

*

أنتقل الآن إلى مناقشة الاعتراضات ضد المسائل الثلاث التي عرضتها في سياق هذا البحث:

1. هل تقدم الدول على التحالف مع ألمانيا وهي بوضعها الحاضر؟

2. هل يصبح أعداء الأمس في وضع يمكنهم من تغيير اتجاههم فيحالفون اليوم الأمة التي أعطوا عنها بالأمس أبشع صورة؟

3ـ هل تتغلب النزعة القومية عند بعض الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح ألمانيا، على النفوذ اليهودي الذي يناهض قيام هذا التحالف؟

من البديهي أن ما من دولة تحترم نفسها وتغار على مصلحتها تقدم على التحالف مع ألمانيا بوضعها الراهن، وليس هناك من دولة تغامر في ربط مصيرها بمصير دولة لا توحي أي نوع من الثقة.

يحاول بعض السطحيين أن يجد عذرًا للحكومات وتفسيرًا لمسلكها الشائن في تدهور الشعب خلقيًا وتدني معنوياته، لا أنكر أن معنويات شعبنا اليوم تفرح العدو، وهو مستسلم منذ سنوات لمشيئة القدر لا يحرك ساكنًا في الحقل الإيجابي، ولكن لا ننسى أن هذا الشعب نفسه كان لسنوات خلت مضرب المثل في الشجاعة والنبل وعلو المقام، فهو الذي أذهل العالم منذ عام 1914 إلى أن ألقى السلاح، هذا الشعب الذي أدهش بثباته وفضائله الإنسانية، ولا أعتقد أن هناك من يذهب في التجني علينا إلى حد الزعم بأن الواقع المخجل الذي صرنا إليه اليوم هو نتيجة ما فطر عليه هذا الشعب من ميوعة واستسلام.

إن ما يجري حولنا، وما نكابده في قرارة نفوسنا، وما يدفع أعداءنا وأصدقاءنا إلى إساءة الظن بنا، كل هذا ناجم عن جريمة التاسع من نوفمبر عام 1918، وقد صدق القول القائل "لا يتولد من الشر إلا الشر"، ومع ذلك يمكن القول إن السجايا التي يتحلى بها شعبنا لم تمت، إنها الآن ترقد في أعماق ضمائرنا، وتظهر في بعض الأحيان بشكل التماعات خاطفة تشق الفضاء المتشح بالسواد، وستذكر ألمانيا أن هذه الالتماعات تبشر بدخول ألمانيا دور النقاهة، وإنا لنجد اليوم من الشباب من هم على أتم الاستعداد لتقديم أرواحهم في ميادين التضحية في سبيل الوطن العزيز على قلوبهم، كما نجد ملايين من الألمان منصرفين إلى العمل البناء، كأنه لم تكن هناك ثورة ولا خراب، فالحداد منهمك في عمله أمام عدته، والفلاح وراء محراثه، والعالم وراء مكتبه، والجميع يقومون بواجباتهم بكل إخلاص ونشاط، أما ما يعاب على الشعب الألماني من تخاذل واستسلام، فمسئول عنه الحكام الذين حكموا البلاد منذ عام 1918، وعلى الذين يرثون إلى حال أمتنا اليوم أن يتساءلوا: هل جرب الحكام رفع معنويات الشعب، وهل حاولوا أن يوقظوا هممه فما استجاب لهم الشعب؟ وماذا فعلت الحكومات الألمانية منذ عام 1918 إلى اليوم من أجل تقوية الشعور الوطني، وهل أقدمت على خطوة من شأنها إثارة

كبرياء الألمان وتفجير ما يختزن في صدور الشعب من أحقاد؟

عندما فرض المنتصرون معاهدة الصلح عام 1919 أتاحوا للشعب الألماني الذي ضعضعته الهزيمة فرصة ذهبية للخروج من ذهوله، ذلك أن معاهدات الصلح التي تفرض على الشعوب قيودًا ثقيلة تفعل في نفوس الشعوب فعل قرع الطبول في نفوس الجنود وهم يهمون بالانقضاض على مراكز العدو، لكن شعبنا كان بحاجة إلى من ينبهه ويفتح عينيه، لكن الحكومة الألمانية كانت في شاغل عن هذا الواجب الوطني، يصرفها عن اهتمامها بتأميم المرافق الحيوية في البلاد وعصر الشعب لتقدم للمنتصرين ما فرضوه من ضرائب.

لو كان هناك دعاية منظمة لاتخذت من معاهدة الصلح المرهقة أداة لإثارة نقمة الجمهور، بإبرازها تدابير الأعداء الوحشية وأساليبهم البربرية، لكان بإمكانه، لو كان هناك دعاية منظمة، أن تحول عدم الاكتراث عند الشعب إلى استنكار ثائر، ولو غذته في الوقت المناسب فسيتحول إلى نقمة جارفة تنضج في صدور ستين مليونًا من الرجال والنساء؛ فتستيقظ السلطات على صراخهم "سلحونا" فنحن أمه لا تنام على الضيم.

نعم، فقد كان ممكنًا اعتبار معاهدة الصلح النقطة الأخيرة التي تطفح بها الكأس، ولكن هذا يعني تسخير كل مطبوعة وكل كتيب يوضع بين أيدي التلاميذ حتى أرقى جريدة، كما يعني أيضًا تسخير السينما والمسرح في تنوير الجمهور ورفع معنوياته، فيمتنع عن الابتهال إلى الله صباحًا ومساءً: "اللهم أعد إلينا حريتنا" ليقول: "أيها الرب القدير: بارك أسلحتنا، وشدد من عزائمنا، واجعل لنا النصر على مضطهدينا!".

إن الشعب الألماني ملوم، ولكن أكثر اللوم يجب أن يكون على الحكومات الألمانية التي تظهر الدولة إلى العالم الخارجي بصورة بشعة بتصرفاتها المعيبة وباستسلامها الذي يكشف عن ضعف في الإرادة، ولكي يصبح شبعنا مؤهلًا لمحالفة الشعوب التي تماشي مصالحه مصالحها، يجب عليه أن يسترد اعتباره، ولن يتمكن من ذلك إلا بعد أن تقوم في ألمانيا سلطة حاكمة، تظهر من الشعب وتحس بأحاسيسه لكي تعبر عما يختلج في صدوره فتستند إلى إرادة شعبية تطلب الحرية.

لست أنكر أنه من الصعب جعل أعداء الأمس أصدقاء اليوم بين ليلة وضحاها، فقد أجهدت الدعاية نفسها أثناء الحرب في تلطيخ سمعة الأمة الألمانية وتشويه تاريخها، ولن يزول بسهولة هذا الشعور بالكراهية نحو كل ما هو ألماني إذا لم يسترد الرايخ الألماني بفضل الوعي القومي معالم الدولة القادرة على تمثيل دورها

في القارة الأوروبية، وعندئذ فقط تطمئن الدول إلى سلامة أوضاعنا فتمهد الطريق أمام التحالف وإيانا بحملة من الدعاية تعد النفوس لتقبل الخطوة الجديدة، لكن هذا الإعداد يتطلب وقتًا طويلًا، لذلك وجب التمثل في كسب ود أعداء الأمس، لئلا يترتب على استعجال الأمور إفساد المخطط الذي ترسمه الدعايات في البلد الآخر للحصول على النتيجة المبتغاة.

قلت وأكرر القول؛ إنه لا يحق لألمانيا النظر إلى ما وراء حدودها قبل أن يبرهن الألمان، حكومة وشعبًا، على أنهم أمة حية مستعدة للتضحية، بل قادرة عليها في سبيل استعادة حريتها السليبة.

وهناك نقطة مهمة لا يجوز أن نهملها: فقد يمر وقت طويل قبل أن يدرك الشعب ـ المطلوب إعداده لتقبل الفكرة الجديدة عن عدو الأمس ـ أهداف حكومته، وذلك إنما لأن الحكومة تفضل إخفاء هذه الأهداف أو لأن الرأي العام نفسه بطيء الفهم لنقص في تنشئته الوطنية، وفي هذه الحالة يقوم بين المطلعين من يحارب هذه الفكرة الجديدة ويحمل الشعب على اتباعه، ولما كان شعبنا ميالًا إلى الثرثرة الفارغة وكانت أحزابنا ومنظماتنا تمارس السياسة في المقاهي والأندية، فإن كل خطأ يرتكب يضع سلاحًا في أيدي خصوم التقارب من الجانب الآخر ليستخدموه في نسف المحاولات المبذولة.

ولا شك في أن العقلاء من المواطنين استسخفوا الدعوة إلى تحرير التيرول الجنوبي وإنشاء الأسطول الألماني والمطالبة بالمستعمرات، وقد لفتت حركتنا الأنظار إلى الأثر السيئ الذي تتركه هذه الدعوة في طريق الداعين إلى نسيان الماضي وإقامة العلاقات بين الشعب الألماني والشعبين الإنجليزي والإيطالي على أسس جديدة.

كانت الدعايات اليهودية تستغل أخطاءنا في الحقل الخارجي وثرثراتنا التي لا فائدة منها، واليوم يدفعنا اليهود إلى ترديد النغمة التي تغضب الذين يفترض فينا كسب ودهم، لذلك يجب أن نضع حدًا لهوس المهووسين ودسائس الدساسين قبل أن يعود أعداء الأمس إلى التجمع ضدنا، ولا يسهو عن بالنا أننا خسرنا الحرب لأننا أغضبنا الله والناس أجمعين، وقد كان علينا أن نراعي الأقربين والأبعدين لنتمكن من حصر جهودنا في جهة واحدة.

أما إذا جارينا الداعين إلى معاداة إنجلترا لأنها سلبتنا مستعمراتنا وإلى مقاطعة إيطاليا لأنها تحتل التيرول الجنوبي، وإذا جارينا الناقمين على بولونيا وتشيكوسلوفاكيا لأنهما بولونيا وتشيكوسلوفاكيا؛ فلن يبقى عندنا من حليف

نحالف إلا فرنسا، التي نسي غلاة "المواطنين" أنها هي الأخير سلبتنا الألزاس واللورين.

إن فرنسا هي عدونا الحقيقي في أوروبا، لكن إنجلترا وبقية الدول الأوروبية، لم تكن عداوتها لنا إلا عداوة مؤقتة، لذلك يمكننا أن نحولها إلى دولة صديقة حين نبهر شعوبها بنهضتنا وحيويتنا ونجعل من ألمانيا حليفًا ثمينًا يتراكض عليه الباحثون عن حلفاء.

بقيت المسألة الثالثة؛ وهي مقدرة ممثلي المصالح القومية في الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح شعبنا على تحدي اليهود والتخلص من سيطرتهم والقضاء على نفوذهم.

إن الحملة التي تشنها إيطاليا الفاشية للقضاء على الأسلحة الرئيسية الثلاثة لليهودية العالمية؛ هي أحسن دليل على ما يمكن للحركات القومية المنظمة أن تفعله في هذا المضمار، أما التدابير التي تنادي باتخاذها فهي: حل الجمعيات السرية كالمحافل الماسونية وغيرها، وملاحقة الصحافة الماركسية بعد القضاء على الأحزاب اليسارية، وتثبيت المفهوم الفاشستي للدولة، هذه التدابير ستدعم من مركز الحكومة الإيطالية قوميًا ودوليًا، وستتمكن بالتالي من حماية مصالح شعبها سواء أحب اليهود ذلك أم لا.

لكن الحال في إنجلترا يختلف عن إيطاليا، ففي إنجلترا حيث يمارس اليهودي دكتاتورية مطلقة، تقوم المنازعات المتواصلة بين ممثلي المصالح القومية أي مصالح الدولة الإنجليزية وبين دعاة الدكتاتورية العالمية التي يمارسها اليهود، وقد رأينا هذا النوع يتفاقم بعد انتهاء الحرب العالمية، حين تعرضت وجهات النظر بين الحكومة من جهة وبين الصحافة الخاضعة للنفوذ اليهودي من جهة أخرى، حول كيفية العلاقات بين إنجلترا واليابان.

بعد انتهاء الحرب العالمية مباشرة عاد إلى الظهر خلاف أو عداء تقليدي بين أمريكا واليابان، ومن الطبيعي ألا تقف الدول الأوروبية موقف المتفرج من هذا العداء الذي يهدد السلام، وكان على إنجلترا أن تراعي ارتباطاتها مع أمريكا والصلات الأخرى العرقية التي كانت تربطها بأمريكا، كان عليها مراعاة هذه الارتباطات قبل أن تحدد موقفها من الدولتين المتنازعتين، لكنها ترددت في الانحياز نحو أمريكا باعتبار أن نمو هذه الدولة وتقدمها الهائل أصبح مصدر قلق لإنجلترا، وكيف لا يقلقهم تطور هائل يمكنها من سيادة العا لم في سنوات معدودة؟

بحثت إنجلترا عن حليف يمكنها الاعتماد عليه في الأوقات العصيبة، يوم تضطر إلى الدفاع عن مركزها الدولي وسيادتها البحرية، فلم تجد أنسب من اليابان لهذه المهمة باعتبار أن العداء القائم بين طوكيو وواشنطن سيجعل من اليابان حليفًا ثمينًا يمكن الاعتماد عليه في تقوية مركز الإمبراطورية تجاه المطامع الأمريكية.

وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة الإنجليزية تسعى جاهدة للإبقاء على الروابط التي تشدها إلى الحليفة الآسيوية؛ كانت الصحافة اليهودية في إنجلترا وفرنسا تهاجم هذه السياسة، فاليهود بعد أن صفوا حساب ألمانيا بطريقة تتفق ومصالحهم كشعب يقاوم كل نزعة قومية في بلد متمدن، وجدوا أن اليابان بطريقة تتفق ومصالحهم كشعب يقاوم كل نزعة قومية في بلد متمدن، وجدوا أن اليابان الدولة الآسيوية العظمى لا يمكن أن تخضع لسيطرتهم إلا بعد أن يصفوا حسابها في ميدان القتال، واليهود أذكى من أن يحاولوا إفساد الدم الياباني بمثل السهولة التي أفسدوا بها الدم الفرنسي والإنجليزي والأمريكي، لذلك يجب إضعاف اليابان بطريقة أخرى هي الحرب، لأن بقاء اليابان دولة قومية وحيدة وسط مجموعة دول كبرى جردتها الدسائس اليهودية من معالم قوميتها تسهيلًا لاستبعادها؛ يشكل خطرًا على مشاريع اليهود الذين يحلمون ببلشفة العالم، فحلم اليهود لا يتحقق ما دام هناك دولة قادرة على سحق الطغيان بقوى الفكرة القومية.

إن الصحافة اليهودية في العالم؛ خصوصًا في إنجلترا، تحاول الآن أن تستعدي اليابان كما سبق أن استعدتها على ألمانيا، وقد بدأت تضعف مقاومة الحكومة الإنجليزية للذين يقفون ضد التحالف الإنجليزي الياباني، وسيأتي اليوم الذي تتزعم فيه إنجلترا حملة صليبية ضد الدولة الصفراء اقتناعًا منها بأن النزعة القومية في اليابان تشكل خطرًا على السلام العالمي.

إن الحركة الوطنية الاشتراكية، ستسعى جهدها لتنبيه الشعوب الآرية حتى الشعوب المعادية لنا، إلى ما يبيته اليهود لنا ولها، وستخطط للشعب الألماني سبل الخلاص كي يكون كفاح شعبنا في سبيل التحرر من سيطرة اليهود المشعل الذي يضيء الطريق أمام الشعوب الأخرى الراغبة في التخلص من جرثومة اليهود.

ـ 20 ـ

الاتجاه نحو الشرق

يدفعني إلى بحث موضوع العلاقات الألمانية الروسية سببان هما:

أولا: إثارة هذا الموضوع في الصحف الماركسية في معرض حديثها عن عقد محالفات يقوى بها ساعد ألمانيا.

ثانيًا: الاستخفاف الذي يعالج به المثقفون قضايانا الخارجية.

إن حركتنا لا تجد صعوبة في إزالة ما يعلق في أذهان اليساريين من جراء الدعايات الماركسية، لأن هذا الفريق من المواطنين لم يأخذ بوجهة نظر الماركسيين، إلا لأنه لم يجد من يوجهه ويرشده إلى الطريق القويم فيما يجب أن تكون عليه سياسة ألمانيا الخارجية، وقد وجد آلاف اليساريين في حركتنا المشعل الذي أضاء أمامهم ظلام الطريق، وقد وجدنا بقية باقية لديهم من الوعي القومي وغريزة حب البقاء؛ ما سهل مهمتنا في إرشادهم.

لكن هذه المهمة لم تكن سهلة لدى المثقفين؛ فقد كان علينا إقناع رجال خدرت وعيهم القومي مثاليات مضطربة، فضحوا على مذبح الموضوعية بآخر ما تبقى لهم من عزة قومية وغريزة حب البقاء، وقد حاول هذا الفريق من المواطنين الانحراف بسياسة ألمانيا الخارجية، نحو المزالق الخطرة.

لذلك وجدت أنه من الواجب علي أن أشرح لأعضاء الحزب وأنصاره أخطر قضية تواجهها الدولة العنصرية في الحقل الخارجي: موقف الرايخ من روسيا، وقبل أن أدخل في صلب الموضوع؛ أوضحت في أكثر من خطاب ومحاورة ومقالة أن السياسة الخارجية للدولة العنصرية؛ يجب أن تسعى إلى إيجاد مقومات البقاء للشعب وذلك بإقامة نسبة عادلة، ملائمة لقانون الطبيعة، بين عدد السكان وزيادته المطردة من جهة، وبين مساحة الأرض وقيمتها من جهة أخرى.

وقد سبق لي وشرحت في فصل سابق أن أقوى ضمانة لحرية الشعب وبقائه هو في حصوله على المدى الحيوي الكافي، على أن تحافظ على سلامة هذا المدى دولة قادرة سياسية وعسكريًا ـ ضمن إطار جغرافي ملائم ـ على الدفاع عن كيانها وحماية مصالح شعبها الحيوية.

حين ينظر الشعب الألماني إلى المستقبل، عليه أن يعتبر أن بلاده هي دولة عظمى مدعوة إلى تمثيل دورها على المسرح العالمي، فقد مثلت ألمانيا هذا الدور طيلة قرون، وكان نشاط شعبنا جزءًا لا يتجزأ من التاريخ العالمي، فالحرب الأخيرة التي خضنا غمارها، والتي كانت بالنسبة لنا صراعًا من أجل البقاء، هذه الحرب قد أطلق عليها الأعداء اسم "الحرب العالمية" معترفين بأهمية الدور العالمي الذي يمثله شعبنا.

لقد خاض الشعب الألماني الحرب بصفته قوة عالمية مزعومة، أقول "مزعومة"؛ لأن ألمانيا عام 1914 لم تكن قوة عالمية، فقد حملت السلاح وهي غير مهيأة للحرب، فقد كانت تنقصها المواد الاحتياطية التي تدفعها إلى الثبات مدة طويلة؛ لأن الأراضي الألمانية ضاقت بالسكان وبات جهد الشعب مقصورًا على استنباط تربة الوطن الخيرة، لكن عطاءها قصر ـ مع مرور الأيام ـ عن سد حاجة السكان الأخذ عددهم في الازدياد.

وألمانيا اليوم لا تعتبر قوة عالمية، ولن تصبح كذلك حتى في حال بعث الجيش الألماني؛ لأن المانع الذي كان قائمًا قبل الحرب لا يزال كما هو، بل على العكس؛ فقد ازداد وضعنا تدهورًا بخسارتنا لأجزاء مهمة من الوطن الألماني، فقد ترتب على فقدان هذه الأجزاء مشكلات جديدة، فقد أصبح على ستين مليونًا من المواطنين والرعايا أن يتدبروا خبزهم اليومي في مساحة من الأراضي لا تزيد على نصف مليون كيلو متر مربع.

وإذا نظرنا إلى ألمانيا من حيث مساحة الأرض؛ نجد أنها في وضعها الحاضر أي بمساحتها الحاضرة، دولة متوسطة عاجزة عن الوصول إلى مستوى الدول الكبرى، ولا يجوز الاستشهاد بصغر المساحة الأرضية الذي تشغله إنجلترا للتدليل على خطأ هذه النظرية، فالواقع أن إنجلترا تعتبر العاصمة الكبرى للإمبراطورية الإنجليزية المترامية الأطراف.

ويمكننا أن نعتبر دولًا عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين، فمساحة كل واحدة منها تبلغ عشرة أضعاف مساحة ألمانيا بوضعها الحالي، وكذلك فرنسا؛ يمكن اعتبارها من الدول العظمى لأنها تملك أقوى جيش في العالم وتعززه باستمرار، بفضل مواردها الخاصة وموارد إمبراطوريتها الواسعة، كما أنها تسد النقص في المواليد باختلاطات عرقية ودموية إن لم يوضع لها حد نجم عن استمرارها لمدى قرن آخر قيام دولة أفريقية — أوروبية مكان فرنسا اليوم.

لقد تنبهت الحركة الوطنية الاشتراكية لهذه الحقائق، وندبت نفسها للقيام بجمع شتات الشعب الألماني وصهر شتى عناصره في بوتقة القومية الصافية، ثم الخروج به من الدائرة الضيقة ليضرب في آفاق جديدة واسعة؛ لأن بقاءه في مكانه يعني له الانقراض أو الخضوع لنير الاستعباد.

إن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تقبل أن يعيش ستون مليون ألماني في بقعة من الأرض لا تزيد مساحتها على نصف مليون كيلو متر مربع، وترى أن من أقدس واجباتها إزالة هذا الواقع الأليم وسد الثغرة التي أحدثتها السياسة الخارجية في

العهد الأخير بين ماضينا التاريخي المجيد وحاضرنا الأليم.

ستعلم حركتنا الشعب الألماني كيف يعتني بنفسه كعنصر متفوق في الأصل، وتنبهه إلى وجوب الاعتناء بدمه لكي لا يدعه عرضة للاختلاطات المميتة، وتوجهه اتجاهًا يجعله جديرًا بحمل المشعل الذي حمله أجدادنا.

*

إن سياسة ألمانيا الخارجية خلال السنين العشر التي سبقت اندلاع الحرب العالمية، لم تكن بأفضل من سياستها الحاضرة التي نحملها أخطاء جسيمة ارتكبتها؛ لأنها عاجزة عن الوقوف حيث يُملي عليها الواجب، فقد كانت لنا إمبراطورية واسعة وكنا أقوياء نسبيًا، لكن قوة الدولة يجب أن تقاس بمقياس قوة باقي الدول، وألمانيا قبل الحرب ظلت مقصرة عن بلوغ مستوى الدول المنافسة لها، لقد كنا نتقدم إلى الأمام ببطء شديد، بينما كان الآخرون يسرعون الخطى، ولئن تكن التضحيات الكبيرة التي قام بها شعبنا والتي ذهبت سدى، فسبب ذلك يعود إلى عدم معرفة الحاكمين لاستعمال الطاقة الشعبية التي وجدت في متناولهم.

وإذا رجعنا إلى تاريخ ألمانيا واستعرضنا مآتيها العسكرية، ودرسنا نتائج هذه المآتي النهائية كما تظهر لنا اليوم، نجد أننا تجاه واقع ناطق بمهارة الذين تولوا مقدرات شعبنا في ذلك العهد الذهبي، فبفضل سياستهم الحكيمة توصلوا إلى النتائج التالية:

1. استعمار المناطق التي تعتبر الباب المؤدي إلى الشرق.
2. احتلال المناطق الواقعة شرقي نهر الألب.
3. نجاح آل هوهنزولرن في إنشاء نواة الإمبراطورية حين تم لهم إنشاء الدولة البروسية.

لقد شدد المؤرخون الألمان على أهمية النتيجة الثالثة؛ أي إنشاء الدولة البروسية ولم يحفلوا كثيرًا بالنتائج الأولى والثانية، مع العلم أن التوسع في الشرق كان خطوة عظيمة بل من أعظم الانجازات التي قام بها الأجداد، ولو أنهم لم يفعلوا ذلك لكنا اليوم مقاطعة تدين بالولاء لروسيا في الشرق، أو لفرنسا في الغرب، فبفضل الزحف شرقًا، الذي يعتبر المحاولة الوحيدة الناجحة من هذا النوع؛ أمكن تحقيق الانسجام المطلوب بين عدد السكان المتزايد وبين المدى الحيوي اللازم.

ولا يعتقد أن تشديدي على أهمية الزحف شرقًا واعتباري لها خطوة موفقة

قام بها أجدادنا، لا يعتقد أنني لا أقدر أهمية الخطوة الثالثة، أي إنشاء الدولة البروسية وما تلاها من قيام الجيش الألماني رمز وحدة الأمة.

فبفضل الحدث التاريخي العظيم؛ شعر كل ألماني أن ما كان يشغله في الدفاع الفردي قد زال وحل محله الدفاع عن الأمة كلها في محيط المؤسسة العسكرية التي تمثلت فيها جميع عناصر الأمة.

وهكذا أصبح للشعب الألماني نظام جديد يجمع شمله ويوحد كلمته ويوفر له التنظيم الذي كان ينقصه.. ذلك أن التضامن الفطري القائم بين بقية الشعوب، والذي لا نجده في مجتمعنا نحن، قد ساد إلى حد ما صفوف أمتنا بفضل التدريب العسكري، لذلك فإن إلغاء الخدمة العسكرية الإجبارية وخيم العواقب في بلادنا التي لم تتخل بعد عن النزعة الفردية نهائيًا، والتي يسهم في تفريق كلمة أبنائها تعدد العناصر وانتشار المفاهيم الفلسفية المتناقضة.

من المؤسف القول إن أعداءنا يقدرون ويفهمون أكثر منا أهمية انتصاراتنا السياسية الحقيقية التي أحرزها شعبنا خلال ألف عام من النضال الشاق والكفاح المرير، لذلك وجب على حركتنا أن نعلم شعبنا كيف يميز بين الانتصارات السياسية الحقيقية وبين الحالات التي أهدرت فيها دماؤنا من دون طائل، ويمكننا القول من دون أن نتجنى على الحقيقة ومن دون أن نغمط حقوق ساستنا، إن ألمانيا لم تكسب شيئًا من الخطوات التي خطتها منذ قرن إلى اليوم في ميدان السياسة الخارجية؛ لأن المدى الحيوي لم يكن هدف هذه السياسة.

*

ما أكثر المتشدقين في أيامنا هذه وما أكثر الزاعمين أن سياسة ألمانيا الخارجية يجب أن تقصر نشاطها على محو عار عام 1918؛ مقيمة بذلك الأدلة على زهدها في التوسع تطمينًا للجيران، أما أنا فأقول إن التفكير في إعادة الرايخ إلى الحدود التي كانت له سنة 1914 هو جريمة بحق الوطن.. ولا أنكر أن حدود ما قبل الحرب لم تكن معقولة من الوجهة الاستراتيجية ولا منصفة من الوجهة الإنسانية؛ لأن ملايين من الألمان كانوا يعيشون خارج تلك الحدود، وأذهب أكثر من ذلك فأقول إن حدود الرايخ لم تكن نتيجة عمل سياسي مدروس، إنها كانت مؤقتة بانتظار انتهاء من نزاع لا يزال قائمًا، ولكن المطالبة بإعادة هذه الحدود من شأنها اليوم إعادة الارتباط بين الحلفاء؛ لأن أكثر ما يخافه هؤلاء هو بعث "الخطر الألماني" حسب قولهم الماثل في وحدة الأمة والتفاف أبنائها جميعهم حول رايتها.

لقد تناسى أعداؤنا عام 1914 ما بينهم من أسباب النزاع والقطيعة ليعقدوا العزم على محاربة ألمانيا القوية، ثم وجدوا بعد ذلك أن تقسيم ألمانيا هو الضمانة الوحيدة لمنع الرايخ من النهوض مرة أخرى، فعندما يعلن ساستنا البورجوازيون أن سياستنا الخارجية يجب أن تقصر همها على إعادة حدود 1914، يقدمون إلى الأعداء السبب المطلوب للإبقاء على التضامن فيما بينهم، لعلمهم أن ألمانيا القوية تخافهم مجتمعين، ولكنها لن تتردد في الانقضاض عليهم حين يصبحوا متفرقين.

إن شعار عالمنا البورجوازي في إعادة حدود 1914؛ هو - والحالة على ما ذكرت - شعار في غير محله؛ بالإضافة إلى أن وسائل تحقيقه غير متوافرة، وإنه عند الحاجة لتحقيقه؛ لا يستأهل منا هدر دماء أبنائنا في سبيله، باعتبار أن حدود ما قبل الحرب لا قيمة لها في حساب الذين ينظرون إلى أبعد من أنوفهم، فهي لم تكن غطاء صالحا في الماضي، ولا يمكن أن تشكل قوة في المستقبل، فهذه الحدود لم تحفظ لشعبنا وحدته الداخلية ولم توفر له قط أسباب العيش، أما من الناحية العسكرية؛ فليس لتلك الحدود من قيمة دفاعية.

ليس بإعادة حدود 1914 يمكن لألمانيا أن تستعيد مكانتها السابقة، ونحن - الوطنيين الاشتراكيين - مقتنعون ببطلان كل تخطيط لسياستنا الخارجية لا يتضمن إعطاء الشعب الألماني الأرض التي يجب أن تعود إليه في هذا العالم، وبلوغ هذا الهدف يبرر هدر دمنا الألماني؛ لأن أحفادنا الذين سيتوالدون على الأرض الجديدة سيغفرون لنا إرسال آبائهم إلى الموت في سبيل تأمين مداهم الحيوي.

يعترض بعض الكتاب العنصريين على هذا النوع من التوسع، زاعمين أنه يشكل اعتداء على حقوق البشر المقدسة، لا أعلم من أين استخلص هؤلاء نظريتهم السخيفة، ولكن متأكد بأن انتشار هذه النظرية لن يفيد أعداءنا في الداخل والخارج، وتناسى أعداء التوسع أن ما من شعب في هذا العالم تمكن من امتلاك شبر واحد من الأرض بفضل احترامه لحقوق الآخرين وتقيده بالقوانين المنزلة أو الموضوعة.

إن حدود الدول هي من صنع البشر، وتبديلها يتم على أيدي البشر، وحدود ألمانيا الحالية ليست سوى نتيجة لنضال طويل لم ينته بعد، وكذلك حدود فرنسا وبولونيا وإيطاليا وغيرها.

إن حصول شعب من الشعوب على أرض مترامية الأطراف، لا يعني بشكل من الأشكال أن الشعوب المحرومة لا يحق لها منازعته ملكية هذه الأراضي، وإن ما يقاسيه شعبنا اليوم من شظف العيش وما يعانيه من ضيق ضمن الإطار

الأرضي الصغير، ليس من صنع القدر، كما يزعم الاتكاليون، وليس الكفاح في سبيل تغيير هذا الوضع تمردًا على هذا القدر، فأجدادنا لم يتلقوا الأرض التي نعيش عليها هبة من السماء، لكنهم أحرزوها بقوة السيف بعد أن سقوا تربتها بدمائهم الزكية، والمدى الحيوي الذي نفتقر إليه اليوم، لن نتمكن من الحصول عليه بنعمة "العنصرية"، فسبيلنا الوحيد إليه هو القوة.

إن تصفية حساب فرنسا خطوة ضرورية أولى لا بد لكل ألماني مخلص من إقرارها، لكن تظل خطوة عقيمة إن نحن اكتفينا بهذا القدر، فإزالة الشوكة التي تهدد ظهرنا في الغرب يجب أن تكون بداية الانطلاق نحو توسيع مساحة الأرض التي نعيش عليها، وقد أوضحت في جزء سابق أن توسعنا خارج أوروبا لا يقضي على المشكلة، فليس المطلوب إخضاع بعض الشعوب الملونة للسيطرة الألمانية، إنما المطلوب الحصول على أراض أوروبية تتسع بها رقعة الوطن الأم، وطبعًا هذا التوسع سيكون على حساب الشعوب الأخرى، ونحن الألمان إذ نفكر أن هذا التوسع على حساب الآخرين عمل غير مشروع؛ نكون قد ابتعدنا عن المنطق وكذبنا التاريخ، إن حق الشعب بالاستيلاء على أراض جديدة يصبح حقًا مقدسًا عندما يضيق الوطن بمن فيه، ويوشك أبناؤه على الهلاك اختناقًا.

فإما أن تصبح ألمانيا قوة عالمية أو لا تكون، الشرط الأساسي للوصول إلى مستوى الدول العظمي هو في إحرازها للمدى الحيوي الذي يؤمن لشعبها مقومات البقاء.

*

يجب علينا نحن - الوطنيين الاشتراكيين - أن نسعى لتبديل سياسة ألمانيا الخارجية وأن نبدأ حيث انتهى أجدادنا منذ ستمئة سنة، يجب أن نعمل على وقف الزحف الجرماني نحو الجنوب ونحو الغرب لنتجه بأنظارنا نحو الشرق.

أجل.. إن حركتنا ستسعى إلى الحد نهائيًا من السياسة الاستعمارية والتجارية لتؤمن لشعبنا مداه الحيوي في أوروبا نفسها، ونحن إذ نهدف إلى ذلك؛ لا يفوتنا أن اتساع الأرض التي نعيش عليها لن يتم إلا بالتوسع على حساب روسيا والبلدان المجاورة لها.

إن القدر نفسه يشير بأصبعه إلى روسيا؛ فهو حين رمى بها في أحضان البلشفية؛ قد انتزع من الشعب الروسي تلك الفئة من المفكرين الذين أقاموا صرح

الدولة وتولوا مقدراتها، ذلك أن تنظيم الدولة الروسية لم يكن بفضل جهود الصقالبة ومقدرتهم على الخلق والإبداع، بل كان ثمرة جهود العنصر الجرماني المتمتع بعبقريات منظمة حينما وجد وأين ما حل، لكن روسيا لم تعرف كيف تحافظ على النواة الجرمانية التي خلقت الدولة، لذلك اضمحلت هذه النواة مع مرور الأيام، وظهر إلى حيز الوجود اليهودي في الوقت المناسب ليأخذ محلها.

قد تحاول روسيا التخلص من الكابوس اليهودي؛ لكنها لن تقوى على التخلص منه بأساليبها الخاصة، ولا يفوتنا أن اليهود أضعف من أن يستمروا بإخضاع دولة كبيرة لسيطرتهم لمدة طويلة؛ لأنهم عنصر مخرب لا يحب النظام والبناء، لهذا فنحن نعتقد أن الدولة الجبارة في الشرق تقف على شفير الهاوية، وأن نهاية السيطرة اليهودية على روسيا تعني نهاية روسيا نفسها كدولة، وقد اختارنا القدر لنشهد هذه الكارثة التي تعتبر أحسن دليل على صحة نظرياتنا العنصرية فيما يتعلق بموضوع الأعراق البشرية.

*

من البديهي أن يعارض اليهود هذه السياسة بكل ما لديهم من قوة ونفوذ؛ لأنها تتنافى ومبادئهم وخططهم ودسائسهم، ويكفي أن يقف اليهود في وجه هذه السياسة الحكيمة لنقنع الذين يشعرون بالقضايا القومية بفائدة هذا الاتجاه الجديد الذي وضعته حركتنا، ولكن مع الأسف؛ لم تختمر فكرة الاتجاه والزحف نحو الشرق في أذهان الكثيرين من القوميين الألمان وبعض "العنصريين" النظريين، فهم يستشهدون كلما أعوزتهم الحجة وخانهم المنطق، بالاتجاه الذي رسمه بسمارك الذي حرص دائمًا على قيام علاقات ودية بين ألمانيا وروسيا، وكان حرصه في محله، وينسى الذين يستشهدون بما فعله بسمارك أنه كان يعلق أهمية كبرى على صداقته مع إيطاليا لكي يفرض إرادته على النمسا وهي في شبه عزلة، فلم لا ينادي المعجبون بسياسة بسمارك بنهج المنهج الذي اعتمده المستشار الحديدي تجاه إيطاليا الحالية؟ سيقولون إن إيطاليا اليوم ليست إيطاليا القرن التاسع عشر، ونحن نجيب أن روسيا اليوم ليست روسيا التي حرص بسمارك على كسب صداقتها، إذن فالقضية ليست: ماذا فعل بسمارك؟ بل القضية هي: ترى لو كان بسمارك حيًا؛ فما هي الخطة التي سيتبعها؟ لا شك أن هذا الرجل البعيد النظر ما كان يمد يده إلى روسيا البلشفية المشرفة على الموت.

لا يسهو عنا أن بسمارك تبنى الرأي القائل بالاستعمار وغزو الأسواق العالمية، كما أن قضية التنظيم الداخلي كانت شغله الشاغل، فمن الطبيعي ـ والحالة هذه ـ

أن يعتبر وقوف روسيا على الحياد في خصامه ضد الغرب انتصارًا كبيرًا لسياسته، ولكن ما كان صالحا في ذلك الوقت لألمانيا هو اليوم في غير مصلحتها.

في عام 1921؛ جرت محاولات لخلق الروابط بين حركتنا التحررية وبين بقية الحركات التحررية في البلدان الأخرى، واقترح الوسطاء إنشاء "عصبة الأمم المضطهدة"، وقد اجتمعت عدة مرات مع رجال ادعوا أنهم ممثلون عن بعض الدول البلقانية والهند ومصر، فأعربوا لي عن رغبتهم في إيجاد تعاون وثيق بين الحركات الاستقلالية في بلادهم وبين الحركة الوطنية الاشتراكية، ولكني لم ألتفت إلى أقوالهم و لم أهتم بها، لأنهم كشفوا لي عن أنهم ثرثارون وأدعياء لا يفقهون ما يريدون.

إلا أن هؤلاء "الاستقلاليون"؛ وجدوا من يسمع لهم ويتحمس لآرائهم في صفوف القوميين الألمان، الذين اعتقدوا محدثيهم من تلاميذ هنود ومصريين، أنهم الممثلون الحقيقيون لمصر والهند، وقد فاتهم أن هؤلاء التلاميذ لا يمثلون الا أنفسهم، وبالتالي فالحديث معهم والدخول معهم في مفاوضات يعتبر مضيعة للوقت، وحتى لو كان هؤلاء معتمدين رسميًا من قبل بلادهم؛ فالمشروع بحد ذاته لا قيمة له ويعود بالتالي على القومية الألمانية بأضرار فادحة.

لقد جربت ألمانيا التعاون مع دول لا قيمة عسكرية لها حين قامت بالتحالف مع تركيا والنمسا لتواجه أقوى الدول عسكريًا وصناعيًا، فكانت النتيجة الكارثة التي لا نزال نقاسي من ذيولها.

ويبدو أن هذا الدرس القاسي لم يكن كافيًا؛ بدليل تحمس المهووسين من المواطنين بمشروع "عصبة الأمم المضطهدة" اقتناعًا منهم أن هذه العصبة ستجرد المنتصرين الأقوياء من سلاحهم.

لقد قاومت هذه الفكرة وبينت سخف هذا المشروع؛ لأنهما يحولان شعبنا عن إمكاناته الحقيقية ويحملانه على الاستسلام إلى الأوهام والأحلام.

ما أقرب الشبه بين الألماني اليوم وإنسان مجهول مشرف على الغرق، فهو يتشبث بعود من الكبريت يجده طافيًا على الماء لكي يتفادى الموت غرقًا، وهكذا وضعنا اليوم.. فإننا نجد في أوساط المثقفين أنفسهم أشخاصا يتحمسون لمشاريع وهمية كمشروع "عصبة الأمم المضطهدة" و"عصبة الأمم" وما شابهها.

وأذكر حادثات شغلت منظماتنا العنصرية لعدة أشهر، فقد جاء إلى أوروبا عام 1921 طائفة من الهند، واستطاعوا إقناع الناس بأن الإمبراطورية البريطانية

مشرفة على الانهيار؛ لأن الهند وهي حجر الزاوية في هذه الإمبراطورية على أبواب ثورة هائلة، وقد وقف "العنصريون" في ألمانيا بانتظار انهيار الإمبراطورية شأنهم شأن الأطفال في عيد الميلاد.. فبرهنوا بذلك عن قصر شديد في النظر وجهل فاضح لتاريخ الفتح الإنجليزي.

إن استمرار خضوع الهند للسيطرة الإنجليزية هو أمر حيوي بالنسبة لهذه الدولة، فلا يعقل ـ والحالة هذه ـ أن تتخلى إنجلترا عن الهند أو تترك "جوهرة التاج" تفلت من أيديها، وهذا لن يصير إلا إذا أدرك الإنجليز الانحلال العنصري وهذا غير محتمل – أو إذا قضي على إنجلترا بضربة قاصمة من عدو أقوى منها، أما الزعم بأن قيام الهنود بثورة سيسبب انهيار الإمبراطورية، فهذا زعم باطل ويجوز أن يصدقه أبناء أمريكا الجنوبية مثلًا، ولكن لا يجوز أن يصدقه الألمان الذين اختبروا مقدرة الإنجليز وتأكدوا أنها أمة قوية شديدة المراس.

ولم يكن "العنصريون" الذين تأملوا الخير من الحركة الاستقلالية في مصر؛ أعقل من الذين قعدوا ينتظرون انهيار بريطانيا؛ لأن الهنود أرادوا القيام بثورة، فالمحركات الاستقلالية في مصر قد تزعج بريطانيا، ولكن لن تتمكن هذه الحركات من زحزحة الكابوس البريطاني، ولن يقدموا على التضحية بأنفسهم وأرواحهم في سبيل "إخوانهم" الألمان كما يعتقد الخياليون من المواطنين.

إن المؤمنين بالكفاح المشترك أي الكفاح الألماني ـ المصري ـ الهندي؛ لم ينظروا إلى حاضرهم الأليم، فهل من المعقول لحلف يضم ثلاثة مقعدين أن يهاجم عملاقًا يقظًا لا يتورع عن استعمال أشد الأساليب للدفاع عن كيانه والحفاظ على ممتلكاته، وأنا كعنصري أتخذ من الأعراق ميزانًا أزن به القيمة البشرية، لا أسمح لنفسي ولو بالتفكير بربط مصير شعب كالشعب الألماني بمصير شعوب تحتل ـ من حيث التسلسل العنصري ـ مرتبة وضيعة.

لا يمكننا أيضًا الاعتماد على روسيا في كفاحنا من أجل تحرير أمتنا، فهي أيضًا ينطبق عليها ما سبق وقلته في "الشعوب المضطهدة"؛ خصوصًا بعد أن أصبحت الأمور بين أيدي جماعة من المغامرين الدوليين، ولو تم هذا الحلف لن تفيد ألمانيا منه شيئًا، من الناحية العسكرية؛ لأن القتال سيدور ضمن الأراضي الألمانية من دون أن نتلقى أي معاونة مهمة من روسيا ضد أوروبا الغربية، باعتبار أن بولونيا تقف في طريق الجيش الروسي حين يزحف نحو الغرب، لأن بولونيا اليوم هي حليفة ثمينة لفرنسا، فيتوجب بالتالي على روسيا لتتمكن من نقل قواتها إلى أرض المعركة الرئيسية أن تصفي حساب بولونيا أولًا.

هذا مع العلم أن ألمانيا ستكون بحاجة ماسة إلى الوسائل التكتيكية أكثر من حاجاتها إلى الرجال، في حال نشوب الحرب بينها وبين الدول الغربية، وقد سبق لألمانيا أن تحملت وحدها عبء الحرب التكتيكية أثناء الحرب العالمية؛ لأنها لم تحسن اختيار حلفائها، لذلك لن تتمكن من مقابلة الدولة الغربية المجهزة بوسائل تكتيكية ممتازة ستقرر مصير الحرب، مع العلم أن روسيا لا يعتمد عليها من هذه الناحية لافتقارها إلى تلك الوسائل.

كذلك يمكن القول بالنسبة لألمانيا التي لا تملك المعدات التكتيكية اللازمة؛ خصوصًا أن إمكاناتها محدودة جدًا، وخلاصة القول إن دخولنا الحرب معتمدين على روسيا سيعني الخسارة المحتمة.

يقول مؤيدو التحالف مع روسيا إنه لا يعني بالتالي ضرورة قيام الحرب، فيمكننا عقد الاتفاق اليوم ومن ثم الاستعداد والتجهيز للغد، فإلى هؤلاء أقول إن هذا الحلف الذي يدعون إليه لا قيمة له، لأننا إذا رضيا وأقمنا التحالف مع روسيا وابتدأنا تجهيز أنفسنا منذ اليوم إلى الحرب التي قد تنشب، فالأعداء الذين يتطلعون ويراقبون نشاطاتنا لن يعطونا الفرصة الكافية لاستكمال هذا التجهيز والاستعداد للحرب، فسرعان ما يستدرجونا إلى ميدان الصراعٍ ونحن لم نكمل بعد استعداداتنا ومن ثم يحملونا مسئولية النزاع كما حدث سابقًا.

بالإضافة إلى كل هذا.. هناك حقيقتان مهمتان:

1. إن نظرة الحكام الحاليين في روسيا إلى المعاهدات والاتفاقات لا قيمة لها ولا هم يقيمون لها أي وزن.

إن حكام روسيا الحاليين هم مجرمون لا تزال أيديهم مخضبة بالدماء، إنهم حثالة البشر التي استغلت غفلة القدر لتنقض على دولة جبارة كبيرة وتصرعها وتفتك بالملايين من أبناء الطبقات الموجهة، لتبني على الأنقاض دكتاتوريتها المطلقة، فحكام روسيا اليوم هم أبناء الشعب الذي أتقن النفاق والكذب، أبناء الشعب الذي يدعي أنه سيسيطر على العالم، إن حكام روسيا اليوم هم اليهود وأذنابهم، فاليهودي الذي يملك زمام الأمور في روسيا لن ينظر إلى ألمانيا كدولة حليفة يمكن التعاون معها، بل ينظر إليها كضحية جديدة سينقض عليها حين تسنح له الفرصة المقبلة، فكيف يمكننا والحالة هذه أن نحالف شريكا تقوم مصالحه على خرابنا؟ وكيف يريد البعض أن نعقد الاتفاقات مع شعب شعاره الكذب والتلفيق والسرقة؟

2. إن المرض الخبيث الذي قضى على روسيا اليوم، هو المرض نفسه الذي يهدد ألمانيا بالذات، وليثق الذين يتغاضون عن هذا الخطر الداهم؛ أن بلشفة روسيا هي خطوة أولى نحو إخضاع العالم لسيطرة اليهود، فاليهود كالأنجلوساكسون قد يتحولون عن أهدافهم لفترة محدودة، ولكنهم لا يتخلون عن هذه الأهداف.

إن ألمانيا هي ضحية البلشفية المقبلة، ولن تتمكن من الخلاص من براثنها إلا بواسطة فكرة قوية تجمع حولها المخلصين، وتؤدي بالتالي إلى النهوض بشعبنا، والقول إن ألمانيا بحاجة إلى من تستند إليه في سعيها إلى تحرير نفسها، وإن روسيا هي الحليف الصالح، هذا القول يدل على جهل وقصر في النظر إلى الأمور أو يدل على سوء النية، فكيف يجوز بنا الاعتماد على دولة يحكمها أعداؤنا الألداء؟

إن مكافحة البلشفية تتناقض والتفاهم مع روسيا السوفييتية، فإذا تحالفنا مع السوفييت نكون قد تحالفنا مع إبليس لنطرد به الشيطان.

ذكرت في فصل سابق أنه كان على الحكام في ألمانيا قبل عام 1914؛ أن يحالفوا إنجلترا ليتمكنوا من التوسع شرقًا وهم مطمئنون، أو أن يتحالفوا مع روسيا ليأمنوا شرها، ولكي لا يضطروا إلى الحرب على جهتين، أما اليوم فالتحالف مع روسيا أصبح لا قيمة له، بعد أن رسمت حركتنا لألمانيا سياسة خارجية مستوحاة من الواقع ومتفقة مع مصالح أمتنا، هي تأمل أن يتمكن الحكام من الحفاظ على هذه المصالح والتقيد بالسياسة المرسومة التي تصلح أن تكون وصية سياسية.

أما الخطوط الرئيسية لهذه السياسة فهي التالية:

لا تسمحوا أبدا بقيام دولتين بريتين كبيرتين في القارة الأوروبية، وفي كل محاولة لإنشاء دولة كبرى قريبة من الحدود الألمانية تكمن محاولة خبيثة لتهديد بلادنا، ويجب عليكم اعتبار أي محاولة من هذا النوع كاعتداء مباشر على حدودنا، كما يجب عليكم أن تمنعوا قيامها بجميع الإمكانيات والوسائل التي تملكون، واحرصوا على أن يكون مصدر قوة ألمانيا في أوروبا ضمن الأراضي الألمانية، ولا تطمئنوا إلى وضع الرايخ ومصيره قبل أن توفروا للشعب الألماني المدى الحيوي الذي يحتاج إليه.

*

أعود إلى موضوع التحالف بيننا وبين إنجلترا وإيطاليا؛ لأركز على أهمية هذا التحالف من الوجهة العسكرية.

فالتحالف مع إنجلترا وإيطاليا يعطي نتائج عسكرية مهمة، عكس ما يعطيه التحالف مع روسيا، فتحالفنا مع إنجلترا وإيطاليا لن يؤدي إلى نشوب الحرب، فالدولة الوحيدة التي تعارض هذا الحلف هي فرنسا، وهي لن تتمكن من افتعال الحرب؛ لأنها تعلم أنها أضعف من أن تحارب هذه الدول الثلاث، يضاف إلى ذلك أن التحالف مع الإنجليز والإيطاليين يعطينا الوقت الكافي للتأهب والاستعداد لمعركة الثأر التي يجب أن نخوضها ضد فرنسا، بعد أن تتمكن الدبلوماسية الألمانية من عزل فرنسا وانتزاع المبادرة منها عسكرية وسياسيًا.

وهناك أهمية تكتيكية للحلف الثلاثي هذا، فألمانيا لن ترهق نفسها بأعباء الحرب ومتطلباتها، باعتبار أن حليفتيها قادرتان على تجهيز أنفسهما تكتيكيًا بفضل اقتصادهما المنظم ومواردهما الضخمة.

أشرت في جزء سابق إلى العقبات التي تعترض تحقيق هذا المشروع، ولكن هذه العقبات يمكن تذليلها، فقد قام تحالف ودي بين فرنسا وإنجلترا أيام إدوار السابع، على الرغم من العداء والنفور المستحكمين بين الدولتين المذكورتين، ونحن بإمكاننا الخروج من أوهامنا وننهج في الحقل الخارجي سياسة حكيمة تطلق أيدينا في الشرق، بعد أن نكون قد قلمنا أظافر فرنسا في الغرب.

وليعلم الحاقدون أن الاستمرار في معاداة أعداء الأمس سيزيدهم تكتلًا وقوة، فالنسبة الألمانية لا يمكن أن تكسب إلا من تفريق كلمتهم، لذلك يجب أن نفهم أن كل دولة لا ترضى عن تزايد نفوذ فرنسا في القارة الأوروبية هي حليفة طبيعية لألمانيا، وإنه لا يجوز لنا أن نحجم عن استمالة هذه الدولة؛ خصوصًا إن كان هذا التفاهم أو التحالف يمكننا من سحق فرنسا التي تريد إبادتنا.

*

ـ 21 ـ

حق الدفاع المشروع

هناك أكثر من دليل تاريخي على أن الشعوب التي تلقي السلاح وهي لا تزال قادرة على الجهاد، تفضل بالتالي أن تتلقى الصفعات والإهانات والذل على معاودة القتال.

والظاهر أن الموجهين لسياسة ألمانيا، من وراء الستار؛ يحاولون منذ نوفمبر عام 1918 التدني بشعبنا إلى المصير المحتوم الذي يصير إليه كل شعب يقبل بالإهانات والذل وهو مطاطأ الرأس لا يجسر على الدفاع.

وقد تركت دعوات الخضوع والاستسلام التام للمنتصرين التي يبثها بكل خبث الخونة والعملاء، أثرًا سيئًا في عقلية الساسة وفي تصرفات الشعب، ولما كان اليهودي وراء سياسة ألمانيا الخارجية منذ عام 1918؛ فمعنى ذلك أن الأخطاء التي نتخبط بها في حقل السياسة الخارجية ليست دائمًا وليدة قصر النظر أو الجهل والارتجال.. فالمؤامرات التي يحيكها اليهود هي التي تتلاعب بمقدرات شعبنا وتحاول منذ عدة سنوات إهلاك الأمة، لذلك يمكننا تأكيد أن جميع الخطوات غير الموفقة التي خطتها بلادنا منذ عام 1918 حتى الآن؛ لم تكن وليدة الإهمال أو الخطأ، بل كانت نتيجة حتمية للخطط التي رسمها اليهود.

عندما دحرت جيوش نابليون بروسيا عام 1806؛ اعتقد الجميع أنه لن تقوم أي قائمة لدولة بروسيا بعد تلك الهزيمة، لكن بروسيا استعادت قوتها خلال سبع سنوات وشهرت السلاح في وجه الأعداء.

أما ألمانيا فقد ازدادت ضعفًا خلال السبع سنوات التي مضت منذ هدنة نوفمبر 1918، والدليل على ذلك أنها قبلت بالأمس القريب أحكام معاهدة لوركارنو المظلمة؟

لقد ألقت ألمانيا سلاحها وهي لا تزال قادرة على الدفاع وقبلنا بشروط المنتصر وضعفت عزائمنا وأصبحنا عاجزين عن المقاومة، فقام الأعداء بسلسلة تدابير قاسية لإذلالنا وقد عرف هؤلاء الأعداء كيف يخدرون عزة نفسنا وكبرياء شعبنا الألماني العريق، فقاموا بفرض تلك التدابير ببطء وحذر لعلمهم أن هذه الطريقة أسلم عاقبة، فاستطاعوا أن يحققوا أهدافهم من دون أن يضطروا إلى استفزاز شعورنا واستثارة نقمتنا، وكان نصيرهم في ذلك حكومتنا المستسلمة.

وهكذا استدرجنا المنتصرون إلى التوقيع على معاهدات الصلح والرضوخ لشروط وتسويات مرهقة جردتنا من الكرامة ومن أسباب البقاء.

وقد بلغ بنا الاستسلام حدًا كبيرًا، جعل البعض يعتقد أن مشروع وايفز هو حدث بارز ومعاهدة كوكارنو نصر مبين.

*

ظهرت نيات فرنسا الحقيقية بوضوح في شتاء عام 1922 - 1923 بعد أن حاولت كتمانها عن حلفائها في المؤتمرات التي عقدت قبل الحرب العالمية وبعدها مباشرة، فقد ظهرت المقاصد الخفية لفرنسا التي جازفت بمقدراتها وخاضت حربًا قاسية طيلة أربع سنوات ونيف، وبانت الحقيقة بأن فرنسا لم تكن تطمح بالحصول على مليارات الماركات لتعوض بها خسائر الحرب والدمار أو لتقتطع الألزاس واللورين وتضمهما إلى أراضيها، كلا، فقد قامت فرنسا بهذه المجازفة الخطرة التي تعتبر من أخطر المجازفات في تاريخها؛ لأن اليهودية العالمية التي توجه سياسية فرنسا الخارجية أرادت انسجامًا مع مخططها أن تقسم ألمانيا لتجعلها مقدونيا ثانية.

لقد تأملت فرنسا أن تبلغ هدفها بتقسيم ألمانيا في أثناء الحرب، وحاولت أن تنقل المعركة إلى داخل الأراضي الألمانية، لكي يسهل على الحلفاء تقسيم البلاد وإنشاء دويلات متضاربة الاتجاهات مختلفة الأهداف، بحيث لا تقوم أي قائمة لألمانيا الموحدة.

ولو قدر للفرنسيين أن ينجحوا في محاولاتهم هذه وتمكنوا من نقل المعركة إلى الروهرر والراين والألب بالقرب من هانوفر ولايزج ونورمبرج وغيرها، لما كانت هناك أي صعوبة لدى الحلفاء لتنفيذ مخطط فرنسا في تقطيع أوصال الرايخ الحديث العهد بالنظام الفدرالي، لكن جيشنا الباسل صمد في حصونه، واستمرت حرب الخنادق طيلة الأربع سنوات في الفلاندر وأمام فرصوفيا وريغا وكوفنو، ويعود الفضل بنجاة بلادنا من ويلات الحرب ومن مؤامرات فرنسا واليهود إلى الجيش الألماني الباسل وحده، لهذا يمكننا القول إن دم جنودنا الذين سقطوا في ميادين الشرف لم يذهب هباء.

كانت جيوشنا قد احتلت بعد انهيار ألمانيا قطعًا كبيرة جدًا من أراضي الأعداء، لذلك كان اهتمام فرنسا منصبًا على جلاء جيوشنا عن أراضيها وعن الأراضي البلجيكية، وما أن تم لهم ذلك حتى باشروا بتنفيذ مخططهم الأساسي وهو تقسيم الرايخ الألماني الكبير إلى دويلات صغيرة مجزأة، لكن إنجلترا اعترضت على هذا المشروع واكتفت بالنصر الذي حققته.

لأن همها الوحيد كان إزالة ألمانيا الاستعمارية من طريقها والحد من منافستها لها في الميادين التجارية.. فإنجلترا لم تفكر قط بالقضاء على ألمانيا قضاء مبرمًا، لأن في ذلك ما يتعارض ومصالحها وسياستها التقليدية في منع قيام أي دولة أوروبية قادرة على إخضاع القارة لسيطرتها.

وكانت معارضة الحلفاء كافية لإيقاف فرنسا عند حدها، فتراجعت عن موقفها مرغمة، ولكن كليمنصو عبر عن أفكار مواطنيه بكلمته "السلم بالنسبة لنا هو استمرار الحرب"، وقد عمل الفرنسيون منذ ذلك الحين على إضعاف بلادنا مستعملين شتى الوسائل والطرق الممكنة، فتارة كانوا يحاولون الضغط علينا وتارة أخرى يلجئون إلى تشجيع النزعات الانفصالية في بعض المناطق، وكانت هذه السياسة التي لجئوا إليها ذات أثر فعال في الوصول إلى النتيجة التي توختها فرنسا، إذا استمرت بضع سنوات أخرى.

أدرك المخلصون خطورة ما تهدف إليه فرنسا، وأيقنوا أنها ستصل إلى هدفها إن لم تقف الإرادة الألمانية في وجهها وتمنعها من تنفيذ مخططها هذا.

وقد أدرك المخلصون أيضًا أن التصدي في وجه فرنسا يجب أن يسبقه نسف الحلف الذي مكن فرنسا من النصر، وإلا سيكون هذا التصدي ضربًا من ضروب الانتحار.

وقد حاولت أنا في خطاباتي المتكررة أن أركز على هذه الناحية بالذات، وقلت إن فرنسا لن تغير في مخططاتها تجاهنا؛ لأنها تعلم أن بقاءها كدولة مرهون ببقائنا نحن أمة ضعيفة مفككة الأصول، ولو كنت أنا فرنسيًا لنظرت إلى ألمانيا النظرة ذاتها.

يقول البعض إن الحل يكمن في قيام حكومة فرنسية معتدلة، وأنا أقول إن هذ الرأي هو كالمخدر لأعصابنا المريضة، ومن يعتقد ذلك يكون موجهًا من قبل أعداء ألمانيا الداخليين من يهود وديمقراطيين، فكل فرنسي مخلص هو كليمنصو أو بوانكاري ولن تفيدنا شيئًا السلبية التي ينادي بها بعض "العنصريين" القائلين باللاعنف، لأن عدونا المتربص بنا لن تخيفه احتجاجاتنا وشكاوانا.

لن يخلصنا من فرنسا إلا ساعدنا القوي وتفكيرنا السليم، وحين نستطيع أن نتفاهم مع حلفائها بالأمس، يمكننا بالتالي عزلها جانبًا ومناقشتها الحساب على انفراد.. لكن القضاء على فرنسا لن يكون أكثر وسيلة لبلوغ غاية لا حياة لنا بدونها: يجب علينا بعد القضاء على فرنسا التي تهددنا بظهرنا أن نتوسع في الشرق لنؤمن لأنفسنا المدى الحيوي الذي يجعل من ألمانيا دولة كبرى وقوة عالمية ضخمة.

*

في ديسمبر من عام 1922؛ قامت فرنسا باحتلال حوض الروهرر إمعانًا منها في إذلالنا وتحطيمنا اقتصاديًا ومعنويًا، لكن هذا الاحتلال الذي ضرب ألمانيا ضربة

قاصمة، كان عاملًا رئيسيًا في إذكاء الشعور الوطني.

كما أن هذا الاحتلال قد أثار غضب إنجلترا حكومة وشعبًا؛ لأن هذه المنطقة غنية بمناجم الفحم والحديد، واستيلاء الفرنسيين عليها يعني تفوق فرنسا سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا جاعلًا منها الدولة الأوروبية الأولى، فتتمكن من منافسة إنجلترا في جميع الميادين، وقد ذكرت إحدى الصحف الإنجليزية شبه الرسمية أن احتلال فرنسا للروهرر قد انتزع من إنجلترا جميع مكاسبها.

كان لاحتلال فرنسا للروهرر صدى غير مستحب في إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية، وبدا على حلفاء الأمس التذمر الشديد؛ ما أفسح المجال لنشوب الخلافات وتفريق الشمل، لكن إذا كان حلفاء الأمس لم يتحولوا إلى أعداء اليوم كما حدث بعد الحرب البلقانية الثانية، فمرد ذلك إلى افتقار بلادنا إلى رجل كألور باشا، الذي يعرف كيف يستغل الخلافات الناشبة بين أعداء بلاده.

عندما دخل الفرنسيون منطقة الروهرر؛ اتجهت الأنظار إلى السلطات الألمانية، وكان التساؤل يدور حول ردة الفعل المترقبة من الحكومة الألمانية، فكل شيء كان متوقفًا على قرار الحكومة ونتيجته في داخل البلاد وخارجها، ولم يكن ثمة مجال للتردد، فالاعتداء الذي قامت به فرنسا يشكل خرقًا فاضحًا لمعاهدة "فرساي"، بالإضافة إلى النقمة التي أثارها هذا الاعتداء لدى الرأي العام الإنجليزي والإيطالي، وقد حملت حكومة لندن على هذا الاعتداء السافر، وصرح مجلس العموم البريطاني بأن حكومة فرنسا لم تراع شعور حلفائها ولا مصالحهم واحتلالها منطقة المناجم في ألمانيا السفلى.

كان على حكومة ألمانيا أن تستغل هذا الخلاف بين الحلفاء وتوسعه بشكل يضمن لها عدم قيام تعاون جديد بين هؤلاء الحلفاء إذا قاومت ألمانيا هذا الغزو الفرنسي، كان على حكومتنا أن تجعل الروهر ما كانت موسكو بالنسبة إلى نابليون، معتمدة على الشعور الوطني الذي أثاره العدوان الفرنسي.

لم يكن باستطاعتنا وقف الزحف الفرنسي على الروهر باللجوء إلى التدابير العسكرية، ولم تكن المفاوضات لتجدي نفعًا، فبقي لنا اللجوء إلى كسب الوقت وإلهاء القوات الغازية باصطدامات بسيطة تقوم بها العصابات ريثما ننظف الجبهة الداخلية من الخونة، ونضمن في الخارج تأييد الإنجليز والإيطاليين.

لكن حكومة المستشار "العبقري" كونو لجأت إلى حل آخر، فقد اكتشف هذا المستشار أن احتلال فرنسا لمنطقة الروهرر لم يكن إلا لأن المنطقة غنية بالفحم،

وبالتالي تريد فرنسا الاستيلاء على هذا الفحم، لذلك فقد قرر هذا "العبقري" أن الوسيلة الوحيدة لإخراج المحتلين من الروهرر هي إعلان الإضراب العام في المنطقة، فتكون النتيجة توقف حركة العمل لاستخراج الفحم، وبذلك لا يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على الغنيمة فيجلون عن المنطقة يجرون أذيال الخيبة.

وقد نالت هذه الخطة إعجاب الأحزاب البورجوازية، ولكنها وجدت أن الإضراب لن يعطي نتائج حسنة إلا بوجود الماركسيين، أساتذة التحريض والإضرابات، فوافق البورجوازيون على ضم الحمر إلى "الجبهة الوطنية".

ومد المستشار كونو يده إلى التعاون مع المغامرين الدوليين الذين باركوا هذه الخطوة التي تعتبر بمثابة اشتراكهم في الحكم حين تتسلم "الجبهة الوطنية" مقاليد الحكم.

وهكذا واجه المستشار كونو الفرنسيين بحلف ضم الثرثارين والمحتالين، الذين فتحت لهم الدولة طريق العمل لإشاعة الفوضى وتخريب الاقتصاد القومي.

لقد سعى المستشار كونو إلى تحرير الشعب الألماني بتشجيعه على التقاعس والكسل، ولكن بدلا من دعوة الناس إلى الإضراب العام، كان عليه أن يدعوهم إلى العمل لمدة ساعتين إضافيتين يوميًا لتزويد الشبيبة المتحمسة بالعتاد اللازم، وبذلك تتمكن ألمانيا من كسب أفضل النتائج في الداخل والخارج وتكسب لقضيتها عطف العالم الخارجي الذي وقف يرقب مدى الانتفاضة الألمانية.

أما النتيجة فكانت معروفة مسبقًا فالمقاومة السلبية لم تصمد طويلًا، والإضراب لم يمنع الفرنسيين من احتلال الروهرر وتثبيت أقدامهم فيه.

أما موقفنا نحن ـ الوطنيين الاشتراكيين ـ فكان معروفًا وواضحًا من المقاومة السلبية و"الجبهة الوطنية"، فقد قررت العناصر الوطنية في البلاد في أسابيع من إعلان الإضراب العام في منطقة الروهر تنظيم حركة مقاومة فعلية ضد الغزاة، كما دعت المضربين إلى التعاون معها، فقام بعض العمال المخلصين وقرروا الانضمام إلى المناضلين وحملوا السلاح وأسهموا في حرب العصابات، أما الماركسيون فكان جوابهم على ذلك انسحابهم من "الجبهة الوطنية"، ولم يلبثوا أن خضعوا لمشيئة الغزاة بعد أن خربوا مصالح البلاد والاقتصاد القومي تحت ستار الإسهام في المقاومة السلبية.

وأدى انهيار "الجبهة الوطنية" إلى تسليم السلطة بشروط الفرنسيين.. ونبهت هذه الخيانة ملايين الألمان إلى أهمية الحركة الوطنية الاشتراكية وأهدافها الوطنية

الصميمة، وتحقق لديهم أن مصير ألمانيا مرتبط بنجاح هذه الحركة وبنمو مبادئها العنصرية.

وانتهت الحوادث البغيضة التي أدت إلى حل الحزب الوطني الاشتراكي بعد اعتقال أركانه وأعضائه والكثير من مؤيديه وأنصاره.. وهنا لا بد لي من القول إن ما قمنا به لم يكن بسبب رغبتنا بالحكم كما أراد أعداء حركتنا القول، قد أثبتت حوادث 8 نوفمبر 1923 عمّا كان يجيش في صدور ملايين الألمان، وهنا أذكر كلمتي التي ختمت بها دفاعي في اليوم الأخير لمحاكمة حزبنا، فقد قلت متوجهًا بكلمتي إلى القضاة:

"يمكنكم أيها القضاة إدانتنا من أجل ما فعلناه، ولكن التاريخ سيمزق ذات يوم هذا الحكم، ويحلنا جميعًا من خطيئة لم نرتكبها".

سيذكر الجميع هؤلاء الرجال الذين سلكوا طريق الموت ليمهدوا لوطنهم طريق الخلاص.

انتهى

الفصل الثالث
هتلر والصحافة والميديا

أولا: هتلر والصحافة

أخبار وتقارير

الوجه الآخر لأدولف هتلر: حياته ـ أسطورته ـ التحليل النفسي لشخصيته

إن التناول اللافت للصحافة بالنسبة لهتلر؛ هو ما يتعلق بالتحليلات والتفسيرات، بعضها نفسي أو سياسي، والبعض يمزج بين الاثنين، هذا بجانب ما كانت تثيره ذكراه سنويًا من الحديث عن مذكراته وأصوله، وحقيقة الهولوكوست، وحقيقة أصوله ونشأته، والثابت أن هذا الجدل في حقيقته هو استثمار مادي لسيرة حياة شخصية يراها البعض ناجحة والبعض الآخر يراها شخصية استبدادية دكتاتورية متسلطة لا تستحق الحياة، فيما لا ينكر الجميع فضل هتلر على ألمانيا التي نقلها إلى صدار دول العالم في أثناء زعامته؛ خصوصًا أنه حرص على أن يؤسس لصناعة ألمانية متميزة، وألا تكون دولته تابعة؛ بل غنه رأى أنها تستحق قيادة العالم.

نبدأ هنا مع خبر عن كتاب بعنوان "الوجه الآخر لأدولف هتلر: حياته – أسطورته – التحليل النفسي لشخصيته"، يقول الخبر "في السجن وبين جدرانه الصخرية الباردة وضع كتابه الذى من خلاله نستطيع قراءة شخصية هذا المستبد الطاغية، إذ كان في طفولته نموذجا لليتم بعد وفاة والديه، وعاش كالحالم هاربًا من واقعة إلى دنيا الخيال، متناسيًا الفقر والجوع والعري والتسول والضياع. بيد أن الظروف شاءت أن تضعه على رأس حزب العمال الألماني، فسحر الجماهير بخطبه الرنانة، ومناداته بالحفاظ علي السلالة الألمانية الأصيلة، وتخليص الوطن

من قيود معاهدة (فرساي) المذلة".

وفي نهاية هذا الخبر كلمة الناشر الناشر:

"كان هتلر – بلا شك – أكثر من ذلك المجنون الذى تصوره الصحف الشعبية! لقد كان حتى الخامسة والعشرين من عمرة خاملا.. لا يتمتع بأى إحساس بالنجاح أو الطموح.. راضيًا بالعيش وسط القاذورات والأوحال، و لم يكن يعمل إلا عندما يكون مضطرًا إلى ذلك، وإن عمل فيكون ذلك بشكل عفوي متقطع.. إذ كان يقضي معظم وقتة في أحلام رومانسية عن أن يصير فنانًا عظيمًا. ورغم كل ذلك.. فإن هذا الإمعة، عديم الأهمية والكفاءة في الظاهر، استطاع - وفي غضون بضع سنوات - أن يشق طريقة إلى أعلى المناصب السياسية.. ويزيح من طريقة زعماء القوى السياسية الكبرى المخضرمين. وهذا الكتاب.. اعتمد على التحليل النفسي ونظريات الطب العقلي والأمراض النفسية، في اقتحام شخصية أدولف هتلر.. والوقوف على الأسباب الخفية الحقيقية التى اعتملت في داخله وبدت واضحة في سلوكه، وتصرفاته، وقراراته، وشكلت الجانب المستتر من شخصية هذا الرجل الذي حير العالم، ووضع إلى جانب اسمه الآلاف من علامات الاستفهام..!

شؤون ثقافية

وتحت باب "شؤون ثقافية".. تناول أحد المواقع تقريرًا صحافيًا حول إعادة نشر كتاب "كفاحي" لهتلر، مصحوبا بصورة للغلاف الجديد وصورة للغلاف الأصلي لكتاب "كفاحي"؛ يقول التقرير:



"تسعى إحدى دور النشر البريطانية إلى إعادة إصدار بعض المقتطفات من كتاب "كفاحي" للزعيم النازي أدولف هتلر الممنوع في ألمانيا، وقد كتب هتلر مؤلفه هذا في زنزانة السجن، وهو يعتبر من الكتب الأكثر بيعًا على مدى التاريخ.

في 11 من نوفمبر - تشرين الثاني 1923، دخل أدولف هتلر إلى السجن بتهمة الخيانة العظمى للدولة. فمحاولة الانقلاب التي وقف وراءها النازيون في مدينة ميونخ انتهت بحمام من الدم. وكان الجميع يعتقد أنها ستكون نهاية الزعيم النازي هتلر. لكن ظهر أن السجن بالنسبة لهتلر فرصة من أجل الاستراحة والتخطيط للمستقبل. فخارج السجن، كانت تسود آنذاك حالة من الرعب والفوضى، وكان الاقتصاد الألماني حينها في الحضيض، فيما كانت نسبة البطالة مرتفعة بشكل مهول. أضف إلى ذلك شراسة المعارك بين أتباع التيارات السياسية اليمينية واليسارية.

ومن داخل السجن دوّن هتلر رؤيته السياسية وأفكاره النازية. وتمكن خلال بضعة أشهر فقط من كتابة مؤلفه الشهير "كفاحي" الذي يجمع بين عناصر السيرة الذاتية والشرح التفصيلي لنظريات هتلر النازية، إضافة إلى مقتطفات من كتب ومؤلفات سياسية أخرى.

الكتاب يتضمن أيديولوجية هتلر العنصرية المعادية للسامية، وكذلك الحرب والثورة النازية التي يريد قيادتها. ونشر المجلد الأول من كتابه عام 1925 والمجلد الثاني عام 1926، أي سنتين بعد كتابته. وحينها أطلق صراح هتلر ليلتقي مباشرة بعدها مع أنصاره في محاولة لإعادة تأسيس الحزب النازي "NSDA".

ثم يتابع الكاتب تحت عنوان فرعي "كتاب تحريضي بمبيعات هائلة":

نسخة أصلية لكتاب أدولف هيتلر "كفاحي".



"إلى غاية سنة 1933 بيع ما يزيد على 300.000 نسخة من "كفاحي" وبثمن بخس، ولكن بعد ذلك قفزت المبيعات إلى مستوى قياسي وصلت إلى الملايين، كما كان أيضًا من الهدايا التي تقدم في اللقاءات الدولية الثنائية وحتى في الأعراس. ولكن المؤرخين يشككون فيما إذا كان الملايين قد قرؤوا الكتاب بالفعل. ولكن على الأقل من المنظور التجاري كان للكتاب نجاح كبير؛ إذ عاد بأرباح كبيرة على الحزب النازي وعلى دار النشر التابعة له، وكذلك على الزعيم النازي نفسه أدولف هتلر.

وعلاوة على ذلك تمت ترجمة الكتاب إلى الفرنسية والإنجليزية والإسبانية وغيرها من اللغات الأخرى، ليصبح في متناول القراء في الخارج أيضًا. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح هذا الكتاب وصمة عار في بيوت العديد من الألمان، الذين حاولوا التخلص منه بسرعة. إلا أن هناك من احتفظ بالكتاب سواء في ألمانيا أو دول أوروبية أخرى. ففي إنجلترا على سبيل المثال؛ تم اكتشاف نسخ أصلية عليها الإمضاء الشخصي لهتلر، تم بيعها في المزاد العلني سنة 2005و2009 بأثمان باهظة".

ويواصل كاتب التقرير تحت عنوان فرعي آخر "**كتاب كريه الرائحة**":

"ويجمع المؤرخون منذ عدة عقود على رأي واحد في شأن "كفاحي"؛ وهو أن الكتاب دون المستوى قلبًا وقالبًا، كتاب وقح غير عقلاني بأفكار خاطئة مزورة وأنانية. وفي هذا الصدد يقول يواخيم.س في كتابه منتقدا لهتلر: "القارئ يتلقى رائحة كريهة تنبعث من هذا الكتاب لمجرد فتحه". فالكتاب تحليل خاطئ يصور أيديولوجية خاطئة. أما المؤرخة النمساوية بريجيته هامان؛ فتجد الكتاب مملًا للغاية، كما صرحت في حوار لها مع أسبوعية "دي تسايت" die Zeit الألمانية "هتلر لم يأت في كتابه بأي شيء جديد من نفسه، بل نقل معظم كتابه من بعض الكتابات السياسة الهامشية".

ويستمر الكاتب تحت عنوان جديد "**تحريض على الكراهية**":

"مقتطفات من كتاب "كفاحي " للزعيم النازي" قد تصبح متداولة عما قريب في الأكشاك الألمانية.

ويعتبر نشر هذا الكتاب في ألمانيا أمرًا ممنوعًا بحكم القانون؛ لأن أفكاره تتنافى مع القيم الديمقراطية للبلاد؛ إذ يعتبر الكتاب مجرد دعاية زائفة ووسيلة للتحريض ونشر الكراهية والعداء. ولهذا قررت الدولة الألمانية منع ترويج هذا الكتاب من

أجل حماية مواطنيها من التأثيرات السلبية التي يحملها هذا الكتاب. ولكن من جهة أخرى هناك من يعتبر أن هذا التعليل لم يعد صالحًا في الوقت الحالي، وذلك لأن الديمقراطية أصبحت متجذرة في المجتمع الأماني، وبالتالي ليس هناك سبب لمنع نشر هذا الكتاب أو بعض أجزائه. بالإضافة إلى ذلك؛ فإن منع الكتاب لا يعني عدم إمكانية الحصول عليه بوسائل أخرى. وفي هذا السياق يقول المؤرخ البريطاني إيان كيرشاو "إنه في عصر الإنترنت أصبح من الصعب منع القراء من الحصول على الكتب الممنوعة. كما يمكن الحصول على الكتاب أو مقتطفات منه في بعض المعارض والأرشيفات أو خارج ألمانيا، فكتاب " كفاحي" يباع بشكل عادي في الهند وروسيا وتركيا وكرواتيا وغيرها من الدول الأخرى".

ومازلنا مع التقرير وعنوان جديد "**نزاع حول حقوق الطبع والنشر**":

"وسبب اندلاع الجدل الراهن هو النزاع القائم حول نشر بعض المقتطفات من الكتاب في سلسلة "شهداء على الصحافة"، التي تريد إصدارها دار نشر "بيتر ماكغي البريطانية"؛ إذ إن نشر هذه المقتطفات يصطدم مع قانون حقوق الطبع والنشر الألماني، فقد تنازل الحلفاء بعد نهاية الحرب عن حقوق نشر "كفاحي" لصالح ولاية بافاريا الألمانية، وذلك لأن ميونيخ كانت هي آخر مكان يقطن فيه الديكتاتور. وحتى الآن خرجت ولاية بفاريا منتصرة في جميع النزاعات القانونية المتعلقة بنشر وطبع هذا الكتاب. والجدير بالذكر هو أنه بعد 70 سنة من موت الكاتب تنتهي حقوق النشر أيضًا. هذا يعني أنه بعد مرور 7 عقود على انتحار الزعيم النازي سنة 1945؛ سيصبح بالإمكان وابتداء من سنة 2015 نشر الكتاب دون إذن من ولاية بافاريا.

صاحب دار النشر البريطاني ماكجي كان قد صرح لمجلة "دير شبيجل" الألمانية أنه حان الوقت لإعطاء فئة كبيرة من المجتمع حق قراءة النسخة الأصلية للكتاب دون تحفظ. ولكن بعض الناقدين يرون أن الربح المادي هو الذي يقف وراء اهتمام ماكجي المفرط بنشر الكتاب".

إعادة نشر "كفاحي" لهتلر: هل يحطم أسطورة الوحش أم يدعمها؟

الكاتب: كوليت مرشليان - جريدة المستقبل اللبنانية

"ماين كامبف" بالألمانية أو "كفاحي" بالعربية كتاب الزعيم النازي الراحل أدولف هتلر الذي صدر العام 1925 بجزئه الأول وبعده في العام 1936 في جزئه الثاني؛ سيعود إلى المكتبات بنسخة جديدة مطلع العام 2015 ليكون

الإصدار الثاني له في موطنه مع أنه من الكتب القليلة في العالم التي تمت ترجمتها إلى جميع اللغات تقريبا وستكون المرة الأولى التي سينشر فيها بعد الحرب.



وقد أعلنت لجنة منطقة "بافير" التي تمتلك حقوق النشر عبر مؤتمر صحفي تحدث فيه وزير المالية في بافيير ماركوس سودر أن القرار قد اتخذ بعد جملة نقاشات متضاربة حول فكرة أن إعادة النشر ستدعم أسطورة النازي هتلر أم أنها وعلى عكس ذلك ستحطم هذه الأسطورة؟ فزعامة هتلر عبر التاريخ وكما وجهها هو بنفسه جعلت شخصيته مرادفًا للسلطة المطلقة و"التأليه"، وأعادت إحياء اشكال وأنماط قديمة لسلطة الملوك، وجاءت نتائج الحرب العالمية الثانية مع ملايين الضحايا في جميع العالم لتعيده إلى صورة الدكتاتور التوليتاري الطاغية الذي يؤمن بسيادة الأقوى وأيضا بسياسة "حقيقة العرق" التي تحدث عنها في كتابه، فجعل "العرق الجرماني" أو الألماني في رأس الهرم وأظهر معاداته للسامية اليهودية وأيضًا للشيوعية. وقد اعتبر هذه الأخيرة "تجليًا" من تجليات اليهودية الملتبسة والمتخفية".

من هنا؛ كانت جميع آراء هتلر في كفاحي، وبسبب تطرفها، عرضة للرفض المطلق أو التأييد المطلق: أفكار نازية متطرفة قومية عنصرية تقول بنقاء العرق والأرستقراطية وفلسفة القوة ومحو الضعيف. وقد ترافقت هذه الفلسفة بسياسة

توسعية تسعى إلى الاستعمار بذريعة إقامة مجالات حيوية للأمة "المنتخبة" ولو على حساب شعوب أخرى وبلدان أخرى وحضارات أخرى. وحين رفع هتلر شعار "حق القوة وليس قوة الحق"؛ خسر.. إذ أدانته البشرية جمعاء بالإجرام ومسؤولية حرب كانت نتيجتها عشرات الملايين من القتلى.

وأمام هذه النظرة البعيدة كل البُعد عن القيم الإنسانية التي اتهم العالم بها الحزب النازي، وجدت الدولة الألمانية أن إعادة نشر كتاب هتلر نوع من التواطؤ مع فكره وفلسفته وسياسته، فأقفل الستار عليه نحو التسعين عامًا. اليوم تقرر نشر الكتاب في نسخة جديدة مع ذكرى تسعين عامًا على نشره للمرة الأولى وذكرى سبعين عامًا على وفاة هتلر منتحرًا.

في السجن

كتب هتلر "كفاحي" حين كان مسجونًا في "سجن لاندسبرج"، ولم يكتبه بخط يده؛ بل كان يمليه على نائبه رودولف هسّ، وكان عنوانه الأصلي "أربعة أعوام ونصف العام من الكفاح ضد الكذب والجبن"، وجاءت النصيحة من دار النشر التي تولّت طبعه بأن يختصر العنوان الطويل وتمّ الاتفاق على "كفاحي"، وجاء الإهداء فيه إلى ديتريش إيكارت، وهو عضو جمعية سرية ألمانية كانت معروفة باسم "جمعية ساتل". وقد بيع من الكتاب ما قبل الحرب نحو 250 ألف نسخة وبعد الحرب وصل الرقم إلى عشرة ملايين نسخة، وكان يوزّع مجانًا على الجنود والمدنيين من قِبَل الجنود النازيين.

وقبل أعوام؛ طالبت بافاريا الحرّة بحقوق نشر كتاب "كفاحي" في أوروبا بعد أن تنتهي العقود القديمة مع دار النشر السابقة في 31 كانون الأول 1915 وبعدها "يُنشر في المانيا فقط لخدمة المصالح التعليمية" كما جاء في تقرير رسمي. غير أن هذا الموضوع شهد نقاشات كثيرة في السنوات الماضية خصوصًا مع أحد ورثة هتلر وهو ابن لواحد من أبناء شقيق هتلر ويدعى "ليو روبال". وقد اعتبر هذا الأخير أن من حقه أن يستعيد حقوق النشر من بافاريا، ومن المتوقع أن يجني نشر "كفاحي" مجددًا نحو عشرات الملايين من اليورو. وقد شهدت هذه القضية نزاعات وصلت إلى المحاكم في ألمانيا والسويد وبولندا.

ويعتبر بعض النقاد والمحللين والدارسين أن الكتاب مهم؛ لأنه يضع القارئ على الطريق الذي أدى إلى تحوّلات في مسار هتلر منذ طفولته إلى سن الشباب والنضج وإلى تبلور الأفكار في رأسه وإلى أسباب أحقاده الكثيرة وتعصّبه وتطرّفه.

مجلدان

ويقع الكتاب في مجلدين: الأول يضم 12 فصلًا ومن عناوينه: "في بيت والدي"، "سنوات الدراسة والمعاناة في فيينا"، "ميونيخ"، "بداية نشاطي السياسي"، "الحرب العالمية"، "الأمّة والعرق".

أما المجلد الثاني؛ فهو يتألف من 15 فصلاً منها: "الفلسفة والحزب"، "الرعايا والمواطنين"، "الصراع مع الجبهة الحمراء"، "الرجل القوي هو أقوى وحيدا"، "الفدرالية كقناع"، "سياسة التحالف الألماني بعد الحرب"، "حق الدفاع في حالات الطوارئ" وغيرها.

و"كفاحي" أقرب إلى السيرة الذاتية، وهو يضع القارئ أمام المراحل الأولية لنشوء الحزب النازي وأمام الأسس الأيديولوجية لبرنامج هتلر السياسي فيما بعد. غير أنه يحتوي على نظريات لطموحات هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع؛ لأنها تضرب عُرض الحائط كل القيم الأخلاقية والإنسانية والحضارية لتجعل "مملكة" هتلر تقوم على عويل الحروب والقتل وسفك الدماء.

من هنا يبرز "كفاحي" كوثيقة مهمة تشرح الأسباب التي جرفت الشعب الألماني وأوصلت الحزب النازي إلى السلطة، كما يشرح الأسباب المباشرة للحرب العالمية التي كان هدفها الرئيسي في رأس هتلر بل في حلمه بأن تسيطر ألمانيا على أوروبا وبعدها على العالم.

ألمانيا تحيي ذكرى وصول هتلر إلى الحكم قبل ثمانين عامًا

وبتاريخ الأول من يناير 2013 نشرت أنباء موسكو خبرًا بعنوان "**ألمانيا تحيي ذكرى وصول هتلر إلى الحكم قبل ثمانين عامًا**" يقول الخبر:

"دعت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل الألمان إلى اعتبار وصول هتلر إلى سدة الحكم قبل ثمانين سنة، أنه "تهديد مستمر" على الحرية والديمقراطية.



وفي موقع يحمل الكثير من المعاني التاريخية؛ كان المقر السابق للشرطة السرية في ألمانيا النازية، وأصبح مركز توثيق في الهواء الطلق.. قالت ميركل "قبل ثمانين عاما بالتحديد وتقريبًا في الساعة نفسها عين الرئيس بول فون هندنبرج أدولف هتلر مستشارًا للرايخ".

وهذا التعيين الذي علقت عليه الصحف الألمانية بإسهاب في 2013، فتح الباب لـ12 سنة من النازية وأدى إلى سقوط بين 40 و60 مليون قتيل بينهم ستة ملايين يهودي في معسكرات الموت.

وقالت ميركل "يجب أن يكون ذلك تحذيرًا دائمًا لنا الألمان"، مشيرة إلى أنه في حينها لم يعتقد أحد أن هذا الرسام النمساوي الفاشل سيبقى في السلطة لفترة طويلة.



وأضافت لدى افتتاح معرض في برلين خصص للأشهر الستة الأولى من

وصول الدكتاتور إلى الحكم.. أن "حقوق الإنسان لا تفرض نفسها ولا الحرية ولا تنجح الديمقراطية وحدها".

وأوضحت أن "ما يجعل مجتمعنا حيًا وإنسانيًا يستلزم رجالًا يظهرون احترامًا واهتمامًا متبادلًا يتحملون مسؤوليتهم ومسؤولية غيرهم".

وميركل التي كانت تلقي كلمتها على بعد بضعة مئات الأمتار من نصب المحرقة؛ أكدت "المسؤولية الدائمة" لألمانيا عن جرائم النازية.

وقالت إن هتلر قام خلال ستة أشهر بـ"القضاء على تنوع" المجتمع الألماني.

وأوضحت أن "تصاعد القومية ـ الاشتراكية نجح لأن النخبة شاركت كما شريحة كبيرة من المجتمع الألماني فيها أو على الأقل دعمتها".

ويقول مدير مركز التوثيق أندرياس نشاما "هذا أمر حصل ويمكن أن يتكرر".

ويضيف "إننا نرفض ذلك.. لكل فرد مكانته.. في المدرسة والجامعة ومركز العمل؛ على الجميع أن يسعى إلى عدم تكرار ما حصل".

وأحيا النواب الألمان ذكرى تحرير الجيش الأحمر معتقل أوشفيتز في 27 يناير 1945.

وفي المعرض؛ يظهر على صورة بالأسود والأبيض هتلر وهو يحيي الحشود من نافذة المستشارية مساء 30 يناير 1933. وخلال النهار عين رئيس الحزب الوطني الاشتراكي للعمال الألمان مستشارًا وكلفه الرئيس بتشكيل حكومة جديدة.

وهذه من الوثائق التي تعرض في معرض "برلين 1933، على طريق الدكتاتورية".

ويستعيد المعرض بالصور والصفحات الأولى من الصحف، الأشهر الأولى من وصول الدكتاتور النازي إلى السلطة.

وكتب جوزف جوبلز الذي أصبح لاحقًا المسؤول عن الدعاية النازية في مذكراته في 31 يناير 1933 "حان الوقت! إننا في فيلمستستراسي (مقر المستشارية في حينها) وهتلر مستشار الرايخ. إنه حلم!".

وتعرض اللوحات الأخرى صورًا للحريق الذي اندلع في البرلمان في 27 فبراير؛ إذ اتخذ أول التدابير بحق اليهود في الأول من إبريل، مع بدء مقاطعة

المحال التجارية والأطباء والمحامين اليهود. وكتب على يافطة "أيها الألمان دافعوا عن أنفسكم! لا تشتروا من اليهود!".

ونجح هتلر في جذب الملايين من العاطلين عن العمل والأفراد الذين يعيشون من إيراداتهم وأفلسوا نتيجة الأزمة الاقتصادية.

وقال نشاما: إن المعرض يظهر "التآكل اليومي للمؤسسات الديمقراطية" خلال الأشهر الأولى من الكارثة النازية التي ستضرب أوروبا.

وتثير الذكرى الثمانين لوصول هتلر إلى الحكم اهتمامًا كبيرًا، في حين يبقى الدكتاتور شخصية حاضرة بقوة في ألمانيا.

وسيفتتح الخميس في متحف التاريخ الألماني معرض آخر حول موضوع "برلين والنازيين"، وتسمح خريطة أيضًا بالتجول في شوارع برلين بحثًا عن المواقع الرمزية للرايخ الثالث.

وتشدد ميركل التي ولدت بعد الحرب؛ على "المسؤولية الدائمة" لألمانيا عن جرائم النازية خصوصًا المحرقة في فيديو نشر على الإنترنت السبت.

وتؤكد ميركل التي نشأت في ألمانيا الشرقية "أننا نواجه تاريخنا. لا نتستر على شيء ولا نخفي شيئا. علينا الاعتراف بهذا الواقع.. لنصبح مستقبلًا شريكًا جيدًا وجديرًا بالثقة".

وللمرة الأولى منذ 1945؛ تنوي ألمانيا أن تعيد خلال عامين طبع كتاب المذكرات والأيديولوجية الذي وضعه هتلر 1924 بعنوان "كفاحي".

وفي 2011؛ شهد معرض خصص لـ"هتلر والألمان" إقبالًا قياسيًا. وحاليًا تعتبر رواية تتصور عودة هتلر إلى برلين في 2011، من الأكثر مبيعًا.

ويتناول أيضا الكتاب الهزليون والفنانون شخصية هتلر، وهو أمر لم يكن واردًا قبل 10 سنوات، لكن البعض مثل مجلة "شترن" ينتقد "استغلال صورة هتلر كآلة تجارية تضرب عرض الحائط بجميع المحرمات لجني الأموال".

وثائق سرية عن الزعيم النازي

بينما نشر موقع إلكتروني تقريرًا بعنوان "**وثائق سرية عن الزعيم النازي**" من إعداد عماد المرزوقي، يقول فيه:

"يبدو أن الوثائق المصنفة تحت "سرية للغاية" حول الرؤساء والزعماء التي تحصل عليها عادة وكالات الاستخبارات في العالم؛ بدأت تتجه في المستقبل القريب إلى المزادات: من يدفع أكثر يحصل عليها. سجلات وتقارير ورسائل سرية أصبحت معروضة للبيع في مزادات عالمية، والمهم في الأمر أن هذه الوثائق قد تحمل معلومات مهمة ولا يطلع عليها في نهاية المطاف إلا المشتري.

حياة الزعماء والرؤساء القدامى والحاليين؛ خصوصًا الأكثر جدلًا؛ باتت سلعة قيمة للتجارة وتجلب الكثير من الأموال لشركات تتاجر في الأرشيف التاريخي.

فعلى غرار وثائق تخص جمال عبد الناصر وستالين وأدولف هتلر وغيرهم من الزعماء التي بيعت في مزادات علنية وتحمل حقائق لم تدون في التاريخ، قد يتجه المتاجرون في الأرشيف السياسي إلى تثمين الوثائق السرية حتى للزعماء الحاليين وبيعها. هذا المسار التجاري لم تسلم منه جميع أنواع الوثائق السرية التي لا يعلم أحد من أفرج عنها إلى العلن للاتجار بها. وكان الدور أخيرًا على سجلات صحية واستخباراتية حول حياة الزعيم الألماني أدولف هتلر الخاصة، تم إظهارها أخيرًا ليس في معهد للدراسات التاريخية، ولكن في مزاد علني رسى على أمريكي. الوثائق التي تسرب بعضها إلى الصحافة كشفت حقائق جديدة عن مدبر الحرب العالمية الثانية، أدولف هتلر.

كان مثليًا، وله خصية واحدة، كان أيضا يهوديًا، وكان أيضا عاجزًا جنسيًا، كلها معلومات روجها السوفييت والأمريكان آنذاك عن الزعيم التاريخي الأكثر جدلا، والذي لا يمكن أن يمحى من التاريخ؛ لأنه حسب المؤرخين هو من صنع حقبة كاملة في التاريخ المعاصر، إنه فوهرر ألمانيا أدولف هتلر. لكن الديكتاتور الألماني لم يكن كذلك، فقد تبينت حقيقة حياته الشخصية بعد ظهور وثائق أمريكية تعود إلى عام 1945؛ تضمنت السّجلات الطبية للزعيم النازي أدولف هتلر، وبيعت في مايو الماضي في مزاد علني بنحو 19 ألف دولار في واشنطن.

الوثائق احتوت أيضًا بالإضافة إلى سجلات طبية؛ حزمة أوراق من 74 صفحة تضمنت استجوابات لستة أطباء رئيسيين عاينوا هتلر، وكان كلّ منهم متخصصًا بمجالات علاج معينة، إضافة إلى 178 صفحة تعود إلى عام 1945؛ جمعها الطبيب إروين جيسينج الذي عالج هتلر حتى العام 1944 في أثناء اعتقاله لدى القوات الأمريكية. التحقيقات مع أطباء هتلر الستة في أثناء اعتقالهم لدى القوات الأمريكية؛ كشفت حقيقة هتلر المريض الأكبر في تاريخ زعماء التاريخ، التي بقيت قيد الكتمان منذ أكثر 67 عامًا.

هتلر كما صوره السوفييت والأمريكان؛ ليس هو هتلر كما بقي في مخيلة الألمان القدامى والملايين، الذين ينظرون إليه أنه الزعيم الفذ والمجرم القاسي قاتل الملايين ومحرق اليهود.

وحسب تقرير نشرته مجلة "في إس دي" الفرنسية عن حقيقة هتلر المريض؛ تبين من خلال تفحص سجلات سرية عن صحة هتلر بيعت في مزاد علني بواشنطن في مايو الماضي، أن فوهرر ألمانيا لم يكن مثليًا أو يهوديًا أو بخصية واحدة؛ بل كان يعاني من عجز جنسي وأمراض في العين ورعشة في اليد من مخلفات انفجار قنبلة أمامه؛ إذ كان ساعيًا حربيًا في الحرب العالمية الأولى.

حزمتان من الوثائق السرية حول هتلر التي باعتها شركة "ألكسندر التاريخي للمزادات" المتخصصة في بيع الأرشيف التاريخي، كانت من شأنها أن تكشف جانبًا من حياة زعيم الرايخ الثالث الخاصة، فقد أظهرت أنه كان يتعاطى الكوكايين ويأخذ 28 دواء في الوقت نفسه، إضافة إلى حقن لزيادة الرغبة الجنسية. وتتضمّن السجّلات 10 صور أشعة لجمجمة هتلر ونتائج تخطيط أمواج الدماغ وصورًا لداخل أنفه. وكان رئيس دار المزادات بيل باناجوبوليس ذكر أن الجيش الأمريكي وضع يده على السجلات.

وكتب جيسينج في تقريره أن هتلر كان يتنشق الكوكايين لتنظيف جيوبه الأنفية ويهدّئ حلقه، وأنه حين بدأ يطلب الكوكايين اضطر الطبيب لتخفيض العيار له.

وحسب تقرير "في إس دي" المطلعة على السجلات الصحية عن هتلر التي تظهر للمرة الأولى؛ فإن هتلر نظرًا للبيئة غير الصحية حيث عاش طفولته؛ فقد اتبع نظامًا غذائيًا للمحافظة على صحته التي كانت تشكو الكثير من العلات، فقد كان لا يأكل اللحم، ولا يشرب الكحول، ولا يدخن، وسبب له النظام الغذائي الصارم مشكلات في الأمعاء كالغازات. وكان هتلر يتناول نحو 28 دواء في الوقت نفسه، بينها حبوب مضادة للغازات التي تحتوي على ستريكنين، وهي مادة سامة سببت له اعتلالاً في الكبد والمعدة. الدكتور موريل الطبيب المشرف آنذاك على صحة هتلر نصحه بتناول "الستريكنين" بحذر، وعدم الإفراط في تناولها. كما كان هتلر يتناول خصي الثيران الصغيرة لتحفيز رغبته الجنسية. لم يكن له رغبة جنسية مفرطة، لكنه لم يكن عاجزًا جنسيًا ودفع الأمر بالبعض إلى الاعتقاد بأن هتلر كان وفيًا لرفيقته إيفا بروان و لم يعاشر غيرها.

وفيما كثرت الإشاعات حول احتمال شذوذ جنسي لهتلر، الذي كان يفضل

أن يكون محاطًا بالنساء، كان هذا الأمر يشعر هتلر حسب السجلات السرية بالانتشاء، وكانت حاجته للنساء هو بمثابة توازن مقابل قسواته. وفيما يتعلق بإشاعة أن هتلر له خصية واحدة؛ فقد فندتها السجلات الطبية الحديثة التي أكدت أنه كان عاديًا. لكن الروس عندما وجدوا جثته التي كان نصفها متفحمًا؛ وجدوا خصية واحدة؛ ما يعني أن النصف الآخر قد احترق، إلا أن الزعيم السوفيتي آنذاك جوزيف ستالين؛ روج لإشاعة أن هتلر كان بخصية واحدة للتقليل من شأنه. وذكرت الصحيفة الفرنسية أن هتلر وجد في تخفيف آلامه خصوصًا بالفم والرقبة الكوكايين الذي أدمن عليه، وقال عنه آنذاك: إنه أحسن وصفة طبية لتخفيف آلامه الكبيرة".

مقالات ودراسات

النازية الألمانية (الاشتراكية الوطنية) بزعامة أدولف هتلر.. (د. كمال علاونه)

وفي دراسة مصغرة على منتدى "**الأنثروبيولوجيين العرب**" كتب دكتور كمال علاونه:

"كلمة جرماني Germain اشتقت من كلمتين سلتيتين جاير ـGair وتعني جار، ومان ـ Man ، وتعني رجلًا، وبهذا أصبحت "رجل جار" كناية عن القرب بين الناس. وقيل إن "بلد الألمان" من كلمةAlamans اشتق من اسم Alle Manner الذي يعني جميع الناس؛ لأن الألمان لم يكونوا يشكلون شعبًا واحدًا كالتوتونيين أو الإروليين من القبائل التي سكنت ضفاف نهر الألب، ثم هاجرت باتجاه الغرب إبان القرن الثالث بعد الميلاد. على أية حال؛ دلت لفظة ألمانيا على البلدان التي كانت تتحدث باللغة الألمانية.

وتعني كلمة الجرماني German الشقيق من نفس الأبوين، كناية عن الإخوة والمحبة والالتقاء في كل شيء، وتبلغ مساحة ألمانيا 356،755 كم2، تنقسم إلى 16 منطقة. بلغ عدد السكان أكثر من 85 مليون عام 2008. وعاصمة البلاد هي مدينة برلين، واللغة الرسمية هي اللغة الألمانية، والعملة المتداولة كانت (المارك) الألماني ثم اليورو الأوروبي منذ مطلع عام 2002.

مفهوم النازية

كلمة نازي Nazi هي لفظة تختصر الحروف الأولى للكلمتين اللتين تعنيان (الوطني الاشتراكي) بالألمانية. وهي حركة سياسية ذات أيديولوجية شمولية،

والبعض يقول إن النازية هي "الحزب الوطني الاشتراكي". ظهرت النازية بصورة جلية، في العقد الثاني من القرن العشرين في ألمانيا على يد أدولف هتلر الذي ولد في قرية "براونو" النمساوية، لأب موظف في الجمارك النمساوية، وأم بوهيمية، تتكلم الألمانية بصعوبة، وعاش في الفترة الواقعة بين (20 / 4 / 1889 ـ 30 / 4 / 1945).

نادت النازية بالقومية الجرمانية Germanism والتعصب لألمانيا والعادات والقيم الألمانية وتفوق العنصر الآري، وكرست ديكتاتورية الفرد "الفوهرر" أو "الدكتاتور الأعلى" أو قائد الشعب الألماني، عندما جمع بين الرئاسة والمستشارية في ألمانيا في 4 أغسطس عام 1934. من الشعارات الكلامية لإنعاش الجرمانية المتفوقة التي كان يرددها النازيون: رايخ واحد، وشعب واحد، وفوهرر واحد. وسخّرت النازية التعليم والفن والأفلام لنشر أفكارها بين الشعب، وأدت وزارة الدعاية الألمانية تحت إمرة جوزيف جوبلز (1897 ـ 1945) دورًا كبيرًا في بث الأفكار النازية الاستعلائية في البلاد، إذ كرست هذه الوزارة دعاية مستمرة للغرور والفخر والتباهي بالأمة الألمانية "العظيمة"، وقد أحيط هتلر بـ"فرقة الانتحار"، أو "فرقة الهجوم"، واتخذ نشيد الرايخ "ألمانيا فوق الجميع" رمزًا للنازية. وكان كتاب هتلر "كفاحي" بمثابة إنجيل النازية، هذا الكتاب الذي ألفه هتلر في أثناء اعتقاله ـ لمدة تسعة أشهر ـ في " لاندزبرج" في مدينة ميونخ، بين عامي 1924 ـ 1925 بعد إعلانه العصيان على الجمهورية الألمانية التي تشكلت بعد معاهدة فرساي، 1919 م، واعتبرت مهينة لألمانيا. وكتاب "كفاحي" لهتلر، اعتبره النازيون كتابًا مقدسًا، وهو الكتاب الذي جعل هتلر المؤلف الأكثر دخلًا في ألمانيا؛ إذ بيع منه عام 1945 نحو عشرة آلاف نسخة، وترجم إلى ست عشرة لغة. وكان النازيون يلبسون القمصان البنية حيث لقبوا بهذا الاسم (ذوو القمصان البنية).

مبادئ النازية

وضعت الحركة النازية مبادئ حزب العمال الألماني الوطني الاشتراكي (النازي)، في بضع وعشرين نقطة شاملة، وفيما يلي أهم النقاط المتعلقة بالمبادئ النازية:

1. اتحاد جميع الألمان لتكوين (ألمانيا الكبرى) على مبدأ حق تقرير المصير.
2. طلب الأرض والأقطار لتزويد الشعب الألماني بالغذاء، وإسكان ما يزيد منهم عن ألمانيا.

3. كل عضو من أبناء الدولة؛ يجب أن يكون عضوًا في الأمة؛ إذ يمتاز هؤلاء بالدم الألماني، بغض النظر عن الدين الذي يؤمنون به، ولا يجوز لليهودي أن يكون عضوًا في الأمة الألمانية.

4. يعيش الأفراد ممن ليسوا من أبناء الدولة، كضيوف فقط في ألمانيا.

5. واجب الدولة الأول هو زيادة رفاهية جميع الشعب، وفي حالة عدم التمكن من تغذية جميع أبناء الشعب؛ فينبغي استثناء الأجانب، ومنع غير الألمان من دخول ألمانيا، وجميع من ليسوا آريين، ودخلوا ألمانيا منذ أغسطس 1914 ينبغي إبعادهم.

6. طلب الحرب القانونية ضد الأكاذيب السياسية ونشرها في الصحف، وطلب صحافة وطنية مطهرة من الأجانب، تخضع لرقابة الآداب والفنون، لكي تتميز الحياة الثقافية الألمانية العامة.

لقد اتخذ الحزب النازي الألماني شعارًا خاصًا به كرمز وطني للاشتراكية الألمانية التي نادى بها، وهذا الرمز (السواس تيكا ـ باللغة الألمانية)، هو رمز على شكل صليب معقوف تمتد نهايات الأذرع فيه إلى زوايا من جهة اليمين، وهي علاقة قديمة انتقاها النازيون للدلالة على القوة الحاكمة والجبروت.

أدى قيام الحركة النازية بتسلم زمام الحكم في ألمانيا في 30 يناير 1933 بزعامة أدولف هتلر (مستشار ألمانيا)، وهو أعلى منصب تنفيذي، إثر حصول حزب العمال الألماني الوطني الاشتراكي (النازي) في انتخابات البرلمان (الرايخشتاج) على 230 مقعدًا مقابل 133 مقعدًا للحزب الديمقراطي الاشتراكي، و97 لحزب الكاثوليك المعتدل في يوليو 1932، أدى بصورة ظاهرة إلى دعم النزعة العنصرية في أوروبا خصوصًا في ألمانيا. وفي عام 1934؛ ذبح هتلر منافسيه ورفاقه السياسيين السابقين في ليلة عرفت بـ"ليلة السكاكين الطويلة". وكان هتلر في خطبه أمام الشعب في الساحات العامة يردد عبارات الانتقام من الدول والشعوب التي أهانت الشعب الألماني بقوله: "الدول التي صفعتنا سوف نصفعها، والتي أذلتنا سوف نذلها، والدول التي اضطهدتنا سوف نضطهدها". وتبنت النازية فكرة الاستعلاء والتفوق الآري على جميع البشر قاطبة، ورأت: "أن الجنس الآري وحده أهل دون سواه لانشاء الحضارة، ورأت أن الحضارة العظيمة لا تفنى إلا لأن الجنس الآري المنشئ لها يفنى بامتزاج الجنس وتسممه". واليهود حسب النظرة الهتلرية هم الشر الجذري بتشبيههم بالشيطان، الصورة الجسدية لليهودي، ويؤكد هتلر أن أعداء النازية اثنان: "لقد فتحت فيينا (في النمسا) عيني على خطرين، كنت

أجهل مدى تآمرهما على كيان الشعب الألماني، وهذان الخطران هما الماركسية واليهودية". وفي التطبيق العملي بعدئذ؛ عمد هتلر إلى محاولة انتزاع الشرق من الماركسيين واليهود، وهاجم فرنسا المتعاطفة مع اليهود والميالة للزنوج في إطار السياسة الشعبية وتطوير التوسع الإقليمي، والإخلاء السكاني.

على العموم؛ فإن النظرية النازية على أرض الواقع، غالت في تمجيد الجنس الآري، وتفوقه على جميع الأجناس البشرية؛ إذ يرى الجرمانيون أنهم سادة الجنس البشري، وهم أعلى مرتبة فيه، يجب أن يتولوا دائمًا توجيهه. وقد وضعت لائحة للعناصر البشرية كان العنصر الآري في ألمانيا على قمتها وهم "الأقوياء"، يليهم النورد (الدانماركيين والنرويجيين والسويديين) والأنجلوساكسون. وجاء في نهاية اللائحة السلاف والعرب واليهود والزنوج. وبذل الألمان جهدهم لإثبات أن الآري هو أبو الأجناس البشرية جميعها حمل مشعل الحضارة منذ الأزل، ونقلها إلى أمريكا، وهناك من قال إن عقيدة المسيح يهودية ولكنه من سلالة آرية والأصل أهم من العقيدة.

على أية حال؛ فإن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، أرجعت ـ حسب وجهة نظر النازيين ـ إلى كون اليهود هم الذين تسببوا في ذلك. إذ أكد دعاة النازية أن حضارة العالم في القرن العشرين، هي حضارة منحلة بلا شرف، بسبب تولي اليهود الصدارة في أكثر من مجال حيوي في العالم، في عدة حكومات من حكومات الدول الكبرى، وأن السبب الرئيسي في هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى هو تولي اليهود المراكز الحساسة في الدولة.

ولجأت الحكومة النازية إلى تطبيق المبادئ العنصرية حرفيًا على أرض الواقع في ألمانيا طيلة فترة حكمها، وما قاله هتلر نفذه وفعله على أرض الواقع بعد استيلائه على السلطة بعد ثماني سنوات من تأليف كتابه كفاحي؛ فاعتقلت السلطات النازية وسجنت المعارضين من الشيوعيين والديمقراطيين الاشتراكيين، وركزت هجومها على اليهود لاستئصالهم من الوظائف والأعمال. ولهذا عمدوا إلى طرد الآلاف من العلماء والأساتذة الموسيقيين والمحامين والقضاة والأطباء والممرضات اليهود. وقاطعوا أصحاب الدكاكين وطردوا العمال اليهود من المصانع، وحرقوا الكتب التي لا يوافقون عليها بشكل علني، ومنعوا كل صحيفة من الصدور إذا كانت تعارض أو تنتقد النازية.

شعار النازية الألمانية

كما سعت النازية الألمانية ـ التي نادت بالإمبراطورية أو الدولة العرقية ـ إلى

سياسة (الاكتفاء الذاتي) وتطهير البلاد في سني حكمها من العناصر التي سمتها بالعناصر الوضيعة من خلال قوانين نورمبرج في أيلول عام 1935، إذ عمدت إلى تطهير ألمانيا من العناصر المتخلفة أو المنحطة، خصوصًا طائفة اليهود؛ إذ صدرت قوانين نورمبرج القاضية بطرد جميع الموظفين اليهود من مناصب الدولة العامة، ومنع فئات المحامين والصحفيين والأطباء والصيادلة والناشرين - من اليهود - من مزاولة مهنهم، وتحريم فكرة وراثة الأرض عليهم. وردًا على الأعمال الهتلرية النازية الإرهابية، وما سمي بسوء معاملة اليهود، واضطهادهم على أساس عنصري، وإحلال الألمان مكانهم، اهتزت أوروبا هزة قوية، خصوصًا أن من بين اليهود المضطهدين أطباء وعلماء ومحامين وموسيقيين وكتابًا اعتبروا ألمانيا وطنهم، وكذلك اعتبرهم غيرهم، وقد رحب العالم بهم، إلا أن النازيين أخذوا يتصيدونهم؛ ما أثار الرأي العام. فلم يسمحوا لهم بمغادرة ألمانيا؛ ما أدى إلى تجويع اليهود، وقد أثر الرأي العام العالمي على النازيين وجعلهم يخففون من حدتهم، إلا أن سياستهم الاضطهادية بقيت كما هي.

أما اليهودية العالمية، ذات النفوذ القوي في الاقتصاد والمال والإعلام؛ فقد اتخذت إجراءات مقاطعة شاملة ضد ألمانيا، فقاطعت البضائع الألمانية، ووسائل المواصلات وامتنعت عن كل ما يسهم في تطوير الحياة في ألمانيا. وعلى الجانب الآخر؛ فان النازية طبقت طريقة "القتل الجماعي" على الملايين من الطوائف غير الجرمانية ومن بين هذه الطوائف اليهود، بوضع الآلاف من غير الألمان في أفران الغاز، واعتقال الآلاف الآخرين في معسكرات نازية منها معتقل اوشفيتش البولندي. أما عن الاهتمام بالصفوة في التناسل والتكاثر من أبناء العرق الواحد، وأهمية الحفاظ على العرق الجرماني، يقول هتلر Adolf Hitler:

"من هنا وجوب التدخل لمصلحة الصفوة.. وإذا كانت الطبيعة تأبى على الضعفاء والأقوياء أن يتزاوجوا؛ فإنها تحارب دون هوادة اختلاط عرق متفوق بعرق وضيع، لأن هذا الاختلاط يعود بالبشرية القهقرى.. إن امتزاج دم الآري بدم شعوب وضيعة قد أدى دائمًا إلى خراب الشعب ذي الرسالة التمدينية.. فالجرماني الذي حافظ على دمه نقيًا أضحى سيد القارة الأمريكية، وسيظل هذا شأنه ما دام محافظًا على طابعه الخاص.

ومجمل القول؛ إن كل اختلاط بين الأجناس يفضي إلى: تدني مستوى الجنس المتفوق، وتأخر مادي وروحي يفضي في النهاية إلى التفسخ والانحلال".

ويكشف هتلر رأيه بكل وضوح وصراحة حيال الأولوية في البقاء للأصلح،

ويربط ذلك بالنضال المستمر، إذ يقول: "وإن الحفاظ على حضارة ما يفترض الحفاظ بالدرجة الأولى على الإنسان الذي أوجدها، وهذا المبدأ مرتبط بحق الأصلح والأقوى في التفوق والسيادة، على من يريد الحياة أن يكافح إذن، فليس في عالمنا هذا مكان لمن يتهرب من النضال".

وتذهب النازية إلى حد الادعاء أن الإنسان الآري هو الأقوى، وهو صانع الحضارة البشرية، وتدعو إلى الحفاظ على دم العرق الجرماني نقيًا متفوقًا طاهرًا، مؤكدة أن نتاج الحضارة البشرية من الفن والعلم والتكنيك هو ثمرة النشاط الآري الخلاق، بدعوى أن الآري لا يزال المشعل الإلهي الذي يضيء السبل أمام البشر. فشرارة العبقرية الإلهية انبعثت دائمًا من جبينه المشرق؛ فإذا توارى الآري يغشى البسيطة الظلام السرمدي، وتتلاشى الحضارة البشرية في عدة قرون ويستحيل العالم قفرًا. وتقول المقولة الآرية التي تدعو إلى التفوق العنصري الآري على الأجناس البشرية: إن غريزة حب البقاء عند الآري تشكل أنبل أشكالها عند تضحية الآري بذاته في سبيل الجماعة.

على أية حال، إن ادولف هتلر أطلق كلمة الرايخ الثالث على الحكم الاشتراكي الوطني الألماني (النازي) الذي استمر لفترة ما بين 1933 - 1945؛ إذ عنى بذلك الإمبراطورية النازية الثالثة، وكانت أول إمبراطورية ألمانية أو الرايخ الأول هو رايخ أو إمبراطورية روما المقدسة (962 - 1806)، بينما امتد الرايخ الثاني أو الإمبراطورية الألمانية الثانية بين الأعوام (1871 - 1918). وقد اتبع هتلر سياسة التمييز ضد شعوب العالم كافة، ومن بينهم الأوروبيون والعرب واليهود والغجر والزنوج. فمثلا؛ رفض هتلر مصافحة الرياضي الأسود (جيسي أوينز 1913 - 1981) بعد فوزه بأربع ميداليات في الألعاب الأوليمبية التي نظمت في مدينة برلين الألمانية عام 1936، وكذلك لم يسمح بعزف موسيقى الجاز في ألمانيا النازية لاعتقاده العام أنها موسيقى مدمرة خاصة بالزنوج.

النازية واليهود

يقول زعيم النازية الألمانية أدولف هتلر، في كتابه كفاحي، عن نظرته لليهود الذين عاشوا في أوروبا خصوصًا في ألمانيا:

"كنت أعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولكن اختلاطي بأعداء السامية من مفكرين وساسة جعلني أشد تحفظًا في الحكم على أعداء اليهود، وما لبثت أن وجدتني في عداد المعنيين بالمسألة اليهودية بعد أن لمست بنفسي تكتل اليهود وتجمعهم في حي واحد من أحياء فيانا، ومحافظتهم الشديدة

على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم. وقد زاد في اهتمامي بمسألتهم ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فيينا إلى فئتين: فئة تحبذ الصهيونية وتدعو لها، وفئة تشجبها.. هذا لم يؤثر في التضامن القائم بينهم.. إن انقسامهم مصطنع وإنهم يلعبون لعبتهم، لا في النمسا فحسب؛ بل في العالم كله. وهي لعبة سداها ولحمتها الكذب والرياء؛ ما يتنافى والطهارة الخلقية".

ويضيف أدولف هتلر عن نظرته لليهود:

"ما من فعل مغاير للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن أقيس مدى تأثير "الشعب المختار" في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته، بتتبعي نشاطه في الصحف وفي ميادين الفنون والآداب والتمثيل. فقد امتد الأخطبوط اليهودي إلى هذه الميادين جميعًا، وفرض سيطرته عليها ورسمها بطابعه.. هذا التغلغل في كل ميدان من ميادين النشاط التوجيهي يشكل طاعونًا خلقيًا أدهى من الطاعون الأسود وأشد فتكًا".

ولتحويل اليهود إلى أناس غير شرعيين في ألمانيا، حرمت النازية نحو نصف اليهود من الوظائف العامة والخاصة والخدمة في الحكومة، وحظر عليهم العمل في الصحافة والإذاعة والتعليم والمسرح والسينما والزراعة وأخرجوا من الأسواق المالية (البورصة) عامي 1933 و1934. وفي خطوات لاحقة وتنفيذًا لكتاب هتلر "كفاحي"؛ فقد صنف اليهود حسب قوانين نورمبرج الصادرة في 15 سبتمبر 1935، إلى درجة رعايا لا مواطنين، وفرض عليهم ارتداء (شارات صفراء) وكانت الهوية أو البطاقة الشخصية يوضع على غلافها الأول الحرف العبري (J) للتدليل على أنهم يهود، لتمييزهم عن غيرهم من السكان. وبهذا حرم اليهود من الجنسية الألمانية، ومنع التزاوج بين اليهود والآريين، وحظر على اليهود استخدام فتيات آريات دون سن الخامسة والثلاثين في بيوتهم، وتتالت القوانين النازية لاستكمال قوانين نورمبرج، فوصل عددها إلى ثلاثة عشر قانونًا. وبهذه الإجراءات العنصرية؛ فإن اليهود لم يتمكنوا من شراء الأطعمة والأشربة من الحوانيت الألمانية، كشراء الخبز واللحم والألبان، وكذلك منع اليهود من الإقامة في الفنادق الألمانية، وكان يتم مشاهدة لافتات في الشوارع وعلى مداخل الأحياء والبقالات معنونة بعبارات: يمنع دخول اليهود، ولافتات أخرى كتب عليها: يمنع على اليهود منعًا باتًا دخول هذه المدينة، إذا دخل اليهود هذا المكان؛ فعليهم أن يتحملوا مسؤولية هذه المجازفة. وقد عملت النازية الألمانية، كما رأينا، على استبعاد اليهود من الحياة الألمانية العامة بحرمانهم العمل والشراء والبيع والكثير من الميادين العامة للأمة الألمانية، للأسباب التي أوردها هتلر في كتابه

"كفاحي"، ويدعي اليهود أن هتلر قتل منهم نحو ستة ملايين يهودي، وهي دعاية غير مؤكدة، صحيح أنه قتل الآلاف منهم، وقتل الآلاف؛ بل الملايين من الشعوب الأوروبية أيضًا، (إذ قتل نحو خمسين مليون شخص في الحرب العالمية الثانية من جميع الدول المتحاربة)، إلا أن عدد القتلى اليهود لم يبلغ العدد الضخم الذي يردده اليهود في جميع وسائل الإعلام اليهودية والعالمية التي يسيطرون عليها قديمًا وحديثًا وفي الوقت المعاصر. فقد نشرت جريدة (سبوتلايت) الأمريكية تحت عنوان (الدعاية اليهودية.. إلى أين تقودنا.. ولماذا تكذب علينا؟)، إن عملية الترويج اليهودية والصهيونية لمقتل الملايين على أيدي النازيين في ألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية غير صحيحة، وإن هذه الدعاية المغرضة بثها اليهود لجني أهداف سياسية واقتصادية وتسريع هجرة اليهود إلى فلسطين، وأمريكا، والحصول على تعويضات مالية من ألمانيا لإسرائيل والمناداة باللاسامية ضد اليهود بصورة مستمرة. وأشارت تلك الصحيفة الأمريكية إلى أن عددًا من الضحايا اليهود المنشورة أسماؤهم في جرائم النازية ضد اليهود ما زالوا أحياء، منهم المسز (سيمون فيل) رئيسة البرلمان الأوروبي.

إجمالًا؛ يمكن القول إن النازية الألمانية استطاعت أن تعيد حسابات معاهدة فرساي المذلة لها؛ فألغى هتلر معاهدة فرساي في 16 مارس 1935، وأعلن إطلاق حرية بلاده في التسلح وصعدت ألمانيا النازية إلى مرتبة الدولة الأوروبية الأولى بعد إعادة التجنيد العسكري الإجباري للشباب الألماني، وزحف الجيش النازي على النمسا وضمت للرايخ الثالث (الرايخ باللغة الألمانية تعني الإمبراطورية) بصورة رسمية في 15 مارس 1938. وقال هتلر عن عملية ضم النمسا: "يجب أن تعود النمسا إلى الوطن الألماني الكبير، وذلك ليس بسبب بعض الأسباب الاقتصادية، لا.. لا، إن هذا الاندماج يجب أن يتم على كل حال، ولو كان من الوجهة الاقتصادية غير مهم، بل وكان ضارًا.. إن الدم الواحد هو للإمبراطورية الواحدة".

وضمت منطقة السوديت الألمانية إلى الرايخ الألماني في اتفاقية ميونخ في أيلول 1938 بين ألمانيا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا ومزقت دولة تشيكوسلوفاكيا، وعمل على إعادة تقسيم قارة أوروبا وفق تشكيلة جغرافية جديدة، حسبما ترتئيه القوة النازية الصاعدة.

وكانت عملية غزو بولونيا (بولندا) في أيلول عام 1938 بأسلوب الضربات الخاطفة، حتى لا يفيق العدو ولا ينتبه لما سيحل به، بداية لنشوب الحرب العالمية الثانية. كما تعد عملية الغزو النازي لروسيا هي التي قصمت الظهر الألماني، وبعد

شن الحملات الحربية بالتعاون مع دول المحور (إيطاليا الفاشية واليابان إضافة إلى ألمانيا) على يوغوسلافيا وفرنسا، واستعادة الحلفاء الغربيين سيطرتهم على ألمانيا؛ ألقى الجيش النازي سلاحه في 29 إبريل 1945. وحاصرت القوات الروسية مخبأ ادولف هتلر بدار المستشارية ودمرته، فكتب هتلر وصيته الأخيرة؛ إذ جاء فيها إن قوات النازية ضعيفة وغير قادرة على الدفاع عن مدينة برلين عاصمة ألمانيا، ولا تستطيع أن تصد الهجوم من العدو عن هذا المكان، وبما أن كل مقاومة أصبحت لا جدوى منها؛ فإنه سوف يبقى ليموت في مقره، ولن يسمح لنفسه بأن يسقط حيًا في أيدي الأعداء، أولئك الأعداء الذين يبحثون عن مظاهر الدعاية التي يقوم بها اليهود. ولذلك قرر البقاء في برلين، واختار الموت بمحض إرادته في اللحظة التي أسفر فيها وجوده كزعيم لا يمكن المحافظة عليه. وفي 30 إبريل 1945؛ أطلق الزعيم النازي أدولف هتلر النار على فمه من مسدسه الخاص، وتناولت زوجته (ايفا براون) السم فماتت، فنقلهما "الحرس الأسود" حرس هتلر الخاص، وحفروا لهما حفرة وسكبوا عليهما النفط وأحرقوهما في الحديقة القريبة من البناء وتحولت الجثتان إلى رماد. وكل ذلك حتى لا يقع هتلر أسيرًا في أيدي الأعداء غير الجرمانيين، فكانت عنصريته التي نادى بها تموج في دمه حتى آخر رمق من حياته وعند مماته أيضًا. وبهذا، فإن هتلر حكم ألمانيا لمدة 12 عامًا وأربعة أشهر، ولم يستمر (الرايخ الثالث) الذي بناه هتلر ـ ذو الشهرة العالمية – وامتد أثره التسلطي العنصري في العالم من أقصاه إلى أقصاه، زاعمًا التفوق والسمو فوق جميع الأجناس البشرية على وجه الكرة الأرضية، إلى ألف سنة كما كان ينادي: "رايخ الألف سنة".

أدولف هتلر وزوجته

وطويت صفحة من صفحات الأنظمة العنصرية ودعاتها في قارة أوروبا خاصة وفي العالم عامة. ولم تتحقق طموحات هتلر في أن يجعل الدولة الشعبية ذات الجذور التاريخية: ألمانيا سيدة العالم لمدة ألف عام، فانعقف الصليب المعقوف عقفة كبرى إلى الأبد، فكانت الفاجعة للشعب الألماني وللشعوب الأوروبية التي ابتليت بهذا المرض أو الوباء الاجتماعي العنصري الفتاك، الذي فتك بالدعاة وبمن حولهم ودمر ملايين البشر دونما فائدة أو سبب حقيقي سوى التعصب للعنصرية.

ومهما طال الزمن الذي تتركز وتتجذر فيه العنصرية أو التفرقة الاجتماعية؛ فإنها ستسقط لا محالة، إن عاجلًا أو آجلًا، كأوراق الشجر في فصل الخريف. وقد بدأ التصدع يخر في جسم التفرقة العنصرية في جميع أنحاء العالم بفعل عوامل محلية وإقليمية ودولية، لأنها تقوم على عدم المساواة والاستعباد والحط من الكرامة

الإنسانية وانتقاص الحقوق الإنسانية الأساسية، ولا تعير العدالة الاجتماعية أهمية تذكر بين الأجناس والعناصر المختلفة باختلاف الوانهم ولغاتهم وأصولهم ومنابتهم الوطنية والقومية. فالتمييز يحمل في طياته بذور الاندثار النهائية منذ قيامه، فيدمر القوة التي تنادي بنظرية التفوق أو "النقاء العرقي"، ويسبب مآسي كبيرة لأفراد الشعب أو الجماعة ماديًا ومعنويًا، وذلك بعد أن يقضي سنوات أو بعض العقود في نشوة العنصرية الظالمة التي تقوم على استعباد الآخرين والحط من كرامتهم.

أما المساواة بين الناس وتطبيق مبادئ العدالة الاجتماعية؛ فإنهما يبقيان في الأرض فترة زمنية أطول، وقد دلت قرائن المساواة والعدالة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات القديمة والمعاصرة، على مر التاريخ الإنساني، أنها الأكثر بقاء وديمومة. أما العنصرية فإنها الأكثر دموية وتعصبًا للذات الفردية أو الجماعية أو المجتمعية، وبالتالي تحمل بذور فنائها بفنائها ذاتيًا. والمساواة الإنسانية هي الحل الأمثل لاندماج الجماعات فيما بينها دون تمييز أو مفاضلة عنصرية، ليعيش الجميع في حياة حرة كريمة، تتساوى فيها الحقوق والواجبات عند الجميع.

فالنازية مثلًا؛ عاشت فترة تزيد على خمسة وعشرين سنة بقليل، ثم تلاشت واختفت وجرت خلفها ويلات وحروب بدعوى السيطرة للعنصر المتفوق حامل لواء الحضارة والتقدم في النطاق العالمي أو الإقليمي أو المحلي المحدود. فقد تبنت النازية نظرية المجال الحيوي، التي تتيح المجال أمام العنصر الجرماني للتحكم بالشعوب الأخرى، بأي ثمن كان، ومهما كانت النتائج. وتجدر الإشارة إلى أن بذور العنصرية، تبقى موجودة بين ظهراني الشعب أو الجماعة أو الأمة التي تدعي التفوق والاستعلاء، إلا أنها تظهر وتختفي بين الحين والآخر، حسب الظروف والأوضاع المؤاتية، وبروز رموز قومية من الرجال أو القادة الذين ينادون بأحياء الأمجاد القديمة. عن ذلك يقول (ليريس): "لقد ظن أن العنصرية قد ماتت بسقوط هتلر، ولكنها كانت نظرة ضيقة، غاب عن ذهن أصحابها أن فكرة التفوق العنصري متأصلة في غالبية البيض، حتى عند الذين يعتبرون أنفسهم أقل عنصرية".

وأخيرًا؛ فان الدعاية النازية الألمانية تظهر وتختفي في ألمانيا حتى أيامنا هذه ولكن بصورة خافتة عن النسخة الأصلية الأولى التي عمرت في النصف الأول من القرن الماضي.

الأصول الفلسفية لعلاقات السياسة العالمية

باستثناء المشكلات الدولية الكبرى؛ فإن أحداث العلاقات الدولية لا تحظى باهتمام واسع من الناس، ويرجع السبب في ذلك إلى تشعب تلك القضايا واختلاطها وصعوبة رصد العوامل التي تحركها، كما سؤدي ضعف إحساس الناس بآثار العلاقات الدولية على حياتهم الخاصة؛ دورًا آخر في إضعاف اهتمامهم بتلك القضايا. إن تأثير المشكلات الدولية على أوضاع الناس العاديين تأثير كبير وأساسي إلى حد بعيد، ولكن ضعف إحساس الناس به يتأتى من أنه يحدث في الغالب بطريق غير مباشر، والغريب أن بعض كبار السياسيين العالميين يشاركون الناس العاديين في ضعف الإحساس بأثر الأحداث الدولية. ولعل من أبلغ ما حفظه لنا التاريخ الحديث دلالة على ذلك هو اتجاه القادة الأوروبيين إلى تجاهل الخطر النازي في البداية، بل حتى عندما كانت الحرب العالمية الثانية على وشك الانفجار وكان هتلر يهدد باجتياح الدول تباعًا، وعندها صرح رئيس الوزراء البريطاني حينها تشمبرلين بأن اجتياح هتلر لتشيكوسلوفاكيا إذا ما وقع فإنه لن يؤثر على الأوضاع الداخلية لبريطانيا.

تفاعل مسلمي الأمس مع العلاقات الدولية:

ومسلمو الأمس كانوا رغم انحصارهم في إطار مكاني بعيد عن الأثر المباشر لواقع التفاعلات الدولية؛ فإن القرآن أكد لنا أنهم كانوا شديدي الاهتمام بآثار تلك التفاعلات، وما روته لنا سورة الروم عن قلق المسلمين من انتصار الفرس المجوس على الروم الكتابيين هو مثال لذلك، وما روته كتب السيرة عن تسابق رجال الدولة النبوية الثلاثة الأوائل لتفقد سور المدينة هو مثال آخر. فقد حكت تلك الكتب أن سيدنا عمرعندما سمع ذات ليل جلبة عنيفة قادمة أصداؤها من عند أبواب المدينة، فتقلد سلاحه، وخفّ مسرعًا يتفقد الأمر، خوفًا من أن يكون الروم قد وصلوا إلى أبواب المدينة، ليخنقوا دولة الإسلام الناشئة، وفي طريقه إلى هناك وجد سيدنا أبا بكر الصديق وقد سبقه مستكشفًا جلية الأمر، وعندما اقترب الرجلان من أبواب المدينة ألفيا سيدنا رسول الله (ص) قادمًا من هناك، وقد سبقهما لاستجلاء الحدث.. وهكذا كان إحساس الجميع مرهفًا بالخطر القادم من خارج الحدود! وهكذا فإن المسلم لا يمكن أن يعيش معزولًا عمّا حوله من أحداث، ولا عمّا بعد عنه من أحداث.

وفي هذه المقالة نود أن نعين القارئ العادي غير المتخصص على تكوين منهجية خاصة لفهم العلاقات الدولية، وذلك من خلال الاستعراض المقارن

لأفكار المدارس الثلاث المسيطرة على أساليب تحليل العلاقات الدولية، وإضافة ملامح المدرسة الرابعة التي هي الآن في حال مخاض لما يسفر عن وجه واضح.

تحليلات التيار الواقعـــي:

إن أكثر المحللين السياسيين سواء كانوا علماء سياسة، أو سياسيين سابقين، أو بربراء إعلاميين؛ فإنهم قد خرجوا من عباءة المدرسة الواقعية (Realist approach) وحتى نعرف اتجاهات تفكير هؤلاء، فلابد من أن نستبطن مسلماتهم الفكرية السياسية، التي تشكل الأرضية الفلسفية التي ينطلقون منها، وهي أكثر التيارات معرفة عامة بهذه الفلسفة، ولكن المعرفة الغامضة لا تكفي لمعرفة الأبعاد العقلية التي تؤطر تفكير هؤلاء المحللين.

ولإيضاح ما نرمي إلى إيضاحه فلنبدأ بهذه المدرسة، فهي الأقدم والأرسخ، وعلى أساس مبادراتها وتفسيراتها نهضت المدارس الأخرى: مدرسة (العالمية) و(التبعية) و(الأصولية)، ويعتقد كثير من خبراء السياسة أن نظريات هذه المدارس الثلاث مهما بلغت أصالتها؛ فما هي إلا ردود فعل لأطروحات المدرسة الواقعية.

كيف هرب الغزال السمين؟

لقد ورث التيار الواقعي نزعة الشك العميق لدى الفيلسوفين الإنجليزي توماس هوبز، والفرنسي جان جاك روسو. وفي اعتقاد هذين الفيلسوفين؛ فإن حالة عدم الثقة التي تسود المستوى الدولي هي حالة طبيعية دائمة لا يمكن أن تتغير، لأنها مشتقة من طبيعة الإنسان المفطور على العدوان. وهكذا فلابد أن تؤسس تصرفات الدول في علاقاتها الخارجية على هذا الأساس. فلا أحد يثق في الآخر، ومن ثم فلابد أن يأخذ احتياطاته بالكامل تحسبًا من أي خطر أو هجوم يجترحه في حقه الآخرون، سواء كانوا أصدقاء أم أعداء، ولا تكمن الثقة حتى في إمكانية وفاء الآخرين ممن تدخل الدولة معهم في أحلاف أو مواثيق مكتوبة. والمثال الكلاسيكي الذي يورده هؤلاء هو "مثال الصيادين".. الذين اتفقوا فيما بينهم على صيد "غزال سمين"، كان كافيًا بأن يقدم وجبة عشاء سخية تكفيهم جميعًا، فأحاطوا الغزال وكمن كل منهم في مرصد أو منفذ ينتظر أن يفلت منه الغزال، بينما تفرغ البعض لمناوشته من الداخل، غير أن أحدهم خان العهد؛ فترك ثغرةً لما رأى أرنبًا صغيرًا، رأى أنه يكفي لعشائه منفردًا، فانشغل بصيد الأرنب تاركًا مرصده لينفذ منه الغزال ويهرب، وضاعت بذلك الوجبة الجماعية لقاء الطمع الفردي لصائد الغزال! هذا هو مثال النظام الدولي الذي يمكنه نظريًا أن يحقق الأمن والرخاء للجميع، طالما التزم الجميع بمقتضياته، ولكن الواقع شيء

آخر تنعدم فيه إمكانية تأسيس مثل ذلك النظام، وتكثر فيه احتمالات بروز أمثال صائد الأرنب، ممن يفكرون على مستوى المصالح الشخصية، ويهملون أمر المصالح الجماعية الدولية.

ولذا اقتضى الأمر أن تفكر كل دولة حسب مصلحتها الخاصة ومصالحها الآنية، على وجه الخصوص، ضاربة عُرض الحائط بمصالح الآخرين أو بمصالح النظام الدولي بعيدة المدى. هذه الأفكار الغليظة قلما يصرح بها المحللون الواقعيون، وذلك بسبب بشاعتها المميتة، وإفراطها في التشاؤم، ولكن إيمانهم بها هو إيمان قطعي لا يتخلله الشك، وهي تستبطن كتاباتهم جميعًا، وبقليل من التدريب يستطيع القارئ أن يستبصر أطيافها وملامحها في معظم ما يقرأ من تحليلات السياسة الدولية التي ينتجها الأصلاء أو المقلدون في هذا الحقل. الدولة هي المؤثر الأوحد: وانسجامًا مع هذه المقدمة الفلسفية؛ فإن وحدة التحليل عند هذه المدرسة هي "الدولة القومية" لا غير، فهم لا يعترفون بأي دور في السياسة العالمية لسوى الدول القومية، فما يسمى بالمنظمات الدولية، والقانون الدولي، والشركات عابرة القارات، والحركات الثورية، ما هي سوى واجهات وهمية لأثر الدول القومية التي تسعى إلى تحقيق مصالحها وزيادة قواها العسكرية والدبلوماسية التي تضغط بها على الدول الأخرى، لتكييف سلوك تلك الدول بما يتفق لا مع الصالح الدولي ولا المقتضيات الأخلاقية، وإنما بما يتفق مع مصالح الدولة الأقوى.

ويعتقد المحللون الواقعيون أن ذلك هو الوضع الطبيعي المشتق من طبيعة الإنسان الأمارة بالطمع والبخل وحب الاستعلاء، ويحذرون أي دولة لا تنفق جهدها في اكتساب القوة؛ لأنها إنما تخلي بذلك مواقعها للدولة الأقوى، وتصبح بالتالي سببًا مباشرًا في اندلاع الحرب. فاختلال موازين القوة إنما هو الداعي الرئيس الذي يجرئ دولة ما لإعلان الحرب. هذا بينما يؤدي اعتدال ذلك الميزان إلى حالة ردع متبادل بين الخصوم ويسبب استقرارًا مشوبًا بالحذر في الوضع الدولي.

مشكلات الحرب والسلام:

واستنتاجًا من ذلك؛ فإن أهم المشكلات الدولية عند هؤلاء المحللين الواقعيين، هي مشكلات الحرب والسلام. إن السلام مطلوب دائمًا، ولكنه مطلب عزيز لأن حالة الحرب هي الوضع الطبيعي! وبدلًا من شجب الحرب وتبيان أضرارها بالجنس البشري، وبدلًا من صرف الجهد في الدعوة إلى السلام؛ يجب التركيز على دراسة ظاهرة الحرب دراسة موضوعية، تهدف إلى الخروج بقوانين عامة عن قضايا القوة النسبية والتحالفات الدولية والاحتواء، والأداء الدبلوماسي وأسباب

اندلاع الحروب ومحاولة التنبؤ بلحظ اندلاع الحرب وبما يعقبها من تسويات وأوضاع. وإنما عُدت الحرب أهم المشكلات؛ لأنها ظلت قدر الإنسان التاريخي كما ظلت مصدرًا لأهم التغيرات والتحولات الثورية في جوانب الوضع السياسي الدولي، فكم من دولة زالت أو وهنت قواها بسبب الحرب، وكم من دولة نهضت كنتاج للحرب، وكم من حدود سياسية تم تعديلها بسبب الحرب، وكم من حكومات قد سقطت بسبب الحرب، وحتى ميزان القوى الدولي فيمكن تغييره بسبب الحرب التي قد تنتج عنها دولة عظمى واحدة سائدة، أو عدة دول تتوزع فيما بينها القوة الدولية أو قوتان عظميان تتنازعان النفوذ.

وفي غضون ذلك كله يتهمش ما يسمى بالقانون الدولي، وتتجرد العلاقات الدولية من كل مضمون أخلاقي أو اعتبار قيمي؛ لأن الحرب والسعي إلى اكتساب القوة لا يعرفان أيًا من هذه الاعتبارات، فالأخلاق عملة فاسدة في هذا المجال، أو بتعبير كيسنجر ـ وهو أعظم مراجع التيار الواقعي في الوقت الراهن ـ فالأخلاق لا حساب لها هنا على الإطلاق!! ومن قديم قدم المؤرخ توسيديس وصفه الشامل للحرب الاثينية ـ الاسبارطية بحسابات باردة، ومن دون أن يذرف دمعة واحدة على مآسي الحرب التي استعرضها وعلى الضحايا الذين أحصاهم، وكان تبريره هو نفس التبرير الطريف التليد، والذي مؤداه أن الحرب وكل ما تنطوي عليه من مآس؛ إنما هو شأن طبيعي لا يستغرب، وأكثر من ذلك؛ فعند مطالع عصر النهضة الأوروبية جاء الفلاسفة غلاظ القلوب شأن مكيافللي وهوبز وهيجل؛ ليبجلوا مفاهيم القوة والغزو والحرب، وليؤكدوها في أذهان الساسة. حتى إن هيجل كان يعتبر الحرب بمثابة الدافع الأساسي لتطهير وصقل الجنس البشري وإنتاج الإنسان الأعلى.

هذه المفاهيم حول إشكالات الواقع الدولي ما زالت هي المفاهيم نفسها التي توجه مفكري التيار التحليلي الواقعي، سواء المتشددين منهم والمتشائمين أمثال هنري كيسنجر وزبيجنيو برزنسكي من القائلين بحتمية استمرار الصراع الدولي بين الدول الراضية عن الواقع الدولي الراهن، والعاملة على تمديد أجله ما استطاعت، وبين الدول الثائرة عليه التي تنتهز الفرص لتقويضه من الأساس. أو من مفكري التيار الواقعي المعتدلين من أمثال: جورج كينان وسايروس فانس، من المؤمنين بجدوى سياسة الاحتواء والمناورات الدبلوماسية.

التقدم العلمي ليس كفيلًا بتحقيق السلم الدولي

وفي مواجهة طروحات التيار الواقعي؛ نشأ الاتجاه الوسطي التصالحي الذي يسمي نفسه بالتيار العالمي (global) ، وهي تسمية تشير إلى صلب فلسفته

القائمة بعدم حتمية الصراع على المستوى الدولي، وبأن مناخ العلاقات الدولية هو أقرب إلى حالة الاعتماد المشترك، منه إلى حال الفوضى والحرب. فهناك نوع من النظام الدولي آخذ في الاتساع والتكامل وهو في طريقه إلى أن يفرض نفسه كنوع من العرف والقانون الدولي المقبول طواعية من جميع الدول.

ويلاحظ مفكرو هذا من أمثال: جوزيف ناي وروبرت كوهين؛ تناقص تركيز الدول على قضايا الحرب والسلام، واتجاهها إلى التركيز على قضايا التطور التكنولوجي والاقتصادي، وهي قضايا تقود بطبيعتها إلى خلق وتعزيز مناخ من التفاهم والتعاون بين الدول وإلى تخفيض درجة الاستقطاب والاستعداء بينها. وبالطبع فإن المحللين العالميين لا يمضون في ذلك الشوط إلى درجة الزعم بأن ملامح الفوضى والحرب: هي في طريقها إلى الاختفاء نهائيًا. كل ما هناك أنهم لا يعطونها الأهمية العظمى في التحليل، ومعظم كتابات هؤلاء العالميين تتمحور حول تحليل دور المؤسسات الدولية، وهم يتجاوزون شأن الدول القومية، معتقدين أن تلك المؤسسات تستطيع أن تقود العالم نحو آفاق الاعتدال. ولذلك؛ فهم يدعون إلى مزيد من مأسسة السياسة الدولية، وإلى تقوية تلك المؤسسات وإعطائها استقلالية خاصة، حتى تستطيع أن تشكل بتشابكها النامي نسيج النظام الدولي الحقيقي. وقد كان هؤلاء العالميون هم أشد المحللين شجبًا لوثيقة البنتاجون الشهيرة التي دعت إلى تجاوز الأمم المتحدة، ونظم الأمن الجماعي، وسائر المنظمات الدولية، تحقيقًا للهيمنة الأمريكية المباشرة على العالم.

وفي محيط اهتمامات المحللين العالميين؛ تتناثر قضايا كثيرة يرونها أشد إلحاحًا من قضايا الحرب مثل: قضايا التوازن البيئي وحقوق الإنسان والمجاعات، وتناقص موارد الطاقة ..إلخ، فهذه وأمثالها تشكل قضاياهم المركزية، وذلك على عكس تحليلات التيار الواقعي التي تناقش هذه القضايا على هامش قضايا الحرب وتعدها من نوافل القول.

محللو رفض التبعية:

ويمثل تيار رفض التبعية اتجاها آخر في مواجهة التيار الواقعي، وهو أكثر راديكالية من التيار العالمي. وعلى عكس ما يظن الكثيرون من أن تيار رفض التبعية قد قام على أساس الاستهداء بالتراث الماركسي؛ فإن بعض منطلقاته ترتطم رأسًا بمقولات التراث الماركسي، فكل من ماركس وأنجلز أبديا تفاؤلهما بظاهرة اكتساح الرأسمالية للعلاقات الدولية، باعتباره علامة تعجل بنضج الرأسمالية ومن ثم تبشر بانهيارها الوشيك، كما أعتقد أن الأقطار المتخلفة يمكن أن تجني

فوائد بنيوية ضخمة من جراء نزوح الرأسمالية إليها. وعلى نقيض ذلك التفكير؛ يذهب منظرو مدرسة رفض التبعية وعلى رأسهم بول باران وقوندير فرانك وسمير أمين وولرستين إلى أن تعامل الدول الغنية مع الفقيرة.. لا يمكن أن يكون إلا من قبيل مباريات حاصل الصفر، بمعنى؛ أن غنْم (أ) هو غُرم (ب)، وأن المركز لا يتطور إلا بتخلف الأطراف. ويعتقد محللو هذا التيار أن النظام الدولي قد تم تشييده سلفًا، وأن مباريات السياسة الدولية إنما تدار على أساس ذلك النظام، أي على أساس الاستغلال وأنماط الاستنزاف الذي تقوم به قيادات ذلك النظام. وعند تصميم النظام الدولي، روعي أن يؤدي أولى متطلباته المتلخصة في ضمان نجاح الوظائف الاقتصادية التي يقوم بها المركز.

هذا بينما لم تعط أي ضمانات تذكر للاطراف التي انحصر دورها في توفير المواد الخام التي تتدهور أسعارها آنًا بعد آن، واستيراد الموارد المصنعة التي تتصاعد أسعارها باستمرار. وهكذا.. فبينما يرى المحللون الواقعيون أن طبيعة النظام الدولي عادلة ومتسقة مع الواقع العلمي؛ فإن المحللين الراديكاليين يرونها طبيعة استغلال وتأكيدًا للتبعية الاقتصادية. ومن هنا تنطلق جميع تحليلاتهم لمشاكل النظام الدولي. ووحدة التحليل كما يتضح من الشرح السابق ليست هي الدولة القومية، ولا المنظمات العالمية؛ وإنما النظام الرأسمالي العالمي ككل، فهو الكتلة التي تفرخ السياسة الدولية وتؤثر في معظم قراراتها، ويعتقد منظرو هذا التيار أنه لا أمل في أي جهد قومي منفرد لاختراق هذا النظام الدولي، ولا يرون سبيلًا لتقدم العالم الثالث واستقلال قراراته السياسية إلا بالاتحاد في وجه النظام الدولي.

ولذلك دعا الأستاذ الجزائري العظيم مالك بن نبي، رحمه الله، الذي يمكن اعتباره ببعض التجاوز من دعاة هذا التيار إلى تكوين تكتلات ومحاور تنظم بعض تجمعات العالم الثالث، مثل محور طنجة – جاكرتا الذي رأى أنه يمكن أن يحرر العالم الإسلامي من قبضة السياسة الدولية ومقتضياتها.

تحليلات التيار الأصولـــي:

وبينما يرى رجال هذا التيار الراديكالي؛ أن أساس المعضل السياسي الدولي هو ذو طابع اقتصادي، فإن تيارًا جديدًا يتشكل في دوائر تحليل السياسة الدولية، يرى أن ذلك المعضل نشأ لأسباب تتصل بعالم الروح والأديان.

وأفكار التيار الأصولي تجد سندها المتين في كتابات بعض الفلاسفة السياسيين الأمريكيين المبرزين من تيار لي ستراوس، وإيريك فوجلين، الذين - وإن لم يكن اعتبارهم أصوليين بالمعنى الحرفي للكلمة؛ فإنهم كانت لهم الجرأة الكافية لتثبيت

المعاني الفلسفية لعلم السياسة في وجه هجمات العلوم السلوكية. وإضافة إلى ذلك؛ كانت لهم قوة عارضة وركيزة استيعابية عالية، مكنتهم من إعادة الاعتبار الأدبي للمفاهيم الأخلاقية والإنجيلية، والزج بها إلى مضمار المفاهيم والممارسات السياسية، حتى لم يعد مستغربًا على الإطلاق اندماج الدين مع السياسة في سياق الدعوة إلى تدين الحضارة الغربية .

نهاية الزمن أضحت وشيكة:

وإسهام الأصوليين الرئيس في قيام السياسة الدولية؛ هو استصحابهم لمجموعة مفاهيم قدرية لا تحتمل النقاش، أهمها مفهوم نهاية الزمن الذي كان قد نحته من قديم الزمان الثيولوجي الكبير أوغسطين، ثم سطا عليه هيجل وقام بإفراغه من مضامينه الدينية وشحنه بمضامين علمانية ذات طابع قومي. وواصل المهمة نفسها ليبراليون آخرون آخرهم فوكاياما في حديثه نهاية التاريخ عقب سقوط الاتحاد السوفيتي، ثم عاد وراجع أطروحته قبل وقت قليل وأخرج نفسه من زمرة المحافظين الجدد، الذين ورثوا تلك الدعوة ووضعوها على محكات التنفيذ. وحسب تقدير الأصوليين؛ فإن التاريخ يسرع الخطى نحو نهاياته بطريقة قدرية لا تحكمه فيها عوامل سياسية ولا اقتصادية، وإنما تجره عوامل قدرية نحو الفصل الخاتم. فصل الصراع الدامي والمعارك المهلكة التي ستتمخض عن جيل الخلاص، الذي يمسح أوضار الشرك والعلمانية ويجلب عهد السلام الأبدي. وهكذا؛ فإن بيئة النظام الدولي ستظل بيئة الصراع الدائم والشر المستفحل. ولا ثمة أمل للسلام قبل انتهاء المعركة العظمى التي يسمونها أحيانًا بـ"الهولوكوست النووي"، وأحيانًا باسمها التاريخي "هرمجدون" وهي المعركة التي ورد عنها خبر واحد فقط في الكتب المقدسة، يقولون إنها تقع في آخر الزمان في أرض إسرائيل ويسيل الدم فيها لمسافة 200 ميل من القدس، وتتحطم على أثرها كل مدن الأرض بالسلاح النووي!

وهذه الأقاصيص التي تبدو من قبيل البشارات اللاهوتية، يروج لها الآن ساسة كبار في الغرب، وقد قام عدد من الرؤساء الأمريكيين منذ عهد كارتر لهؤلاء المحللين السياسيين؛ ليوجهوا مجلس الأمن القومي الأمريكي والبنتاجون. وقد دعا أقطاب ذلك التيار مرارًا لتقديم تحليلاتهم لكبار صناع قرار السياسة الخارجية الأمريكية.

المجتمع الديني لا القومي ولا الرأسمالي:

ووحدة التحليل السياسي عند هؤلاء هي المجتمع الديني العابر للقوميات،

والدولة القومية لا تشكل وحدة تحليل إلا إذا كانت تمثل مجتمعًا دينيًا بعينه كإسرائيل، ولا يشير الأصوليون إلى النظام الرأسمالي إلا بقدر تمثيله للمجتمع الديني النصراني. واللافت للنظر أن مفهومين من مفاهيم التيار الأصولي التقطهما الدكتور صمويل هنتنجتون في حديثه صراع الحضارات، وهما مفهوما نهاية الزمن وحسبان الحضارة وحدة التحليل المثلى. والمعروف عن هنتنجتون أنه سليل أسرة عريقة من طائفة البيوريتان الأصولية وأحد أجداده كان من ضمن الآباء المؤسسين للدولة الأمريكية، وفي كل مفصل من تاريخ أمريكا كان ينهض فرد من أفراد أسرة هنتنجتون بتلك النكهة الدينية التطهرية المفتعلة، فهل يا ترى أراد هنتنجتون وهو بعد التقاعد أن يسترجع ذلك النفس البيوريتاني القديم؟ نعم. وقد دل على ذلك بكتابه الأخير (من نحب؟) الذي فاضت منه الأفكار الدينية حتى غضت على الفكر العلماني الذي كان يصدر عنه! وعمومًا؛ فإن ظهور النكهة الدينية طفح بشكل واضح على كتاب التيار الواقعي من أمثال: بيريزنسكي ورتشارد نيكسون ولكن لا يمكن اعتبار هذين، ولا هنتنجتون من ضمن التيار الأصولي، فالتيار الأصولي يرفض في حسم واضح مسلمات التيار الواقعي، ويرفض سياسته القائمة على الاحتواء، ويطالب بالاقتحام، لا سيما في هذا الزمن الأحادي، الذي يعدونه آخر فرصة لنشر الديانة النصرانية على ربوع العالم أجمع، واتخاذها أداة لخلاص الناس من شرور الحرب والإشكالات الدولي.

التجسس عن طريق التحليل النفسي لشخصيات الزعماء ورؤساء الدول

في مجلة المجتمع الكويتية؛ نشر مقال للدكتور أحمد إبراهيم خضر نقتبس منه هذا الجزء التالي:

"اهتمَّ الأمريكيون اهتمامًا كبيرًا بدراسة شخصيَّات الزعماء ورؤساء الدول الأجانب، وأسْندت هذه المهمة إلى وحدة خاصَّة من وحدات وكالة المخابرات المركزية الأمريكيَّة، تتكوَّن هذه الوحدة من علماء نفس وأطبَّاء نفسيين، مهمتهم وضْع "تصوُّر تشخيصي" نفسي، يعطي وصفًا مختصرًا لملامح شخصيَّة ونفسيَّة زعيم ما، أو رئيس دولة ما، وهو ما يُعرف عادة بـ"البروفيل"، الهدف منه مساعدة صانعي القرار الأمريكي على فَهْم الكيفيَّة التي يُمكن أن يتصرَّف بها نظراؤهم في قضيَّة ما أو أزْمَة ما، فيستخدم صانع القرار الأمريكي المعلومات المتوافرة عن الشخصيَّة التي يتعامل معها، كي تساعده في تكتيكات التفاوض، أو المساومة، أو الاستمالة، أو التهديد، أو في تحريك أزْمَة ما.

أولاً: الفارق بين الدّراسات التشخيصيّة والدراسات الإكلينيكيّة للشخصية:

يمزج المتخصصون في تصميم هذا "التصور التشخيصي" لشخصيَّة ما بين علْم النفس وعلْم السياسة، ويشكلون منهما هجينًا أو فنًّا يسمونه "نفْسَنة رؤساء الدول عن بُعَد"، ويُميزونه هنا عن الدراسة الإكلينيكيَّة التي تحتاج إلى التعامُل مع هذه الشخصيَّة بصورة مباشرة، لا يلتقي مصمِّمُ هذا "التصور التشخيصي" بالشخصية التي يرسمها، ولا يُجري على عقل هذه الشخصية دراسة تُمكنه من فَهْم القلق أو الصراعات المكبوتة التي تجري بداخله، إنما يفحص بعُمق كتابات ومُلاحظات هذه الشخصيَّة، ويعتمد على مصادر ثانويَّة تتعلّق بحياته ومُقابلاته مع أناس آخرين يعرفهم، ويبحث عنْ مفاتيحَ تَكشف له عن اتجاهاته ودوافعه السلوكيَّة.

ثانيا: النظريتان الأساسيتان حول الكيفية التي تعمل بها السياسة الدولية:

هناك نظريتان تشرحان الكيفيَّة التي تعمل بها السياسة الدولية، ترى النظرية الأولى - وهي نظرية "الرجل العظيم" - أنَّ الشخصية القوية للرئيس هي المحرِّك لسياسته الدوليَّة، وترى النظرية الثانية أن شخصيَّة الرئيس ذات أهميَّة ثانويَّة إلى جانب العوامل الاستراتيجية والجغرافية والاقتصادية، ويرى الباحثون أنَّ فَهْمَ السياسة الدوليَّة في ضوء إحدى النظريَّتين غيرُ مُجد، وأنه لا بدَّ من الجمْع بينهما؛ ففَهْمُ السياسة الدولية في ضوء شخصيَّة الرئيس لا يعطي صورة واضحة لهذه السياسة؛ لأنَّ الدوافع الشخصية قد تكون ثانوية في معظم الحالات، كما أنَّ النظرة إلى الرئيس على أنه صندوق أسود، وأنَّ سياسة الدولة لا تُفْهَم إلا وَفْق العوامل الموضوعيَّة والمصالح القومية - نظرة تتجاهل دورَ الشخصية الفردية للرئيس.

ومن هنا عُني الباحثون بتوجيه اهتمام العلماء والأطبَّاء النفسيين إلى أنهم قد يُخطئون في تحَليلاتهم إذا أسقطوا من اعتباراتهم السياقَ الاستراتيجي والجغرافي والاقتصادي، الذي يعمل الرئيس من خلاله.

ثالثًا: تركيز معظم الدراسات على تحليل الشخصية:

الواقع أنَّ معظم تحليلات شخصيات رؤساء الدول وغيرهم تركِّز على شخصية الرئيس، وكانت الوقائع التاريخيَّة تؤيِّد ذلك، فكان الأباطرة والجنرالات عبر

القرون يحاولون معرفة ما الذي يَجري في عقول أعدائهم؛ يقول "نابليون": "ليس هناك رجال مُحاربون في القتال، إنما هو الرجل...، ليس الجيش الروماني هو الذي عبر نهر الروبيكون، إنه القيصر".

كما أكَّد المؤرخون دومًا دورَ الشخصيات العظيمة في إحداث التغيُّرات التاريخيَّة، كما كان التركيز على الشخص يجد تأييدًا عند الفلاسفة الأمريكيين، مثل: "رالف والدو إيمرسون" الذي كتَب في عام 1841 يقول: "إنه ليس من المناسب أن نقول: إنَّ هناك تاريخًا، هناك فقط سيرة ذاتيَّة".

وفي العشرينيَّات والثلاثينيات من القرن الماضي؛ وضَع "هارولد لازويل" أبو علم النفس السياسي أساسًا مهمًّا في التحليلات النفسيَّة للزعماء والقادة، يقول "لازويل": "إنَّ القادة السياسيين يُسقطون حاجاتهم الشخصيَّة على الحياة العامَّة، ويُعطون عقلانيَّة لأفعالهم على أساس ما يُعْرف بالخير العام، باختصار: إنَّ القادة يَعكسون صراعاتهم اللاشعوريَّة ورغباتهم الداخليَّة على الواقع الخارجي، وحتى في الشؤون الدولية".

وهناك أمثلة عديدة لدور شخصيَّات القادة والزعماء ورؤساء الدول في الشؤون الدولية، هناك شخصيَّة الزعيم الألماني "هتلر"، وشخصيَّة "هوشي منه"، وكذلك شخصيَّة "كاسترو"، و"جورباتشوف"، و"يلتسن"، وشخصيَّتي "السادات وبيجين"، و"صدام حسين"، و"الخميني"، وفي أيامنا هذه ما زالت شخصيَّة زعيم كوريا الشمالية "كيم آل سونج" وشخصيَّة ابنه "كيم جونج" تُهَدِّدان باندلاع حرب نوويَّة، لقد تركتْ هذه الشخصيات آثارًا كبيرة وخطيرة على السياسة الدوليَّة؛ ولهذا كانت دراستُها ووضْع تصورات تشخيصيَّة لها على درجة كبيرة من الأهميَّة.

رابعًا: أهمية تحليل شخصيات رؤساء الدول ذات النظام التسلُطي:

تزداد أهميَّة وضْع تصوُّرات تشخيصيَّة لرؤساء الدول في الأنظمة التسلُّطية بالنسبة للأمريكيين، فهم يرَون أنَّ البرلمانات ووسائل الاتصال الإخباريَّة والأحزاب السياسية كلها أبواق للرئيس، وأنَّ الجيش هو ذراعه الأساسية؛ أي: إنَّ شخصية الرئيس هنا محوريَّة وذات تأثير قوي على سياسته الدولية.

إنَّ مزاج "فيدل كاسترو" على سبيل المثال؛ يمكن أن يحدِّد أنه بإمكانه أن يُحارب حربًا شَرسة إذا انهارت الشيوعيَّة الكوبيَّة، كما كانت عقليَّة "صدام حسين" تحدِّد إمكانية دخوله في حرب مع جيرانه ومع العالم، وهناك على

مستوى الاتحاد السوفييتي "فلاديمير شيرونوفسكي" المفرط في الاعتزاز بالقوميَّة، والذي كان يتحدَّث كثيرًا عن إذلاله الجنسي المبكر، فكانَ يعلن: "أنَّ عصر الوهن السياسي قد انتهى"، وهذا في رأي المحللين الأمريكيين أمرٌ يعوق مَيْل روسيا نحو الديمقراطيَّة.

صمَّم الأمريكيون تصوُّرًا تشخيصيًّا لعقلية زعيم كوريا الشمالية "كيم سونج"، فرأوا أنَّ النظرة إليه رسميًّا تقوم على أساس أنه: المخلِّص، والأمل الأبدي، والأب المحب لكل الشعب، ونجم الخلاص والمجد، والشمس العُظمى، والبطل القومي المنتصر دائمًا، والقائد الفولاذي العظيم...، ووصفت "الواشنطن بوست" شخصيَّة "كيم الابن" – قائد رابع أكبر جيش في العالم – بأنه رجلٌ مدلَّل، وغير ناضج، يميل إلى الحفلات الصاخبة، وإلى العنف، والعلاقات الجنسيَّة؛ قال مستشار الأمن القومي في إدارة بوش "برنت سكوكروفت" حينما طلب قراءة التصوُّر التشخيصي لـ"كيم الابن": "إنه رجل يحبُّ ضرْب النساء، ولا أرى فيه شخصيَّة مكتملة الرجولة؛ ولهذا يحاول أن يُثبت هذه الرجولة في تعامُله المتَّسم بالقسوة للجيش، "تعني هذه التحليلات النفسية للأمريكيين أنه حينما تُوضَع حسابات الطبيعة النفسية لـ"كيم الابن" في الاعتبار، يتبيَّن أنه شخص متهوِّر، يُمكن أن يصل بالأزمة النوويَّة الحاليَّة إلى حدّ الخطر".

لكنَّ هناك رأيًا آخرَ يرى أنَّ وكالة المخابرات يُمكن أن تؤدِّي خدمة نفيسة لصانع القرار، إذا كانتْ تصوراتها التشخيصيَّة أكثر دقَّة ومتجاوزة الحدودَ الدعائيَّة للزعيم الكوري؛ لأنَّ مثل هذه التصوُّرات يُمكن أن تؤدي إلى كارثة إذا لم تكنْ حساباتها دقيقة، ويرى أصحاب هذا الرأي أنَّ سِجلَّ الوكالة في هذا المجال ليس مشجِّعًا.

والحقيقة هي أنَّ هذه التصورات التشخيصيَّة لَم تصب نجاحًا كاملاً، كما لَم تصب إخفاقًا كاملاً، وكما أثْنى صانعو القرار السياسي على بعضها، هاجَمها آخرون بشدَّة.

خامسًا: نتائج غريبة للتحليلات النفسية:

مع ظهور التحليل النفسي لـ"سيجموند فرويد" تولَّد بُعدٌ جديد للـ"بيوجرافيا"، أو "السيرة أو السيرة الذاتية" تتمثَّل فيما يُعْرَف بـ"البيوجرافيا النفسيَّة"، وتعني: فَهْم ما يَجري في عقل شخص ما من خلال دوافعه اللاشعوريَّة، ورغباته، وصراعاته الداخليَّة، وقد دشَّنَ "فرويد" بداية هذا المولود الجديد في دراسة له عام 1932 عن الفنان "ليوناردو دي فينشي"، كما اشتَرك "فرويد" مع آخرين في عام

1932 في تأليف مجلد عن "وودرو ولسون"، لكنَّ نتائج هذه التحليلات بَدَت مرتكزة على بيانات تأمُّليَّة وهزيلة بشدة، كما كانتْ بعض نتائج الجهود الأولى في التحليل النفسي للشخصيَّات التاريخيَّة غريبة.

في عام 1913؛ قام المحلِّل النفسي "هانز شاس" بتفسير حُلم رجل الدولة الألماني "أوتو فون بسمارك"، وتوصَّل إلى نتيجة مؤدَّاها: أنَّ وراء رغبات بسمارك في هزيمة النمسا وتحقيق وحدة ألمانيا خيالات عن انتصارات شهوانيَّة، وممارسة العادة السريَّة في الطفولة، وهذه نتائج يراها الباحثون غريبة.

سادسًا: تحليل شخصيَّة الزعيم الألماني "أدولف هتلر":

سيْطَر التحليل النفسي الفرويدي على العلماء والأطبَّاء النفسيِّين في الولايات المتحدة بعد تدفق المهاجرين النمساويين والألمان إليها، وكانت شخصيَّة "أدولف هتلر" هي الشخصية التي استُخْدم في دراستها البُعد الفرويدي الجديد، وفي عام 1942 أصدَر "وايلد بل دوفان" - رئيس مكتب الخدْمات الاستراتيجيَّة في زمن الحرب OSS التابع لوكالة المخابرات - أمرًا سريًّا بدَراسة شخصية "هتلر"، كان الباحث الرئيس في جماعة الدراسة هو المحلِل النفسي "والتر لانجلر"، وصدرتْ نتيجة هذه الدراسة في عام 1972 بعد أن أزِيلت منه صفة السريَّة تحت عنوان: "عقل أدولف هتلر".

توصَّل "لانجر" إلى أنَّ "هتلر" كان "سيكوباتيًّا عصابيًّا"، "بمعنى أنه شخص منحرف عن السلوك السوي، وسلوكيَّاته مضادة للمجتمع وخارجة عن قِيَمه ومعايَيره، ومُثُله العُليا".

أعاد "لانجلر" النظر بصورة شاملة في المعلومات الخاصة بـ"هتلر"، كما أجْرَى مقابلات مع الذين قابلوا "هتلر" شخصيًّا، أجْريَت الدراسة في زمن الحرب ووَفْق فترة زمنيَّة محدَّدة، وهي لا تعكس بالطبع التطوُّرات المتلاحقة التي حَدَثت في علم النفس، كما أنها لا تضمُّ تفاصيل عن هذا الجمع الهائل من الوثائق حول "هتلر"، ورغم هذا القصور في الدراسة، فقد كانتْ أشْبَه بكنز ثمين يتضمَّن تفصيلات وتحليلات حول شخصيَّة "هتلر"، وبعض التنبُّؤات الدَّقِيقة عنه.

بيَّنت الدراسة أنه كلما تعرَّضت ألمانيا لهزائمَ متلاحقة، زادَت عصبيَّة "هتلر"، وكانت كل هزيمة له تُفقده ثقته بنفسه أكثر وأكثر، كان "هتلر" يَشعر بأنه غير محصن، وكان يخشى من هجوم رفقائه عليه، وكان هذا سببًا في شدَّة غضبه، فكانَ يحاول تعويضه بالشدَّة والقسوة المتزايدة، ورأى الباحثون أنَّ "لانجر" كان

مصيبًا في اعتقاده بأنَّ "هتلر" سوف ينتحر، لكنه لَم يكن هناك من دليلٍ على أن "روزفلت" وكبار القادة قد قرَؤوا تقرير "لانجلر".

وجهات نظر



رسم كاريكاتيري يظهر طعن يهودي للجيش الألماني في ظهره بخنجر. وقد ألقى باللوم لاستسلام غير الوطنيين، من الاشتراكيين، البلاشفة، جمهورية فايمار، واليهود على وجه الخصوص.. 1919

تحمل شخصية هتلر تناقدات عدة، عادة ما تظهر شخصية هتلر في وسائل الإعلام بالشخصية الديكتاتورية التي تود هلاك العالم، والبعض يصفه بأنه الشيطان، وآخرون يتهمونه بأنه قام بالعديد من المجازر التي راح ضحيتها آلاف من البشر، كما اتهم بمعادة السامية. تبقى شخصية هتلر شخصية خلافية عالميًا إذ في غالب الأحيان تظهر وسائل الإعلام مساوئ شخصيته وأبرزها معادة السامية.. لكن لهتلر ميزات إلى جانب أعماله السيئة. عندما تسلم هتلر مقاليد الحكم في ألمانيا.. كانت ألمانيا وقتها مهزومة في الحرب، مدمرة اقتصاديًا، موقعة على معاهدة فرساي التي تنص على تحديد عدد الجيش، وتحديد القدرات العسكرية الألمانية. لكنه بعد ذلك زاد القدرات العسكرية الألمانية، ألغى معاهدة فرساي، أنشأ المصانع ووصلت البطالة لمعدلات منخفضة، كما انتعش الاقتصاد الألماني. بسط هتلر أفكار الاشتراكية القومية ورؤاها السياسية والأيديولوجية؛ إذ كتبها في كتاب كفاحي، وفحواها أن الاختلاف بين الأجناس والأفراد أمر فرضته الطبيعة في نظامها الأزلي وأن (العنصر الآري) هو العنصر الوحيد الخلاق في تاريخ البشرية، وأن الشعب هو الوحدة الطبيعية الأساسية للبشرية، والشعب

الجرماني هو أعظم الشعوب قاطبة، وإنما الماركسية والشيوعية بتأكيدها للعالمية والصراع الطبقي، وخلف الماركسية يكمن العدو الأكبر، وهم اليهود الذين يجسدون الشر على الإطلاق ويريدون تدمير العنصر الآري؛ لذلك يجب تطهير الرايخ منهم والحفاظ على نقاء الدم الآري.

وصل هتلر إلى السلطة عبر سلسلة من الإجراءات التي أزاح بها خصومه من المسرح السياسي، وثبت دعائم دكتاتوريته الشخصية المطلقة؛ إذ عندما احترق الرايخستاج أعلن حالة الطوارئ وحصل تفويض بإصدار القوانين من دون الرجوع إلى البرلمان، وبدأ بتطهير جهاز الدولة من الخصوم ومن غير الآريين، وانطلقت حملة ضد الشيوعيين واليهود والأحزاب المعارضة، كما تم إلغاء النقابات وتشكيل جبهة العمل الألمانية وأعقبها تشكيل منظمة "شبيبة هتلر لتربية الشباب وتدريبهم حسب المبادئ النازية الآرية". بعد موت هندنبورج تم توحيد منصبي مستشار الرايخ ورئيس الرايخ في شخص هتلر، الذي أدى له الجيش قسم الولاء وتحولت ألمانيا إلى دولة الحزب الواحد الذي سيطر على مجالات الحياة كافة.. بوساطة جهاز الجستابو (الشرطة السرية) ومنظمات الحزب العسكرية. وهكذا أمسك هتلر بجميع مفاتيح السلطة المدنية والعسكرية والشعبية التي تركزت في شخص الفورَر (الزعيم).

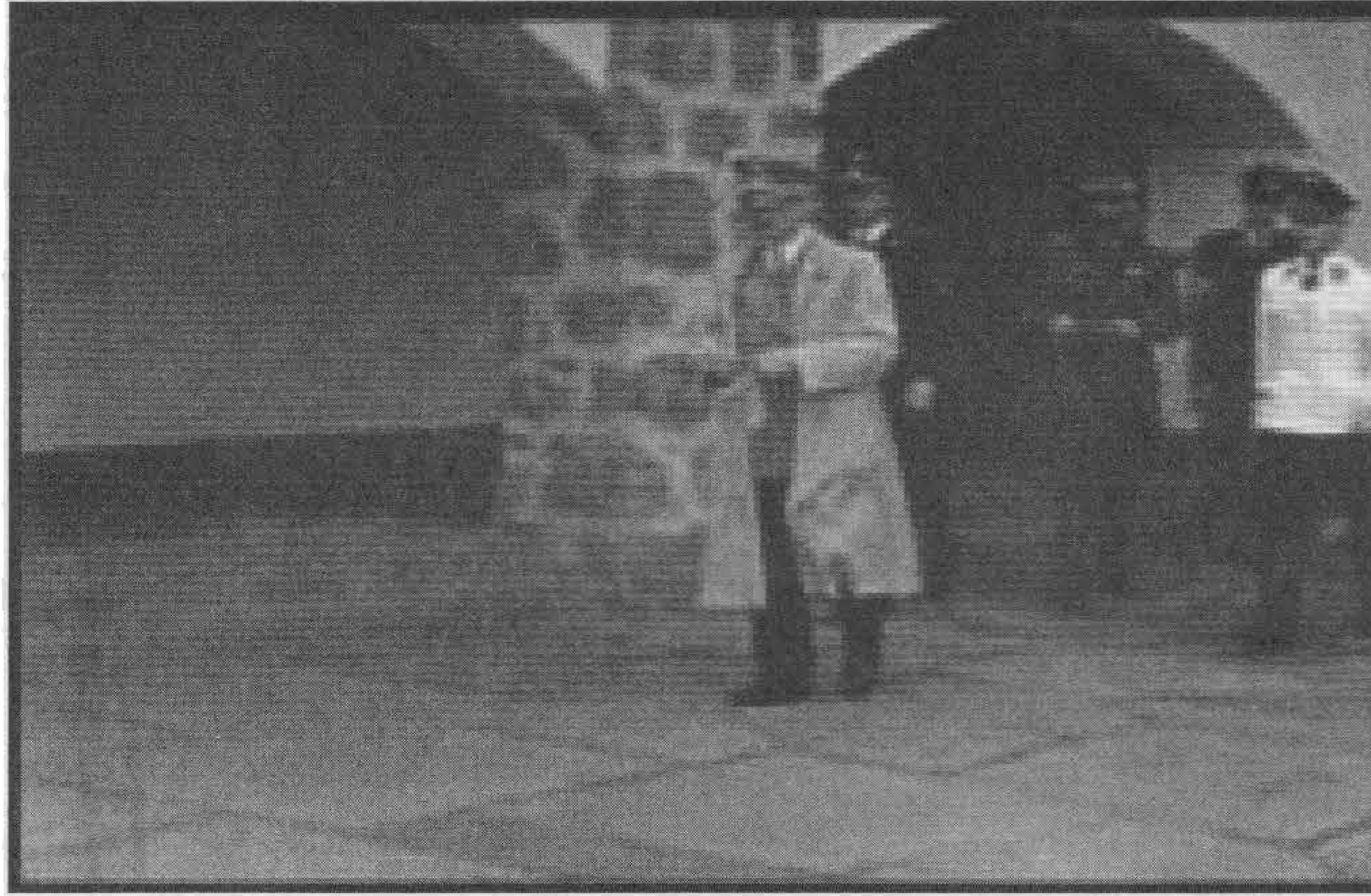
يعتقد البعض أن اسم هتلر صار رمزًا للدكتاتورية والحكم العنصري الفاشي الدموي، ويرى فيه آخرون أنه مفجر الحرب العالمية الثانية التي جعلت ألمانيا تقف في وجه دول كثيرة في العالم؛ مما وجه وجهها والعالم المعاصر. فيما يعتبره آخرون رمزًا للكفاح، يعتقد البعض أن بعد فترة قصيرة من صعود النازيين للحكم في ألمانيا وصعود هتلر للسلطة؛ عملوا على خطة لإبادة اليهود والمعروفة بالحل النهائي، بإشرف أدولف أيخمان على عمليات الهولوكوست. تمت بالإضافة إلى اليهود إبادة الشيوعيين، شهود يهوه، وممن اعتبروا شاذين جنسيا، كما تمت إجراءات جراحية أو طبية لمنع معاقين عقليا من الإنجاب واستعملت أساليب القتل الرحيم لإنهاء حياة بشر.

هتلر ووسائل الإعلام

الخطب والاجتماعات السنوية

كان هتلر خطيبًا مفوهًا، استولى على ألباب الكثيرين بضربات يده على المنصة التي كان يقف خلفها وهو يلقي خطاباته، وبصوته الهادر وخطبه الحماسية.

وكان يصقل مهاراته بإلقاء الخطب على الجنود خلال عامي 1919 و1920. وأصبح ماهرًا في التحدث إلى الناس بما يريدون أن يسمعوه منه "الخيانة التي طعنت الجيش الألماني في الظهر أثناء الحرب العالمية الأولى، والخطة اليهودية الماركسية لغزو العالم، والخيانة التي تعرضت لها ألمانيا في معاهدة فرساي". وكان هتلر ماهرًا أيضًا في العثور على كبش فداء يلقي عليه باللوم على ما يلحق بشعبه من مصائب. ومع مرور الوقت؛ تمكن هتلر من الوصول إلى حد الكمال في أدائه أمام الجماهير عن طريق التدرب أمام المرآة والعزف الماهر على أوتار المشاعر في أثناء عروضه. وقد تدرب هتلر على يد أحد الأشخاص الذي كان يدعي كذبًا قدرته على استبصار المستقبل، وقد ركز على استخدام اليد والإيماءات التي يمكن القيام بها عن طريق الذراع. وتحدث عنه ألبرت سبير الذي كان وزيرًا للذخيرة في عهده ومعماريًا - والذي كان يعرف هتلر كما كان الجميع يعرفه - فقال إنه كان قبل كل شيء آخر ممثلًا بارعًا.



وقد تم تصميم الاجتماعات السنوية الحاشدة التي كان ينظمها ألبرت سبير من أجل إطلاق شرارة إقناع الذات في نفوس المشاركين فيها. وكان المشاركين في هذه الاجتماعات السنوية يعززون التزامهم تجاه الحركة النازية عن طريق حضور في الاجتماعات السنوية، والاشتراك في المسيرات، ورفع أصواتهم بالتحية للقائد، وأداء التحية العسكرية بيد ثابتة وقوية.

ويمكن إدراك هذه الأمور بشكل كامل من مشاهدة الفيلم الدعائي الذي يحمل اسم انتصار الإرادة Triumph of the Will؛ والذي قام بإخراجه ليني ريفنشتال ليصور الاجتماع السنوي للحزب النازي الذي تم عقده في نورنبيرج في عام 1934. وقد قام المخرج بتصوير هتلر من زاوية عالية أو منخفضة فقط،

ولكن لم يقم بتصويره من الأمام مباشرة إلا مرتين فقط. والتقاط الكاميرا الصور له من هذه الزوايا يضفي عليه هالة من التقديس. وكان بعض من ظهروا في الفيلم ممثلين تقاضوا أجرًا عن قيامهم بالتمثيل في هذا الفيلم الدعائي، ولكن لم يكن معظم من شاركوا فيه من الممثلين. ولم يتم أبدًا الكشف عما إذا كان الفيلم قد استعان ببعض المنضمين حديثًا للحزب النازي من بين رواد المسرح. وربما تكون محاولات إقناع الذات قد تركت أثرها على هتلر نفسه. وكان هتلر يلقي بالخطبة نفسها (ويصقلها بلسانه المعسول لدرجة أكبر في كل مرة) مئات المرات؛ فيلقيها أولًا أمام الجنود ثم يقوم بإلقائها في النوادي المنتشرة في جميع أنحاء ألمانيا التي كان يرتادها الشعب الألماني. وربما كانت هذه العروض هي ما أضافت المزيد والمزيد إلى الأحقاد التي كان يضمرها في نفسه؛ خاصةً تلك الكراهية الشديدة التي كان يضمرها لليهود والتي استولت عليه تمامًا.



هتلر مع البارون مانرهايم في يونيو من عام 1942

ما تم تسجيله من أحاديث هتلر الخاصة

وقد زار هتلر المشير الفنلدي مانرهايم، في الرابع من شهر يونيو في عام 1943. وفي أثناء هذه الزيارة؛ قام أحد المهندسين العاملين في شركة هيئة الإذاعة الفنلندية YLE، ويدعى ثور دامن بتسجيل نص الحوار الذي دار بين هتلر ومانرهايم؛ وهو تصرف لا بد أنه قد قام به في الخفاء؛ لأن هتلر لم يكن ليسمح بتسجيل

محادثاته الشخصية من دون إذن منه ودون أن يتحضر لذلك. ويعتبر هذا التسجيل اليوم هو التسجيل الوحيد المعروف لهتلر وهو يتحدث بلهجة غير رسمية. والتسجيل يعرض لمحادثة خاصة مدتها إحدى عشرة دقيقة ونصف بين القائدين. ويتحدث هتلر بطريقة يظهر فيها قليلا من الإثارة، وعلى الرغم من ذلك؛ فهي طريقة تتسم بالتحرر الفكري (وذلك إذا ما تمت مقارنة الطريقة التي يتحدث بها بتلك التي كان يتحدث بها الرجال الذين ينتمون للطبقة العاملة في زمنه). ومعظم التسجيل عبارة عن مونولوج يتحدث فيه هتلر. وفي المحادثة، يعترف هتلر بفهمه لقدرة الاتحاد السوفيتي على الدخول في حرب.

أسطوانة Patria المصورة

وقد تم إصدار أسطوانة مصورة تحمل سبع صور وواحدًا من خطابات أدولف هتلر. وهذه الأسطوانة تحمل اسم الوطن، وتحمل واجهة الأسطوانة صورة لهتلر وهو يلقي أحد خطاباته، كما أن عليها تسجيلا لأحد خطابات هتلر، وكذلك خطاب لواحد من أعضاء الحزب النازي. أما الوجه الآخر للأسطوانة فيصور يدًا تحمل العلم المرسوم عليه الصليب المعقوف.

الأعمال الوثائقية التي تؤرخ لعهد الرايخ الثالث

ظهر هتلر في سلسلة من الأفلام، كما ارتبطت شخصيته بالبعض الآخر من لاالأفلام بدرجات متفاوتة؛ وذلك في أفلام أخرجها ليني ريفنشتال في -Univer sum Film AG أو UFA؛ وهو أكبر استوديوهات السينما في عهد الرايخ الثالث:

- انتصار الإيمان ـ بالألمانية: Der Sieg des Glaubens، تم تصويره في 1933.
- انتصار الإرادة ـ بالألمانية: Triumph des Willens، وتم تصويره في 1934.
- يوم الحرية: قواتنا المسلحة ـ بالألمانية: Tag der Freiheit: Unsere Wehrmacht، وتم تصويره في 1935.
- أوليمبيا (فلم) ـ بالألمانية: Olympia، وتم تصويره في 1938.

وكان هتلر هو الشخصية المحورية في الأفلام الثلاثة الأولى؛ وركزت هذه الأفلام على اجتماعات الحزب النازي السنوية في السنوات التي أنتجت هذه

الأفلام فيها، ويمكن اعتبارها أفلامًا دعائية. وقد صور هتلر بشكل واضح في الفيلم الذي يحمل عنوان أوليمبيا. ولا يزال الجدال قائمًا حول اعتبار الفيلم الأخير فيلمًا دعائيًا أو فيلمًا وثائقيًا حقيقيًا. وعلى أي حال، يعمل الفيلم على تخليد دورة الألعاب الأوليمبية التي تمت إقامتها في عام 1936، وينشر الرسالة الدعائية التي حرصت هذه الأوليمبياد على نشرها بتصويرها لألمانيا تحت الحكم النازي تعيش في رخاء وتتطلع للسلام. كذلك، تم تصوير هتلر ـ بصفته شخصية سياسية بارزة ـ في العديد من الأفلام الإخبارية القصيرة التي يتم عرضها في دور السينما.

التليفزيون

تم تصوير حضور هتلر للعديد من الحفلات الرسمية والمناسبات الاجتماعية ـ بما في ذلك دورة الألعاب الأوليمبية الخاصة بعام 1936 والاجتماعات السنوية للحزب النازي التي كان يتم عقدها في مدينة نورنبيرج ـ على الشبكات التليفزيونية في الفترة ما بين عامي 1935 و1939. وكانت تتم إعادة عرض هذه الأحداث ـ بالإضافة إلى غيرها من البرامج التي تلقي الضوء على الأنشطة التي يقوم بها الموظفون الرسميون ـ في قاعات المشاهدة العامة. وقد تم تقديم نماذج من عدد من الأفلام التي حفظها لنا التاريخ منذ عهد ألمانيا النازية في الفيلم الوثائقي الذي تم إنتاجه في عام 1999 تحت عنوان "التليفزيون تحت حكم الصليب المعقوف" ـ بالألمانية: Das Fernsehen unter dem Hakenkreuz.

الأعمال الوثائقية التي تم إنتاجها بعد سقوط الرايخ الثالث

- العالم في حالة حرب The World at War وقد تم إنتاجه في عام 1974.

وهي سلسلة من إنتاج Thames Television تعرض الكثير من المعلومات عن هتلر وعن ألمانيا النازية، ويتضمن ذلك مقابلة شخصية مع سكرتيرة هتلر تراودل يونجه.

- الأيام الأخيرة في حياة أدولف هتلر ـ Adolf Hitler's Last Days.

وهي سلسلة من إنتاج BBC تحمل عنوان "أسرار الحرب العالمية الثانية" ـ Secrets of World War II، وهي تحكي عن الأيام الأخيرة التي قضاها هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية.

- النازيون: تحذير من قلب التاريخ - The Nazis: A Warning From History، وقد تم إنتاجه في عام 1997.

وهي سلسلة من ستة أجزاء من إنتاج BBC عن الطريقة التي تقبل بها المثقفون والمتعلمون الألمان هتلر والنازيين حتى وقت سقوط النازية. وكان المستشار التاريخي لهذا العمل هو إيان كيرشو.

- النقطة العمياء - بالألمانية Im toten Winkel—Hitlers Sekretärin ، وقد تم إنتاجه في عام 2002.

والعمل هو مقابلة شخصية حصرية استغرقت تسعين دقيقة مع تراودل يونجه؛ سكرتيرة هتلر. والفيلم أخرجه المخرج النمساوي اليهودي أندريه هيلر، وذلك قبل وفاة تراودل بفترة قصيرة على أثر إصابتها بسرطان الرئة، واسترجعت فيه تراودل ذكريات الأيام الأخيرة في قبو القائد في برلين. وقد تمت الاستعانة بمقتطفات من هذه المقابلة في فيلم السقوط - بالألمانية: Downfall.

- مهندس النهاية - بالألمانية: Undergångens arkitektur، وقد تم إنتاجه في عام 1989. وهو عمل وثائقي عن مفهوم حب الجمال من وجهة النظر الوطنية الاشتراكية التي رآها هتلر.

- للتلفزيون تحت حكم الصليب المعقوف - بالألمانية: Das Fernsehen unter dem Hakenkreuz، وقد تم إنتاجه في عام 1999. وهو عمل وثائقي قدمه مايكل كلوفت عن الاستخدام الوطني للتليفزيون في ألمانيا في عهد النازية للأغراض الدعائية ما بين عامي 1935 و1944.

الأعمال الدرامية التي تناولت النازية

- هتلر: الأيام العشرة الأخيرة في حياته - بالإنجليزية: Hitler: The Last Ten Days، وقد تم إنتاجه في عام 1973. ويعرض الفيلم الأيام الأخيرة من حياة هتلر التي انتهت بوفاته، والفيلم من تمثيل سير أليك جينيس.

- هتلر: فيلم من ألمانيا - بالإنجليزية: Hitler: A Film from Germany - بالألمانية:: Hitler—Ein Film aus Deutschland، والعمل من إنتاج عام 1977.

ومدة العمل سبع ساعات، ويتكون من أربعة أجزاء. واستعان المخرج في هذا الفيلم بمقتطفات وثائقية، وخلفيات من الصور الفوتوغرافية، وعرائس متحركة، ومشاهد تم عرضها على خشبة المسرح، وغيرها من العناصر.

- القبو - بالألمانية: The Bunker، وقد تم إنتاجه في عام 1978. ويعرض الفيلم الأحداث التي دارت في الأيام الأخيرة في قبو القائد من يوم السابع عشر من يناير وحتى يوم الثاني من مارس في عام 1945. وقد تم تحويل هذا العمل إلى فيلم تليفزيوني بعنوان القبو، وذلك في عام 1981 من تمثيل أنتوني هوبكنز.

- الوطن (فيلم) - بالإنجليزية: Fatherland - بالألمانية: Patria، والعمل من إنتاج عام 1994. وهو رؤية افتراضية لألمانيا خلال عام 1964 في حالة انتصار هتلر في الحرب العالمية الثانية. والعمل مأخوذ من الرواية التي كتبها الصحفي السابق روبرت هاريس.

- المرآة الخاوية - بالإنجليزية: The Empty Mirror، والعمل من إنتاج عام 1996. وهو دراما نفسية تتأمل في الأحداث التي وقعت بعد عهد هتلر (وصور هذه الأحداث نورمان رودواي الذي عاصر سقوط ألمانيا النازية).

- ماكس (فيلم) - بالإنجليزية: Max، العمل من إنتاج عام 2002. وهو دراما قصصية تصور الصداقة التي جمعت بين تاجر فنون يهودي وهو ماكس روثمان (ويمثل الشخصية جون كيوزاك)، وبين أدولف هتلر الشاب (ويمثل الشخصية نوه تايلور)، وذلك عندما صادفه الفشل كرسام في فيينا.

- هتلر: نهوض الشر (مسلسل) - بالإنجليزية: Hitler: The Rise of Evil، والعمل من إنتاج عام 2003. وهو مسلسل تليفزيوني من جزأين يحكي عن السنوات الأولى في حياة أدولف هتلر وعن صعوده للحكم (وذلك حتى عام 1933)، وقام بتمثيل دور البطولة في الفيلم روبرت كارلايل.

- السقوط - بالألمانية: Der Untergang، والعمل من إنتاج عام 2004. وهو فيلم ألماني عن الأيام الأخيرة من عمر هتلر وعمر الرايخ الثالث. وأدى دور البطولة في الفيلم برونو جانز، ويعتمد الفيلم جزئيًا

على السيرة الذاتية الخاصة تراودل؛ وهي السكرتيرة المقربة إلى هتلر. وفي عام 2002، صرحت تراودل بأنها تشعر بالذنب لأنها "كانت معجبة بأعتى المجرمين في تاريخ البشرية".

- فالكيري - بالألمانية: Valkyrie، والعمل من إنتاج عام 2008. ويصور هتلر - الذي قام بأداء دوره دافيد بامبر - كهدف لمحاولة اغتيال مدانة قام بها شتاوفنبرج.
- تستطيع الآن مقابلة د. فرويد يا سيد هتلر - بالإنجليزية: Dr Freud Will See You Now Mr Hitler، والعمل من إنتاج عام 2008. وهو دراما إذاعية كتبها لورانس ماركس وموريس جران، وتقدم سيناريو تخيليًا يقوم فيه سيجموند فرويد بعلاج هتلر الشاب. وقد قام الممثل توبي جونز بأداء دور هتلر.

الفصل الرابع
شخصيات وهتلر

أسطورة روميل: بين بطل حرب وتابع لهتلر

من كان روميل حقا؟ سؤال لا يزال يحير العديد من علماء التاريخ، فما بين مقاوم مقاتل وتابع لهتلر تتذبذب الآراء حول الرجل الذي لقب بثعلب الصحراء، والذي أعيد النقاش حوله بعد فيلم تليفزيوني يتناول سيرة حياته في شمال فرنسا، 9 يوليو 1944: حديث على مستوى عال يدور بين الضابط سيزار فون هوفاكر والمارشال إرفين روميل. ينتمي هوفاكر إلى دائرة منفذي خطة 9 يوليو 1944، التي كانت تسعى لاغتيال هتلر. حاول هوفاكر أن يستميل روميل إلى صفه وقال له: "هل يمكنك أن تناضل من أجل ألمانيا؟"، ويرد روميل: "لكنني أناضل من أجل ألمانيا"، فيستدرك هوفاكر بدقة أكثر: "أقصد من أجل ألمانيا أخرى، وقيادة أخرى". في هذا المشهد من الفيلم لم يتم التطرق عن قصد لإجابة روميل.

يطرح الفيلم سؤالين محوريين في حياة المارشال روميل: هل اشترك المارشال في خطة محاولة اغتيال هتلر في 20 يوليو 1944؟ وما موقف روميل من رجال المقاومة العسكرية التابعة للضابط كلاوس فون شتاوفنبيرج؟ للإجابة عن السؤالين قضى علماء التاريخ عقودًا. في الأول من نوفمبر عُرض فيلم يتناول سيرة روميل على التليفزيون الألماني الأول (ARD) ، وقد استطاع الفيلم أن يحقق 6.4 مليون مشاهد، وهو رقم قياسي في ذلك المساء. بعض وسائل الإعلام مدحت الفيلم واعتبرته "وثائقيًا دقيقًا" بينما انتقدت وسائل إعلام أخرى البعد الإنساني المبالغ فيه في شخصية روميل، الذي تم تقديمه في الفيلم. أما على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" فقد اختلفت التعليقات من "دعاية للنازية" إلى " فيلم ممتاز".

اختلاف حول عملية اغتيال هتلر

هل كان روميل تابعا لهتلر كما أظهره الفيلم؟ "نعم، الفيلم يظهر تأويلًا محتملًا لشخصيته"، يقول توماس فوجل عالم متخصص من مكتب الأبحاث المتخصص

في التاريخ العسكري في مدينة بوتسدام. ويتابع فوجل: "كان من الممكن أن يتم تناول شخصيته بشكل أكثر سلبية، فقد ظل روميل لسنوات معجبًا بهتلر". إذًا هناك تأويلات متعددة لشخصية روميل وليس واحدًا، وكلها لا تتوافر أدلة على صحتها. ويضيف فوجل: "حتى الجوانب الإيجابية كقربه من المقاومة كان من الممكن أن تكون لها تأكيدات أيضًا".

وحسب فوجل؛ لم يشترك روميل في مخطط اغتيال هتلر "لكن رجال شتاوفنبيرج اتصلوا به باعتباره شخصًا متفتحًا. وتصريحات كثيرة تؤكد فرضية أنه وضع نفسه تحت إمرة الثائرين في حال نجاح عملية الاغتيال". وكما هو معروف؛ فقد فشل مخطط اغتيال هتلر، وأعدم الضباط والجنرالات المشتركون في العملية. أما روميل فقد أقدم على الانتحار في 14 أكتوبر، وذلك بسبب شك في تواطئه في العملية.

روميل في خدمة الدعاية النازية



لقد امتد مسار روميل من البطولة إلى التواطؤ في اغتيال هتلر، الذي كان يعتبره جنراله المفضل. لقد وصفت الدعاية النازية روميل ببطل الحرب وقائد حملة رائعة في شمال أفريقيا ضد البريطانيين والأمريكيين. وكان الانتحار القسري نهاية مسار لا مثيل له في الرايخ الثالث. يقول توماس فوجل: "لقد كانت العلاقة التي تربط هتلر وروميل مطبوعة بالإعجاب المتبادل". لقد كان روميل يُرجع الفضل إلى هتلر في صعوده الصاروخي في الرايخ الثالث. أما البعد الإجرامي للأيديولوجيا النازية؛ فقد كان يتغاضى عنها. وكان هتلر يعتبره رجلًا شجاعًا وابن الشعب، وهو الأمر الذي كان يخدم الدعاية النازية أيضًا.

كما خدم روميل الدعاية النازية في وقت كان النازيون قد بدؤوا فيه القتل الجماعي الممنهج لليهود في أوروبا. غير أن روميل بدأ يأخذ مسافة من هتلر في وقت متأخر. وقد قالت عالمة التاريخ والمتخصصة في روميل كورنيليا هيشت: "التحول الحقيقي لروميل في تقييمه لهتلر والنازية؛ بدأ ما بين اجتياح النورماندي في 6 من يونيو ومنتصف يوليو 1944. وقد قال في أحد أحاديثه: "من هم فوق ليسوا نظيفين".

استمرار الأسطورة

حتى بعد نهاية الحرب استمرت أسطورة روميل، ففي الجمهورية الاتحادية الألمانية تم تسمية بعض الثكنات العسكرية باسم "روميل" باعتباره رمزًا "للدفاع النقي"، "وهو الذي أضفى شرعية أخلاقية على تأسيس الجيش الألماني في الخمسينيات" كما يقول توماس فوجل. وفي إنجلترا تم تمجيد روميل باعتباره "الخصم المثالي"، وهو الأمر الذي كان أسهل من تفسير الهزيمة في شمال إفريقيا.

تقول عالمة التاريخ كورنيليا هيشت عن روميل: "لقد كان روميل من جانب محط فخر هتلر والنازية، ومن جانب آخر كان يمثل اللامبالاة الأخلاقية". في نهاية الفيلم يحمل جنديان روميل إلى بيته بعد تناوله للسم، وبوجه متحجر يودع زوجته وابنه ويقول لهما: "خلال ربع ساعة سأكون ميتًا". لقد كان يبدو كأنما كان ينبغي عليه تحمل مسؤولية التشارك مع هتلر.

المصري الذي قال له هتلر:كم كنت أتمنى أن تكون ألمانيا وأريد أن تعتبر ألمانيا وطنك"

كانت مباراة الوزن المتوسط في رفع الأثقال، لذلك كانت المباراة الوحيدة التي تأجلت عدة ساعات حتى يتسنى لزعيم ألمانيا "أدولف هتلر" مشاهدتها. كان "هتلر" واثقًا تمامًا من فوز بطلي ألمانيا "أزماير" وواغنر"بالمرتبتين الأولى والثانية، وهو ما كانت تتوقعه جميع الدوائر الرياضية في القرية الأوليمبية. وأخذت عينا النسر النازي ترقبان المباراة بشغف وفخر، وتدوي صيحات شبابه: ألمانيا فوق الجميع، ولكن.. تقدرون وتضحك الأقدار.. وكان القدر هذه المرة اسمه: "خضر التوني".

كانت أرقام "أزمير" في مجموعها 842 رطلًا، و هي أرقام معجزة لا قبل لأحد بالاقتراب منها، وهاج المدرج وماج، فقد أصبحت الذهبية مضمونة لـ"أزماير"، ثم تقدم البطل المصري "خضر التوني"، وإذا به يفاجئ الجمهور الغفير ويرفع أثقالا

مجموعها 853 رطلًا، أي أكثر 11 رطلًا عما رفعه أسطورة ألمانيا.

لم يتخيل هتلر أبدًا أن هناك شخصًا يستطيع هزم بطلي ألمانيا والعالم في رفع الأثقال، لأنه كان يؤمن بالقوة و يعتقد ببساطة أن الجنس الألماني هو أقوي جنس في العالم.

بعد ذلك حضر إلى رئيس البعثة المصرية مندوبًا عن الزعيم هتلر، وأبدي رغبة الزعيم في مصافحة التوني؛ فاصطحب رئيس البعثة خضر التوني حتى بداية المقصورة وتقدم التوني بمفرده، فإذا بالزعيم الذي هز العالم كله يتحرك من مكانه تاركًا المقصورة ومقابلة خضر التوني مادًا يديه مصافحًا وأبدي دهشته قائلًا:

"أزمير الثاني وأنت الأول.. لكم كنت أتمني أن تكون ألمانيًا وإنني شخصيًا أرحب بك طوال مدة إقامتك بألمانيا.. إن لمصر أن تفخر بـ(هر خضر التوني)".

والزائر لمدينة ميونيخ الألمانية.. يجد اسم أسطورة الحديد البطل خضر التوني باقيًا علي أحد أهم شوارع المدينة.

خضر التوني.. قاهر الحديد

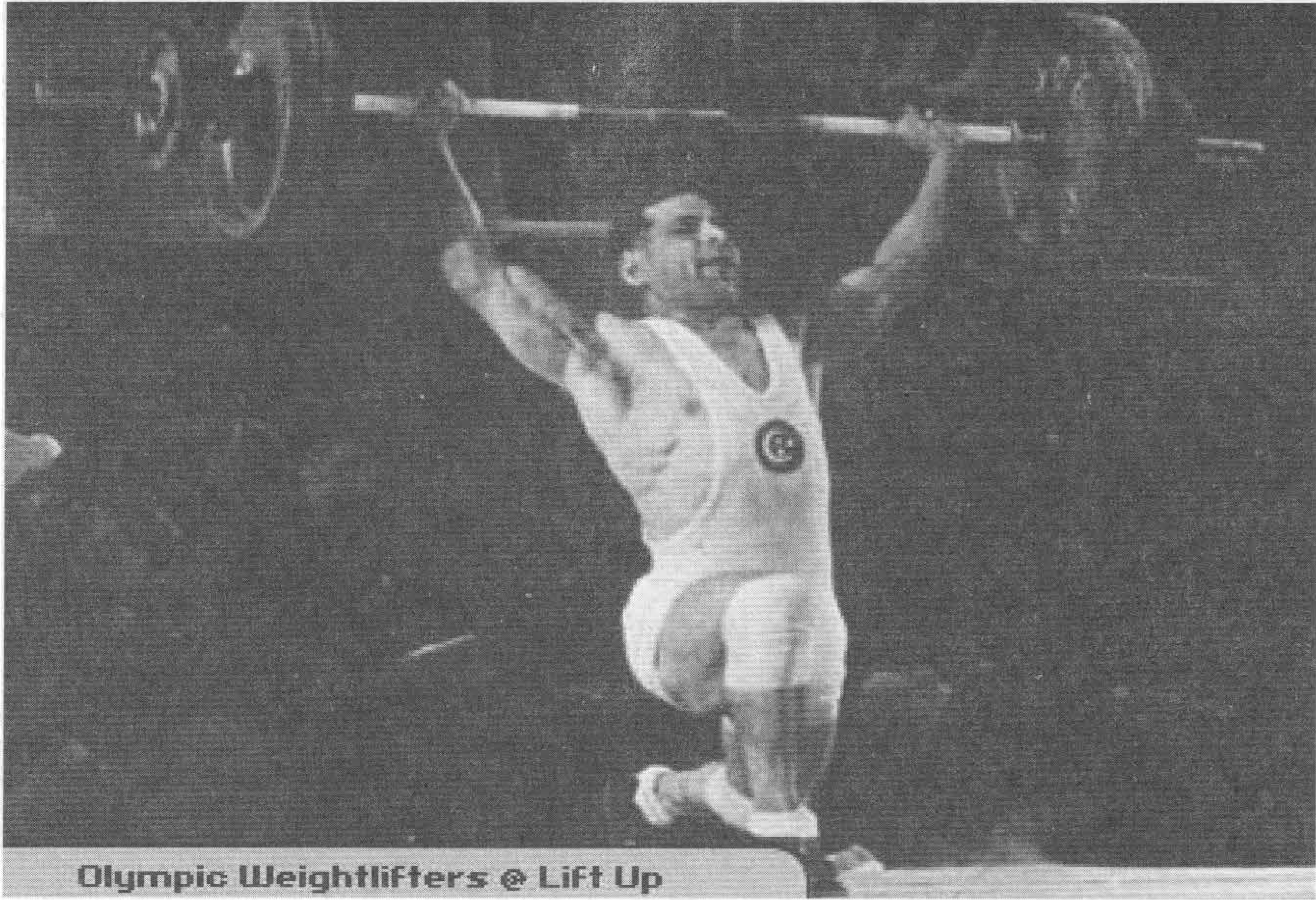
ولد "خضر سيد التوني" في حي شبرا يوم 15 سبتمبر سنة 1916، و نشأ في أسرة بسيطة. كان لوالده دكان لبيع الجلود، فلم يرسل "خضر" إلى المدرسة ولكنه أبقاه معه.



كان "خضر" شغوفًا بمشاهدة المباريات الرياضية التي يمارسها تلاميذ "شبرا" في أرض الفضاء بجوار جامع الخازندارة، كان التلاميذ يصنعون ثقلًا من يد مقشة في طرفيها حجران متساويان، واستمر وضع الأحجار حتى بلغ وزنها 80 كجم، حاول أي من التلاميذ رفع الثقل دون جدوى لم يتزحزح الثقل من مكانه. وقف الفتى الذي لا يتجاوز 17 سنة يراقب الموقف، وتمنى لو دعاه أحدهم ليجرب

حظه في رفع الثقل، لمح تلميذ منهم ذلك الفتى، ورأى في عينه رغبة قوية في مشاركتهم محاولاتهم. سمحوا له أن يحاول رفع الثقل، وبمنتهى البساطة حمله دون أن يظهر عليه أدنى تأثر. هلل التلاميذ للفتى الذي لا يزيد عنهم سنا ودعوه لمشاهدة "علي الكسار" في مسرحه، واستمروا يزيدون الأثقال فيرفعها الفتى ويكافئونه على موهبته بقضاء ليلة في المسرح.

بعد عامين، وفي بطولة القاهرة سجل مجموعة جديدة ورقمًا مصريًا قياسيًا قدره 245 كجم خطف ونطر. وسأل "خضر" عن الرقم العالمي فعرف أنه 106.5 كجم في رفعة الضغط، فلما أقيم مهرجان رياضي كبير في جمعية الشبان المسلمين سنة 1935؛ تمكن "خضر التوني" من ضرب الرقم القياسي العالمي ورفع 107.5 كجم ضعفًا.



وفي سنة 1936، تقرر اشتراك مصر في الألعاب الأوليمبية الحادية عشرة في برلين عاصمة ألمانيا، يقول "خضر التوني" للأستاذ الكاتب الرياضي السيد فرج يصف أروع أيام حياته: "لا أستطيع أن أصف لك كيف كانت حالتي ومشاعري، كنت أحسب نفسي مثل عصفور انطلق من القفص إلى الفضاء الواسع، وعندما وقفت الباخرة "كوثر" في ميناء الإسكندرية ونحن نستعد للوصول إليها، كنت أظنها ستحملني إلى جنة أحلامي، سوف أذهب إلى أوروبا وأواجه أبطال العالم، أبطال فرنسا وألمانيا، الإنجليز والروس والأمريكان، وأنتصر عليهم، وأرفع علم

مصر. كنت مطمئنًا جدًا، واثقًا تمامًا من أني سأفوز ببطولة العالم بإذن الله، تمامًا كما كنت أفعل حينما يراهنني أصحابي في حي البراد بشبرا على زجاجة "كازوزة" أو سهرة عند "علي الكسار" في روض الفرج".

أجمعت الدوائر الرياضية، ووكالات الصحف والأنباء، والنقاد الرياضيون من شتى أنحاء العالم؛ على أن دورة برلين الأوليمبية سنة 1936، قد فاقت سابقاتها تنظيمًا واتساعًا وإعلامًا، وأرقامًا ونتائج.

كذلك أجمعت على أن أهم المسابقات التي جرت كانت مباراة الوزن المتوسط في رفع الأثقال، لذلك كانت المباراة الوحيدة التي تأجلت عدة ساعات حتى يتسنى لزعيم ألمانيا "أدولف هتلر" مشاهدتها. كانت أرقام "ازماير" في مجموعها 842 رطلًا، وهي أرقام معجزة لا قبل لأحد بالاقتراب منها، وهاج المدرج وماج، فقد أصبحت الذهبية مضمونة لـ"أزماير"، ثم تقدم البطل المصري "خضر التوني"، وإذا به يفاجئ الجمهور الغفير ويرفع أثقالا مجموعها 853 رطلا، أي أكثر 11 رطلا عما رفعه أسطورة ألمانيا.

يقف خضر التوني وسط أيزماير وواغنر ويرتفع علم مصر ذو الهلال والنجوم الثلاث فوق حاضرة ألمانيا، وصدحت الموسيقى بالسلام المصري، واليوم يرى زائر مدينة ميونخ اسم "خضر التوني" على شارع من أهم شوارعها تكريمًا للبطل.

وقد استمر "خضر التوني" بطل أبطال حمل الأثقال في العالم 15 سنة، سابقًا بأرقامه ومحتفظا ببطولته، وهو ما لم يحققه غيره في سجل التاريخ الرياضي.

كتب عنه الناقد الرياضي الأشهر "شارك كوستر" في مجلة "الصحة والقوة" عدد يناير سنة 1956 أي بعد دورة برلين بعشرين سنة، في 6 صفحات محلاة بالصور تحت عنوان "جبار رفع الأثقال" قائلا: "إن لدي اعتبارات قاطعة حين أقول إن "خضر التوني" هو أعظم بطل أوليمبي في رفع الأثقال في العصر الحديث. لقد كان "التوني" رجل الساعة في أوليمبياد برلين سنة 1936، وقد سحق منافسيه تمامًا".

قال "هتلر" لـ"خضر التوني": إن لمصر أن تفخر بك، فلما عاد إلى مصر وتوجه لتسلم عمله السابق في مدرسة الصناعات الميكانيكية بـ"بولاق"، قال له ناظر المدرسة: "أنت مطرود بسبب الغياب".

وضعو اسمه في صدارة قائمة عظماء الحديد في التاريخ، وهي القائمة السنوية التي يصدرها الاتحاد الدولي، وتشمل 50 أعظم بطلا في التاريخ وفقا للأرقام

المسجلة، والأمد التاريخي الذي عاشته، ولم تتحطم ولمدة 50 عاما بالتمام والكمال، ومنذ دورة برلين و"خضر التوني" يحتل رقم 1 في هذه القائمة، ومنذ عام 1936 وحتى عام 1996 حين استطاع البطل التركي سليمانو غلو كسر هذا الإعجاز واحتلال المركز الأول، ليتراجع خضر التوني إلى المركز الثاني في قائمة العظماء السنوية.

كان عمر "خضر التوني" في دورة برلين 20 عاما، وكان مقررًا تكرير التجربة في دورتي 1940 و1944، ولكن قيام الحرب العالمية الثانية ألغى الدورتين، فخسرت الألعاب الأوليمبية إنجازات بطل لن يتكرر وهو في أوج مجده. وحينما حلت دورة لندن سنة 1948؛ أصيب بالتهاب في الزائدة الدودية قبل يوم واحد من النزال، ومع هذا احتل المركز الرابع. فاز أيضا ببطولة العالم ثلاث مرات.

كان ملوك الحديد "التوني" وزملاؤه، يمارسون الرياضة كهواة، وكان غاية ما يحصلون عليه هو قسائم من شركة الترام لركوب الترام مجانا. الجائزة الوحيدة كانت بوليصة تأمين على الحياة بقيمة ألف جنيه، ومن المفارقات القدرية العجيبة، أن "خضر التوني" لم يهنأ بقيمة التأمين، رغم أنه استردها بهدف بناء منزل له ولأولاده في حلوان، فبعد أن بنى المنزل وأثناء قيامه بتركيب أحد المصابيح، أصيب بماس كهربائي فسقط ميتا في لحظة عن أربعين عامًا.

الفصل الخامس
فصل الختام

من أقوال هتلر

1. لقد اكتشفت مع الأيام أنه ما من فعل مغاير للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود يد فيها.
2. سوف أترك عينة بسيطة من اليهود لتعلموا لماذا كنت أقتلهم؟
3. ذوو النفوس الدنيئة، يجدون اللذة في التفتيش عن أخطاء العظماء.
4. لن تستطيع أن تمنع طيور الهم أن تحلق فوق رأسك.. ولكنك تستطيع أن تمنعها أن تعشش في رأسك.
5. المهزوم إذا ابتسم، أفقد المنتصر لذة الفوز.
6. العين التي لا تبكي، لا تبصر في الواقع شيئًا.
7. لا تتحدى إنسانًا ليس لديه ما يخسره.
8. أن تكون فردًا في جماعة الأسود.. خير لك من أن تكون قائدًا للنعام.
9. إذا طعنت من الخلف؛ فاعلم أنك في المقدمة.
10. إذا لم تعلم أين تذهب؛ فكل الطرق تفي بالغرض.
11. يوجد دائمًا من هو أشقى منك.. فابتسم.
12. يظل الرجل طفلاً، حتى تموت أمه، فإذا ماتت.. شاخ فجأة.
13. عندما تحب عدوك.. يحس بتفاهته.
14. الكلام اللين يغلب الحق البين.

15. كلنا كالقمر.. له جانب مظلم.

16. لا خير في يمنى بغير يسار.

17. الجزع عند المصيبة، مصيبة أخرى.

18. الابتسامة كلمة معروفه من غير حروف.

19. اعمل على أن يحبك الناس عندما تغادر منصبك، كما يحبونك عندما تتسلمه.

20. لا تطعن في ذوق زوجتك، فقد اختارتك أولا.

21. تصادق مع الذئاب.. على أن يكون فأسك مستعدًا.

22. إنك تخطو نحو الشيخوخة يومًا مقابل كل دقيقة من الغضب.

23. كن صديقًا، ولا تطمع أن يكون لك صديق.

24. إن بعض القول فن.. فاجعل الإصغاء فنًا.

25. الذي يولد يزحف، لا يستطيع أن يطير.

26. اللسان الطويل دلالة على اليد القصيرة.

27. نحن نحب الماضي لأنه ذهب. ولو عاد لكرهناه.

28. من العظماء من يشعر المرء بحضرته أنه صغير.. ولكن العظيم بحق هو من يُشعر الجميع في حضرته بأنهم عظماء.

29. من يطارد عصفورين يفقدهما.

30. المرأة هي نصف المجتمع وهي التي تلد وتربي النصف الآخر.

31. كلما ارتفع الإنسان، تكاثفت حوله الغيوم والمحن.

32. الفشل في التخطيط يقود إلى التخطيط للفشل.

33. لا تجادل الأحمق، فقد يخطئ الناس في التفريق بينكما.

34. قد يجد الجبان 36 حلًا لمشكلته.. ولكن لا يعجبه سوى حل واحد

منها وهو.. الفرار.

35. شُق طريقك بابتسامتك.. خير لك من أن تشقها بسيفك.

36. من أطاع الواشي ضيَع الصديق.

37. لا تستحِ من إعطاء القليل.. فإن الحرمان أقل منه.

وصية هتلر الأخيرة

وصية هتلر الأخيرة هي الوصية التي ألقاها هتلر على سكيرتيرته تراودل يونجه داخل قبوه في برلين في 29 أبريل، اليوم الذي تزوج فيه إيفا براون. ثم قام بالانتحار مع زوجته اليوم التالي 30 أبريل، قبل ثلاثة أيام من سقوط برلين في يد السوفييت يوم 2 مايو، وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية في أوروبا بأسبوع يوم 8 مايو. وتتكون من وثيقتين منفصلتين، وصية شخصية ووصية سياسية.

الوصية الشخصية

الوصية الشخصية الأخيرة، هي وثيقة صغيرة موقعة في 29 أبريل 1945 الساعة الرابعة صباحًا:

- الاعتراف بزواجي ـ ولكنه لا يسمي زوجته بالاسم إيفا براون ـ وأنهما اختارا الموت على عار الهزيمة أو الاستسلام، وأن يحرق جسداهما بعد انتحارهما.
- أن تترك مجموعته الفنية في "معرض رسوم في مدينته لينتز على نهر الدانوب".
- الأشياء التي لها قيمة خاصة أو يمكن أن تفيد تذهب إلى أقاربه ومعاونيه المخلصين؛ مثل سكيرتيرته فراو فينتر.
- أي شيء آخر ذو قيمة يذهب إلى حزب العمال الاشتراكي القومي.
- يقوم على تنفيذ هذه الوصية مارتن بورمان.

شهد على هذه الوصية جوزيف جوبلز، مارتن بورمان والعقيد نيكولاس فون بيلوف.

الوصية السياسية

وقعت هذه الوصية السياسية في نفس وقت توقيع الوصية الشخصية، الرابعة صباحاً يوم 29 أبريل 1945. وكان الجزء الأول منها هو تكرار مواقفه السياسية والفكرية التي ذكرها مرارًا من قبل. و لم تغير نيته للانتحار أو السقوط الحتمي للرايخ الثالث من مواقفه السياسية. أما الجزء الثاني فيحتوى على تعيينات هتلر للأشخاص في الحكومة الألمانية والحزب النازي من بعده. وتضمنت أيضًا العديد من العبارات التي قال فيها إنه لم يكن يريد الحرب مع الأمم الأخرى، وألقى باللائمة على اليهود في إشعال هذه الحروب.

- يتم طرد المشير هيرمان جورينج من الحزب.
- يتم طرد هاينريش هيملر قائد وحدات النخبة النازية من الحزب.
- يتم تعيين اللواء بحري كارل دونتز رئيسًا لألمانيا وقائدًا أعلى للقوات المسلحة.

كما قام هتلر بتسمية الحكومة الجديدة "قادة الأمة":

- رئيس الدولة (Reichspräsident): كارل دونتز
- المستشار (Reichskanzler): دكتور جوزيف جوبلز
- وزير الحزب (Parteiminister): مارتن بورمان
- وزير الخارجية (Aussenminister): أرتر سيس - إنكوارت
- وزير الداخلية (Innenminister): جاوليتير باول جايزلر
- وزير الحرب (Kriegsminister): كارل دونتز
- قائد الجيش (Oberbefehlshaber des Heeres): المشير فرديناند شورنر
- لمائد القوات البحرية (– Oberbefehlshaber der Kriegsm rine): كارل دونتز
- قائد القوات الجوية (Oberbefehlshaber der Luftwaffe):

اللواء ريتر فون جرايم

- قائد وحدات النخبة النازية ورئيس الشرطة (Reichsführer–SS und Chef der Deutschen Polizei): جاوليتر كارل هانكه
- وزير الاقتصاد (Wirtschaft): فالتر فونك
- وزير الزراعة (Landwirtschaft): هيربيرت باكه
- وزير العدل (Justiz): أوتو تايراك
- وزير الثقافة (Kultus): جوستاف أدولف شيل
- وزير الدعاية (Propaganda): فيرنر ناومان
- وزير المالية (Finanzen): يوهان لودفيج جراف شفيرين فون كروسيجك
- وزير العمل (Arbeit): تايو هوبفاوير
- وزير الذخيرة (Rüstung): كارل - أوتو ساور
- مدير جبهة العمل الألمانية ووزير الدولة (Leiter der Deutschen Arbeitsfront und Mitglied des Reichskabinetts: Reichsminister): دكتور روبرت لاي.

الشهود: دكتور جوزيف جوبلز، فيلهلم بورجدورف، مارتن بورمان واللواء هانز كريبس.

وفي عصر يوم 30 إبريل، بعد يوم ونصف تقريبًا من توقيعه على وصيته، انتحر هتلر.

كاتب الوصية

بعد مقارنة وصية هتلر الأخيرة بكتاباته وخطاباته التي كان يكتبها له جوبلز. زعمت يونجه أن هتلر كان يقرأ من كراسة ملاحظات أثناء تمليته لوصيته. ولأن هتلر كان قليلاً ما كان يكتب في هذه المرحلة (مرحلة سكنه في القبو وبداية النهاية لألمانية النازية)، فإنه من الممكن أن يكون جوبلز هو الذي كتب الملاحظات التي كان هتلر يقرأ منها أثناء تلاوته الوصية.

وفاة الشهود

توفي شهود الوصية السياسية جميعهم بفترة قصيرة فيما بعد، فانتحر جوبلز وزوجته في 1 مايو (وقتلوا أطفالهم الستة الصغار معهم). بيرجدورف وكريبس انتحرا معًا ليلة 2 مايو في القبو، بينما مكان وزمان انتحار بورمان لا يزالان غير مؤكدين، فقد وُجدت بقاياه في موقع القبو عام 1972، وتم التعرف عليها باختبار الحمض النووي سنة 1998. ويمكن أن يكون قد قتل أثناء محاولته الهرب من قبو الفوهرر.

ملاحظات

1. مارتن بورمان ـ كان ضمن إحدى الجماعات التي حاولت الحرب من القبو ـ استطاع عبور السبريه. وأبلغ عن موته في مكان قريب من جسر فايديندامر، وتم رؤية جثته والتعرف عليها بواسطة أرتر أكسمان الذي هرب في نفس الطريق.

هل انتحر هتلر؟ أم أن المخابرات تفعل أفاعيلها! عملية الأسطورة



صور تظهر التناقض في عملية انتحار هتلر، في الصورة على اليسار الصورة موضوعة مباشرة على الجثة. وفي الصورة على اليمين صورة "مشوشة" تظهر كأنها صورة خلفية. هذا الاختلاف يظهر بوضوح التضارب بأن الجثة يمكن أن تكون قد نقلت.

الكل كان يعتقد أن هتلر، زعيم الرايخ الثالث، تم حرق جثته بأمر منه بعد انتحاره في اللحظات الأخيرة من اقتراب القوات الروسية من مقر المستشارية الألمانية حيث يوجد مخبوء الحصين، ومنها كان يقود العمليات الأخيرة للقوات الألمانية المنهارة على جميع الجبهات.

وكان أحد المتواجدين مع الفوهرر.. أكد أنه هو بنفسه سكب البنزين على جثة هتلر وزوجته "ايفا بروان" ووزير دعايته "جوبلز" وأفراد عائلته، بأمر من هتلر قبل أن ينتحر بطلقة نارية والآخرون بالسم.

لكن، وثائق عثر عليها في أرشيف "ك.جي.بي"، جهاز المخابرات الروسية الشهير، تثبت أن جثة أدولف هتلر الزعيم الألماني وزوجته (أو عشيقته) ايفا بروان وجثة مساعده جوبلز وعائلته، تم حرقهم من طرف الجهاز المخابرات الاتحاد السوفيتي السابق المعروف باسم "ك.جي.بي"، بعد تم دفنهم في بادئ الأمر في أحد الأماكن السرية، وذالك لقطع الطريق مستقبلا بأن يصبح قبر هتلر مزارًا. وأطلقت على هذه العملية اسم "الأسطورة"، وتمت بسرية تامة وتم الاحتفاظ فقط بفك هتلر.

أما لماذا أكد أحد المتواجدين مع هتلر أنه هو من سكب البنزين على جثة هتلر، والآخرين ، وحرقها، فيمكن تفسير ذالك ببساطة "بأنها قد تكون صفقة مع هذا الرجل: شهادته بأن جثة هتلر تم حرقها مقابل سلامته".

وتقول مصادر من موظفين روس إن صورة جثة هتلر هي جزء من فيلم عسكري متطابقة من أرشيف المركزي في موسكو، الصور خلقت مشكلات أكثر من أنها حلت ، إذا كانت صورة حقيقة؛ إذن أخذت في عين مكان بعد عملية الانتحار، وهم يقولون إن جثة هتلر أحرقت وأصبحت رمادًا قبل وصول القوات الروسية لمخبئه.

المرايا

أدولف هتلر هو واحد من العظماء القلائل الذين كادوا يوقفون سير التاريخ ويبدلون اتجاهه ويغيرون شكل العالم، ولئن يكن هتلر الجندي الذي لم يخلف وراءه سوى أسطورة يشوبها واقع هو المأساة بعينها: مأساة دولة انهارت أحلامها ونظام حكم تقوضت دعائمه وحزب تغرق أركانه أيدي سبأ، فهتلر رجل العقيدة قد خلف تراثاً فكرياً هيهات أن يبلى، وهذا التراث الفكري يشمل السياسة والاجتماع والعلم والفن والحرب كعلم وفن.

ففي كتابه "كفاحي" تحدّث عن كل شيء يخصّ الاشتراكية التي بشّر بها، بسط معالمها وشرح مبادئها في خطبه قبل تسلمه زمام الحكم، وفي غضون الأعوام الثلاثة عشر التي قضاها على رأس الأمة الألمانية.

ملف صور نادرة



حفل عيد ميلاده الخمسين 1939 مع مجموعة من أبناء مساعديه.



مع زوجته إيفا براون، كانت صديقته لفترة طويلة قبل أن يتزوجا في 1945 قبل شهر من انتحارهما.



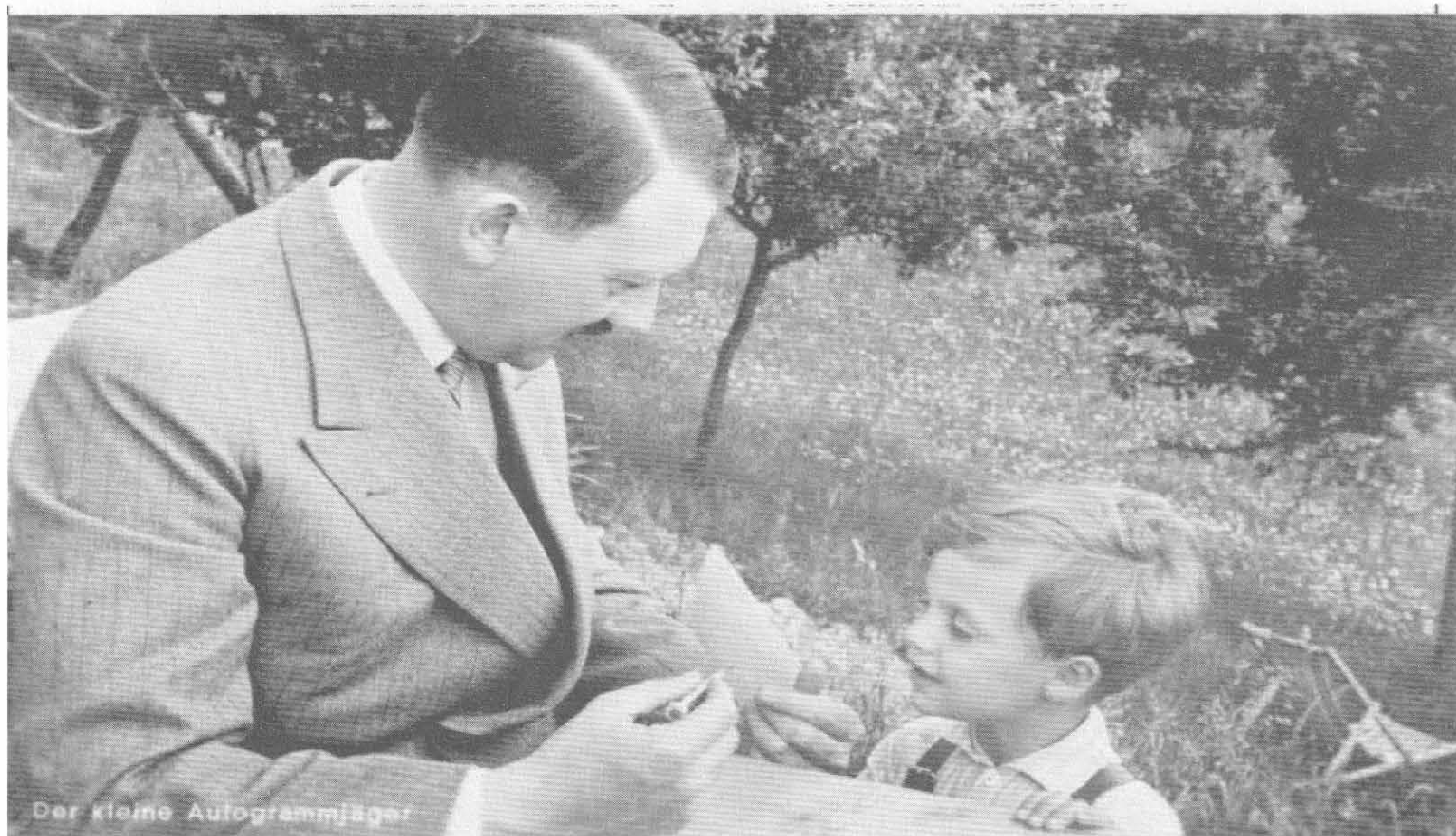
مع ابنة أحد مساعديه



يستعد لإلقاء خطاب.



هتلر أيام الطفولة.





أيام الشباب.





في يوم انتخابه مستشارًا لألمانيا 1930.. الصورة بعد ظهور نتائج الانتخابات مباشرة.



في سيارته الرئاسية المرسيدس، يتقدمه حارسه الشخصي ونائبه هاينريش هيملر.



هتلر درس الرسم في فيينا - النمسا وهذه واحدة من رسوماته أيام كان طالبًا كما يشاع.



حجر في مدينة بروناو في النمسا يذكر العالم بمآسي الحرب العالمية الثانية، المدينة مسقط رأس هتلر.

EXTRA THE STARS AND STRIPES EXTRA

HITLER DEAD

Fuehrer Fell at CP, German Radio Says; Doenitz at Helm, Vows War Will Continue

Churchill Hints Peace Is at Hand



أول جريدة تعلن خبر وفاة هتلر.. وهي ستار أند ستريس الأمريكية 1945.



أمام برج إيفل بباريس ـ فرنسا بعد احتلاله لها 1940.



مع أبناء بعض معاونيه.



في منزله بعد انتخابه مستشار ألمانيا.



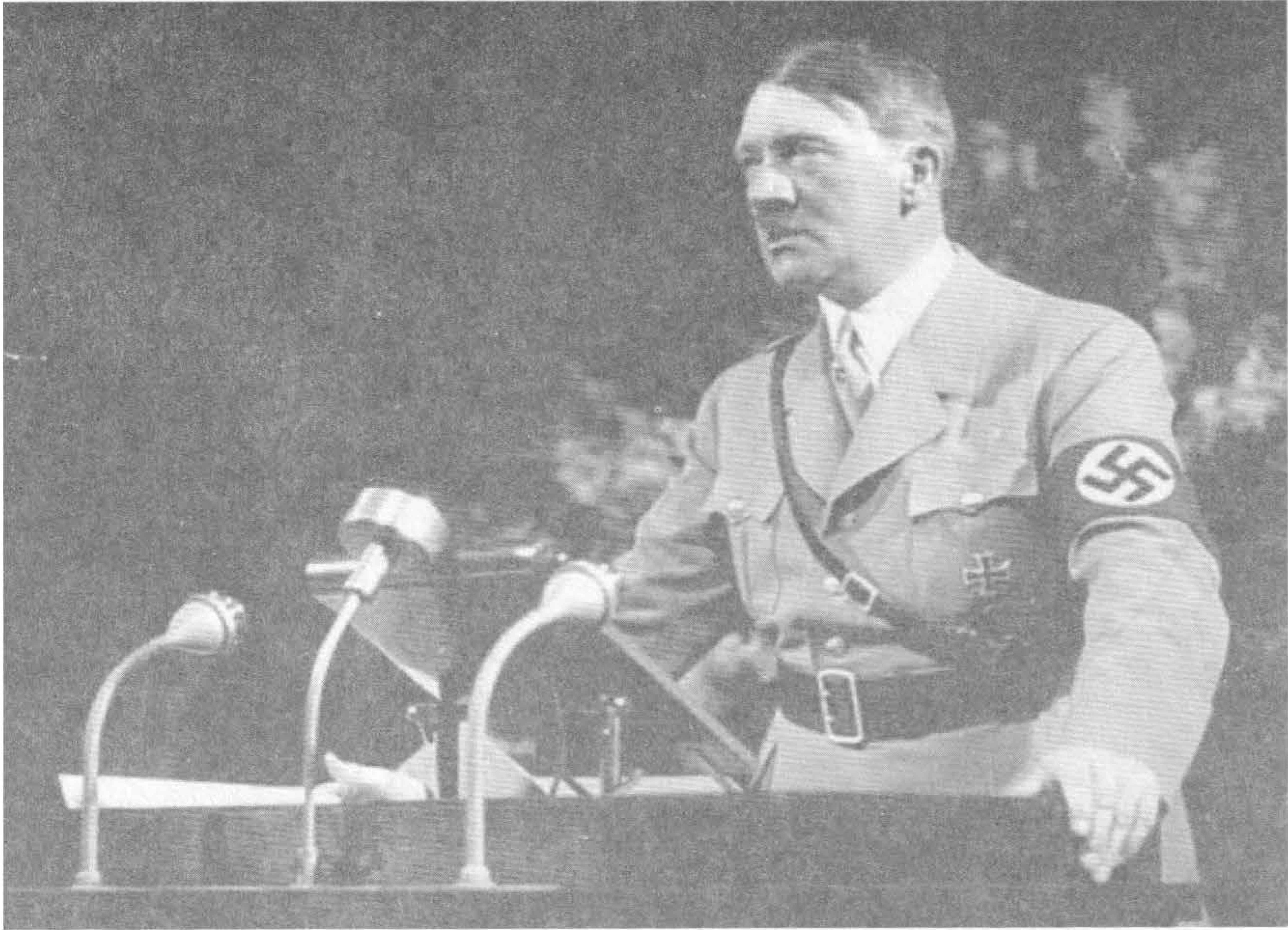
مع الممثلة الألمانية الأولى في ذاك الوقت ليني ريفشنتال أثناء حضور عرض مسرحي.



مع زوجته إيفا براون.









مع كلبته بلوندي، ماتت قبل أسبوع من وفاته.

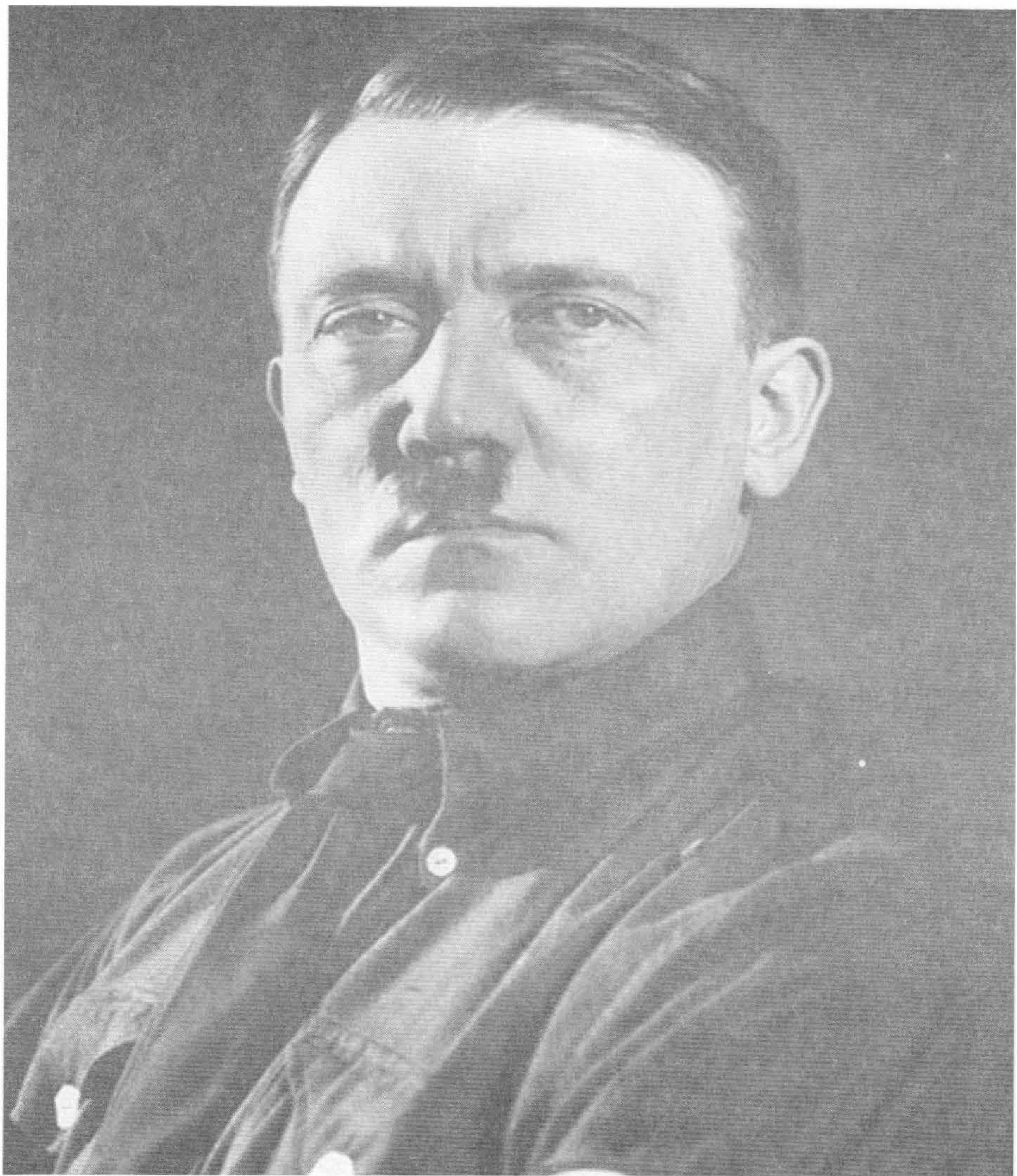


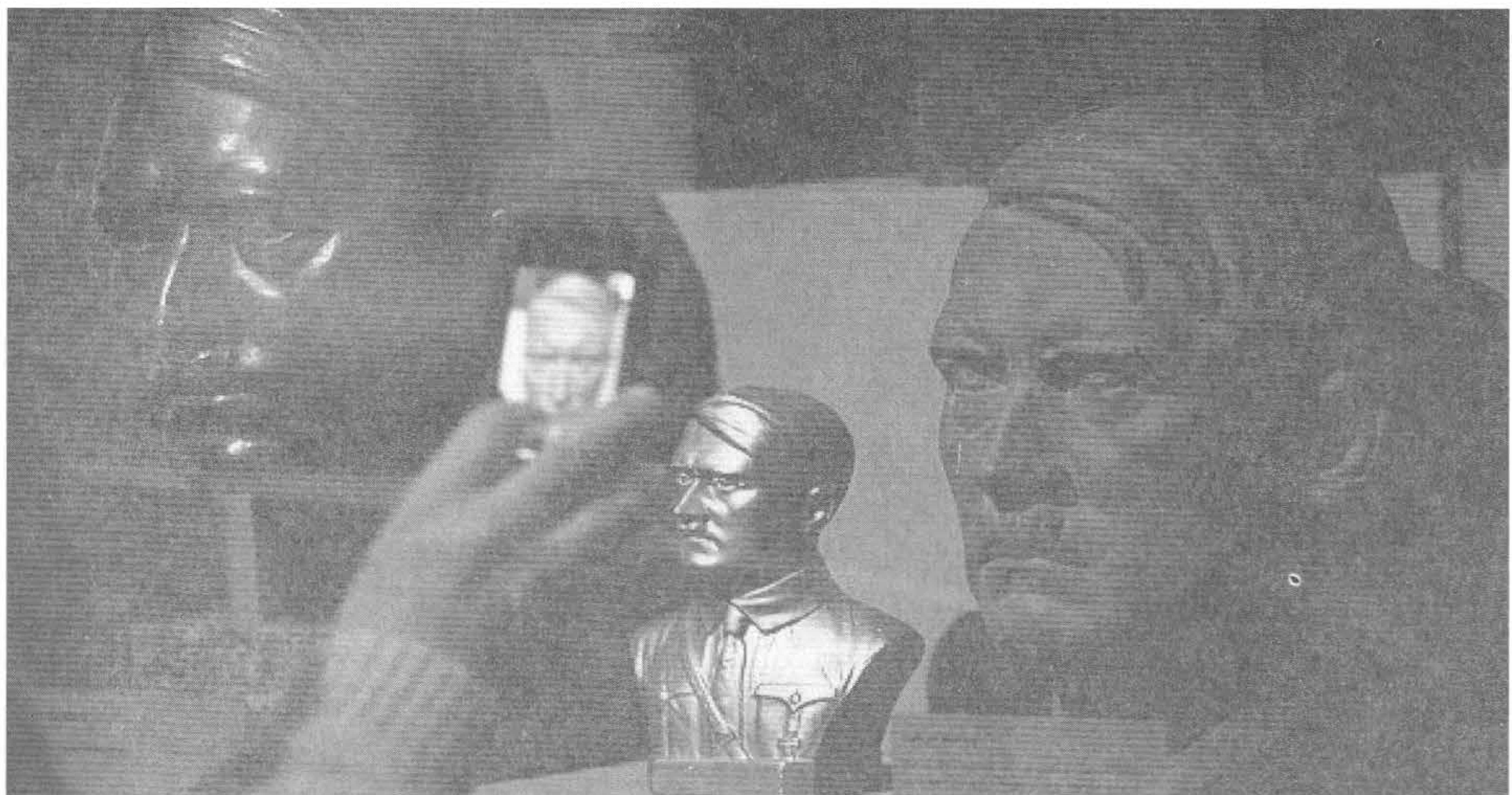
بعد سقوط ألمانيا النازية.. الكثير من النازيين هربوا من ألمانيا للارجنتين، الصورة لرجل مجهول توفى في الأرجنتين سنة 1969 واكتشفت السلطات الأرجنتينية أن جميع وثائقه مزورة، ويُعتقد بأنه هتلر، خصوصًا أن جثة هتلر لم توجد في مكان انتحاره، فقد احترق المبنى الذي اختبأ فيه فترة طويلة قبل انتحاره.

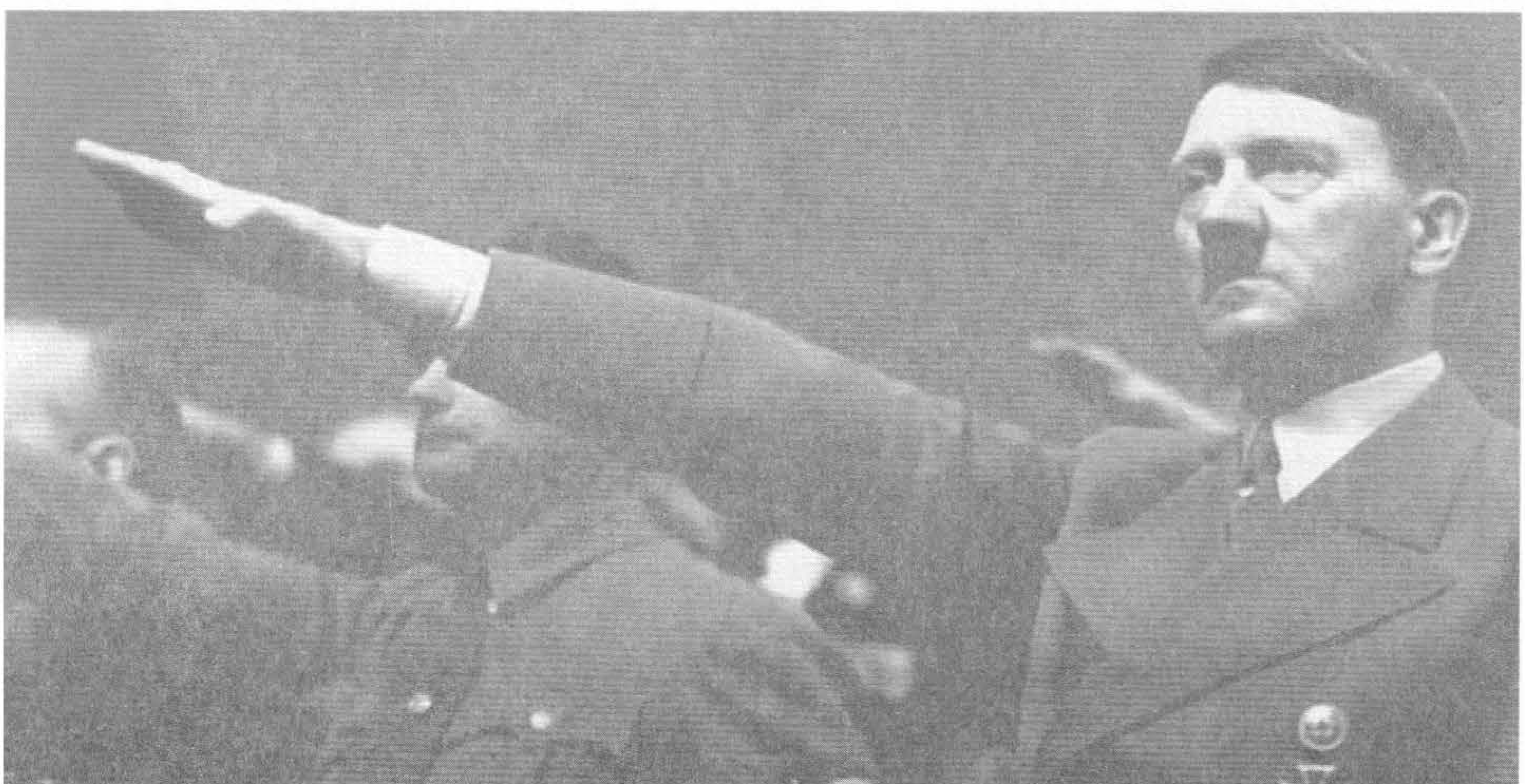

5
RM
ADOLF
HITLER
1935


ADOLF HITLER
1933

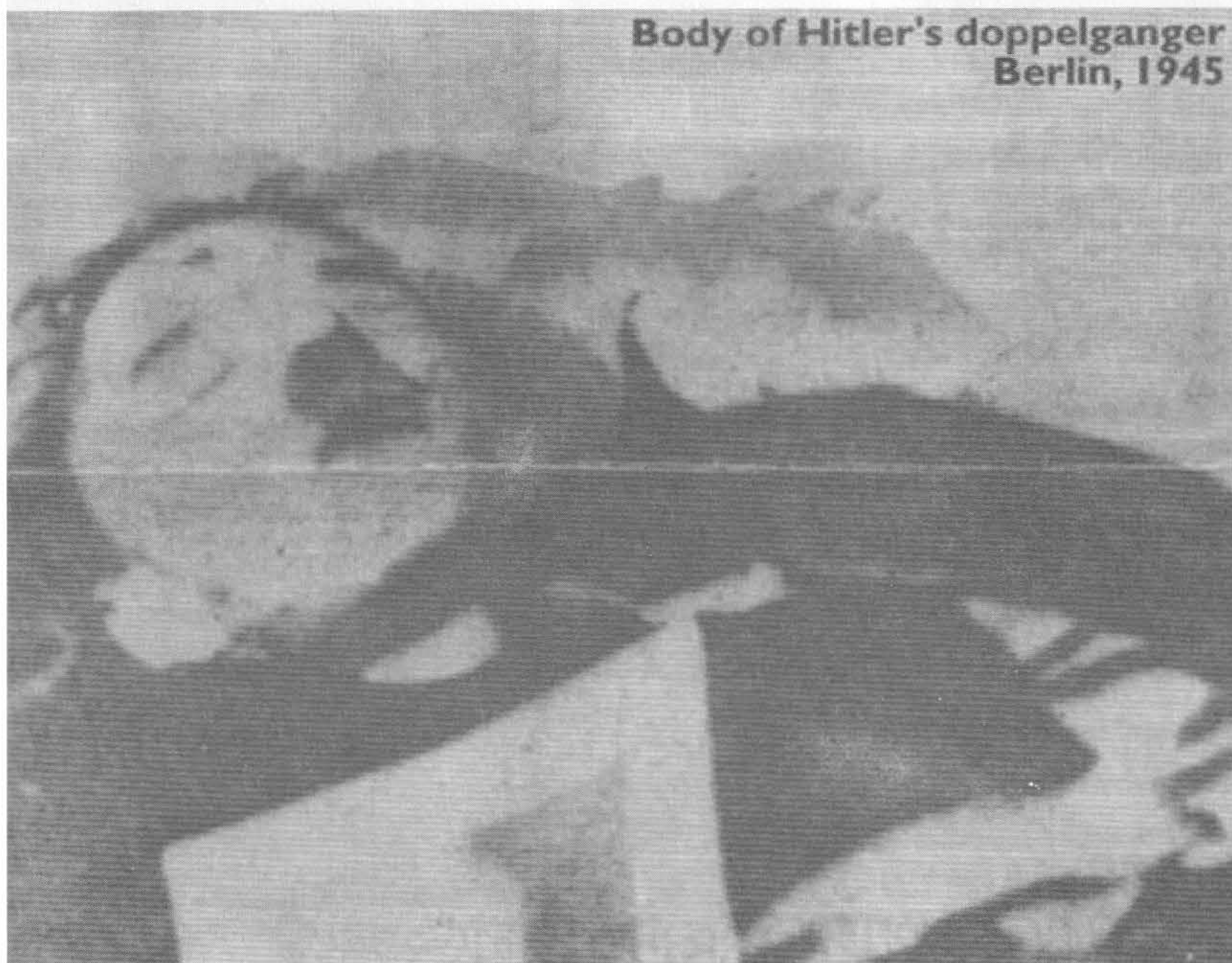











Body of Hitler's doppelganger
Berlin, 1945






© HugoJaeger/Time&Life/Getty


© HugoJaeger/Time&Life/Getty


© Alamy

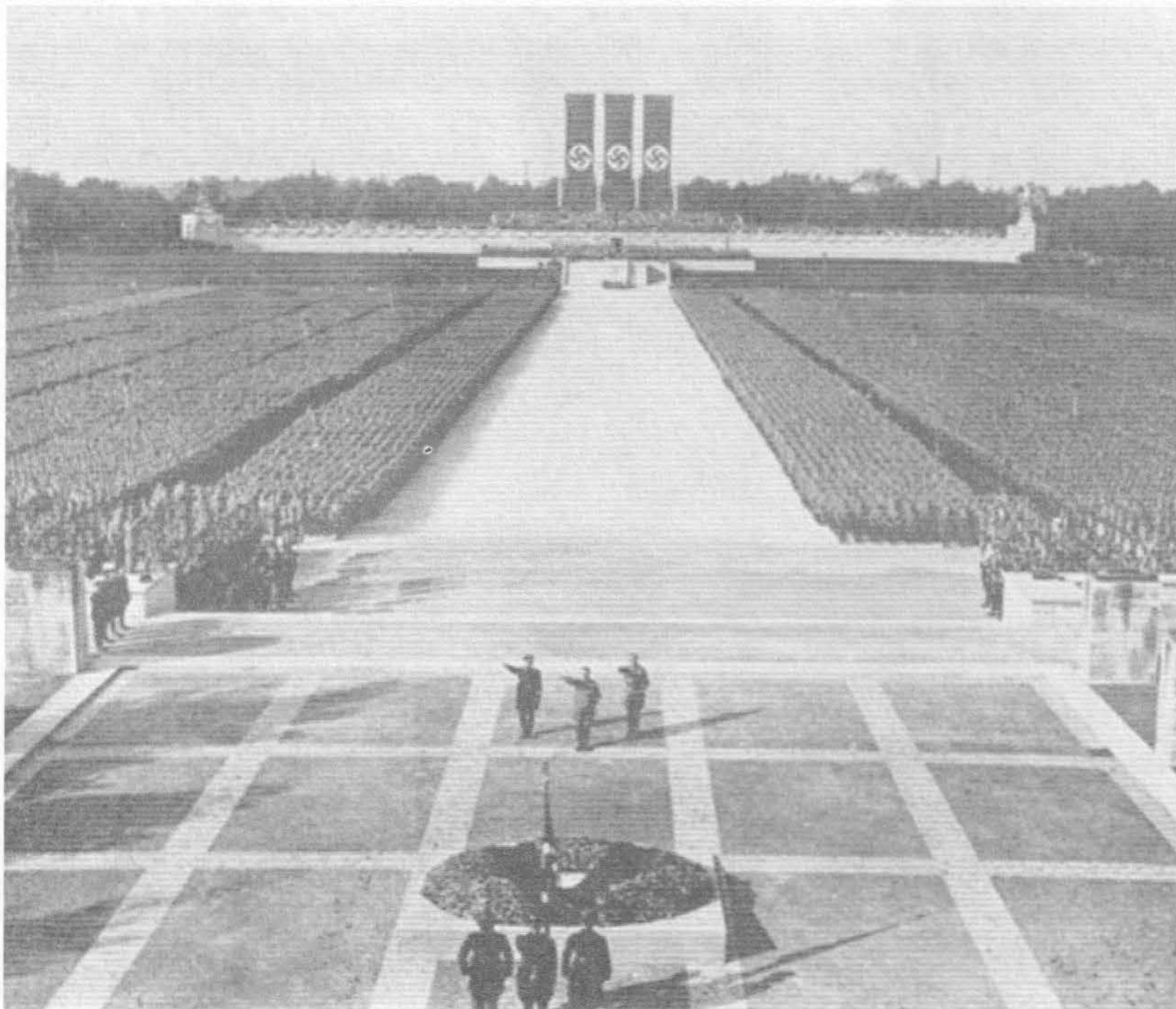








Bundesarchiv, Bild 183-B02607
Foto: o.Ang. | 3. Mai 1941







اسمـــــه: أدولف ألـويس هـتـلـر

تـاريخ ولادتـه: العشرين من أبريل 1889

مكـان ولادتـه: برونـو آم إن فـي النمسـا

جنـسيتـه: ألماني من أصول نمساوية

وظيفتـه: رئيس لدولة ألـمـانيـا

فترة رئاسته: من 1934 إلـى 1945

وفاته: 30 أبـريـل 1945

الفهرس

أدولف هتلر

كفاحي

والترجمة التي نضعها بين يدي القارئ لكتاب "كفاحي" لم يسبق أن قدمت إلى الناطقين بالضاد أمانة، لأنها مأخوذة من النسخة الأصلية للمؤلف أدولف هتلر، أي النسخة التي لم تمتد إليها يد الرقابة بالحذف والتعديل. وقد حرصنا على نقل آراء هتلر ونظرياته في القومية وأنظمة الحكم والأعراق دون أدنى تصرف، لأن هذه القضايا لا تبلى جدتها ولأننا في دنيا العرب لا نزال نخبط في الحقول الثلاثة خبط عشواء.

لويس الحاج

تصميم الغلاف : أحمد الصباغ





